المملكة المغربية
وزارة الشؤون الثقافية

البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف

تأليف أبو القاسم الزياني

القسم الأول
(من النشأة الى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)

دراسة وتحقيق
الاستاذ رشيد الزاوية

مركز الدراسات والبحوث العلوية
الريصاني (إقليم الرشيدية)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة المغربية
وزارة الشؤون الثقافية

البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف

تأليف أبو القاسم الزياني

القسم الأول

(من النشأة الى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)

دراسة وتحقيق
الاستاذ رشيد الزاوية

مركز الدراسات والبحوث العلوية
الريصاني (إقليم الرشيدية)

قدم هذا العمل كموضوع رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ بكلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، بفاس. وقد تمت مناقشته العلمية بتاريخ 27 / 6 / 91 من طرف لجنة تتكون من السادة الأساتذة:

- محمد مزين - رئيسا
- مولاي هاشم العلوي القاسمي - مقرراً.
- لحسن اغزادي - عضواً
- احمد مزيان - عضواً

ونال صاحبه ميزة: حسن جداً

بسم الله الرحمان الرحيم

تـقـديـــم

تاريخ المملكة المغربية غني، معطاء، أجمع المؤرخون على أهمية مكانته اللافتة في تاريخ الحضارات والشعوب، ولعل في كثافة الاحداث التاريخية التي عاشها المغرب عبر العصور، وحمولتها من التجارب الرائدة والعبر، وفي التراكم الوثائقي الذي يقترن بها، والمتسم بالكثرة والتشتت، ما يفسر وفرة أعمال البحث والتحقيق المتعلقة به، والعناية المتزايدة بفك رموزه، وإضاءة كافة زواياه، في المغرب الحديث بخاصة.

وفي هذا الاطار، يسعد وزارة الشؤون الثقافية أن تمد الباحثين بتحقيق جامعي لتأليف «البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف» لابي القاسم الزياني، والذي يغطي القسم الأول منه الفترة التاريخية الممتدة من نشأة الدولة العلوية الى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله، متقدما به الاستاذ رشيد الزاوية لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

وأملنا إتاحة الوسائل- بعون الله - لاصدار القسم الثاني الذي يؤرخ للفترة الممتدة من عهد مولاي اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله حتى عهد السلطان مولاي سليمان، كما يتضمن الفصول الملحقة والفهارس.

ونهنئ الاستاذ «رشيد الزاوية» على ما قوبل به عمله من ترحيب في الوسط الجامعي، مقدرين ما تطلبه هذا العمل من صبر وأناة، كما نعتز بما حظي به المؤرخ «أبو القاسم الزياني» في العصر الحسني الزاهر من اهتمام علمي ودراسة أكاديمية.

مـدخـل

للأستاذ: هاشم العلوي القاسمي
كلية الآداب / فاس

تتجه جهود الباحثين المؤرخين المغاربة في ظروفنا الراهنة نحو تحقيق ونشر وثائق ومصادر «التاريخ المغربي». وهي عملية أساسية وضرورية لكتابة هذا التاريخ. ومازالت الخزائن الخاصة والرسمية بالمغرب وخارجه تزخر بالنصوص المخطوطة والتي لم تر النور بَعدُ. يعني هذا أن اكتشاف تاريخنا يتطلب المرور على مرحلة تحقيق تلك النصوص. ومن هنا كان اهتمام جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس بتحقيق النصوص المغربية من كل حقول المعرفة الإنسانية، وكان توجه كلية الآداب وشعبة التاريخ بها نحو المساهمة في هذا المجال.

وفي هذا الإطار يشرفنا أن نقدم للمؤرخين المغاربة والباحثين بوجه عام أحد مصادرنا التاريخية، والذي يعد في نفس الوقت من عيون التراث المكتوب في الأدب التاريخي المغربي. ونعني به كتاب « البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف» تأليف المؤرخ المغربي «أبي القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الزياني» المولود بفاس سنة 1147 هـ / 1734م والذي ينتسب إلى قبيلة « زَيَان » بالأطلس المتوسط حيث توجد مدينة « خنيفرة » على نهر أم الربيع. فقد ولد بفاس ونشأ بها وتعلم بالقرويين على كبار علمائها، وكان من نوابغ طلابها وأنبه رجالاتها وعلمائها.

نشأ أبو القاسم الزياني بفاس، وأخذ يظهر على مسرح الأحداث منذ تولية السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1170 هـ / 1786م - 1204 هـ / 1790م) فقد حج مع والده وتعرض لنكبات مهولة وقد فَصَّل ذلك في كتابه « الترجمانة » وبعد العودة من الديار المقدسة دخل في خدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بصفته كاتبا في القصر الملكي بفاس، وساهم بجهد كبير ودور حاسم في هذا النطاق حيث كلفه السلطان بمهمات تكللت بالنجاح، وخاصة إخضاع ثورة قبائل آيت أمالو سنة 1187 هـ / 1773م. وكان دور أبي القاسم الزياني في إخضاع هذه القبائل فعالا مما رفع شأنه في القصر الملكي، وصار في نظر المخزن العلوي لهذه الفترة رجل المهمات الكبرى والصعبة في نفس الوقت. وهكذا أصبح منذ تلك السنة من أكبر رجالات الدولة ووزرائها وخاصة نبهائها:

فقد عين على رأس ولايات حساسة في هذا العهد مثل العرائش، وسلا، وسجلماسة، وفي سنة 1200هـ / 1786م وجهه السلطان سيدي محمد بن عبد الله في سفارة مغربية إلى السلطان العثماني بالأستانة (عبد الحميد بن أحمد العثماني) وقد تحدث الزياني في الترجمانة وكذلك في البستان عن هذه السفارة ونتائجها السياسية وأبان فيها عن كفاءة دبلوماسية فائقة. وابتداء من سنة 1206 هـ / 1792م أي في بداية عهد السلطان مولاي سليمان : انقطع للبحث والتأليف التاريخي، بعد أن تقلب في وظائف الدولة آنذاك، من ولاية على العمالات الإدارية بتازة ونواحيها وتافيلالت وتطوان وطنجة ووجدة، وساهم في الإشراف على تدريب جيش

السلطان. وبعد أن تعرض للمحنة والسجن في الفترة الانتقالية الصعبة فيما بين عهدي سيدي محمد والمولى سليمان (1204 هـ/ 1790 م / - 1206 هـ 1792م) نجده في المرحلة التالية من (1206هـ/ 1792م إلى 1210هـ / 1796م) يوازي بين المهام المخزنية والنشاط العلمي مدرساً ومؤلفا ومكلفاً بالمهام الصعبة. بل فقد مثّلت هذه السنوات الأربع منعطفا جديدا في حياة مؤرخنا الزياني جعلته يختار الفرار من المسؤولية الإدارية والسياسية وينقطع للحياة الروحية والعلمية بفراره من المغرب: « وقلت: لا بقاء لي بهذا المغرب وأتم بقية عمري في الحرمين الشريفين » (البستان ص 448). وطيلة هذه الفترة القصيرة (أربع سنوات) رتب وثائقه وجمع معلوماته، وكنانيشه وتقاييده وبدأ تدوين أهم مؤلفاته التي خلدت أبا القاسم الزياني.

وبعد فك عقدة الخلاف بين أبي القاسم الزياني والسلطان مولاي سليمان عاد إلى فاس معفيا عنه ولما وصل أسند إليه السلطان ولاية العرائش ومهمة مراقبة وتفتيش الموانئ المغربية. وابتداء من سنة 1213هـ / 1729م نجد مؤرخنا من أكبر رجالات المخزن العلوي بفاس حيث قلده السلطان الكتابة والوزارة والحجابة، فبلغ أرقى سلم المسؤولية في عهد مولاي سليمان. وبقي « عدة سنوات يرتع في بحبوحة الهناء والمجد ولكن لكثرة حساده توالت السعايات به إلى أن أبعد عن منصة السلطنة والنفوذ » (مؤرخو الشرفاء ص 113) في سنة 1224هـ / 1809م.

ومنذ تاريخ إبعاده من المسؤولية انكبّ من جديد على التأليف. وسخر قلمه لخدمة الدولة العلوية وتاريخ المغرب والعالم الاسلامي بوجه عام. وفي هذه المرحلة الأخيرة من حياته تعرض لنكبات من أنواع أخرى أهمها وفاة ابنه سنة 1233هـ / 1818م، والسجن بفاس سنة 1235 هـ/ 1820م. وقد تعرض للتعذيب والإهانة، وتعرض لذلك وقد تجاوز سن الثمانين من عمره. ومع كل ذلك لم ينقطع عن الانتاج الفكري إلى أن توفي بفاس (عصر يوم الأحد 4 رجب 1241 هـ/ 17 نوفمبر 1833 م) عن سن متقدمة بلغت 99 سنة حسب التوقيت الشمسي وبالهجري القمري بلغت سنه (102 سنة) . ودفن رحمه الله بأمر من السلطان في داخل الزاوية الناصرية بحي السياج من فاس المدينة. وهنا نرى ضرورة إحياء ذكراه بتسمية مؤسسة علمية بهذه المدينة من أوجب الواجبات العرفانية لهذه الشخصية العلمية.

II

لقد كان أبو القاسم الزياني زوبعة عصره الفكرية وظاهرته المتفردة، ومع الأسف لم يلق ما يستحقه من الاهتمام والتحليل لإبراز عبقريته المتميزة من بين رجالات الفكر والسياسة بالمغرب برز ذلك في انتاجه الغزير والمتنوع وإن كان يصب جميعه في المدرسة المغربية السنية المعتدلة. وقد حاول الأستاذ رشيد الزاوية أن يترصد إنتاجه (انظر دراسته للبستان الظريف) وتمكن من إحصاء 42 (اثنين واربعين) إنتاجاً بين منظوم ومنثور عالج فيها أبو القاسم الزياني معظم معارف عصره، من تاريخ وجغرافية وتراجم وأنساب، وعلوم دينية وسيمياء وجداول وغيرها، مما جعلنا نعتبره ممثلا لرجل المعرفة المغربية في عصره، ومع ذلك فقد أهمله المهتمون حاليا بالدراسات التاريخية كما يقول. ليڤي پروفنساك L. Provençal (ص 103) ولعل موقف معاصيره منه أثر على سمعته مثل غمزات منافسه " أكنسوس" في "الجيش العرمرم". وبعض خصومه من أهل فاس مما بقي إلى ما بعد وفاته، ويظهر ذلك واضحاً في ترجمة الكتاني لأبي القاسم الزياني في «سلوة الأنفاس» (ج 1 ص 263).

وبدراسة إنتاج أبي القاسم الزياني على أساس مراحل عمره الزمني، نجده يتميز بتأثره بالأحداث وظروف حياته التي عاشها في الوسط الفاسي وبالنكبات التي تعرض لها. مما جعلنا نميز فيه صنفين:

الصنف الأول ونسميه: انتاج مرحلة خدمة الدولة وتنتهي في سنة 1234هـ / 1819م. وفي هذه المرحلة ألف أهم وأشهر انتاجه العلمي:

1- الترجمان المعرب الذي نشر قسما منه هوداس Hodas

2 - البستان الظريف وهو الذي نقدمه الآن بتحقيق الأستاذ رشيد الزاوية (1)

3 - الترجمانة الكبرى نشرها الاستاذ عبد الكريم الفيلالي

4 - جمهرة التيجان

5 - التاج والإكليل

6 - بغية الناظر

7 - ألفية السلوك

8 - الأنيس النفيس

9 - تحفة النبهاء

10 - شرح الحال والشكوى

والصنف الثاني ونطلق عليه: انتاج مرحلة التخلي عن المهام الرسمية، وقد برز فيها تقدمه في السن وضعف قواه الجسمانية مع ذاكرة جبارة ومحاكمات عقلية كبيرة وميلها الى الاختصار والتهذيب والتشذيب. ولا داعي للإطالة في سرد قائمة إنتاجه، فقد أغنانا عن ذلك محقق «البستان الظريف » في مقدمة دراسته له.

III - كتاب البستان الظريف

أ - مسألة اسم الكتاب : أسفرت عملية مقابلة النسخ الخطية التي أمكننا الرجوع إليها، وهي التي اعتمدها محقق الكتاب رشيد الزاوية، عن التأكد والتثبت من أن أبا القاسم الزياني سمى كتابه هذا بـ«البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف». وإذا كان «ليڤي بروڤانسال» في كتابه «مؤرخو الشرفاء» (ص 114 - 182 - 185) ذكَرَهُ باسم «البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي علي الشريف» فهي مسألة يسهل تفسيرها بأن أهل تافيلالت وخاصة في العصر العلوي، قد اعتادوا اطلاق اسم «مولاي الشريف» على من اسمه « علي» من أبناء هذه الأسرة الشريفة بتافيلالت، ومع مرورالزمن صار مصطلح

(1) رسالة جامعية مرقونة على الآلة الكاتبة في أربعة أجزاء مرقونة بخزانة كلية الآداب بفاس.

«الشريف » اسما شخصيا. ومن هنا يعتبر اسم « الشريف » اسما شخصيا لجد الأسرة العلوية والتي انحدر الملوك فيها من عقب السلطان مولاي اسماعيل بن الشريف، ويتأكد هذا في عمود نسب الأسرة العلوية نظما أو نثراً، وعند علماء الأنساب المغاربة قبل الزياني أو بعدَه. فالشيخ عبد السلام القادري في نظمه لعمود نسب الأسرة العلوية الشريفة الحاكمة بالمغرب الأقصى، يقول في (البستان الظريف):

أبو ملوكنا « الشريف » بن علي * محمد علي يوسف يَلِي

وعليه فالإشكال الذي أثاره ليڤي پروفانسال بالنسبة لإضافة اسم علي، إشكال باطل ويؤكده أن الزياني لم يتعرض لأنساب العلويين باعتبارهم أسرة متفرعة وإنما تعرض إلى «الأسرة الحاكمة» فقط، ثم إن كتابه «البستان الظريف» يعالج التاريخ السياسي العام للمغرب في ظل ملوك الدولة العلوية، وليس كتاباً في الأنساب.

ب - تعدد الأسماء وتداخل المحتوى : إن معظم المؤلفين المغاربة في عصر أبي القاسم الزياني، اعتادوا أن يؤلفوا كتبهم في مسيرة زمنية واحدة تقريبا، ومن هنا لا تعتبر مؤلفاتهم تامة إلا في نهاية حياتهم أو بوفاتهم أو بالتنصيص على نهايتها. وهذا الوضع ينطبق تماما على مؤرخنا أبي القاسم الزياني. كما أن تلك المؤلفات إذا كانت موحدة الموضوع مثل مؤلفاته التاريخية، من الطبيعي أن تتداخل محتوياتها في جوهرها الأساسي ولا تختلف إلا من حيث التفاصيل التي تفرضها مناسبة سياق الوقائع والجوانب التي يدعو إليها الموضوع.

لعل هذه الظواهر الملاحظة، هي التي تفسر لنا تداخل المادة المؤلفة لتلك النصوص التاريخية التي وصلتنا من قلم أبي القاسم الزياني، وخاصة كتبه الثلاثة: «البستان الظريف» و«الترجمان المعرب»، و«الترجمانة الكبرى».

ورغم أن أبا القاسم الزياني بدأ تأليف كتابه «البستان الظريف» سنة 1226هـ/ 1811م وانتهى منه سنة 1232 هـ / 1817م، فإنه استمر في تنقيحه وتهذيبه وتصحيح نسخه التي أُخرِجَ فيها. مما جعل الباحثين الغربيين الذين حاولوا تحليله والتعريف به يختلفون في آرائهم، فالأستاذ «گرول: Graulle» في دراسته التي نشرها في مجلة «العالم الاسلامي» سنة 1913 . وكذلك الباحث « سلمون:G. Salmon » في بحثه الذي نشره في الدورية المعروفة "Arch. Marocaines" يريان أن الزياني ألف عملا واحداً وَإِنْ اختلفت نسخه وأسماء تلك النسخ، فالبستان الظريف هو كتاب «الروضة السليمانية»، وهو «كتاب الترجمان المعرب»، أما «ليڤي بروفانسال» والذي جاء بعد هؤلاء وفحص النصوص بتثبت أكثر دقة يذهب إلى أن أبا القاسم الزياني يرى أن اختلاف الأسماء ما هي في الواقع إلا مؤلفات تتميز فيما بينها حسب ما أراده لها المؤلف الزياني، وهذا أيضا ما انتهى إليه الباحث « رشيد الزاوية »في المقدمة التحليلية التي وضعها لكتاب «البستان الظريف » ونقتبس منه في هذا الموضوع قوله: «إن عملية التقييد عند الزياني كانت تهدف إلى جمع مواد عدة تصانيف، وأنها استغرقت في الجملة ما يربو على الأربعين أو الخمسين سنة، بما فيها من فترات الاعتكاف والانشغال».

وننتهي إلى أن كتاب « البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف » هو الاسم الحقيقي للكتاب، كما أنه يكون كتابا مستقلا عن غيره من المؤلفات التاريخية الأخرى التي ألفها أبوالقاسم الزياني، ولكن يمكن أن نسجل تحفظا واحدا هو أن كتاب البستان الظريف أعطاه الزياني اسماً آخر على عادة المؤلفين القدامي وهو اسم « الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية » وهو ما نعتمده إلى أن يثبت ما يخالفه.

ح - مضمون البستان الظريف : من المؤكد أن أهم مؤلفات الزياني كتاب البستان الظريف، والترجمان المعرب، والترجمانة الكبرى.

فالكتابان الأولان خصصهما للتاريخ، أما الثالث فقد خصصه للجغرافية ورحلاته والتاريخ وما يضيفه من نكت أدبية واستطرادات على عادة مؤلفي هذا العصر الذين عاشوا في عصر الزياني. والمهم أن هذه المؤلفات الثلاث تكوّن موسوعة أبي القاسم الزياني في التاريخ المغربي الحديث وخاصة منذ نشأة الدولة العلوية إلى عهد السلطان مولاي سليمان العلوي أوعلى وجه التحديد، ان الزياني ركز في تاريخه من منتصف القرن الحادي عشر الهجري إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجري (1640م - 1820م) .

وقد جاء كتابه « البستان الظريف » شاملا لهذه الحقبة الزمنية، على مستوى تفصيله للأحداث، وإن تعرض باختصار للمراحل السابقة على هذا الإطار الزمني، مما جعلنا نلاحظ فيه قسمين: قسم يتعلق بتاريخ المغرب قبل نشأة الدولة العلوية، وهذا القسم لا يكوّن أساس الكتاب، وإنما جعله مدخلا لمؤلفه. والقسم الثاني يكوّن المادة الحقيقية لهذه الثمرة العلمية التي نقدمها للقراء الكرام بملاحقها المكملة.

فالمضمون العام لكتاب « البستان الظريف » يعالج التاريخ المغربي العام والتاريخ العثماني في المشرق العربي، ومن هنا جاءت أهميته في التاريخ الإسلامي والعربي الحديث. وهكذا يمكن تصنيف مادته حسب أهميتها في الكتاب كما يلي: أخبار الدولة العلوية في المرتبة الأولى، وأخبار السعديين أو على الأصح تاريخ المغرب في العهد السعدي في الدرجة الثانية، ثم تاريخ الدولة العثمانية بالأستانة في المرتبة الثالثة. ويضاف إلى هذا تضمينه مادة أدبية وشعرية وحكماً بليغة واقتباسات فلسفية. وقد بنى الزياني تصنيف كتابه «البستان الظريف» على أساس أخلاقي حيث نجد المؤلف يفرد لكل ملك من الملوك الذين أفرد لهم بفصول خاصة صفة خلقية تميزهم في نظر المؤلف، ويقول الزياني صراحة في هذا الصدد «وجعلت له مقدمة وثلاثة عشر بابا، وفصولا أربعة وجامعة وخاتمة» ويضيف، «والأبواب الثلاثة عشر كل باب لملك من ملوكهم، وطوقت دولة كل واحد من ملوكهم بخبر من أخبار من تقدمهم من دول الاسلام، خصوصا ملوك آل عثمان المعاصرين لهم». فعلى هذا الأساس انبنى العمل في تحقيق كتاب « البستان الظريف »، وارتبط بمنهجيته عمل إخراجه باعتباره نصا تراثيا مغربيا، وذخيرة من أنفس ذخائره التاريخية، ووثيقة تاريخية تشهد لجهود ملوك الدولة العلوية الشريفة في توحيد المغرب الأقصى وتلاحمها الشعبي مع البنيات والشرائح الاجتماعية. فالبستان الظريف يعالج تاريخ المغرب في عصوره الاسلامية بصورة شمولية وكأن العهد العلوي مُلخصاً لرصيده الحضاري منذ الفتح الاسلامي الى عصر تأليف هذا الكتاب في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري 19م، وعلى وجه التحديد من

الأدارسة إلى عصر السلطان مولاي سليمان.

وقد ركز أبو القاسم الزياني على معالجة تاريخ المغرب الأقصى ابتداء من القرن التاسع الهجري / السادس عشر الميلادي إلى عهد تأليفه لكتابه، وهذه المرحلة هو ما يعرف بتاريخ المغرب في عهد « الأشراف الحسنيين » من سعديين وعلويين. وقد عمل المؤلف على تطعيم كتابه بالوثائق الرسمية والنصوص المغمورة، فكان مجموعها في البستان الظريف ستة وعشرين وثيقة (26 وثيقة) ومعظمها يمثل المراسلات الرسمية بين سلاطين المغرب الأقصى والسلاطين العثمانيين بالأستانة والحكام الأتراك في كل من الجزائر وتونس. بالإضافة إلى نصوص معاهدات ونصوص بيعات مثل نص بيعة السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل العلوي، ومن الوثائق الهامة التي تضمنها البستان الظريف مراسلات السلاطين العلويين الذين أرخ لهم الزياني مع الاسبان بالاضافة إلى نص بيعة ملك «بورنو» للسلطان المغربي أحمد المنصور السعدي، وهكذا يتضح مَا لهذا الكتاب من أهمية علمية وثائقية خصوصا وأنها بقلم رجل من أبرز مؤرخي المغرب في العصر الحديث، مطلع على أسرار الدولة ومن رجالاتها المخلصين في عهده والواعين بقضاياها المتفانين في حل مشاكلها الداخلية والخارجية. فكانت هذه الوثائق أهم عنصر أعطى الحياة لكتاب البستان الظريف الذي بذل المؤلف جهداً كبيراً في تدوينه وجمعه من مصادر موثوقة ومتنوعة وقد بذل محققه «رشيد الزاوية» قصارى جهده في ضبطها وتصنيفها في مقدمة التحقيق، ولا داعي لتفصيل الكلام عليها. والمهم أن المؤرخ «أبا القاسم الزياني » امتاز في مؤلفاته التاريخية باهتمامه بالتاريخ الداخلي للمغرب، وكذلك بالتاريخ العام، وبتاريخ العلاقات المغربية الخارجية مع دول المشرق الاسلامي، ومع أروبا المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، وكان بذلك مخالفاً لتوجهات المؤرخين المغاربة الآخرين ممن سبقوه أو عاصروه، حيث كانوا محليين بالمعنى الضيق للمحلية. وقد وفر له هذا الامتياز اطلاعه على وثائق الدولة وشؤونها ومشاركته في صناعة وقائعها ومساهمته في حل مشاكلها. فكان مؤرخاً للدولة في عهده. ومن الناحية العملية نلاحظ أنه كان مدشناً لعهد جديد للمؤرخين الرسميين المغاربة في كتابة التاريخ المغربي الحديث. ومع كل هذا فإنه لم يتميز بأي ابداع منهجي جديد في هذه الصناعة التاريخية بحيث لم ينفصل عن المنهج التقليدي القديم سرداً وصياغة وسياقاً وبالتالي سنداً ومتنا، ومن هنا كان معتبراً من جملة المؤرخين المغاربة المرتبطين بالمدرسة التقليدية التي تعتبر التاريخ ما هو إلا صياغة أخبار موثوقة من أجل العبرة والإعتبار. وعليه لا نرى تجديده إلا منحصراً في إضافة موضوعات جديدة لا نجدها عند غيره، هل ظروف العصر، وهذا ما يظهر، أم هي رؤية مؤرخ عركته التجربة العلمية والدبلوماسية؟

لعل كل هذه الجوانب هي التي أعطت لكتابه « البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف » حظاً كبيراً من النجاح للاهتمام به على مستوى الدراسة والتحقيق العلمي، وبالتالي حق الاسبقية في النشر، ويرجع الفضل في الإسراع بطبعه إلى وزارة الثقافة مشكورة على ما تساهم به في خدمة التاريخ المغربي وثمرات أقلام رجاله. كل هذا يندرج في السياسة الرشيدة التي رسم معالمها صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأعز أمره ومنضوي تحت لوائه المؤيد، ومساير لما يسديه مولانا الإمام من توجيهات سديدة نيرة لحماية التراث الحضاري المغربي والاسلامي، وما فتئ يقدمه من أيادي بيضاء للثقافة الفكرية بالمغرب، ودعما

لمسيرتها وإقلاعها من عهد المحافظة إلي عهود الإبداع والابتكار المواكب لروح التجديد وتطورات العهد الحديث. حفظ الله مولانا أمير المؤمنين وولي عهده المحبوب سيدي محمد وصنوه السعيد مولاي الرشيد والأسرة الملكية الكريمة بما حفظ به الذكر الحكيم.

لقد بذلت وزارة الشؤون الثقافية جهدا كبيراً في مواكبتها لهذا العمل الذي نقدمه للقراء والباحثين، وحرصت كل الحرص على الشروع في طبعه ونشره ضمن أعمال الدورة الرابعة لجامعة مولاي علي الشريف الخريفية. ويرجع الفضل في مواصلة هذه الجهود إلى معالي السيد الوزير الأستاذ محمد علال سيناصر الذي بادر الى تذليل مختلف الصعوبات والعقبات، فإليه وإلى كل العاملين معه وإلى جميع الذين ساهموا في لجنة المناقشة العلمية بكلية الآداب في جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس وقيدومها ورئيس جامعتها، وجميع العاملين في الخزانة العامة بالرباط والخزانة الحسنية العامرة، وكل من ساهم بجهده في إخراج هذه الذخيرة العلمية إلى النور نقدم شكرنا وإكبارنا ووفاءنا في ظل رمز السيادة المغربية وموحد البلاد حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله والله الموفق للصواب.

I - النسخ الخطية لكتاب «البستان الظريف» المعتمدة في التحقيق

1 - نسخة الخزانة العامة بالرباط. رقم 1577د رمزها (د).

2 - نسخة الخزانة الحسنية بالرباط. رقم 2841 رمزها (أ).

3 - نسخة الخزانة الحسنية بالرباط. رقم 242 رمزها (ب).

4 - نسخة الخزانة الحسنية بالرباط. رقم 11542 ز رمزها (ز).

5 - نسخة الخزانة الحسنية بالرباط. رقم 3123 رمزها (ج).

6 - نسخة الخزانة العامة بالرباط. رقم 303 ك رمزها (ك).

II - الرموز والإشارات

[ ] المعقوفتان: استعملتهما لحصر مفردات أو جمل أو فقرات مضافة بالضرورة إلى الاصل بالاعتماد على باقي النسخ .

" " المزدوجتان: لحصر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والاقوال، والمصطلحات، وأسماء بعض الاعلام، والكتب، وما يشبه ذلك.

( ) الهلالان: لحصر العناوين التي اقترحتها لفقرات النص لتسهيل قراءته، وفي الهوامش لحصر مقابل أجنبي لمصطلح تقني معرب، وفي قائمة المصادر والمراجع لحصر الاسماء الشخصية للمؤلفين، وفي هوامش الفروق لحصر رمز المخطوط.

/ /: علامة تعني بداية الصفحة أو الوجه أوالظهر من صفحات النص المعتمد في الاخراج حسب الترقيم الذي وجد عليه في المخطوط.

/: علامة تعني في التعاليق الموافقة بين التاريخ الهجري والميلادي، ولفصل عدد السطور عن الصفحة عند وصف المخطوطات.

كذا: تعني وضع الكلمة كما وجدت في النسخ الخطية في المتن على ما فيها من خطإ أو انعدام الدلالة.

ص: تعني صفحة.

ظ: تعني ظهر الورقة.

س: تعني سطر.

و: تعني الورقة أو وجهها.

مخ: مخطوط.

خع: الخزانة العامة بالرباط، قسم الوثائق والمخطوطات.

خح: الخزانة الحسنية بالرباط.

خق: خزانة القرويين بفاس.

(د): مخطوط الخزانة العامة، رقم 1577 د.

(أ): مخطوط الخزانة الحسنية رقم 2841 ؛

(ب): مخطوط الخزانة الحسنية رقم 242 .

(ز) مخطوط الخزانة الحسنية رقم 11542 ز .

(ج) مخطوط الخزانة الحسنية رقم 3123 .

(ك) مخطوط الخزانة العامة رقم 303 ك .

ط . طبعة .

ج . جزء .

ع . عدد .

تح . تحقيق

Histoire . H

Page . P

Tome . T

Série . S

Volume . V

Archives Marocaines . Arch.Mar

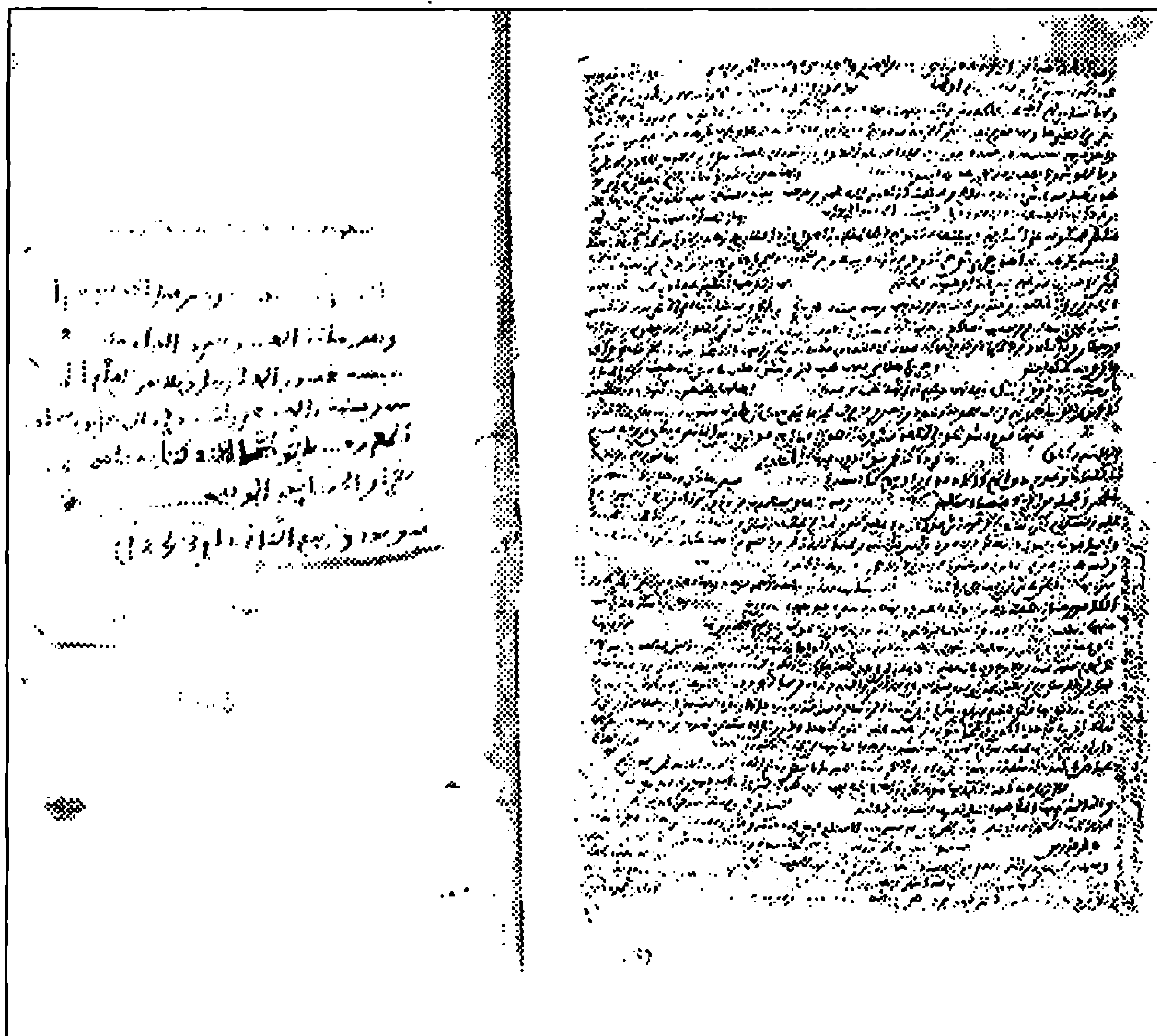
Encyclopédie de L'Islam . En. de l'Ls

Sources inédites de l'histoire de Maroc . S . I . H . M

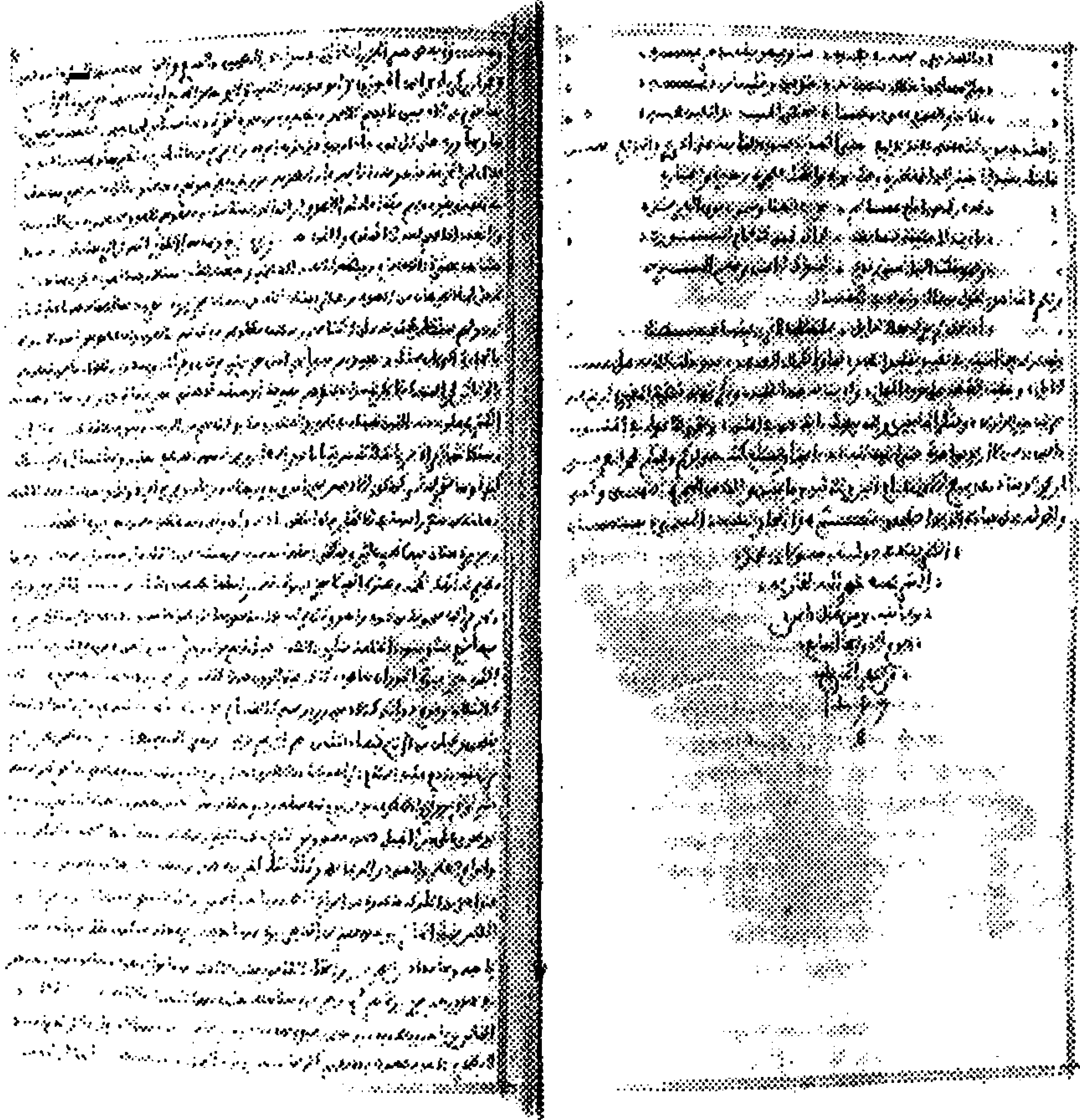
خط المؤلف على الصفحة الاخيرة من نسخة «البستان الظريف» مخطوط الخزانة العامة بالرباط. رقم 1577 د .

آخر صفحة من كتاب «البستان الظريف». مخطوط الخزانة الحسنية. رقم 2841 .

الصفحة الاخيرة من « البستان الظريف ». مخطوط الخزانة الحسنية رقم 242 .



الصفحة الأخيرة من «البستان الظريف» مخطوط الخزانة الحسنية رقم 11542 ز،
والي اليمن، استدراك للخبر عن بعض جزر البحر الصيني والهندي والفارسي.



الصفحة الأخيرة من نص «البستان الظريف» مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 3123.
والى اليسار استدراك للخبر عن بعض جزر البحر الصيني والهندي والفارسي.

رسم لقصر السلطان عبد المجيد العثماني الاول الذي استقبل فيه الزياني خلال سفارته إلى إسطنبول سنة 1200 هـ كما وجد في «رسالة السلوك» مخ . خ.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

[البستان الظريف في دولة أولادمولاي الشريف
تأليف
العبد الجاني. بلقاسم بن أحمد الزياني
لطف الله به، ووقاه من سوء كسبه] (1x)

الحمد لله الذي خلق الانسان وفضله تفضيلا، وشرفه (2x) على سائر الحيوان جملة وتفصيلا، وصوره في أحسن صورة وأعدل قامة، وصيره يتناول بيديه شرابه وطعامه، وزينه بالعقل ونطق اللسان، وكم لله عليه من نعم لا تعد واحسان. واختار من خلقه الانبياء والملوك، للتسوية بين الغني والصعلوك، ويأخذ (3x) للضعيف حقه من الأقوى، حتى لا يكون فضل لأحد على غيره(4x) إلا بالتقوى. أحمده على ما أولى من (سوابغ)(5x) نعمه، وأشكره على ما منح من موانع نقمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها لكشف الشدائد، وعمدة لدفع المكاره والمكائد. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وحبيبه وصفيه وخليله. كلمه الضب بلسان طلق فصيح، ونطق له الجمل والظبي بكلام عربي صريح. وبعد:

(سبب تأليف الكتاب)

فإني سئلت قديما في جمع«ديوان» يشتمل على جميع (6x) الدول الماضين، وأنساب القبائل الدنية (كذا)منا والقاصين. فجمعت ما وقفت عليه من ذلك، على أني لست بأهل لذلك، من مبدإ الخليقة أبو(كذا)الآدميين، الى آخر دولة الاشراف السعديين، وسميته:«الترجمان المعرب، عن دول المشرق والمغرب» (1).

وبقي علي خبر هذه الدولة السعيدة، الموفقة الرشيدة لسادتنا الأشراف العلويين، ملوك المغرب بعد السعديين، لم يضع فيها أحد من أهل الوقت تأليفا، ولا اعتنى بجمع فضائل ملوكها مشروفا ولا شريفا. وكيف لا؟! وقد كان في وقتها جماعة وافرة من العلماء (7 X) الأعيان، والأدباء وكتّاب الديوان. وهم أهل الطبقة الأولى (2) في دولة مولانا اسماعيل أقمار

(1x) ما بين معقوفتين سقط من د ،أ،ج.

(2x) ك وفضله.

(3x) «ويأخذوا» كذا، في جميع النسخ المعتمدة.

(4x) « الآخر» في باقي النسخ المعتمدة في التحقيق .

(5x) د سابغ

(6x). د جمع.

(x7) ك علماء

بلاده، ومن بعدهم من [أهل] (1 X) الطبقة الثانية الذين كانوا في دول الملوك من أولاده.

(رأي المؤلف في معاصريه) (*)

بعد البحث الكثير، وسؤال الجم الغفير، فلم أقف الا على تقاييد غير مجموعة، وأحاديث أسانيدها غير مرفوعة. فقدح ذلك في القلب لهيب شراره، وأسهرني ما أصبت (2 X) به من ناره. وارتسم ذلك في الخاطر، وبقيت متفكرا حائر، وعلمت أنه لم يبق بمغربنا من يعتبر ما يسدى إليه من الإحسان، ويرى المكافآت عليه ولو بمجرد اللسان، خصوصا أهل هذه الطبقة الثالثة من الطلبة والكتاب، الملازمين لتلكم الأعتاب، الذين اقتنوا فيها الأموال والدور/ 2 د/ والرباع، والبساتين والضياع، وقادوا الدولة بلارسن، وتمكنوا فيها بسفسفة اللسن، ولم يوجد منهم محسن ولا حسن، يثني على ملوكها الثناء الحسن، ويسوم بضائعهم (3 X) بأغلى الثمن، ويخلد ذكرهم في صفحات الدفاتر مرسوما، وفضلهم على مر الأيام مشهورا معلوما. لكن أهل وقتنا هذا (4x) كما قيل:« من أحيى شرار قوم أماتوه، ومن سابق لئاما فاتوه، ومن زرع السباخ أتلف بذره، ومن رفع الأخلاط جهلوا قدره».

فقمت بواجب هذا الفرض، وأداء هذا الغرض، حتى جمعت ما ظهر لي في الطول والعرض، وحملت نفسي على اتباع (5x) آثار تلك المسالك، وان كنت لست من أولئك، وابذلت المجهود في جمع تلك الشوارد، من أماكن المرعى والموارد، الى أن حصلت على الحظ الاوفى من حلوها ومرها، والكثير من سرها وجهرها، مع ما تلقيناه من أشياخنا(3)، وممن لحقناه من أسلافنا(6 X)، في دولة السلطان مولانا إسماعيل، ومن بعده من أولاده (7x) الملوك الاماثيل (كذا)، مع ما شاهدناه وحضرنا له في دولة مولانا السلطان الجليل، الماجد الاصيل، سيدي محمد بن مولانا(8 X) عبد الله بن مولانا (9 X) إسماعيل، ومن بعده من أولاده، وخدامه وأجناده، وفي دولة سلطاننا المؤيد بالرحيم الرحمان، أمير المؤمنين مولانا سليمان، إلى زمن التاريخ الذي هو عام ستة وعشرين ومائتين وألف (1226 هـ) (4).

(الغرض من هذا التأليف) (*)

والمقصود من هذا، التعريف بفضائل مولانا أمير المومنين سيدي محمد، وولده أمير المومنين

(1 X) ما بين معقوفتين سقط من (د)
(2 X) ج صبت.
(3 X) ك بضائعها
(4x) « هذا » زيدت في طرة (ب) بتصحيح.
(5 X) ك حمل.
(6 X) ج بأسلافنا.
(7 X) ك أولاد.
(8 X) «مولانا» سقطت من باقي النسخ المعتمدة في التحقيق.
(9 X) « مولانا» سقطت من (ب)

(*) العناوين المحصورة بين قوسين، من اضافة المحقق وذلك لتسهيل القراءة.

مولانا سليمان، وعدلهما وحسن سيرتهما (1 X)، وما صار اليه الناس في ايامهما (2x) من النعم، والراحة من النقم، ويتحققون ان دولته السعيدة، واحكامه السديدة الرشيدة (3x)، لم ير مثلها آباؤهم ولا أجدادهم، فيكثروا من حمد الله الذي بولايته أسعدهم، والدعاء لمن أنامهم في مهاد عدله، وتقلبوا في آلاء فضله. ومن الله أستمد،(وعلى معونته أعتمد) (4x) لاإله الاهو، رب العرش العظيم. وسميته: «البستان الظريف في دولة أولاد (x 5) مولاي الشريف»

وجعلت له مقدمة، وثلاثة عشر بابا، (وفصولا أربعة وجامعة وخاتمة (x 6).

المقدمة : في رفع نسبهم الشريف، الشهير عن التعريف.

والابواب الثلاثة عشر، كل باب لملك من ملوكهم.(وطوقت دولة كل واحد من ملوكهم)(7x)، بخبر من أخبار من تقدمهم من دول (x 8) الاسلام، خصوصا ملوك آل عثمان، المعاصرين لهم الى الآن، ليكون خبر من تقدمهم كالطراز لدولتهم، ولمزيد الفوائد التي لم تكن في أيامهم ومملكتهم، فيحصل العلم بها لمن يطالع هذا الكتاب.

الباب الأول: في فضل العلم وأهله.

الباب الثاني: في فضل العقل (x 9) وشرف صاحبه.

الباب الثالث: في الشجاعة وشرفها.

الباب الرابع : في الجبن والفشل، وذم صاحبهما.

/ 3 د / الباب الخامس: في الكرم، وشرف صاحبه.

الباب السادس: في البخل وذم صاحبه.

الباب السابع: في الجور والشدة والبطش، وذم صاحبهم.

الباب الثامن: في العفو والحلم وفضلهما.

(1x) «وعد له وحسن سيرته» في باقي النسخ المعتمدة.

(2x) «ايامه» في باقي النسخ المعتمدة

(3x) «الرشيدة» سقطت من باقي النسخ المعتمدة.

(4x) ما بين قوسين زيد في طرة(أ) بتصحيح

(5x) «أولاد» سقطت من (ك)

(6x) «وخاتمة وجامعة وفصول» في(ب)(ز) (ج) (ك). وفي (أ) لم يراع الناسخ نفس الترتيب الموجود في(د) ،اذ ا ابتدأ بذكر الفصول ثم المقدمة فالابواب.

(7x) ما بين قوسين سقط من (ك).

(8x) ك دون.

(9x) ك العلم.

الباب التاسع: في الرزق والحرمان.

الباب العاشر: في الصبر والرضى، وثوابهما.

الباب الحادي عشر: في السياسة، وحسن الخلق وما يشمله من الخصال.

الباب الثاني عشر: في الكبر والعجب وسوء الخلق وسوء التدبير والبغي.

الباب الثالث عشر: في العدل وشرفه، وما أعد الله لصاحبه.

[الفصول الاربعة:

الاول: في ذكر أصول الأشراف [وفرقهم] (1x)، (وذكر)(2x) من بمغربنا منهم(ليرجع كل فرع لأصله) (2x).

الثاني:في ذكر قبائل العرب، وقبائل البربر، والسودان، والترك والروم، وغيرهم من الامم(3x).

الثالث: في(ذكر) (2x) فرق أهل البدع الضالة من الخوارج (4x) والروافض (والمعتزلة والزنادقة) (2x).

الرابع: في شرح الكورة (5) المبسوطة، والاقاليم السبعة، وما اشتملت عليه من البحار والأنهار والجبال ومساحة الارض، وعامرها وغامرها وطولها وعرضها (5x).

الجامعة: في تحصيل هذه الدولة مختصراً (6x).

الخاتمة: (7x) في رحلتنا للمشرق، ورجوعنا منه، ونكبتنا، وسبب تأليف الكتاب] (8x).

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د).
(2x) ما بين قوسين سقط من (أ).
(3x) أ الفصل الثاني: في ذكر أجناس الامم
(4x) أ أهل البدع والخوارج
(5x) أ الفصل الرابع : في المعمور من الارض وبحارها ،وأنهارها، ومساحتها.
(6x) أ الجامعة : في ذكر الثوار الذين بالمغرب والمشرق.
(7x) أ الخاتمة: في ذكر رحلتنا الى المشرق، وبها يتم الكتاب.
(8x) مابين معقوفتين صيغ في(ب) (ز) (ج) (ك) كالتالي:
«الخاتمة»: في ذكر اصول جميع الاشراف الذين بالمغرب ليرجع كل واحد من فروعهم لاصله، والتعريف بقبائل العرب التي بمغربنا وبقبائل البربر واصولهم.
الجامعة: في ذكر الثوار الذين زاحموا دول الاسلام، واستبدوا عليهم في الممالك، وبها يتم الكتاب».

المقدمـة

في رفع نسب هؤلاء السادات، وعمود نسبهم، الى أن دخل جدهم مولاى الحسن الشريف للمغـرب، لما قـدم من الينبع (6)، ونزل بسجلماسة (7)، واستقـر بهـا عـام أربعة وستين وستمائة(8).

وهو الحسن بن القاسم بن محمد [بن ابي القاسم بن محمد بن محمد بن الحسين] (X 1) بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حـسن [بن أحمد] (X 2) بن إسماعيل بن قاسم بن محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (9).

وقد نظم عمود نسبهم،العلامة سيدي «عبد السلام القادري» (10) في أبيـات من الرجـز فقال:

أبـو ملوكـنـا الشريـف بـن علـي — محـمـد علي يـوسـف يـلـي

(علي الـشـريـف ثـم الحسـن — محمد حسـن المستـوطـن) (x 3)

فقـاسـم محمـد بلقـاسـم — محمد الحـسـن ذو المكـارم

فعـابـد اللـه أبـو محـمـد — فـعـرفـة فـحـسـن ذو السـؤدد

ثم أبـو بـكـر علي فـحـسـن — أحمد إسماعيل قـاسـم ومـن

محمد المـهـدي فـعـبـد اللـه — فالحـسـنـان فـرسـول اللـه (11)

(دخول العلويين الى المغرب)(*)

وجدهم الذي استوطن سجلماسة، قدم به حجاج أهل سجلماسة في أيام يعقوب المنصور المريني (12)، و عمره ستون (x 4) سنة. والذين أتو ابه، أولاد البـشـري (x 5) (13)، وأولاد المتراري (14) ، وهم أصـهـاره / 4 د/ وأولاد ابن عـاقلة والمعتصمي. والذي حسن له الرحلة للمغرب (15)، شيخ الركب الفيلالي، الرجل الصالح السيد أبو إبراهيم (16) ، يقال «إنه عمري النسب» ولما بلغ سـجـلـمـاسـة، أكـرمـوه وأعـطـوه

(X 1) ما بين معقوفتين سقط من جميع النسخ المعتمدة، والاستدراك من الروضة السليمانية و 3

(X 2) ما بين معقوفتين سقط من جميع النسخ المعتمدة، والاستدراك من طرة (ك) ص 3 .

(X 3) استدرك هذا البيت في متن (د) بتصحيح.

(X 4) «ستين» في باقي النسخ المعتمدة.

(X 5) ز،ك المبشري.

(*) العناوين المحصورة بين قوسين من اضافتنا ، وذلك لتسهيل القراءة.

دارا وبقعة ، [وتزوج](1x)، وأقام بسجلماسة اثنتي عشرة سنة (2X). ولما مات الحسن، خلف ولدا واحدا وهو محمد (17) لا غير. وخلف محمد الحسن (18)، وخلف الحسن عليا(19)، وعبد الرحمان أبا البركات (20) ومن علي تفرعت الأشراف (3x)، فخلف علي ولدين، وهما يوسف(21) ومحمد (22) منهما سائر [شرفاء سجلماسة] (4x). وخلف محمد أربعة (23)، وخلف يوسف تسعة، منهم علي (24)، [وخلف علي بن يوسف محمداً، وخلف محمد علياً دفين مراكش] (5x)، وخلف علي محمدا (6x) المدعو الشريف، وخلف الشريف اثني عشر ولدا، منهم محمد والرشيد وإسماعيل ملكوا، ومحرز والحران وعلي الكبير (وعلي الصغير وأحمد الكبير) (7 X) . وأحمد الصغير، وحمادي، وسيدي علي بالجبيل.

(مصادر المؤلف حول نسب الشرفاء العلويين) (*).

هذا عمود نسبهم، حسبما وقفنا عليه في تأليف أبي المحاسن يوسف الفاسي(25)، وتأليف سيدي عبد السلام القادري (26)، وبخط مولاي عبد الله بن علي بن طاهر (27)، وبخط أبي عبد الله سيدي محمد المسناوي (28).

وهذا العمود بنفسه، هو عمود نسب بني عمهم أولاد زيدان (29)، الذين نزلوا درعة (30) قبلهم، وملكوا المغرب قبلهم.

(نسب الشرفاء السعديين) (*).

وحيث كانت دولة العلويين مترتبة على دولة الزيدانيين (31) وبعدها، تعين الإلماع بها والإشارة لها، حتى تتصل بها، ويقترن الأخير بالأول، ويرتبط الخبر بالمبتدأ. فإن هؤلاء الأشراف أولاد زيدان، هم أشراف حقيقة. ذكر عمود نسبهم ابن القاضي(32) في «جذوة الاقتباس» (33) وفي «ذرة الحجال» (34).

وجدهم الذي دخل درعة، هو ابن أخي مولاي الحسن الشريف الذي دخل تافيلالت (35) جد العلويين، نزل درعة (36) قبل نزول مولاي الحسن الشريف بثلاثين سنة، وذلك عام ستمائة وثلاثين سنة، في السنة التي مات فيها إدريس المامون الموحدي (37). وهذا متفق عليه.

وبعد هذا، وقفت على « المنتقى المقصور في محاسن المنصور» (38)، بما نصه: «لاخلاف أن شرفهم من أصح شرف أهل المغرب، أتى بجدهم، أهل درعة من هنالك، كما أتى بجد بني

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د)
(2x) « ومات عام 676 هـ » طرة في (أ)
(3x) « ومات عام 842 هـ » طرة في (أ).
(4x) الشرفاء.
(5x) ما بين معقوفتين استدركناه من كتاب المؤلف «تحفة الحادي المطرب» لما يفرضه التسلسل في النسب.
(6x) « محمد » سقط من (ك)
(7x) ما بين قوسين سقط من (ك) .

(*) العناوين المحصورة بين قوسين من اضافة المحقق، وذلك لتسهيل القراءة.

عمهم أهل سجلماسة قبل ذلك» (39). وهذا يقتضي أن جد العلويين دخل قبل جد السعديين، فانظره مع ما تقدم. ولم يزل الطعن فيهم من شرفاء سجلماسة، لنفور اتصالهم بهم في النسبة كما يقتضيه العمود المذكور.

قال الشيخ ابن سودة (40): سمعت من شيخنا المقري (41)، أنه وجد بخط الامام ابن عرفة ثبوت نسبهم.

وقال أبو زيد الفاسي (42): وفيه نظر، والذي ثبت عندي عن عمنا محمد (43) بن علي، عن عمه أبي العباس بن أبي المحاسن (44)، أنه كان يثبت نسبهم للعباس بن عبد المطلب ويرجح نسبتهم إليه» (45).

قلت: ولقد سمعت من مولانا أميرالمسلمين (X 1)، سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله لما جر (X 2) ذكرهم، وذكرت له الخلاف الذي وقع في نسبهم، قال لي رحمه الله:

«اسكت ولا تعد لمثل هذه (X 3) المقالة، فإنهم إخواننا وبنو عمنا، وجدنا واحد، وقريتنا بالينبع واحدة، يقال لها«بنو إبراهيم»، وجدهم أحمد بن محمد خرج لدرعة قبل جدنا الحسن بن قاسم،وهو ابن أخيه. وقد ورد علينا من بني عمنا من الينبع من حقق نسبهم، وعرف فرعهم وأصلهم، الأأنهم لما صارإليهم ملك المغرب، لم يعاملونا معاملة الإخوان، واقتصروا على التوقير والاحترام، فكان سلفنا رحمهم الله يحقدون عليهم بسبب ذلك الإهمال وعدم المبالاة وعدم (X 4) السؤال. هذا موجب طعنهم فيهم. ولما استبد محمد الشيخ (46) على أخيه أحمد الأعرج (47)، وعزله وولاه سجلماسة (48)، وكان بها تواصل مع سلفنا، وقاموا بأمره/ 5 د/ ونصروه على أخيه محمد الشيخ إلى أن أغلب عليهم محمد الشيخ، وفر أحمد (49) وولده لقطر توات (50). وعاتب محمد الشيخ سلفنا وعاتبوه بمراسلات وقفت عليها (51). والحق أحق أن يتبع، لا ينكر نسبهم (52) إلا جاهل أو من لامعرفة له بالأنساب».انتهى كلامه.

وكان رحمه الله كثير الإحسان لهم (5x)، والبرور بمن بقي من خلفهم بمراكش وفاس، يصلهم بالعطاء في كل سنة، ويرتب لهم الرواتب الشهرية والسنهية، إلى أن لقي ربه، ولم يبق منهم بفاس الجديد الآن، غير (X 6) سيدي عبد الجليل وأولاده، وبمراكش ابن عمه سيدي عبد الكامل وأولاده.

(X 1) «المومنين» في باقي النسخ المعتمدة.

(X 2) د جرد.

(X 3) «لهذه» في باقي النسخ المعتمدة.

(X 4) «وقلة» في باقي النسخ المعتمدة

(X 5) ك اليهم

(X 6) ك سوى.

ذكر ابتداء دولتهم إلى أن ملكوا المغرب كله

لما نزل جدهم أحمد بن محمد بدرعة بقرية«تاگمادارت» (53)، خلف بها أولادا وهم محمد وأحمد وزيدان. وخلف زيدان أولادا منهم مخلوف، (وخلف مخلوف)(1x) عليا وهو الذي انتقل للسوس في طلب العلم، فتزوج به واستقر به (2x)، وولد له أولاد (3x) أكبرهم عبد الرحمان.

واشتهر أمر علي بالسوس (54) بالعلم والخير والصلاح، وقصده التلامذة من أقطار السوس، وبنى له أهل البلاد زاوية مستقلة كان يطعم بها الطعام للطلبة وأبناء السبيل، [وهي تدس بهوارة] (55).

ونشأ عبد الرحمان في قراءة العلم وتدريسه. ولما مات والده، تولى أمر زاويتهم وكان له ولد اسمه محمد (56) نشأ في حجر والده على قراءة العلم وتدريسه. ولما أدرك وشب، ولع بركوب الخيل والتوجه للرباط بأگادير (57) مع أحداث من أمثاله، فإذا عاتبه والده في ذلك، قال له: «إنما قصدي جهاد العدو الكافر» فزوجه والده لعله يرتاض ويطمئن، فلم يرده ذلك.

وولد له ولدان (4 X) أحمد ومحمد، نشآ في كفالة جدهما على قراءة العلم. ولما أدركا، كان يصحبهما والدهما معه للرباط مناوبة. واشتهر امر محمد بالقطر السوسي، وظهرت نجدته وشجاعته وكرمه. ولما مات والده عبد الرحمان، تولى أمر زاويته، فكان يقصده أهل السوس في مهماتهم. وصار يعقد لولديه أحمد ومحمد إمرة الجهاد مناوبة، ويدعو القبائل للرباط.

(دولة أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله)

ولما انحلت عرى الملك المريني الوطاسي (x5) (58)، وقصرت أيدي ملوكهم عن الامتداد للسوس، وتعطلت الأحكام المخزنية منه، اغتنم انتهاز الفرصة محمد بن عبد الرحمان، وأسدى في ذلك وألحم، وجعل صنيعا وهو الموسم عندهم. فدعا الناس له من أشياخ القبائل وأعيانهم.

ولما اجتمعوا عنده بزاويته، أطعمهم وتكلم إليهم (6 X) في أمر السوس وفساده، وما صار

(1 X) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح.
(2 X) « به » سقطت في باقي النسخ المعتمدة.
(3 X) د أولادا.
(4 X) « ولدين » في باقي النسخ المعتمدة.
(5 X) ز، ك الوساطي.
(6x) «معهم » في باقي النسخ المعتمدة.

إليه حال الناس، «وأن ملك المغرب عجز، وقصرت يده عن الامتداد لبلادنا، فضاعت الحقوق، وانقطعت السبل، وتعطلت الأحكام منه. فلا ينبغي لكم إهمال هذا الأمر، فعينوا رجلا يقف في إصلاح بلادكم، ويرفع ظالمكم عن مظلومكم، ويصرف واجب (1x) زكاتكم وأعشاركم على المجاهدين، إذ أراحكم الله من المخزن وجوره». فتكلموا بينهم في ذلك الى أن اتفقوا على تقديمه، فتوجهوا له، وقالوا:

- أما إذ دعوتنا لهذا الأمر فليس له غيرك.

- فقال: على شرط أن تعينوا لي عشرة رجال من أعيان كل قبيلة يقومون لقيامي ويقعدون لقعودي حتى أمهد الطرقات، وأقبض الواجب الشرعي لاغير، ومنه تكون نفقة اخوانكم، وما يفضل يصرف في الجهاد».

فأجابوه لذلك، وبايعوه على الموت دونه، وتوجهوا من عنده، لتقويم العدد المشروط.

ولما وردت (2x) عليه حصص القبائل، خرج بهم للفضاء، وصلى بهم ركعتين وخطب بهم (3x) خطبة عجمية بلسان / 6 د / البربر، ذكر فيها ووعظ، وحض على الجهاد. ولما فرغ، بايعه القوم واحدا واحدا، واستحلفهم على الطاعة والموت دونه، وقام لأمر السوس، ودعا لنفسه عام خمسة عشر وتسعمائة (59) في أيام محمد (60) بن محمد الشيخ الوطاسي صاحب فاس، [وهو الذي بنى قلعة «تلظ» بقرب اگادير ببلاد «مسگينة» دار إمارته] (4 X) (61).واستمر حالهم في الزيادة الى أن مات محمد القائم عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة (62).

(الخلافات بين الأخوين أحمد الأعرج ومحمد الشيخ)

وملك ولده أحمد الاعرج، وهو الذي ملك مراكش عام سبعة وعشرين وتسعمائة (63). وكان أخاه (كذا) محمد الشيخ خليفته، ثم تنازعا (64) على الملك، ووقع الحرب بينهما، فغلبه الشيخ على مراكش، وأخرجه عنها، وولاه سجلماسة، فتوجه (5 X) لها عام خمسين وتسعمائة.

(دولة محمد الشيخ السعدي)

وملك الشيخ تادلا وسلا(65)، بعد محاربته مع السلطان أحمد الوطاسي (66) بأبي عقبة(67) وهزيمته، ثم بتادلا(68) وهزيمته، ثم بأدرنة (69)، الى أن هزمه وأسره عام ستة وخمسين

(1 X) «واجب» سقطت من (ك)

(2 X) د ورد.

(3 X) « وخطبهم » في باقي النسخ المعتمدة

(4 X) ما بين معقوفتين سقط من (د) وزيد في طرة (ز) بتصحيح.

(5 X) ب فوجه.

وتسعمائة (70).(ثم بويع (1x) ولده (2 X) محمد بن أحمد (71) بفاس، عام ستة وخمسين وتسعمائة)(3 X). وتوجه أبو حسون (72) لبلاد الريف (73)، ومنها للجزائر (74)، فاستخدم الترك.

وفي عام سبعة وخمسين وتسعمائة، ملك (محمد الشيخ)(4x) فاس الجديد، ودخلها وبايعه قبائل المغرب، وأمنهم واستخدم أهل الغرب في الجندية، ووجه عساكر أهل الحوز والسوس لبلادهم، واكتفى بعرب أهل الغرب.

(الصراع بين محمد الشيخ السعدي، وابي حسون الوطاسي)

ولما قدم أبو حسون الوطاسي مع صالح باي (5 X) والترك من الجزائر، خرج محمد الشيخ لملاقاتهم في عسكر أهل الغرب، ومن بقي معه من أهل الحوز. ووقع الحرب مع الترك، فانهزموا وتركوا أثقالهم ومدافعهم، فإذا بأهل الغرب تحيزوا الى أبي حسون، وتركوا الشيخ أحوج ما كان إليهم، فانهزم ورجع في شرذمة لمراكش. ودخل أبو حسون لفاس فملكها (75)، وقتل خليفة الشيخ ومن كان معه.

ووصل أبو حسون يده مع أحمد الأعرج الذي بسجلماسة، ثم نهض الشيخ من مراكش لمحاربة أخيه أحمد الاعرج الذي نافس بني مرين، ووجه ولده عبد الله الغالب (76) في عساكر عرب الحوز لحصار فاس.

فتوجهوا بحللهم، فاعترضهم أهل الغرب، ونهبوهم وسبوا نساءهم وأموالهم وأولادهم، وفعلوا فيهم الأفاعيل، وشفعوا غدرتهم للشيخ بكدية المخالي(77) بهذه الثانية، فطوى لهم على النث (78).

ولما فرغ الشيخ من حرب أخيه الأعرج، وشرده عن تافيلات الى القفر وبلغ توات، رجع لمراكش وجمع الجموع وقدم لفاس.

فخرج لملاقاته أبو حسون وأهل فاس وأهل الغرب، ولما وقع الحرب (79)، قتل أبو حسون وانهزم عسكره، وقتل منهم ما لا يحصى.

(دخول محمد الشيخ فاس)

وملك فاسا، وقتل القاضي الطرون الأموي (80)، وأخاه (81)، والفقيه الونشريسي(82).

(1 X) د مع.

(2 X) « ولده » سقطت من (ك)

(3 X) ما بين قوسين سقط من (ج) وزيد في طرة (ب) بتصحيح.

(4 X) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة.

(5 X) « باي » سقط من (ك).

وعلي الزقاق (83)، وعلي حرزوز(84) فقيه مكناسة وصالحها. وأمن أهل فاس، وولى عليها، ورجع لمراكش وذلك عام واحد وستين وتسعمائة.

(تأديب السلاطين السعديين لعرب الغرب والخلط)

وأما أهل الغرب والخلط (85)، فانتزع منهم الخيل والسلاح، وأسقطهم من الجندية، وضرب عليهم المغارم، وانقل أعيانهم وأشياخهم لمراكش أسكنهم بها، وأهملهم ولم يرتب لهم شيئا، ووكل بهم صروف الدهر (86).

ولما مات الشيخ، وتولى عبد الله الغالب، عطف على الذين بمراكش منهم، وأعطاهم الخيل والسلاح، واستخدمهم وأبقى قبائلهم من جملة الرعايا، الى أن مات الغالب وبويع ولده محمد المتوكل (87)، فاستخدمهم كما كان والده.

ولما قدم من المشرق (88) عبد الملك المعتصم (89)، وأخاه (كذا) أحمد المنصور (90). (بمحلة (91) الترك (92)، وقدم المتوكل من مراكش، واستنفرهم للقاء عميه، غدروه وركنوا إلى عبد الملك وأخيه (X 1) المنصور) (X 2) بالركن (93)، فرعيا لهم ذلك، وصحبوهما لحرب المتوكل بوادي الريحان (94) إلى أن هزموه. ثم صحبوه لمراكش، فأكرمهم عبد الملك وتركهم طول أيامه لا يعطون مغرما، ولايحسبون في عسكر / 7 د / إلى غزوة وادي المخازن (95)، فحضروها بخيلهم ورجلهم مع عبد الملك.

ولما بويع المنصور، رعى لهم ذلك، وكتب نصفهم في الديوان، ونصفهم يعطون المغرم، فتمردوا وطغوا (96).

ولما قام الناصر (97) بن الغالب في أيام المنصور، وملك تازة وصحبه عرب المعقل (98) من سقونة والأحلاف (X 3) وبرابرة الريف، وخرج من فاس محمد الشيخ (99) الخليفة بها في عساكر المنصور لملاقاة الناصر ومحاربته، وهزموه بعقبة « اقبالة» (100)، فهرب جريحا لبني يزناتن(101)، ولما برئ، جمع الجموع وقصد فاسا، فانحرف إليه أهل الغرب والخلط ومن في حلفهم، ورجعوا لغدرهم المألوف لهم.

ولما هزم الناصر، وقتل عام أربعة وألف، وقدم المنصور من مراكش لفاس، لم يقدم شيئا قبل الايقاع بهم ووجه لهم العساكر، فانتزعت منهم الخيل والسلاح والمواشي والخيام، وتركهم يتكففون في القبائل ويسرحون (X 4) ويحرثون بالخمس بتامسنا (102)، إلى أن ولي السلطان الرشيد، فجمعهم وأنزلهم بأزغار(103).

(X 1) « واخاه» كذا، في جميع النسخ المعتمدة

(X 2) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح

(X 3) ب،ز،ج،ك الحلاف.

(X 4) «ويسرحون » زيدت في طرة (ك) بتصحيح.

(مهاجرون أندلسيون في صفوف الجيش السعدي)

وفي أيام السعديين، استولى العدوالكافر على جزيرة الأندلس، وخرج منها المسلمون (104)، ونزلوا ببر العدوة في أيام عبد الله الغالب، فجمعهم وكتبهم في ديوان العسكر، وأكرههم على الجندية، وانقلهم من المراسي لمراكش وأقطعهم الجانب الغربي منها، وهو روض الزيتون وبنى لهم به، ومن استقرمنهم بفاس ونواحيها، كتبه ولده محمد المتوكل الخليفة بفاس الجديد في عسكرها. وكان لهم (105) ملك ضخم إلى تمام المائة العاشرة (106).

(ضعف السلطة بعد موت أحمد المنصور)

ولما مات المنصور (107) منهم، واشتغل أولاده بالحرب على الملك، وأهملوا أمر الثغور والرعية والجند، وصرفوا همتهم في الحروب بينهم إلى أن نفذ وسعهم، وضعفوا عن سد الثغور وشحنها بالرجال، فقلت جبايتهم وضاعت عساكرهم بعد موت زيدان (108) منهم، وخلد بنوه إلى الراحة (109)، وعجزوا عن مدافعة الثوار القائمين بالأطراف، وقنعوا بكرسي الخلافة بمراكش، وما جاورها وقرب منها، تطاولت أيدي رؤساء القبائل وعمالها إلى الاستبداد على الدولة (110) لمرضها وهرمها (111)، وشاركهم من له شوكة قوية. وصاروا كملوك الطوائف بالأندلس، وملوك صنهاجة والموحدين بإفريقية، وملوك العجم بمصر والعراق.

واستمرت هذه الفترة من موت زيدان عام ستة وثلاثين وألف، إلى أن استولى على المغرب كله (X 1) السلطان رشيد، وذلك نحو الأربعين سنة.

(قيام أبي محلي)

وأول من قام في دولتهم، أبو محلي (112) في أيام الشيخ بن أحمد المنصور عام تسعة عشر وألف، وله رمز بعضهم (113): « قام طيشا ومات كبشا » (114). لكنه لم يتم أمره، ولم تطل مدته. وبعد أن غلب زيدان على مراكش وأخرجه منها وملكها، فاستصرخ زيدان أهل السوس وقدم بهم وحاصر أبا (X 2) محلي بمراكش إلى أن أخرجه منها.

وهذا أبو محلي، اسمه أحمد بن عبد الله، ينتسب لبني العباس، واشتهر نسبهم بسجلماسة، ويعرفون بأولاد« ابن اليسع » أهل زاوية القاضي. وهذا الدعي منهم ترك طريق سلفه، واشتغل بما لا يعنيه (X 3) حتى نسب الى الخارجية.

وهو أول من أباح استعمال الدخان بمغربنا وزعم حليته، ولما سافر الى الحجاز صحب معه أحمالا منه.

(X 1) « كله » سقطت من (ك).

(X 2) « أبو » كذا في جميع النسخ المعتمدة.

(X 3) « يعني » في باقي النسخ المعتمدة.

قال الشيخ سالم السنهوري (115): « أول من أدخل هذه العشبة الخبيئة أرض مصر، أحمد بن عبد الله الفيلالي الخارجي مبغض ملوك أهل البيت الشريـــــف» انتهى كلام السنهوري.
ومات أبو محلي عام ثلاثة وعشرين وألف (116).

(قيام أبي حسون السملالي)

ثم قـام في أيامـهم، علي أبو حسـون (117) السمـلالـــي الشريــف الملقـــب «أبو دميعة»(118)، ودعا لنفسه بالسوس بعد موت / 8 د / زيدان عام أربعين وألف (119).

(أبو حسون السملالي يأسر مولاي الشريف)

وفي عام واحد وأربعين وألف (120)، حرك علي أبو دميعة لسجلماسة، استصرخه مولاي الشريف (121) بن علي على أهل تبو عصامت (122). فلما بلغها، غدر بمولاي الشريف وتوجه به للسـوس (123)، وأعطاه جـارية مـولدة (124) من سبي المغـافـرة، كـانت تخدمـه، وهي أم السلطان إسماعيل (وأخيه المهدي) (X 1). وبقي عنده إلى أن افتدي منه بمال (125).

[والذي (وقـفت عليـه) (X 1) في تـاريخ « ابن الصبـاغ المكناسي» (126)، أن عليـا أبا دميعة(X 2)، (لما استولى على سجلماسة عام واحد وأربعين وألف، لم يقبض مولاي الشريف، ولما رجع) (X 3) للسوس، بايع أهل سجلماسة مولاي الشريف بن علـــي] (X 4) (علـــى القيام بأمـــرهم) (X 1)، وخالفـــــه بنـــو الزبـــير أهل تبوعصامت، فحاربهم مرارا. ولما قام محمد الحاج الدلائي (127) بجبل درن (128) .استصرخ به أهل تبوعصامت (X 5)، فكتب لعلي أبي دميعة (6x) في شأنهم، [ووشى له بمولاي الشريف وولده مولاي محمد] (X 7)، وقـال له:«لا يستقيم لك عمل مادام الشريف بن علي وولده محمد بسجلماسة».

ولما رجع لهم (8x) أبو دميعة لسجلماسة عام خمسة وأربعين [وألف] (X 8)، قبض (X 9) مولاي الشريف وتوجه به (X 10) للسوس وأنزله بقلعة «إلغ» (129)، وأعطاه جارية هي أم ولديه إسماعيل والمهدي.

(x 1) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ المعتمدة.
(x 2) د ،أ « علي أبو دميعة » وفي باقي النسخ المعتمدة « أبو حسون».
(x 3) ب،ز،ج، ك، « لما قدم لسجلماسة واستولى عليها ورجع».
(x 4)ما بين معقوفتين سقط من (د).
(X 5) ب،ز،ج،ك « فاستنصروا بمحمد الحاج لما قام بجبل درن».
(X 6) «ابو حسون» في باقي النسخ المعتمدة.
(X 7) ما بين معقوفتين سقط من (د).
(X 8) «لهم» سقطت من باقي النسخ ا لمعتمدة.
(X 9) ب،ز،ج، ك انقل
(X 10) «وتوجه به» سقطت من (ب) (ز) (ج) (ك).

[وأقام عنده مدة من ثلاث عشرة سنة، إلى أن مات علي أبو حسون ورجع لسجلماسة، وبالسوس ولد له المهدي وإسماعيل وبنت، مات المهدي، وبقي إسماعيل، أمهما مباركة المغافرية كان أعطاها له علي أبو حسون] (X 1).

وقام بعده بسجلماسة ولده محمد بن الشريف، ولما مات أبو دميعة (130)، [تولى ابن أخيه أبو حسون، سرح مولاي الشريف بفداء (131)، ورجع] (X 2).

(قيام محمد الحاج الدلائي)

وفي عام اثنين وأربعين وألف (132)، قام بجبل درن(محمد الحاج المجاطي (133) الدلائي من قرية « يدلا » (134) بسفح جبل درن) (X 3).

[قال الشيخ اليوسي (135):« وكان في ابتداء أمره طالبا صعلوكا قليل ذات اليد، وأبوه مثله، فكلف والده أن يشتري له فرسا، فقال:

- والله ما أملك ما اشتري لك به حمارا، فاشتغل بقراءتك مع أبناء عمك، ودع عنك الفضول ومصاحبة البطالين، واقنع بما قسم الله لك. فأبى. فهجره والده، وغضب عليه، وطرده من داره.

فكان يسعى مع أهل البطالة سعيهم، ويأوون الى كهف منقور في جبل يدلا، وكان من قدر الله أن يوما لم يأت أحد من رفقائه، فأتى بجذوة نار وحطب، وأوقد نارا في الكهف، فرأى في زاويته محلا كباب، مبنيا بحجارة، فتأمله فاذا هو بناء.فتوجه الى القرية، وأتى بآلة حديد حفر بها البناء، وأزال الحجارة وأوقد نارا، ودخل النقب، فوجد قماقم سبعة من النحاس مختومة أفواهها بالرصاص، فأخرجهم إلى الكهف، ثم حفر لهم خارجا عنه، ودفنهم وأبقى واحدا منهم، وأغلق النقب الذي فتح بالحجارة والطين، وكنس المحل وأخذ القمقم. فتوجه به لوالده لداره، دفعه له واسترضاه. وفتحه، فوجده دنانير مرينية كلها، عددها عشرة آلاف دينار.

فأصلح حاله، وواسى أقاربه وأصحابه. وولع بركوب الخيل، واستركب الأقارب والأقران، فلم تكمل عليه السنة إلى أن كان يركب في مائة من الخيل من الأولياء والمصطنعين. واشتغل بتقويم الأتباع من قبيلة مجاط، وغيرهم من صنهاجة (136) آيت امالو (137)، وصار يشن الغارة على من بملوية (138) وتادلة (139) من العرب. فعلا صيته».

(X 1) ما بين معقوفتين سقط من (د)، وزيد بطرة (ب) (ز) (ج) (ك).

(X 2) ما بين معقوفتين زيد بطرة (أ) بتصحيح.

(X 3) ما بين قوسين سقط من (ك).

(استطراد: نبذة عن حياة ابن جدعان القرشي)

ومثل هذا وقع لعبد الله بن جدعان القرشي (140). كان في ابتداء امره صعلوكا، ثرب اليدين. وكان مع ذلك شريرا فاتكا، لا يزال يجني الجنايات، فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته. وأبعده أبوه، وحلف ألا يؤويه أبدا.

فخرج في شعاب مكة حائرا بائرا، يتمنى الموت أن ينزل به، فرأى شقا في الجبل، فظن أن به حية، فدخل الشق يرجو أن يكون به ما يقتله فيستريح، فلم ير به شيئا. فدخل، فإذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج، فحمل عليه الثعبان، فأفرج له فرجع لمحله، فخطا خطوة أخرى، فأتاه الثعبان كالسهم. فأفرج له، فرجع. فوقف يتأمله ويتفكر في أمره، فوقع في قلبه أنه مصنوع، فأتى من ورائه، وقبضه بيده، فإذا هو مصنوع من ذهب، وعيناه ياقوتتان / 9 د/، فكسره وأخذ عينيه، ووجد تحته مطبقا، ودخله فوجد بيتا منقورا في الجبل، وفيه جثث طوال على سرير لم ير مثلهم طولاوعظما، وعند رؤوسهم لوح من فضة، فيه تاريخهم وأسماؤهم، وإذا هم رجال من حمير ملوك. وآخرهم موتا، «الحارث بن مضاض» صاحب الغربة الطويلة وعليهم ثياب من وشي، لا يمس شيء منها إلا انتثر كهباء من طول الزمن. وفي اللوح عظات.

وقال «ابن هشام» كان اللوح من رخام، وكان مكتوبا فيه « أنا نفيلة بن عبد المدان بن حسوم بن عبد يا ليل بن جرهم من قحطان بن نبي الله هود عليه السلام. عشت خمسمائة سنة. وقطعت غور الأرض، ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت، وتحته هذه الأبيات:

قد قطعت البلاد في طلب الثر ... وة والمجد قالص الاثواب

ثم صرت البلاد قفرا لقفر ... بقناة وقوة واكتساب

فأصاب الردى بنات فؤادي ... بسهام من المنايا صياب

فانقضت مدتي واقصر جهدي ... واستراحت عواذلي من عتاب

ودفعت السفاه بالعلم لما ... نزل الشيب في محل الشباب

صاح هل ريت وسمعت براع ... رد في الضرع ما ثوى في الحلاب(141)

وإذا في البيت كوم عظيم من الذهب والفضة والياقوت والجوهر والزبرجد، فأخذ منه ما أخذ، وأغلق الشق، وعلمه.

ووجه لأبيه يسترضيه بما أخذ معه، ويستعطفه. ووصل عشيرته كلهم، فسادهم. وصار ينفق من ذلك الكنز، ويطعم الناس، ويفعل المعروف. وكانت قصعته يأكل منها الراكب على البعير، وسقط فيها بوم صغير، فغرق ومات. وفي «غريب الحديث» (142) لابن قتيبة (143)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «كنت أستظل بجفنة ابن جدعان صكة «عُمي» يعني في الهاجرة.

وسميت الهاجرة صكة عمي، لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنوار. وهـــو أن «عميا» رجل من عدوان (144) وقيـل من إياد (145)، وكان فقيـه العرب في الجاهلية، فقدم في قوم معتمرا أو حاجا. فلما كان على مرحلتين من مكة، قال لقومه في وســط الظهيرة: «من أتى مكة غدا في هذا الوقت، كـان له أجر عمرتين». فصكوا الإبل صكة شديدة، حتى أتوا مكة من الغد، «وعمي» تصغير أعمى على الترخيم، وابن جدعان، تيمي يكنى «أبا زهير»، وهو ابن عم عائشة رضي الله عنها، ولذلك قالت عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم :

- إنه كان يطعم الطعام، ويفعل المعروف، ويقري الضيف. هل ينفعه ذلك يوم القيامة؟

- فقال صلى الله عليه وسلم:«إنه لم يقل يوما، رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين». قال هذا أبو القاسم السهيلي (146) في «روض الأنف» (147)، ومنه نقلت. انتهى] (1x).

(رجوعا للأصل: وفي عام خمسة وأربعين وألف) (2 x) (148)، دعا لنفســــه (محمد الحاج) (2 x)، فتبعه برابرة صنهاجة وغيرهم. واستولى على تادلة (149) وسلا (150).

(قيام مولاي محمد بن الشريف)

وفي عام خمسة وأربعين وألف، دعا لنفسه مولاي محمد بن الشريف بسجلماسة في حيــاة والده مولاي الشريف.

فلما سمع به محمد الحاج، توجه له، وقطع نهر ملوية، وزاحمه في إقليم الصحراء - وكان أكثر منه عصبية وقوة - وقصده لسجلماسة مرارا (151)، ثم صالحه على سجلماسة وما قرب منها (152). ورجع عنه.

(استطراد: أحوال الاندلس بعد موت عبد الملك المظفر)

وهكذا وقع في دولة بني أمية بالاندلس، لما مات عبد الملك المظفر (153) بن المنصور بن أبي عامر حاجب هشام المؤيد الأموي (154)، وتولى حجابته عبد الرحمان بن أبي عامر(155)، قام عليه الثوار وقتلوه، وسجنوا هشاما / 10 د / بالقصر، وكثرت الحروب بينهم الى أن جاءهم علي بن حمود الادريسي (156) من سبتة (157) بجموع البربر، وغلب عليهم وقتل الثوار وملك قرطبة (158). انتهى.

(1x) ما بين معقوفتين زيد في طرة(أ) بتصحيح مع اختلاف يسير أحيانا في اللفظ وسقط من باقي النسخ المعتمدة في التحقيق

(2 x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ المعتمدة.

(نهوض مولاي محمد لشرق المغرب) (*)

ولما وقع الصلح، رد مولاي محمد عزمه لنواحي عمائر الصحراء والشرق (159) إلى أن بلغ أنكاد، فبايعه عرب الاحلاف وسقونه من عرب المعقل. وساربهم إلى بني يزناتن - كانوا في إيالة (160) الترك - فحاربهم ونهب أموالهم، وامتلأت أيدي العرب من مواشيهم، ورجع لوجدة (161).

وكان أهلها مفترقين، بعضهم قائمين بدعوة الترك، وبعضهم خارجين عنهم. فانحاز الخارجون لمولاي محمد بن الشريف، فأعانهم على شيعة الترك إلى أن شردوهم وأخرجوهم عن البلاد (1 x).

ودخل مولاي محمد وجدة عام خمسين وألف (162)، وقاده العرب لأولاد زكري وأولاد علي وبني سنوس المجاورين لهم، فشن عليهم الغارة ونهبهم، ودخلوا تحت حكمه.

ثم توجه لناحية نضرومة (163). فشن الغارة على مطغرة (164) وگومية (165) وترارة وولهاصة (166)، ورجع لوجدة، فأقام بها مدة.

(نهوض مولاي محمد بن الشريف لتلمسان)(*)

وتوجه لتلمسان، فأغارعلى سرحها، وسرح القرى القريبة منها، فخرج أهلها وعسكرها لمدافعته، فأوقع بهم، وقتل منهم عدداً كثيراً، ورجع لوجدة مؤيداً منصوراً، فشتى بها.

ولما انصرم فصل الشتاء، توجه على طريق الصحراء، فأغار على الجعافرة (167) ونهب أموالهم. وبلغه محمود شيخ حميان (168) مؤديا لطاعته في قبائله، ودخيسة، ففرح بهم وأكرمهم.

وقادوه إلى بني لغواط وعين ماضي والغاسول (169)، فنهب تلك القرى كلها، واستولى على أموالهم، وفر أمامه عرب الحارث وسويد وحصين (170)، الى أن نزلوا بجبل راشد متحصنين به، ورجع.

(أتراك الجزائر يتوجهون لحرب مولاي محمد) (*)

واشتغل باي المعسكر يخندق على نفسه، وبعث للدولاتني (171) بالجزائر يخبره بما لحق الرعايا من عيث صاحب سجلماسة مولاي محمد بن الشريف. فأخرج المحلة من الجزائر، واستعد لحرب مولاي محمد، وجر مدافعه . وخرج خليفته بالمحلة وقصد تلمسان. فلما سمع به مولاي محمد، رجع لوجدة وفرق العرب، واتعد (2 x) معهم لفصل الربيع المقبل. ورجع لسجلماسة.

(1 x) «البلد» في باقي النسخ المعتمدة.

(2 x) كذا في جميع النسخ المعتمدة، والاصوب» «تواعد» وفقا للسياق اللغوي

(*) العناوين المحصورة بين قوسين من اضافة المحقق.

ولما بلغت [محلة] (x 1) الترك لتلمسان، أخبروهم برجوع مولاي محمد لتافيلالت، فسقط في أيديهم، ووجدوا البلاد خالية، وكل الرعايا خرجت عن أوطانها وتحصنوا بالجبال، ولم يقدم عليهم أحد (2x) منهم بمؤونة ولا خراج، وانحرف عنهم أهل تلمسان لما رأوا عصيان القبائل. وكانوا تكلموا مع مولاي محمد بن الشريف وركنوا إليه. فرجعت المحلة للجزائر بخفي حنين. ولما بلغوا، اجتمع (3x) أهل الديوان بالدولاتني، ووقعت المشورة بينهم، فاتفقوا على أن يوجهوا رسالة لمولاي محمد بن الشريف مع اثنين من علماء الجزائر واثنين من أعيان الترك.

فعينوا الأربعة، وكتبوا الرسالة، وهي هذه، من إملاء الكاتب المحجوب الحضري (172)، ونصها:

(رسالة الوالي التركي إلى مولاي محمد)

«الحمد لله الذي وصى ولا رخص في مدافعة اللص والصائل شريفا أو مشروفا، ونص وهو الصمد الصادق سبحانه على فصم عرى أصله المتواصل مجهولا أومعروفا، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وعلى آله تيجان المفارق وبراقع الجباه والخياشم، وصحابته صوارم الصولة الحاسمة للكفر الطلا والغلاصم.

ولا زائد بعد حمد الله إلا قصد خطاب الشريف المنيف الجليل القدر، الجميل اللهجة والصدر، من رتق الله به فتوق وطنه، وحمى من أحزاب الأباطيل أنجاد وأغوار عطنه. حفيد مولانا علي وسيدتنا البتول، وولد مولاي (x 4) الشريف بن علي السيتل الصؤل.

سلام عليكم ما رصع الجفان صموت (x 5) البحور، ولمع الجواهر الحسان على أزهار رياض النحور. ورحمة الله تعالى وبركاته، ما أساغت محض الحلال ذكاته. فقد كاتبناكم من مغنى غنيمة الظاعن والمقيم والزائر، رباط الجريد مدينة الجزائر، صان الله من البر والبحر عرضها، وأقر من زعازع العواصف والقواصف أرضها، إلماعا لكم معادن الرياسة، وفرسان القيافة والعيافة و[السياسة] (6x)، فصلا عن سماء صحا من الغيم والقتام جوه، وضحى نشرت عليه الوديقة وشيها ففشى ضوءه».

إن شؤون المملكة لم يتوار عن مكنون علمكم أمرها، ولا أعوز عزائمكم زيدها وعمرها. وذلك أن الوهاب سبحانه منحكم همة وهيبة الجود والحلم والحماسة، واختار لكم عنوان عنايتها

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(2 x) د احدا.

(3 x) أ اجتمعوا.

(4 x) « مولانا في باقي النسخ المعتمدة.

(5 x) « سموت » في تاريخ الضعيف. 1 : 108 . الاستقصا. 7 : 22 .

(6 x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

في غاب الصون سجلماسة، لكن فاتكم سر الرأي والتدبير، وارتكب حزمكم جموح الجهل والجهد والتبذير، مع أن ذلك في نفس الحقيقة دأب من هو اساس الدولة، لايجمعها إلا بجباية الجولة.

خرقت على الايالة العثمانية جلباب صونها الجديد، من وجدة الأبلق الى حدود الجريد، فخبلت عنا أخلاق وأخلاد الأعراب، إلى أن تعوقوا علينا في أرفق الآراب. شننت الغارة الشعواء على بني يعقوب، وقسمت رسمهم على العقب والعرقوب، وغدرت جعافرهم فصار يسعى عيالهم الزياني والمَوزُونَة، في أسواق مستغانم (173) وديار ما زونة (174)، وجررت ذيل المذلة والهوان على أطراف الغاسول والأغواط، فالتقطتهم دخيستك التقاط سباع الطير للوطواط.

وقادك الجاهل الجهم محمود حميان، لعين ماضي والصوانع وبني يطفيان، فراحت حصين (1x) وسُوَيد ينفض كل بطل منهم غباره وطينه، على طود راشد وقسمطينة. ولا كادنا إلا ما هتكتم من ستر السر على مرسى (أبي الربيع) (2x) سيدي سليمان، مع أنكم أولى من يراعي حرمته وتوقيره، ويدافع عنه وعن مـن (3x) سواه ويرفد وقيره. وتنسب العجم للجهل وأنهم جفاة وأجلاف، ثم صرتم أنتم بدلاء وأخلاف، خرج جيش قصبتنا [بتلمسان] (x 4) بما لهم من الرماة والفرسان فهزمتموهم بقرار، وقتلتموهم قتلة مذلة واحتقار، فقلنا هذا أقل جزاء كل كلب حقير عقور، يعرض عرضه لصولة الأسد الهصور، ولا وافت (5x) الآفة في الغالب إلا الحضر، مع شياع (6x) في الاجنة تجني الجنا والخضر.

كان أولاد طلحة وبنو هداج والخراج، يؤدون لهذه المثابة ما ثقل وخف من الخرج والخراج، ولا يفوتنا من ملازمها وبر ولا شعر ولا صوف، ولا سقب ولاجدي ولا خروف، إلى أن طلعت علينا شمس غرتك السعيدة، فعادت كل شيعة قريبة بعيدة، وأعانك افتراق الجفاة أهل وجدة، ونصيبك الأوفر منهم أهل جـدوى وجد (7x) ونجدة، ولولاك ما ثار علينا أهل تلمسان، وأنكروا ما لنا عليهم قديما من أسمى الحنانة والاحسان. ووردوا عليك في الساحة (8x) والبساط، مرغوبُهم زفرتك علينا بسطوة الثعبان والساط، مع علمنا اليقيني أن شجرتنا لا تضعضع بزعازع حيان، ولا تندرس ولو انهار عليها جبال جيان، وأن الحجر لا يدق بالطوب، والخاطف لا يطأ أوطية الخطوب.

(1 x) « رياح » في باقي النسخ المعتمدة.

(2 x) ما بين قوسين سقط من (ك).

(3 x) « وعمن » في باقي النسخ المعتمدة.

(4 x) سقط من (د).

(5 x) ج في.

(6 x) « شيع » في تاريخ الضعيف. 1 : 109 : الاستقصا 7 : 23 .

(7 x) ج ونجد.

(8 x) ك السياحة

كذلك في المثل جندك خفاف الصدور والورود، لا يصبرون لصواعق البارود، ولا تنجح حجة الدروع والذوابل، إلا في (1x) سوق شن الغارات على قلائل القبائل، وأما أسوار الجحافل وأدوار الكتائب، لا يصدمها فيهدمها إلا سيول الخيول والرماة الرواتب، وزينت صولتك لبني عامر، لذاذة النفار لكنف الكوافر، ودخل الوسواس/ 12 د/ والسوس، جبال ترارة ومطغرة وبني سنوس، والرعايا تود أن يحتفل لبنها في ضروعها، لتختزن في تبن الخداع سنبل زروعها، وإن قبلت منهم الأقوال والأفعال، تعلو طباعها على الدولة فتصير كالأغوال.

إياك إياك والغرر بما عثرت عليه في (2x) كتاب البوني، وأوراق الاسيوطي (3x) وعلي بادي ورسالة أهل سبتة لعبد الحق بن أبي سعيد المريني (175)، بأنك المخصوص بصعود تلكم الادراج، (والمترقي بذلك المعراج) (4x)، ذلك منك بعيد الوصول، لا تدرك ذلك بالمسومة ولا بقبائع النصول. وان أوتاد الروم والترك تتقوض من أرضين الغرب، ولا يبقى من ينازعكم فيه بحرب ولا ضرب. ليس لك في غنيمته ادراك طمع، ولا سبيل لتبديد ما نظمه حازمنا وجمع، وقد غرت بك أضغاث أحلام. وأغواك غرور الغيب بضباب أصبح ظنك منه في غياهب الأظلام، فإن جزمت بهذا فلا شك أنك حانث، وإن كان منكم يقينا فرابع أو ثالث، أول الدولة ثائر، والثاني مقتف له سائر، والثالث لكما أمير نائر، إما عادل أوجائر، فلا تمدن باع المخاطرة إلى أوطاننا، فتخشى مخالب سطوة سلطاننا.

وأما الشجاعة الغريزية (5x) فقد علمنا أن لك فيها بالمهيمن سبحانه أوفى وأوفر نصيب، وممن ضرب فيها فأصاب الغرض بكل سهم مصيب، لكن كفاية الشجاع، إذا حمى الوطيس الدفاع، سيما في هذا الحين الذي أبخستها (x 6) في الخلاص، سلعة الرصاص. وجسرك علينا كونك في وطنك (x 7) عقاب على فرع شجرة، أو جبح احتل صدع حجرة. لو رأيت مليك إحدى أمصار البر والبحر، لعلمت أنك (x 8) محجوب ومحجور في حق ذلك الحجر، وتحققت أن بين الأمراء مداراة ومراعاة، وأن أحوال الدول أيام وساعات، كل أحد يحاول على صدع فخاره، ويطلق بخوره تحت نثن بخاره.

وما مرادنا إلا أمن العرب في المواضع، ليطيب لها جولان الانتقال في المشاتي والمرابع، ويجلب منكم الغني (9x) والعديم، ما يحصل له (x 10) فيه الربح بين الكساء والحناء والأديم.

(1 x) « في » سقطت من (ب) (ج).

(2 x) ك من.

(3 x) « السيوطي » في باقي النسخ المعتمدة.

(4 x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ المعتمدة.

(5 x) ز، ج، ك، الغزيرية.

(6 x) ب، ز، ج، ک انجستها.

(7 x) « وطنك» سقطت من (ک)

(8 x) د انه.

(9 x) ج الغنا.

(10 x) «له» سقطت من (ک)

فإن تعلقت لك الهمة بالولاية، (وتشوفت لجمع المال والجباية) (x 1)، عليك بالمدن التي حجرها عليك همج البرابر، فصار يدعى لها على المنابر، فشد لها حَيازِمَك، لتذوق حينئذ حلاوة الملك، المعجون بمرهم النجاة والهلك. ودع عنك وطن الرمال والعجاج، ومخاطرة النفس في الفدافد والفجاج.

فقد أنشد ناك جدك من الأب والأم، وما لك من خال وأخ وعم، أن تجنب نواحي تلمسان، ولا تزاحمها بمحن جموع رماة ولا فرسان. وإن اشتهت الأعراب غارة على بعضها بعض، فموعدها ما نأى عنا من مطلق الأرض، وخمسنا على الغالب، ليعلموا أن رأيهم عن معاني الصواب غائب، إذ كلهم ذو جفاء ونفار، ويعمهم عند الدول ما يعم المخازي الكفار، ليبقى بيننا وبينكم الستر المديد على الدوام، ونلغي كلام الوشاة من الأقوام.

وقد شيعنا نحوكم أربع صحاب، تشرق بمجالستهم الخواطر والرحاب، الفقيه الوجيه السيد عبد الله النفزي، والفقيه الأبر السيد الحاج محمد بن علي الحضري، واثنين من أركان ديواننا، وقواعد إيواننا، أتراك سيوط وغاية غرضنا الجواب، بما هو أصفى وأصدق خطاب.

والله سبحانه يوفقنا (x 2) لأحمد طريقه، ويحشرنا مع جدك وبدور رفيقه». انتهت الرسالة(176) .

ولما بلغت الرسل لمولاي محمد بن الشريف، وقرأ الرسالة، اغتاظ لما سمعه من العتب والتقريع / 13 د/، فأحضر الرسل، و عاتبهم على قول مرسلهم وتحامله. فقالوا له (x 3):

« نحن لا علم لنا بما في الرسالة، ولو اكتفينا بما في الرسالة ما قدمنا عليك. نحن جئناك لتعمل معنا شريعة جدك، وتقف عند حدك، فما كان جدك يحارب المسلمين، ولا يأمر بنهب المستضعفين، ولابالغارة على الضعفاء والمساكين. فإن كان غرضك في الجهاد، فرابط على الكفار الذين معكم في وسط البلاد. وإن كان غرضك في الاستيلاء على دولة آل عثمان، فتقدم لها واستعن بالرحيم الرحمان، فلا يكون عليك ملام. وهذا ما جئناك به، والسلام .

وأما إيقاد نار الفتنة بين العباد، فليس من شيم أهل البيت الأمجاد، ولم يخف عليك أن ما تفعله حرام، ولا يجوز في مذهب من مذاهب المسلمين ولا في قوانين الأروام.

(x 1) ما بين قوسين ساقط من باقي النسخ المعتمدة.

(2x) ج يوافقنا.

(3x) « نحن اتيناك سفراء برسالة من باشا الجزائر، فاكتب لنا الجواب، ولا تقابلنا بعتاب، فقال : صدقتم. فكتب لهم ما نصه : الحمد لله. ... »

هكذا ساق الزياني جواب البعثة في الروضة السليمانية (مخ خع و 40)

وقد رد مولاي محمد على هذه الرسالة باخرى مماثلة اوردها الزياني في الروضة السليمانية (و 40 – و 41) والضعيف في تاريخه (111:1)، وهي اكمل مما في الروضة.

بعد ذلك، عادت البعثة من جديد الى المغرب واجابت بما ذكره المؤلف هنا: «نحن لا علم» وهذا الجواب أغفله الضعيف في تاريخه.

وهذان الفقيهان من علماء الجزائر جاءا إليك حتى يسمعا (x 1) منك ما تقوله، ويحكم الله بيننا وبينك ورسوله. فقد تعطلت تجارتنا، وانقطعت سبلنا، وأجفلت عن وطنها رعايانا، فما جوابك عند الله معنا؟ وهذا الذي تفعله وأنت ابن رسول الله في بلادنا، لم يعجزنا أن نفعله نحن في بلادكم ورعاياكم، على أننا محمولون على الظلم والجور عندكم، لكن تأبى ذلك همة سلطاننا».

(جواب مولاي محمد للبعثة التركية)

فلما سمع مولاي محمد كلامهم، دخلته القشعريرة وأثر فيه وعظهم، ورجع الى الحق وقال:« والله ما أوقعنا في هذا المحذور إلا شياطين العرب. استنصروا (2x) بنا على أعدائهم وأوقعونا في معصية الله. [وأبلغناهم] (x 3) غرضهم، فلا حول ولا قوة الا بالله، وأنا (4 x) أعاهد الله تعالى أن لا أعود لرعاياكم ولا لبلادكم، وأعطيتكم ذمة الله وذمة رسوله، لاقطعت وادي تافنة (177) إلا فيما يرضي الله ورسوله».

وكتب لهم عهدا بذلك لدولاتني الجزائر عثمان باشا (178). ولم يعد لغزو الشرق، ولا توجه لناحيتهم (179)، إلى أن خرج عليه أخوه الرشيد.

(وقعة بوعقبة بين السعديين والدلائين)

وفي عام ستة وأربعين وألف، لما بويع الشيخ بن زيدان، جمع الجموع وقصد تادلة ليسترجعها من يد(5x) محمد الحاج، فمانع دونها واعترض محمد الشيخ (6x) على وادي العبيد .ووقع القتال ببوعقبة (180). فانهزم الشيخ وجموعه، ورجع محمد الحاج.

(استطراد: السلطان مراد الرابع يسترجع بغداد)

وفي عام ثمانية وأربعين وألف، ورد الخبر بارتجاع مدينة بغداد لأهل السنة على يد السلطان مراد (181)، لأنه كان استولى عليها ملك العجم (182) القزلباش (183) وترك منها مذاهب [أهل] (7x) السنة، وكتم (x 8) أمرها الوزراء عن (9x) السلطان، إلى أن قدم،

(1x) د يسمعان.
(2 x) «انتصروا» في باقي النسخ المعتمدة.
(3 x) د وابلغنا.
(4 x) «واني» في باقي النسخ المعتمدة.
(5 x) «يد» سقطت من (ب).
(6 x) ك الحاج.
(7 x) «اهل» سقطت من (د).
(8 x) «وكتموا» كذا في جميع النسخ المعتمدة.
(9 x) د على.

أحدالفقهاء كان مدرسا بمشهد الإمام أبي حنيفة. وأخرجه القزلباش، فقدم للاسطنبول واجتمع بالسلطان مراد في التبديل، وأخبره خبر بغداد وأنها لنظر القزلباش، ولا تقام فيها الجمعة ولا الجماعة (x 1)، هذه مدة من ثمان عشرة سنة.

فأخذه السلطان معه لمحله، ولما بلغ، سأل الوزير عن بغداد، فكذب عليه على عادته، فسأل الفقيه عن مقالته فكذبه في وجهه، وقال:

« - هذا الوزير شكوت عليه، وقال لي: أقم هنا الى أن نوجهك مع العساكر، وهذه سنة وأنا مقيم هنا، حتى فتح الله في ملاقاتك من غير قصد».

فأمر السلطان بقتل الوزير، وعين العساكر وتوجه بها، ولم يسترح الى أن نزل على بغداد، وأحاطت بها العساكر، ونصبت عليها المدافع والمهارز. ودام عليها الحرب شهرا الى أن دخلها عليهم عنوة (184)، وقتل المقاتلة، وسبى النساء والذرية من القزلباش، وأقام بها مذاهب أهل السنة، ومحا منها مذاهب (2x) الرفض، وترك بها اثني (x 3) عشر ألفا من العسكر وباشا، وأمره بحرب بلاد (x 4) العجم.

وقد مدحه أئمة أهل السنة بقصائد / 14 د/، ومنها قول بعضهم من قصيدة:

ملوك بني (5x) عثمان (6x) قد كان أصلهم ... كراما لهم في المكرمات مفاخر
إذا ولد المولود منهم تهللت ... له الأرض، واهتزت إليه المنابر

وقال الشيخ الخضراوي من قصيدة:

كم قوموا لثقاف الدين من أود ... وكم وكم وصلوا لله من رحم
وكم وكم هدموا للكفر من عُمد ... وكم أقاموا لدين الله من حرم (x 7)

ومن قصيدة لسيدي أحمد بورناز:

وكم لهم فتح مبين مؤيد ... ولاسيما في أرض فارس يُفْتَخَرْ
وكان مقرا لاعتزال وبدعة ... وترك صلاة بالجماعة تُشْتَهَرْ
ولا جمعة بها تقام (8x) أصالة ... ولاالفطر والأضحى التراويح تنتكر
وكم من منار من آذان معطل ... وكم نقصوا فيها الخليفة مع عمرْ

(x 1) « جمعة ولا جماعة » في باقي النسخ المعتمدة.
(x 2) د اهل.
(x 3) « اثنا » في باقي النسخ المعتمدة.
(x 4) «بلاد» زيدت في طرة (ب) بتصحيح.
(x 5) ب ابي.
(x 6) «بني العباس» في الروضة السليمانية (مخ. خع. ظ. و 43)
(x 7) « عمد» في باقي النسخ المعتمدة.
(x 8) « تقام بها » في باقي النسخ المعتمدة.

وكـم شهروا مـن بدعـة وضـلالـة — وسوء اعتقـاد في الأصـائـل والبُكَـرْ
فجـاء بنو عثمان بـالصـارم الـذي — على الحق في نحر الضـلالـة قد نحـر
فأحيوا مـواتـا كـان فيهـا معطـلا — من السنـة البيضـاء والمذهـب الأغـر
فصـار هُدى صرفـا ودين استقامـة — أقامـوه بالاخلاص فانزاحـت (x 1) الغيـر
وقد أظهروا فيهـا الأذان وأعلـنـوا — بمذهب أهل الحق والـديـن قـد ظـهـر
وقـد رتبوا فيهـا أيمـة خمـسـنـا — وجمعتنا والـعـيـد والـوتـر والأثـر
فمن شـاء فليومن فقد ظـهـر الهـدى — ومن شاء فليكـفرْ فللسيـف مـن كفـرْ

وهذا السلطان هو الذي فتح مدينة «راوان» (2x) (185) من بلاد العجم، وقتل جميع من فيها، لأنه لما فتحها أولا، أنزل فيها مرتضى باشا في اثني (3x) عشر ألفا من الجند، ولما رجع، جاءهم الشاه (186) وحاصرهم (187) إلى أن غلبهم وقتلهم، وأثارمنهم السلطان مراد رحمه الله.

(حروب بين محمد الحاج الدلائي والمجاهد العياشي)

وفي عام خمسين وألف، توجه محمد الحاج بعساكر البربر، فاستولى على مكناسة وزاد لفاس، فاعترضه محمد العياشي المالكي (188) حامي فاس بجموع أهل الغرب، ووقع الحرب بينهما، فانهزم العياشي.

ورجع محمد الحاج لحصار فاس، فرجع العياشي وأعاد حربا ثانيا، فهزمه محمد الحاج (189) ورجع لبلاده.

وفي هذا العام، مات محمد العياشي حامي فاس بعد رجوعه، غدره بعض الخلط بعين القصب (190).

(محمد الحاج يخضع مدينة فاس)

وفيه دخل محمد الحاج للغرب، فلقيه عبد الله (191) بن محمد العياشي بجموع العرب بوادي الطين (192)، ووقع الحرب، (فانهزمت (x 4) العرب) (5x). ونهبت حللهم ومواشيهم.

وفي عام واحد وخمسين وألف، نزل محمد الحاج على فاس، وحاصرها ستة أشهر، وقطع عنهم الوادي وجميع المرافق إلى أن لحقهم الجهد وارتفعت الأسعار، فدخلت في حكمه (193).

(x 1) «فانزاخت» في باقي النسخ المعتمدة.
(x 2) «روان» في باقي النسخ المعتمدة.
(x 3) د، أ، ز أثنا.
(x 4) ب، ز، ج، ك فانهزم.
(x 5) ما بين قوسين سقط من (أ).

(رأي المؤلف في مدينة فاس وأهلها)

قلت: سبحان الله، هذه المدينة المباركة التي اختطها إدريس بن إدريس هي حاضرة المغرب، وسكانها أقسى الناس قلوبا، وأكثرهم كبرا وعجبا، لحروشة مائها وفساد هوائها، مولعون بالخلاف على الملوك في كل عصر ومع كل دولة (194). ولا ينزجرون بما يقع لهم من المصائب، وما يلحقهم من الفضائح والنوائب، وذلك لخبث طباعهم، فرحم الله «ابن الخطيب» في وصفه لهم (195). وقد اتفق الحكماء على أن خبث الطباع / 15 د/ لا يصلحه الرفق واللين والعدل، ولا يصلحه الا الجور وسوء (x 1) السيرة. ولقد طالعت تواريخ دول المغرب وملوكهم (x2)، فكلهم حاربه أهل فاس وحاصرها حتى في أيام الأدارسة معمريها (3x).

(حصارات ضربت على فاس في العهد الادريسي)

وأول من حصارها في أيامهم، عبد الرزاق الوشقي الأندلسي(196) إلى أن دخلها عليهم عنوة.

ثم حاصرها في أيامهم قائد عبيد الله المهدي صاحب القيروان، وهو« مصالة بن حبوس الكتامي» (197) إلى أن دخلوا (4x) في حكمه. وخلع نفسه« يحيى بن إدريس بن عمر(198) وبايع « المهدي»، واقتطع عمل الأدارسة عام عشرة (5x) وثلاثمائة.

وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وجه المهدي ولده« أبا القاسم القائم» في عساكر صنهاجة وكتامة، وحاصر فاسا الى أن دخلت في حكمه. وولى عليها «موسى بن أبي العافية» (199) وعلى المغرب كله، وأخرج الأدارسة من فاس، فتفرقوا في البلاد.

وفي عام تسعة عشر وثلاثمائة، طردوا (6x) عمال الشيعة من فاس والمغرب (200)، فوجه المهدي قائده«حميد بن يصل الكتامي» في العساكر، ودوخ المغرب، وحاصر فاسا الى أن دخلت في حكمه، وولى عليها« حامد بن حمدان الهمداني» قائما بدعوة الشيعة (201). ثم ثاربه« عبد الرحمان بن أبي بكر بن سهل الجذامي»، فقتله (202)، وأقام بها عاملا لموسى بن أبي العافية، الى أن قدم (7x) «ميسور الخصي» قائد المهدي وحاصر فاسا (203) إلى أن صالحوه على مال، وبايعوا لسيده المهدي، وولى عليهم عامله « حسن بن قاسم اللواتي»عام

(x 1) ب، ز، ج وحسن.

(x 2) «وملوكهم » سقط من (ك).

(x 3) « معمروها » في جميع النسخ المعتمدة.

(x 4) كذا في جميع النسخ المعتمدة، والمقصود « الادارسة».

(x 5) ب، ز، ج عشرين.

(x 6) « اطردوا » في باقي النسخ المعتمدة

(x 7) « عليه» في باقي النسخ المعتمدة.

واحد وعشرين وثلاثمائة (204) .

وفي أيام « المعز العبيدي » (205)، وجه للمغرب « جوهر الصقلبي» (206) في العساكر، فدوخه وحاصر فاسا الى أن دخلها عليهم عنوة، وقتل رجالها واستباحها، وخطبوا به (1x)، وكتبوا اسمه على سكتهم. وولى عليهم موسى بن أبي العافية وعلى أعمال فاس كلها(207). وولى على البصرة (208) وعمل الأدارسة الحسن بن گنون (209) شيخ بني محمد.

(حصارات ضربت على فاس في عهد مغراوة وبني يفرن)

وفي عام اثنين وخمسين وثلاثمائة، وجه المعز العبيدي قائده« زيري بن مناد » الصنهاجي في العساكر، فقصد المغرب لحرب مغراوة أمراء بني أمية بالمغرب، فلقيه «محمد بن الخير» في جموعه، فهزمهم وقتل محمدا وأمراءه، وبدد شملهم وحاصر فاسا الى أن دخلت في حكمه(210).

وبلغ أنفا إلى أن قضى غرضه من جهاد برغواطة (211) ورجع للقيروان، فرجع لها مغراوة قائمين بدعوة بني أمية، وأميرهم زيري بن عطية.

ولما فسد ما بين زيري وبين «المنصور بن أبي عامر» (212) وشمر لحربه، وجه له ولده «عبد الملك (213) المظفر، فهزمه وشرده إلى الصحراء، وحاصر فاسا إلى أن دخلت في حكمه (214).

ولما مات زيري (215)، عقد عبد الملك لولده المعز بن زيري (216)، واكتفى به في أمر المغرب إلى أن مات عام سبعة عشر وأربعمائة، فبويع ابن عمه «حمامة» (217) مستقلا. وعمرت فاس في أيامه، وبنيت بها الفنادق والحمامات.

ونازعه ملكها «أبو الكمال تميم اليفرني» (218) صاحب سلا. وحاصر فاسا الى أن غلبه عليها، وفر لتلمسان ودخلها (2x) عنوة، فاستباح يهودها، وقتلهم وأخذ أموالهم إلى أن قدم حمامة من تلمسان بجموع مغراوة وزناتة، فحاصر تميما بها، وحاربه (x 3) إلى أن غلبه عليها. وفر عنها الى محل إمارته، بسلا، ودخلها (4x) حمامة فأقام بها الى أن زحف إليه صاحب القلعة (219) «القائد ابن حماد » (220) الصنهاجي، وحاصره بها الى أن تمسك بطاعته، وصالحه على مال عام ثلاثين وأربعمائة، وأقام بها إلى أن مات عام واحد وثلاثين وأربعمائة (221). وبويع ولده «دوناس» (222)، فقام عليه ابن عمه حماد، و حاصره بفاس،وقطع الماء عن القرويين، وبنى عليه السياج المعروف بسياج حماد (223) وهو الخندق، إلى أن مات في الحصار.

(1 x) « به» سقطت من باقي النسخ المعتمدة.

(2 x) الضمير هنا يعود على مدينة فاس.

(3 x) ج وضاربه.

(4 x) «ودخلها » زيدت في طرة (ک) بتصحيح.

فصلحت أحوال دوناس، وفتحت فاس وزادت عمارتها، وقصدها / 16 د/ التجار، وبنيت بها الأرباض والحمامات والفنادق، وتبحرت وذلك عام خمسة وثلاثين وأربعمائة (224). ومات معنصر (225) عام خمسين وأربعمائة، وبويع ولده« الفتوح» (226)، ونازعه أخوه (1x) «عجيسة»، ودام الحرب بينهما الى أن غدره الفتوح، واستقل (227).

فقصده« بلكين بن حماد » صاحب القلعة، وحاصر فاسا الى أن أذعنوا لطاعته، وقبض على أعيانهم وأشرافهم وأخذهم معه رهنا على الطاعة، فكان آخر العهد بهم، وذلك عام أربعة وخمسين وأربعمائة (228)، فتخلى الفتوح عن الملك، وبويع معنصر بن حماد (229)، الى أن حاصره لمتونة عام خمسة وخمسين وأربعمائة (230) وحاربهم معنصر الى أن غلب، وفر لصدينة (231).

(حصارات ضربت على فاس في عهد المرابطين)

وملكها المرابطون، وأنزل بها « يوسف» (232) عامله وعسكره، وتوجه لفتح بلاد غمارة(233)، فرجع معنصر ودخلها، وقتل عامل يوسف وعسكره. ولما فرغ يوسف من فتح بلاد غمارة، قصدها، ونزل عليها وحاصرها الحصار الطويل، الى أن دخلها عنوة بعد حصار سبعة أعوام، عام سبعة وخمسين وأربعمائة (234)- وكان أميرها معنصر مات في الحصار في الحرب، وبويع تميم بن معنصر(235) - ولما دخلها يوسف، قتله وقتل من بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة أزيد من عشرة آلاف،وهدم [أسوارهما وصيرهما] (x 2) مصرا واحدا، وبنى سورها، وأمر ببناء المساجد في كل حومة وشارع.

(حصارات ضربت على فاس في عهد الموحدين)

ثم لما بويع «عبد المومن بن علي الكومي» (236)، تخلف أهل فاس عن بيعته، فنزل عليها وحاصرها (237)، وبنى الأسداد على الوادي، وحصره الى أن امتلأت تلك البسائط، فدفعوا(3x) له أهل الجرائم، وهتكوا الأسداد، فهتك الواد (x 4) سور المدينة، وهدم دورا لا تحصى، ومات فيها خلق كثير، ودخل العسكر على المدينة عنوة، وقتلوا وسبوا، وقبض عبد المومن على أعيانهم وأشرافهم وفقهائهم، فقتلهم، وترك باقيهم حفاة عراة (238).

(1 x) ب، ج، ك. اخاه

(2 x) (د) اسوارها وصيرها. والصواب ما اثبتناه من باقي النسخ المعتمدة،إذ المقصود هدم اسوار العدوتين.

(3 x) « فدفع» في باقي النسخ المعتمدة.

(4 x) الوادي» في جميع النسخ المعتمدة.

(حصارات ضربت على فاس في عهد المرينيين) (*)

وفي أول دولة بني مرين، حاصرها « أبو بكر بن عبد الحق المريني » (239) مرتين(240). ولما دخلها. قتل أعيانها، وكلف الباقون بدفع المال. واستقام (x 1) حالهم بقية أيام بني مرين.

(حصارات ضربت على فاس في عهد السعديين)(*)

إلى أن حاصرها محمد الشيخ مرتين (241)، وقتل الأعيان والفقهاء.

وحاصرها زيدان السعدي (242)، وحاصرها محمد الشيخ بن المنصور(243)، وحاصرها الشيخ ابن زيدان، الى أن وقعت الفترة أيام الثوار، فحاصرها محمدالحاج (244).

(حصارات ضربت على فاس في عهد العلويين)(*)

وباقي حصارها في الدولة العلوية، تسمعه تفصيلا في دولة السلطان رشيد والسلطان إسماعيل، والملوك من أولاده، كلهم حاصرها المرة بعد المرة (2x). ووقع لأهلها من الفضائح والعقوبات ما لم يقع لأحدمن [أهل] (x 3) حواضر المشرق والمغرب. وما استراحوا إلا في دولة سيدي محمد بن عبد الله (245) رحمه الله،وفي دولة ولده مولاي سليمان لسياستهما وحسن ملكتهما، وإعراضهما عن جهلهم. انتهى.

(محمد الحاج يولي التاملي على فاس) (*)

رجوعا لخبر محمد الحاج: وفي عام اثنين وخمسين وألف، ولى محمد الحاج على فاس أبا(4x) بكر التاملي، وأنزله بفاس الجديد، وأنزل معه عسكرا من أهل تافيلالت.

(استطراد : الخبر عن سلاطين آل عثمان) (*)

وفيه ورد الخبر باستيلاء السلطان سليمان العثماني (248) على جزيرة «المورة».

وحيث جرت بنا سوابق الاقلام لذكر (x 5) ملوك آل عثمان، فلا بد من استطراد ذكر من تقدم من ملوكهم، ليكون الكتاب شاملا لدولتهم، اذ هم معاصرون لهذه الدولة العلوية.

(1x) « فاستقام» في باقي النسخ المعتمدة

(2 x) « المرة والمرتين » في باقي النسخ المعتمدة .

(3 x) سقط من (د)

(4 x) « ابو» في جميع النسخ المعتمدة

(5 x) « دولة » في باقي النسخ المعتمدة

(*) العناوين المحصورة بين قوسين، اضفناها لتسهيل القراءة .

(سليمان التركماني جد سلاطين آل عثمان)(*)

فأول من دخل منهم لبلاد الروم « سليمان شاه التركماني » (249). كانوا بما وراء النهر، ولما خرج« جنكيز خان» (250) سلطان التتر من الصين (x 1) بجموعه، ودخل بلاد العجم، وأباد ملوكهم. وكان أعظم ملوك الاسلام السلطان«خوارزم شاه»، فقابل التتر بجموعه، ووقعت عليه الهزيمة، ومات (251)، واستولى «جنكيز خان» على بلاده وأمواله.فانتقل سليمان /17 د/ شاه باخوانه من التركمان، ونزل على السلطان« علاء الدين كَيْقُباد » (252) السلجوقي، فأعطاه بلاد« أنقورية» (253) من بلاد الروم. ونزلها وجعله أميرا على الغزاة، وذلك عام ستة عشر وستمائة (254) أيام دخول عبد الحق المريني (255) للمغرب.

واشتغل سليمان شاه بغزو الروم الى أن مات عام ثلاثين وستمائة (256)، في أيام الخليفة أحمد الناصر لدين الله العباسي(257)، وكانوا مقيمين لدعوته.

(أرطغرل بن سليمان شاه التركماني) (*)

وولى عـلاء الدين على إمـرة الغـزاة ولده أرطغل (2x) (258).ومات عام ثمانية وستين وستمائة(259).

(1: السلطان العثماني عثمان بن ارطغرل)(*)

فوجه السلطان علاء الدين لولده عثمان (260) علما وطبلا وسيفا وفرسا (x 3) وعقد له على بلاده مضافة لرياسة الغزاة. وهو جد آل عثمان، ووافقت أيامه أيـــام « يعقوب المنصور المريني» (261).

ولما مات علاء الدين السلجوقي وتولى « غياث الدين قُلج أرسلان» (262)، عقد لعثمان على بلاده (ورياسة المجاهدين، وكان مشتغلا بجهاد الكفار ويوجه الأموال والسبي للسلطان أرسلان. ولما دخل التتر بلاد آل سلجوق، ووقع المصاف بينهم وبين) (4x) أرسلان، انهزمت عساكر أرسلان وأسروه، ولما حصل في أيديهم، قتل نفسه.

(x 1) ب للصين

(x 2) ك ان طغل

(x 3) « وفرسا » سقطت من باقي النسخ المعتمدة.

(x 4) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح.

(*) العناوين المحصورة بين قوسين، اضفناها لتسهيل القراءة

ولما ضعف أمرآل سلجوق، لم (x 1) يبق مقيما لدعوتهم من الأمراء غير عثمان شاه، فجمع الجموع وقصد التتر وحاربه الى أن هزمه على (2x) بلاد الروم، فبايعه أكثر أهل الاسلام بالسلطنة، وذلك عام تسعة وتسعين وستمائة، في أيام السلطان يوسف بن المنصورالمريني(263).

ولما تم له (3x) أمر السلطنة، جمع الجموع وقصد بلاد الروم بالانضولي (264)، ففتح البلدان الى أن بلغ « قونية » (265). ولما فتحها، صيرها دار ملكه، واستمريفتح البلاد في كل عام الى أن بلغ « برصة» (266)، ولما فتحها، انتقل لها وبنى بها المساجد والمدارس، وصيرها دار ملكه الى أن مات عام ستة وعشرين وسبعمائة.

(2: السلطان العثماني أورخان الاول)

وبويع ولده السلطان أورخان (267) في أيام السلطان أبي سعيد عثمان المريني (268)، ومات عام واحد وستين وسبعمائة.

(3: السلطان العثماني مراد الأول)

وبويع ولده السلطان مراد (269) في أيام السلطان إبراهيم المريني(270)، ومات عام اثنين وتسعين وسبعمائة (271).

(4: السلطان العثماني بايزيد الأول)

وبويع ولده « أبا يزيد الاول» (272) في أيام السلطان « أحمد المريني» (273)، ومات عام أربعة وثمانمائة (274)، وهو الذي اسره « تيمور» ومات في أسره [في] (4x) أيام السلطان «أبي سعيد عثمان الثاني» (275).

(5: السلطان العثماني محمد الأول)

وبويع ولده السلطان « محمد الأول» (276)، ومات عام ثمانية وعشرين وثمانمائة (277) في أيام السلطان « عبد الحق الثاني» المريني(278).

(6: السلطان العثماني مراد الثاني)

وبويع ولده السلطان « مراد الثاني» (279)، ومات عام خمسة وخمسين وثمانمائة في أيام (السلطان «عبد الحق» أيضا) (x 5).

(1 x) د ولم.

(2 x) عن في باقي النسخ ا لمعتمدة.

(3 x) « له » سقطت من (ك)

(4 x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

(5 x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) (ز) بتصحيح.

(7: السلطان العثماني محمد الفاتح) (*)

وبويع ولده السلطان« محمد الفاتح» (280)، وهو الذي فتح الاسطنبول في أيام [السلطان] (x 1) عبد الحق (281) بن أبي سعيد المريني، ومات عام خمسة وثمانين وثمانمائة(282) (في أيام محمد الشيخ الوطاسي) (x 2) (283).

(8: السطان العثماني بايزيد الثاني) (*)

وبويع ولده السلطان « أبا يزيد الثاني» (284)، ومات عام ثمانية عشر وتسعمائة، في أيام محمد بن محمد الشيخ الوطاسي (285).

(9: السلطان العثماني سليم الأول) (*)

وبويع ولده السلطان « سليم» (286)، وهو الذي استولى على مصر والشام وحلب،وقبض على الخليفة العباسي« محمد بن يعقوب المستمسك» (287)، وسجنه بالاسطنبول عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة. ولما قربت وفاة السلطان سليم، سرحه ووجهه لمصر ورتب له ستين درهما كل يوم تعطاه من خراج مصر له ولعقبه (288). ومات سليم عام ستة وعشرين وتسعمائة.

(10: السلطان العثماني سليمان القانوني)(*)

وبويع ولده السلطان سليمان (289) المذكور آنفا في أيام السلطان « أحمد / 18 د/ الوطاسي» (290) وأيام «أحمد الأعرج» (291) السعدي بمراكش.

وفي عام خمسة وثلاثين وتسعمائة (292)، نزلت عمارة السلطان سليمان بمرسى (3x) الجزائر، وحاربوا الكفار الذين بها برا و بحرا إلى أن فتحها الله على المسلمين. ودخلها« خير الدين باشا » (293)، واستوطنها واستولى على نواحيها.

وفي عام واحد وخمسين وتسعمائة، استولى خير الدين باشا على تلمسان وأحوازها، وأخرج منها أحمد بن عبد الله الزياني.

(ملخص الأحداث التي كانت بالمغرب في عهد السعديين وما وازاها ببلاد الترك)

وفيها غلب محمد الشيخ أخاه أحمد الأعرج (على مراكش)(4x)، وخلعه وولاه أمر سجلماسة (294).

(1x) ما بين معقوفين سقط من (د)

(2 x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) وسقط من (ج) (ک).

(3 x) « بمرسة» في باقي النسخ ا لمعتمدة.

(4 x) ما بين قوسين سقط من (ک)

(*) العناوين المحصورة بين قوسين، اضفناها لتسهيل القراءة.

وفيها أسر محمد الشيخ السلطان أحمد الوطاسي في الحرب، وتوجه به لمراكش (295). وفي عام خمسة (x1) وخمسين وتسعمائة، استولى محمد الشيخ على فاس(296)، وفر الأمير أبو(2x) حسون الوطاسي لبلاد الاسبنيول، فأعطوه مالا وتوجه للجزائر، فأتى بخمسة آلاف من الترك، وحارب محمد الشيخ الى أن هزمه، وملك فاسا، وبويع بها، ورجع الترك لبلادهم عام ستين وتسعمائة.

وفي عام واحد وستين وتسعمائة، قدم محمد الشيخ من مراكش بالعساكر،وحاربه أبو حسون الى أن قتل في الحرب، وملك الشيخ فاسا.

وفي عام أربعة وستين وتسعمائة، غدر الأتراك محمد الشيخ، وقطعوا رأسه، وتوجهوا به للسلطان سليمان للاسطنبول. وهو الذي فتح رودس(297) وطرابلس، (وحلق الوادي من تونس)(3x) والجزائر (298)، ومات عام خمسة وسبعين وتسعمائة (299).

وبويع ولده السلطان سليم الثاني (300)، في أيام السلطان عبد الله الغالب السعدي. وفي أيامه، دخل « حسن بن خير الدين » (301) باشا الجزائر بمحلةالأتراك للغرب، وبلغ الى وادي اللبن (302)، فهزمهم عبد الله الغالب، ورجعوا.

وهو الذي أمر باشا الجزائر بتوجيه المحلة مع السلطان عبد الملك السعدي وأخيه (4x) أحمد المنصور للغرب، فدخلا بها (303).

وملك عبد الملك الغرب؛ ولم يوجه مكافأة ولا هدية (304)، ثم ملك بعده أحمد المنصور، فأهمل القضية.

ولما وقعت غزوة وادي المخازن، كتب السلطان مراد (305) لأحمد المنصور يهنيه بالملك والفتح، ووجه له هدية (306)، فلم يكافه عليها، فوشى به الويز علوج علي باشا (307)، وكان يبغضه. وقال للسلطان :«ضاع صنيعك في هذا الغادر الذي وجهت له، وضاع صنيع والدك من قبلك». وفتل له في الذروة والغارب الى أن أذن له السلطان في توجيه العمارة للجزائر(308) وتبقى المراكب بها، ويتوجه بالمحلة (5x) في البر للغرب.

فكتب بذلك قونصو الإنجليز للسلطان أحمد المنصور، فوجه هديته في مركب من مراكبه مع القائد « أحمد بن ودة » و الكاتب « الهوزالي » (309)، وكتب له بالعذر واستعطفه ولقيهم «علي العلج» (310) بالبحر، فرد المركب ووجه الهدية في مركب من مراكبه مع الهوزالي احتقره

(1 x) «خمسة» سقطت من (ك)

(2 x) ب، ز، ج، ك بن.

(3 x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ المعتمدة

(4 x) « واخاه» في جميع النسخ ا لمعتمدة.

(5 x) « بالمحلة» سقطت من (ك).

لصغر سنه. فلما بلغ، أبدى وأعاد في العذر عن مرسله، فكتب لعلي باشا في الرجوع،فرجع من (x 1) الجزائر.

ولما بلغ الهوزالي للمنصور، رفع مرتبته وزاد في كرامته، وولاه قيادة القواد (2x). ومات سليم عام اثنين وثمانين وتسعمائة (311)، وبويع ولده السلطان «مراد الثالث» (312) في أيام السلطان « عبد الملك [المعتصم] (3x) السعدي»، ومات عام ثلاثة (4x) وألف، وبويع ولده السلطان (5x) محمد الثالث (313)، في أيام السلطان أحمد المنصور السعدي. ومات عام اثني (6x) عشر وألف. وفيه مات المنصورالسعدي.

وبويع ولد السلطان محمد، السلطان« أحمد الأول» (314) في دولة (x 7) السلطان «زيدان السعدي». ومات عام ستة وعشرين وألف.

وبويع أخوه (x 8) السلطان « مصطفى الأول» (315)، وخلع عام سبعة وعشرين وألف (316). (في أيام زيدان ايضا) (x 9).

وبويع السلطان عثمان بن أحمد (317)، ولما أراد السفر للحج، خلعوه وقتلوه (318) / 19 د/ وبايعوا السلطان مصطفى المخلوع ثانية عام واحد وثلاثين وألف في أيام السلطان عبد الله بن الشيخ السعدي (بفاس، وزيدان بمراكش)(x 9)، وخلعوه (319) وبويع السلطان مراد بن أحمد(320)، وهو الذي قتل الأمراء [والوزراء] (3x) ونحو العشرين ألفا من أعيان العساكر الذين قتلوا أخاه السلطان عثمان.

وهو الذي استرجع بغداد لأهل السنة، بعد أن استولى عليها رافضة القزلباش، وبقيت تحت حكمهم ثمان عشرة سنة، لا تقام فيها جمعة ولا جماعة ولا سنة عيد، ولا يرضى عن الخلفاء فيها (321)، ومات عام تسعة وأربعين وألف في أيام الفترة بالمغرب، واستبداد الثوار كل بناحية؛ كان بالمغرب محمد الحاج (322)، وبمراكش محمد الشيخ بن زيدان (323).

(1 x) ك في.
(2 x) ج القياد.
(3 x) سقط من (د)
(4 x) « ثلاثين» في باقي النسخ ا لمعتمدة. والصواب ما في (د)
(5x) « السلطان » سقط من (ك).
(6x) د، أ اثنا.
(7x) ج أيام.
(8x) « اخاه» في جميع النسخ المعتمدة.
(9x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) (ز) بتصحيح.

وبويع أخوه السلطان « إبراهيم بن أحمد » (324)، وعزلوه عام سبعة وخمسين وألف (325)، في أيام محمد الشيخ ومحمد الحاج ومحمد بن الشريف.

وبويع ولده السلطان « محمد الرابع » (326)، وعزلوه عام تسعة وتسعين وألف.

وبويع أخوه (x 1) السلطان سليمان الثاني (327)، في أيام السلطان إسماعيل العلوي. وباقي ملكوهم، رسمناها (كذا)، كل واحد في دولة من دول (x 2) العلويين، فلينظر في محله.

(محمد الحاج الدلائي يولي ابنه أحمد على فاس)

وفي عام خمسة وخمسين وألف، ولى محمد الحاج على أهل فاس (x 3) ولده « أحمد » (328) وأنزله بفاس الجديد خليفته (x 4) عليهم. واشتغل بشن الغارة على كل من يخالفه في الغرب.

(استطراد: السلطان ابراهيم الأول يفتح جزيرة كريت)

وفي هذه السنة، فتح السلطان « إبراهيم بن أحمد العثماني » جزيرة « المورة » (329)، وعمرها المسلمون. والسبب في ذلك، أنه لما تولى الخلافة، وكان قائد عبيد الدار للملوك قبله بلغ الغاية في المال والثروة، فنفاه السلطان إبراهيم لمكة، فجمع أمواله وأسبابه ودخائره، وحملها في ثلاثة مراكب وسافر في البحر، فلقيه قراصين « كندية »، فأخذوه وأسروه.

فلما بلغ ذلك للسلطان إبراهيم، قام له وقعد وأنف من ذلك، وأمر بسفر العمارة، ووجه لأهل السواحل، طرابلس وتونس والجزائر، فأتوا بمراكبهم ونزلوا على جزيرة كندية (330) برا وبحرا، ونصبوا آلة الحرب على مدينتها العظمى، وحاربوها شهرا كاملا إلى أن ضاق الحال بأهلها، فطلبوا الأمان من أمير العمارة، فأمنهم ثلاثة أيام، وخرجوا لبلاد النصارى بأولادهم، ومن عجز عن الخروج ضربت عليه الجزية، وعمر كنائسها مساجد ومدارس، وعمر قلعها وقراها (x 5) بعساكر الاسلام، وكتب الله (x 6) ثوابها في صحيفته.

واستمر ولد محمد الحاج خليفة على المغرب إلى عام ستين وألف، فاستولى على الغرب كله غير مراكشة وسجلماسة، ووافق ذلك دولة السلطان« محمد بن إبراهيم العثماني » (331).

(x 1) « اخاه » في جميع النسخ المعتمدة.
(x 2) أ دولة.
(x 3) ز، ك فارس.
(x 4) « خليفة» في باقي النسخ المعتمدة.
(x 5) ب وقرارها.
(x 6) « له» في باقي النسخ المعتمدة.

(مولاي محمد بن الشريف يأسر عامل الدلائيين بفاس) (*)

وفيه وقع الحرب بين أهل فاس القديم والجديد، وقطع أبو بكر التاملي(332) الماء على (1x) أهل فاس، فبعثوا إلى مولاي محمد بن الشريف يستنصرونه (2x)، فقدم عليهم [وبايعوه] (3x) في رجب العام. ودخل لفاس الجديد، فقبض على أبي بكر التاملي وسجنه.

(معركة ظهر رمكة بين مولاي محمد بن الشريف ومحمد الحاج الدلائي)(*)

وفي شعبان، جاءه محمد الحاج بجموع البربر، فحاربهم مولاي محمد (333) يوما، وضعف عنهم ورجع لبلاده، فلما رأى (x 4) أهل فاس ذلك، نقضوا بيعته.

(قتال بين أهل فاس القديم والجديد) (*)

واشتغلوا بالحرب مع أهل فاس الجديد أصحاب التاملي، فمات في ذلك الحرب أعيان أهل فاس، منهم « عبد الكريم الليريني» (334) كبير فاس، و « محمد بن سليمان» (335) وغيرهما. وقطع التاملي عنهم الماء، فرجعوا لبيعة محمد الحاج (x 5).

(محمد الحاج يولي ابنه أحمد على فاس) (*)

فولى عليهم ولده أحمد (336)، وأمرهم باخراج الجناة من ضريح مولانا إدريس، فتعصب لهم «علي بن إدريس الجوطي» (337)، فحاصره الوالي، وأخرجوه بالأمان لزاوية المخفية (338)، ومنها خرج عن فاس.

(خروج قبائل الغرب وبني حسن عن طاعة محمد الحاج) (*)

وفي عام واحد وستين وألف، اجتمع أهل الغرب وبنو حسن (339)، ونزلوا بمحلتهم بأحواز سلا بقصد (6x) حرب (7x) محمد الحاج، وأميرهم الشيخ الدقاق، فقدم عليهم عبد الله (340) ولد محمد الحاج بجموع البربر / 20 د/ فكان اللقاء على واد الشراط (341)، ووقع القتال، فانهزم العرب، ووقع فيهم مقتلة عظيمة، ونهبت حللهم وأموالهم، وقاموا بدعوة محمد الحاج من يومئذ.

(x 1) «عن» في باقي النسخ المعتمدة

(x 2) « يستصرخونه» في باقي النسخ المعتمدة.

(x 3) سقط من (د)

(x 4) «رأى» سقطت من (أ).

(x 5) «الحاج» سقطت من (ك)

(x 6) ك فقصد.

(x 7) « حرب » زيدت في طرة (ز) بتصحيح.

(*) العناوين التي بين قوسين من اضافة المحقق.

(استغاثة أهل فاس بالدلائيين) (*)

وفي عام اثنين وستين وألف، توجه أعيان أهل فاس وعلماؤهم وأشرافهم وأعيانهم (1x)، لزاوية الد لائي يتظلمون من الحيا ينة (342) فوجه معهم محمد الحاج ولده بمحلة البربر، وأمرهم بشراء الخيل والإكثار منها، ويتوجهوا مع المحلة، فخرجوا من فاس على غرة، فنهبوا الحيانية، وأتوا بمالهم وسبيهم (343)، إلى أن افتدوه بالمال وأعطوا الرهن على طاعة محمد الحاج.

(قيام الخضر غيلان ببلاد الفحص) (*)

وفي عام ثلاثة وستين وألف، قام « الخضر غيلان الجرفطي» (344) بالفحص (345)، وحارب أهل القصر (346)، ودخله عنوة، وقتل به خلقا كثيرا ،وفر الكثير منهم لفاس.

(محمد الحاج يولي ابنه محمداً على فاس) (*)

وفي عام أربعة وستين وألف، مات أحمد بن محمد الحاج الخليفة بفاس (347)، فولى عليهم ولده محمدا (348).

وفي عام خمسة وستين وتسعمائة (x 2)، مات « أحمد العباس السعدي» (349)، وبموته انقرضت دولتهم .

(استطراد: حرب بين الدولة العثمانية وجمهورية البندقية) (*)

وفي عام ستة وستين وتسعمائة (3x)، وقعت فتنة عظيمة بالاسطنبول، وهرج كثير، تصدهم الكفار من البحر الأسود والأخضر(350)، وقطعوا عنهم الميـرة (351)، وملكوا البوغازين(352)، وبقي المسلمون في القفص يموج بعضهم في بعض (353)، وذلك أول فساد وقع في دولتهم، وانحل نظامهم الى أن جبر الله صدعهم بقيام الوزير« محمد باشا الكلبولي» (354)، قام لرقع (x 4) خرقهم، وقتل المفسدين في الدولة، وخرج للكفار فبدد شملهم،وسرح لهم الميرة من البحرين.

وفي عام سبعة وستين وألف. كانت هزيمة الكفار على يد هذا الوزير الأعظم (355).

(1 x) « وأعيانهم » سقطت من باقي النسخ المعتمدة.

(2 x) جرة قلم من المؤلف أو من النساخ، والصواب « وألف».

(3 x) جرة قلم من المؤلف أو من النساخ، والصواب « والف »

(4 x) كـ لرفع.

(*) العناوين المحصورة بين قوسين من اضافتنا لتسهيل القراءة، ولا حاجة للتعليق على ذلك في الابواب القادمة.

(وفاة مولاي الشريف بن علي)(*)

وفي عام تسعة وستين وألف، مات « مولاي الشريف بن علي » (356) بسجلماسة، ورثاه الشريف العلامة مولاي « محمد بن المبارك » بهذه القصيدة الغراء،(وهي طويلة، وأولها)(1x).

اللــه أكبــر مـــا أودى بــه الــقـــــدر … مـن حادث عـجـزت عـن دفـعـه القـُدَرُ
وما أجــل مـصـابـا حــل سـاحتنـا … عـــم أذاه الـورى فـالكــل منبهـــرُ
مصاب مِنْ فُجْعِ الإســـلام فيــه علـــى … رغم الأنـــوف وفاجـــأ الذي حــــذرُ
من موت سيـــدنا الأسـمى ومـا لكنـــا … الأحمى ومــن بعـــلاه الــدهـــر يفتخـرُ
كهف المســاكين مـولانا الشـريـف بن مـو … لا نـــا علي عـلا صيـتا لـــه خـبــرُ
واللــه لولا الخليــفـــة الهـمـام ومـــو … لانـــا الإمام لـكـاد القـلـــب ينـفـطرُ
سليله الـشـهـم مـولانـــا محمـد مـــن … بوسمه واســمــه نســمــو ونتنـتـصــرُ
ومن هـو الطـود والـركن الـوثـيـق لنـا … واليمن والأمـن وهـــو الســمـع والبـصـرُ
ما مات من مثـلـكـم يبقـى لـه خلـفـا … والفرع يربو على الأصل كما ذكــروا (2x)

(1 x) « التي أولها، وهي طويلة » في باقي النسخ المعتمدة، وعبارة « وهي طويلة » سقطت مـن (ج).

(2 x) ب، ز، ك ذكر.

(*) اضفنا العناوين المحصورة بين قوسين لتسهيل القراءة، ولا حاجة للتعليق على ذلك في الابواب القادمة.

التعاليق والهوامش

(1) انظر مقدمة التحقيق ص 135 .

(2) التقسيم الذي ذكره المؤلف هنا، ينبني على المنهج الذي يسلكه اصحاب كتب التراجم في تقسيمهم الأعلام الى طبقات حسب التسلسل الزمني .

(3) انظر مقدمة التحقيق ص 91 وما بعدها .

(4) 1811م، وفي (أ) « تسع وثلاثين ومائتين وألف» وهو مطابق لما في « الروضة السليمانية »مخ، خع. و : 3 .

(5) « الكورة »: أصل الكلمة فارسي، وتطلق على كل صقع يشتمل على مجموعة من القرى لها قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها. ياقوت. معجم البلدان 1 : 36 . ويقصد المؤلف بها هنا « المعمور من الأرض » حسب تعبيره . الترجمانة ص 288 .

(6) الينبع : مجموعة قرى بأرض الحجاز اشتهرت بكثرة عيونها ونخيلها، وهي موطن شرفاء بني علي كرم الله وجهه . الروض المعطار ص 621 . ياقوت 5 :449 – 450

(7) اسم لمدينة بالجنوب الشرقي من المغرب على نهر وادي زيز بالمنطقة المعروفة بتافيلالت. يبدو أن وضعها التاريخي والعمراني عرف تغييرا كبيرا فيما بين وصول الحسن الداخل إليها وزمن تأليف هذا الكتاب، بحيث اندثرت المدينة، وصار اسمها علما على الإقليم المحيط بها . التقاط الدرر ص 141 هامش 2 .

(8) 1266 م أو 665 هـ / 1267 م، حسب اختلاف المصادر. انظر : الدرالسني ص 52 . نشر المثاني 1 : 31 . روضة التعريف ص 12 . الشجرة الزكية. مخ خع ص 287. الدرر البهية 1: 53.

(9) عن هذا النسب الشريف، انظر : الدرالسني ص 52 . نزهة الحادي ص 288. الأنوار الحسنية ص 27 . الشجرة الزكية مخ خع ص 287 – 289 . الدر المنضد مخ خع و 89 - 96، المنزع اللطيف مخ خع ص 12 . شجرة أنساب شرفاء مدغرة . مخطوط خاص.

(10) أحد أعلام الفكر بالمغرب، اشتهر خاصة بعلم الأنساب، وله في ذلك عدة تآليف اعتمد عليها كثير من الباحثين المعاصرين له والمتأخرين كمؤرخ وفقيه.. توفي بفاس في ربيع الأول 1110 هـ / 1697 م. التقاط الدرر ص 275، هامش 2 .

(11) وردت هذه الأبيات في الدر السني ص 58 . وفي طرة (ب) (ز) ما يلي: « مثل هذا العمود الشريف، وجدته بخط أبي رحمه الله ناقلا له من خط أخيه العلامة قاضي الجماعة بحضرة مكناسة الزيتون أمنها الله، ولا ية الامام أبي عبد الله سيدي محمد رحمه الله، والد

إمام وقتنا هذا، العلامة سيدنا ومولانا سليمان . أبي محمد عبد القادر، وتوفي عام 1187 هـ بالمحرم على قضائه. ودفن أمام الولي سيدي الحسن بن مبارك رحمه الله، الا أن فيه إشكالا، لأن محمد الشهير بالنفس الزكية، لم يعرف في أولاد صلبه القاسم، ولم يذكره الزبير بن بكار علامة قريش ونسابتها، والصواب ما في « تحفة الطالب، بمعرفة من ينسب الى عبد الله وأبي طالب » « تأليف » سيدي محمد ابن الحسين بن عبد الله الشريف الحسني المكي، ثم مولد المدني منشأ، السمرقندي أصلا، أن القاسم من أحفاد النفس الزكية، لأنه القاسم بن الحسن بن محمد الكابلي بن عبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية ». انتهى ما وجدته مقيدا من خط الشيخ المسناوي، والله يغفر لكاتبه أحمد بن عبد المالك، آمين وللمسلمين أجمعين.

(12) المؤسس الحقيقي لدولة بني مرين بالمغرب. حكم من 556 هـ الى تاريخ وفاته عام 685 هـ/ 1286م. الدخيرة السنية ص 85، روض القرطاس ص 297 . روضة النسرين ص 17، ابن خلدون 7 : 234 . جذوة الاقتباس 2 :556 .

EL KABLI, Société, Pouvoir et religion chapitre II

(13) « أولاد البشير » في بعض المصادر، وهم إحدى القبائل العربية المنتسبة الى أبي ايوب الأنصاري. نزل بعضهم بقرية « بشير» بصحراء وادي الساورة في أول الأمر ثم تفرقوا في بلاد سجلماسة. وقد كانوا مقيمين بتافيلالت أثناء وصول الحسن الداخل إليها .

الدرالسني ص 52 . الشجرة الزكية مخ خع ص 292 . تقييد القادري مخ خع ص 249 . الدرر البهية 1 :77 .

(14) ورد اسم هذه القبيلة حسب تنوع المصادر تحت أسمـاء مختلفـة :« المغزاري» و « المتراوي » و « المزاري» و « المنزاري» و « الميزار». وهي قبيلة عربية تنتسب إلى أبي أيوب الأنصاري، نزلت أول الأمر ببحائر الأنصار، وبـدشر « أولاد الميزار»، ثم تفرقت ببلاد سجلماسة، وهي التي صاهرت الحسن الداخل. انظر المصادر السابقة (هامش 13). نفس الصفحات.

(15) هناك روايات متعددة حول سبب مجيء الشرفاء العلويين من المشرق الى المغرب، وللمزيد من التفاصيل انظر : الانوار الحسنية ص 26، نزهة الحـادي 289 - 296. اكنسوس. الجيش 1 :47 . الشجرة الزكية ص 290 - 301 . الدرر البهية 1 : 54 .

(16) أحد رؤساء سجلماسة في العهد المريني، وشيخ الركب النبوي بها، وهو قرشي الأصل، من ذرية عمر بن الخطاب. اشتهر بتقديره الكبير، واحترامه لآل البيت.

الشجرة الزكية مخطوط خع ص 289 - 290، الدرر البهية 1 : 51 .

(17) أحد شرفاء سجلماسة وفقهائها. توفي بها في أواسط القرن 8 هـ / 14م، وقبره هناك مقصود للزيارة . الشجرة الزكية ص 301، الدرر البهية 1 : 77 - 78 .

(18) مولاي الحسن هذا، هو الذي كان يترأس زاوية الشرفاء العلويين بسجلماسة، وقد دفن بشهده الشهير بضريح مولاي الحسن الصغير. انظر المصدرين السابقين في (هامش 17).

(19) وهو المعروف بمولاي علي الشريف، دفين زاويته بـ « تغمرت » بسجلماسة، وقد جمع بين العلم والتصوف والجهاد. توفي حوالي عام 842 هـ/ 1439م

الأنوار الحسنية ص 28، روضة التعريف ص 18 . الشجرة الزكية ص 304 . الدرر البهية 1 : 80 . هذه الصفحات وما بعدها.

(20) وهو أكبر من أخيه مولاي علي، من ذريته أولاد «بوحميد» الموزعين بـ «البلاغمة» و « أولاد عميرة » بالرتب إحدى جهات إقليم قصر السوق حاليا، وكذلك بني زروال من جبال الزبيب على مقربة من فاس.

الشجرة الزكية مخ خع ص 303 . الدرر البهية 1 : 79 .

(21) وهو المعروف بأبي الجمال، أحد كبار علماء سجلماسة، وقد تولى رئاسة زاويتهم بإجماع علماء وشرفاء المدينة، الى أن توفي بها ودفن بروضة أبيه.

روضة التعريف ص 24 . الشجرة الزكية ص 330 . الدرر البهية 1 : 122 – 123 .

(22) هو جد الأشراف المحمديين ومن تفرع عنهم. كان في أول الأمر هو المتولي شؤون الزاوية وادارة أملاك أبيه، ولسوء تصرفه، عزل عنها وحل محله أخوه أبو الجمال المذكور قبله.
الشجرة الزكية ص 330 . الدرر البهية 1 : 102 .

(23) في طرة (ب) (ز): « وهم علي، وإليه ينسب من هو من ذرية محمد بقصر أبي عام وبأمرك شبوكة والأهري من جبل زيان بتفخيم الزاي وتخفيف الياء، قبيلة من البربر. وقاسم، وإليه ينسب من بزاويته، ويعرفون بزاوية سيدي قاسم ، والحسن وهم أهل «تسكرت» بالجبل المذكور. وعبد الله، وهم بناحية درعة. أهل البيت زادهم الله شرفا عموا المشارق والمغارب أمان من الله تعالى لأهل الأرض، والحديث في هذا شهير».

(24) جد العلويين، خلف ثلاثة أبناء وهم مولاي هاشم ومولاي محرز ومولاي محمد.

نزهة ص 297 – 298 . الدرر البهية 1 : 124 – 125 .

(25) جد أسرة آل الفاسي، أصله من القصر الكبير. وهو مؤسس الزاوية الفاسية بحي «القلقليين» من عدوة الأندلس، توفي عام 1013هـ / 1604 م. ودفن بفاس.
مرآة المحاسن ص 8 . نشر 1: 119 . صفوة ص 27 . عناية أولي المجد ص 16 – 22 . سلوة الأنفاس 2: 306 – 309 .

(26) انظر ص 31 هامش 10 .

(27) من مواليد تافيلالت، يعد من أكبر الشخصيات العلمية الكبرى في المغرب. اعتمد

على كتاباته العديد من المؤرخين والنسابين، توفي في 12 جمادى الثانية 1042 هـ / 25 دجنبر 1632م.

التقاط ص 97 . وهامش 2 ثم ص 98، وهامش 1 .

(28) أحد مشاهير رجال الفكر والسياسية في بداية العهد العلوي. توفي في شوال 1136هـ/ يوليوز 1724م.

محمد الأخضر، الحياة الأدبية ص 196 والإحالات.

(29) وهو المشهور بالداخل، جد الملوك السعديين. كان نزوله بسجلماسة في القرن 7 هـ/ 13م.
نزهة ص 6 . الشجرة الزكية ص 433 . الاستقصا 5 : 3 .

(30) غالبا ما ترد عند المؤلف « ذرعة » بالدال المعجم، وهي مدينة مندرسة، يظهر أنها كانت تقع قرب« زاگورة » ، اشتهرت بنشاطها التجاري المعتمد على تجارة القوافل، منها انبثقت الدولة السعدية.

البكري ص 155 . الاستبصار ص 206 . الوزان 2 : 118 .

(31) نسبة الى جدهم زيدان الداخل، تعرف كذلك بالدولة «الدرعية»، و «التاگمادارتية» نسبة الى البلدة التي انطلقوا منها. والمشهور هو « الدولة السعدية» نسبة الى « سعد بن بكر بن هوازن » ، والتي منهم حليمة السعدية ظئر الرسول عليه السلام.

(32) أبو العباس أحمد المكناسي الزياتي الشهير بـ « ابن القاضي». أحد كبار مؤرخي الدولة السعدية. توفي عام 1025 هـ/ 1616م. ودفن بفاس.

انظر عنه المنتقى المقصور، مقدمة التحقيق (محمد رزوق).

(33) اسمه الكامل « جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس » طبع حديثا في جزئين بعناية « دار المنصور» بالرباط (1973 - 1974 م)، ووفقا لهذا النص فإن نسب السعديين وارد في 2 : 418، (الترجمة 435).

(34) « درة الحجال في أسماء الرجال» وهو كذلك في التراجم، طبع على الحجر بفاس عام 1309 هـ / 1892 م. كما أعيد طبعه بالقاهرة عام 1970م بتحقيق الأحمدي أبي النور، ووفقا لهذا النص فقد ورد نسب السعديين في 1 : 106 .

(35) تافيلالت : هذا الاسم كان يطلق على إقليم سجلماسة، ويمتد من جنوب مضيق جبل «تاغيا » الى جبل « صاغور» و « سبخة بومعيز» وما إليهما.

انظر التقاط الدرر ص 99 . هامش 2 .

(36) طرة في (ب) (ز) : « درعة، داله مهملة. قال في القاموس : درعة، بلدة بالمغرب قرب سجلماسة، أكثر تجارها اليهود. وفي القاموس، « سجلماسة »، بكسر السين

والجيم، قاعدة ولاية بالمغرب، ذات أنهار وأشجار انتهى ».

(37) يكنى « أبا العلاء» ويلقب ب « المامون » بن يعقوب المنصور الموحدي، بويع له أول الأمر باشبيلية سنة 624 هـ / 1227م، ثم بمراكش في ربيع الأول من العام التالي، توفي بوادي العبيد، وهو راجع من حصار سبتة التي تملكها بنو هود، وذلك في منسلخ ذي الحجة 629هـ/ 1232م / وهو ما يوافق كلام المؤلف.

روض القرطاس 249 - 254 . ابن خلدون 6 : 340 - 342 . الاستقصا 2 : 233 .

(38) « المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور» لأحمد بن القاضي. تم نشره أخيرا بتحقيق محمد رزوق في جزئين، مطبعة دار الثقافة. البيضاء 1408هـ / 1988م

(39) منقول بتصرف من المنتقى المقصور. 1 : 242 .

(40) اعتمادا على معاصرة هذه الشخصية لأحمد المقري، فالراجح أن يكون المقصود هو محمد بن محمد بن ابي القاسم بن سودة، أحد كبار علماء فاس وقضاتها المشهورين.

توفي في ذي القعدة 1076هـ / ماي 1666م.

انظر التقاط الدرر ص 166 وهامش 6 وما به من إحالات.

(41) أبو العباس أحمد بن محمد المقري، ولد بتلمسان عام 986هـ / 1578م. انتقل الى فاس عام 1009 هـ / 1601م، ثم عاد من جديد إلى تلمسان ومنها الى فاس حيث شرع في التدريس بجامع القرويين، رحل الى المشرق عام 1027 هـ / 1618م، وبه توفي عام 1041 هـ/ 1632م.

انظر عنه مقدمة تحقيق « روضة الآس» ط. الرباط

(42) عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، أحد كبار أقطاب الفكر بالمغرب في بداية العصر الحديث، يعتبره المؤرخون مدرسة فكرية بالنظر الى تآليفه العديدة، ومنها « ابتهاج القلوب» الذي نقل عنه القادري (نشر 1 : 98) وعنه نقل المؤلف بدوره، كانت وفاته بفاس في جمادى الأولى 1096 هـ / ابريل 1685 م.

التقاط الدرر ص 231، وهامش 1 وما به من إحالات.

(43) يكنى « ابا عسرية، ولد بالقصر، وبه نشأ وتعلم، ثم انتقل الى فاس ليتتلمذ على علمائها. أكب في آخر حياته على التدريس بمسقط رأسه، إلى أن توفي عام 1048هـ / 1638م.

مرآة المحاسن ص 232 . نشر 1 : 372 . عناية ص 28، حجي، الحركة الفكرية 2 : 429

(44) أحد أعلام الفكر الإسلامي بالمغرب في عصره، له موقف إزاء تسليم العرائش للأجانب من طرف المامون السعدي، توفي قرب وزان في ربيع الثاني 1021هـ / يونيه 1612م.

التقاط ص 55، هامش 4 وما به من إحالات، حجي، الحركة الفكرية 2 : 365، هامش 58 والإحالات.

(45) منقول بتصرف من النشر، 1 : 98 (وفقا للنص المطبوع).

(46) يعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي للدولة السعدية، بويع عام 951هـ/ 1544م، وظل في الحكم الى أ ن اغتاله الترك في أواخر ذي الحجة عام 964هـ/ 1557 م. ودفن بمراكش.

(47) بويع أولا بإشارة والده عام 918هـ/ 1512م، ثم جددت له البيعة عام 923هـ،وبقي في الملك إلى أن قام عليه أخوه محمد الشيخ وخلعه عام 946هـ. توفي قتيلا بسجن مراكش عام 965 هـ / 1557 .

(48) جاء ذلك بعد الصلح والاتفاق الذي حصل بين الاخوين، عقب هزيمة أحمد الاعرج وذلك في 19 غشت 1543م.

طوريس، تاريخ الشرفاء ص 90 .

(49) جاء هذا الفرار بعد الهزيمة التي مني بها أحمد الأعرج ضد أخيه محمد الشيخ على وادي « الكاهرا » أحد روافد وادي العبيد بسفوح الأطلس الكبير، وذلك في يونيه 1544م .

كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية ص 67 .

S.I.H.M 1ère série, Portugal T. 4P. 144

(50) « توات »، إقليم مغربي واسع جنوب اقليم «فگيك» كان يطلق على واحة «تيمي»، ثم توسع الإطلاق، فصار يشمل المناطق المجاورة لها .

بنمصور، تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات، التقاط ص 33، هامش 5 .

(51) لم يكشف البحث التاريخي بعد - فيما أعلم - عن هذه النصوص التي من شأنها أن تلقي الضوء على المنافسة بين الاسرتين الشريفتين بالمغرب في بداية تاريخه الحديث.

(52) جل المصادر التاريخية تجمع على صحة شرف السعديين، انظر عمود نسبهم مثلا في: المنتقى 1 : 242 . جذوة 2 : 418 . درة الحجال 1 : 106 . نزهة ص 1 - 9 . نشر 1:98 . الشجرة الزكية مخ خع ص 433، الاستقصا 5 : 3 .

(53) « تاگمادارت » قرية من أعمال « فزواطة» بوادي درعة، تقع جنوبي شرق زاگورة على يمين الطريق الذاهبة منها الى تمكروت. وهي دار الشرفاء الزيدانيين الأولى، ومنطلق دولتهم السعدية، كانت في مطلع القرن العاشر الهجري مركزا ثقافيا يمتاز بحيوية خاصة.

الإستقصا 5 : 7 هامش 1 . الحركة الفكرية 2 : 538 .

(54) إقليم مغربي شاسع في الجنوب الغربي، يمتد شمالا من جبال الأطلس عند حدود «حاحا» .الى رمال الصحراء في الجنوب، ومن المحيط غربا إلى نهر « سوس» الذي سميت المنطقة باسمه.

البكري ص 161 . الوزان 1 : 90 - 96 . مارمول 2 : 27 - 40 . جذوة 1 : 12 - 19 .

(55) تيدسي، مدينة بسوس تقع جنوب غرب تارودانت، بها بويع محمد القائم أول ملوك الدولة السعدية. الوزان 1 : 94 – 95 . مارمول 2 : 37 – 38 .

(56) وهو أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله، أول ملوك الدولة السعدية، بويع له بتيدسي عام 915 هـ / 1509 م، ولم يلبث أن تنازل لابنه أحمد الاعرج عن الملك لكبر سنه، توفي عام 923هـ / 1517م.

نزهة ص 16 . صفوة ص 11 – 19 . طوريس تاريخ الشرفاء ص 13 . الاستقصا 5 : 12 .

(57) « أجدير» كلمة بربرية تعني « الحصن» والمقصود هنا « رأس إيغير» أي « حصن المنكب »، وهي عاصمة إقليم سوس. قام باختطاطها محمد الشيخ السعدي عام 947 هـ/ 1540م. بعد إجلاء البرتغاليين عن الموضع القريب منها والمعروف ب « حصن فونتي».

طوريس، تاريخ الشرفاء ص 47 – 48 . الوزان 1 : 94، هامش 26 . إيليغ ص 166، هامش 383 . مارمول 2 : 32 – 37 . كتاب المغرب ص 43 .

Enc, de L'Islam Tom I , Article Agadir.

(58) « بنو وطاس، فرقة من بني مرين، حكموا المغرب فيما بين 875 هـ و961 هـ/ 1471-1554م .

انظر: الكراسي، عروسة المسائل، الاستقصا 4 : 118 . مارمول 1 : 424 وما بعدها .

(59) وهو ما يوافق 1510م.

(60) وهو الملقب بالبرتغالي، لأنه كان قد أقام رهينة لدى البرتغال في صباه إثر هدنة عقدها معهم والده. حكم فيما بين 910 هـ و 931 هـ / 1505 – 1525 م.

جذوة 1 : 211 – 212 . الاستقصا 4 : 140 – 148 . بوشرب، دكالة ص 192، وما بعدها.

(61) في طرة (أ) : « هذا ما قال صاحب المناهل، ورأيت في تقييد للرسموكي فقيه السوس في سبب ولايته غير هذا ، والله أعلم».

ومن خلال هذا التعليق، يظهر أن المؤلف نقل هذه المعلومات من « مناهل الصفا » للفشتالي، ولما كان القسم الخاص بقيام دولة السعديين مبتورا من نسخ « المناهل» التي بين أيدينا ، فإن الحسم في كلام المؤلف يصبح عسيرا .

(62) انظر هامش 56 في (نفس الصفحة) .

(63) جل المصادر التاريخية، تؤخر دخول أحمد الأعرج الى مراكش الى حدود 930 هـ/ أوائل يناير 1525م.

نزهة ص 19 . الاستقصا 5 : 21 . المراكشي، الاعلام 2 : 24 كريم، المغرب في عهد

الدولة السعدية ص 50 .

Julien. Histoire de L'Afrique du Nord 2: 206

Brignon.Histoire du Maroc P. 207

(64) عن أسباب الخلاف بين الأخوين الشريفين، انظر مثلا: طوريس ص 77، مارمول 1: 460 كريم . المغرب في عهد الدولة السعدية ص 65 .

(65) دخول هذين المركزين تحت سلطة محمد الشيخ، يعني بداية توحيد المغرب بعد الانقسام الذي عرفه في نهاية العهد الوطاسي.

(66) وهو أبو العباس أحمد بن محمد البرتغالي الوطاسي، حكم فيما بين 932 هـ و 956هـ / 1526 - 1549 م، وتوفي بمراكش وقيل بدرعة حوالي عام 1553 م.

جذوة 1 : 114 . الاستقصا 4 : 149، المراكشي، الاعلام 2 : 21 .

(67) أبو عقبة، أحد مشارع وادي العبيد من بلاد « بني جابر » بتادلا . بهذا الموضع، وقعت احدى المعارك العظمى بين الوطاسيين والسعديين في صفر 943 هـ / 1536م، وقد انتهت بهزيمة أحمد الوطاسي، الا أن ذلك كان في عهد احمد الاعرج لا أخيه محمد الشيخ كما ذكر المؤلف، وربما يقصد هنا أنه كان برفقته.

المؤرخ المجهول ص 8 . جذوة 1 : 321، دوحة الناشر ص 59 . نشر 1 : 152. عروسة المسائل ص 32 . الاستقصا 4 : 153 .

(68) ربما كان المقصود هنا معركة « أنماي» وقد دارت بين أحمد الأعرج والوطاسيين سنة 935 هـ / 1529م . قبل معركة « بوعقبة » وانتهت بعقد الصلح بين الطرفين في حدود عام 940 هـ/ 1534م.

المؤرخ المجهول ص 5 - 7 . نزهة ص 20 - 21 . بوشرب، دكالة ص 220، مزين، فاس وباديتها 1 : 38 .

(69) يقصد وقعة « درنة » بتادلا ، وقد دارت بين محمد الشيخ واحمد الوطاسي وذلك في رجب 952 هـ/ سبتمبر 1545م.

مارمول 1 : 468 - 473 . لقط الفرائد ص 299 . الاستقصا 4: 156 . كريم، المغرب في عهد... ص 68 .

(70) وهو الأسر الثاني لأحمد الوطاسي، اذ أن محمد الشيخ كان قد أطلق سراحه بعد سنتين من أسره الأول عقب معركة « درنة » وذلك عام 956 هـ / 1549م.

المؤرخ المجهول ص 14 - 15 . نزهة ص 28 - 29 . طوريس ص 100 .

(71) وهو محمد بن أحمد الوطاسي المعروف بالقصري، بايعه أهل فاس بعد أن أسر والده عقب معركة درنة وذلك سنة 952 هـ / 1545 م.
دوحة الناشر ص 77، لقط الفرائد ص 299 .

(72) وهو علي بن محمد الشيخ الوطاسي المشهور بـ « أبي حسون »، آخر ملوك بني وطاس، توفي في إحدى معاركه ضد محمد الشيخ السعدي في شوال 961هـ / 1553م.
مناهل الصفا ص 108 - 109 . المؤرخ المجهول ص 19 . جذوة 1 : 212 . نزهة، ص 28 الاستقصا 4 : 149 .

(73) « الريف » إقليم شاسع في أقصى شمال غرب المغرب، كان في عهد الوطاسيين تابعا لملكة فاس، ومن أهم مدنه في تلك الفترة، « بادس» و « المزمة».
الوزان 1 : 252- 264 . مارمول 2 : 229 وما بعدها. بنعبد الله، معلمة المدن والقبائل ص 210

(74) قبل أن يلتجئ أبو حسون إلى الجزائر، عبر البحر إلى إسبانيا، وهناك أمده «فيليب الثاني» ببعض المساعدة، ثم جاز الى بادس، فوقعت سفنه في الاسر العثماني، وسيق الجميع الى الجزائر حيث جرت هناك مفاوضات أسفرت عن إمداده بجيش كثيف تحت قيادة الرايس « صالح التركماني » سنة 1552 م، وقد استطاع بذلك ان يهزم محمد الشيخ، ويدخل مدينة فاس سنة 961 هـ / 8 يناير 1554م.
مناهل الصفا ص 108 . المؤرخ المجهول ص 16 . نزهة ص 30 . طوريس ص 202 . مارمول 1 : 401 - 482 .

A. Cour. L'établissement des dynasties des chérifs P.105 Julien.Ibid P.207

(75) يحدثنا المؤرخ المجهول بكثير من التفاصيل عن نشاط أبي حسون منذ مغادرته الجزائر حتى دخوله مدينة فاس، للمزيد من التفاصيل انظر : تاريخ الدولة الدرعية ص 16 وما بعدها.

(76) رابع ملوك الدولة السعدية، بويع بعد اغتيال والده عام 965 هـ / 1557 م، وبقي في الملك الى تاريخ وفاته عام 981هـ / 1573 م.

(77) ذكر الفشتالي أن هذا الموضع يوجد بـ « ساحة فاس» مناهل الصفا ص 109

(78) هذه المعلومات نقلها المؤلف بتصرف من مناهل الصفا، ووفقا للنص المطبوع (تح كريم)، فقد وردت في ص 108 - 109 .

(79) وقعت هذه المعركة بموضع يعرف بـ « مسلمة» قرب مدينة فاس، وقد انتهت بمقتل أبي حسون، ودخول محمد الشيخ فاسا للمرة الثانية وذلك في شوال 961 هـ / 1554 م.
المؤرخ المجهول ص 20 - 21، نزهة ص 31 . الاستقصا 4 : 161، طوريس ص 215 . مارمول 1: 488 - 490.

(80) أحد أعيان مدينة فاس، تولى خطة القضاء بها مدة. توفي ذبيحا سنة 961هـ / 1554م.

جذوة 1 : 133 . لقط الفرائد ص 304 سلوة الانفاس 3 : 250 .

(81) وهو محمد بن أحمد الطرون الأموي، كان ينوب عن أخيه في خطة القضاء، وقد قتلا معا في نفس الليلة.

جذوة 1 : 247 . لقط ص 304 .

(82) عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، أحد كبار فقهاء عصره، تولى القضاء بفاس لمدة 18 سنة، ثم تقلد بها الفتوى والتدريس. وهو أحد معارضي الدولة السعدية باعتبار بيعة السلطان الوطاسي في عنقه. توفي قتيلا قرب جامع القرويين في ذي الحجة 955 هـ / 1549م.
دوحة الناشر ص 52 – 54، نزهة ص 32 نشر 1 : 153 . الاعلام 4 : 157 . شجرة النور 1: 282

(83) المقصود هو « أبو محمد عبد الوهاب الزقاق» وليس عليا، أحد قضاة مدينة فاس وعلمائها الملتزمين ببيعتهم للوطاسي.

دوحة ص 55 . جذوة 2 : 454، نزهة ص 31 . نشر 1 : 125 .

(84) أحد فقهاء وأدباء مكناسة، كان يتولى بها خطة الإمامة، وأثناء خطبه كان يحذر الناس من اتباع الشيخ السعدي، فأمر بقتله هو وابنه في ذي القعدة 961 هـ/ 1554م.

دوحة ص 82 . جذوة 1 : 108 . لقط ص 304 . نزهة ص 32 . الاستقصا 5 : 29 .

(85) « الخلط » قبيلة عربية في عداد « جشم» عملوا كجنود في صفوف الموحدين ومن جاء بعدهم، وظلوا في هذا الوظيف الى أن عزلهم عنه محمد الشيخ السعدي.

ابن خلدون 6 : 37 . بمنصور، قبائل المغرب 1 : 420 . الـوزان 1 : 42، الاستقـصـا 2 : 174 – 177 . بنعبد الله، معلمة المدن ص 188 .

(86) للمزيد من التفاصيل انظر مناهل الصفا ص 109 .

(87) خامس ملوك الدولة السعدية، وهو المشهور بـ « المسلوخ» بويع عام 981هـ/ 1573م ثم خلع بعد سنتين، توفي غريقا يوم معركة وادي المخازن.

(88) يقصد بالمشرق « إيالة الجزائر العثمانية».

(89) كنيته « أبو مروان » ولقبه « المعتصم» سادس الملوك السعديين، حكم فيما بين 984هـ و 986 هـ / 1576 – 1578 م.

(90) من أعظم ملوك الدولة السعدية، بويع يوم وقوع معركة وادي المخارن، ثم جددت له البيعة بفاس.حكم الى تاريخ وفاته في 16 ربيع الأول 1012 هـ/ 25 غشت 1603م.

(91) « المحلة» تعني هذه الكلمة المكان الذي يحله القوم وينزلون فيه، وفي الاصطلاح المغربي تعني الجيش مكان نزوله، وقد تطلق على المعسكر.

العز و الصولة 1 : 409 . إيليغ ص 59، هامش 183 .

(92) للمزيد من التفاصيل عن هذه المساعدة التركية، انظر : المؤرخ المجهول ص 42 . نزهة ص 59 . الاستقصا 5 : 58، كريم، المغرب في عهد. .. ص 97 . وما بعد هذه الصفحات.

(93) مكان من أحواز بني وارثين شمال مدينة فاس، به وقعت المعركة التي انتصر فيها عبد الملك وأخوه أحمد المنصور على المتوكل بمساعدة الأتراك، وقد انتهت بدخولهما فاس في ذي الحجة 983 هـ / مارس 1576م. نفس المصادر السابقة (هامش 92).

(94) هذه المعركة تعرف تاريخيا بـ « خندق الريحان» على مقربة من وادي الشراط باحواز سلا، انهزم فيها محمد المتوكل سنة 984هـ / 1576م.

مناهل ص 110، المؤرخ المجهول ص 54، نزهة ص 63 - 64، لقط ص 314 .

(95) من أهم المعارك التي وقعت في تاريخ دولة السعديين بتاريخ منسلخ جمادى الأولى 986 هـ / 4 غشت 1578 م، بوادي المخازن أحد روافد نهر اللكوس قرب القصر الكبير، انظر التفاصيل في : مناهل الصفا 37 - 39، المؤرخ المجهول 58 - 63، نزهة ص 73-77، الاستقصا 5 : 69 - 86 . تقييد القادري مخ خع 284 - 285 .

S.I.H.M. Série 1, France,Tom I P. 493-497

(96) هذه المعلومات منقولة بتصرف من مناهل الصفا، ووفقا للنص المطبوع (تح كريم)،فقد وردت في ص 108 - 110 .

(97) ثورة الناصر هذه، من أخطر الثورات التي عرفها عهد أحمد المنصور، دامت سنة كاملة (9 ماي 1595 م - 21 ماي 1596م)، وقد انتهت بمقتله عام 1004 هـ/ 1596م .

مناهل ص 171 - 191 . نزهة ص 100 - 102، اليوسي، المحاضرات ص 119 . نشر 1 : 60 . الاستقصا 5 : 145 - 151 . كريم .المغرب في. .. ص 191 - 204 .

(98) أصلهم من اليمن، وقد دخلوا المغرب في أواخر العهد الموحدي، واستوطنوا المناطق الواقعة بين ملوية وتافيلالت.

ابن خلدون 6 : 77، قبائل المغرب 1 : 414 - 415، الاستقصا 2 : 177 .

(99) أكبر أبناء أحمد المنصور، وخليفة والده على فاس. دخل مع اخوته في المنافسة على الملك بعد وفاة أحمد المنصور، وقد دفعه ذلك الى تسليم العرائش للاسبان عام 1610م. قتل غدرا بتطوان عام 1022هـ / 1513م.

مناهل 52 - 55 و 81 - 92، المؤرخ المجهول ص 71 . نزهة ص 83 . نشر 1 : 60 . التقاط

ص 64، الاستقصا 5 : 93 .

(100) مكان قرب « الحاجب » عند سفح جبل مدغرة، والمعركة التي وقعت فيه بين الشيخ المامون والناصر، تمت في 26 ذي القعدة 1003 هـ / 2 غشت 1595م.

مناهل ص 172 – 173، وهامش 2 . الاستقصا 5 : 146 .

(101) ترد عند المؤلف أحيانا « بني يزناسن»، وهو إقليم شاسع في شمال شرق المغرب، استمد اسمه من اسم القبيلة التي تقطنه. ولا زالت الى اليوم طوائف من هذه القبيلة تستوطن الجبل المعروف باسمها قرب مدينة وجدة.

الورطاسي، بنو يزناسن ص 19 – 38 . بنعبد الله، معلمة المدن ص 110 .

(102) انظر التفاصيل في : مناهل ص 110 – 113 و 191 – 193 . نزهة ص 98 .

(103) « أزغار، معناها « أرض الماء» يبدأ هذا الاقليم عند حدود نهـــــــر ابي رقراق غربا ويمتد شرقا الى جبال غمارة وجبل زرهون وزلاغ، ويحده شمالا ، المحيط الأطلسي، وينتهي جنوبا عند وادي مكس (حاليا) ، كان لذلك العهد، موطن عرب بني مالك وسفيان والخلط.

الوزان : 1 : 233 . مارمول 2 : 187 – 188 . معملة المدن ص 23 .

(104) يظهر أن المؤلف لم يحسن التعبير هنا ، إذ أن غرناطة سقطت قبل هذا التاريخ، ويغلب على الظن أن الزياني يقصد إحدى عمليات التهجير التي تعرض لها مسلمو الأندلس والتي استمرت حتى أواخر العصر السعدي.

للمزيد من التفاصيل، انظر : نفح الطيب 6 : 141، أزهار الرياض 1 : 65 . نشر 1: 145-147 مارمول 1 : 431 وما بعدها.

(105) الضمير يعود على « السعديين » كما يفهم ذلك من العبارة الموالية « ولما مات المنصور منهم. ..».

(106) عده بالقرن ينقصه الضبط والتحديد، ويبدو أنه يقصد « حتى عهد المنصور » الذي ينتهي عند أوائل المائة الحادية عشرة.

(107) كان موت أحمد المنصور في 16 ربيع الأول 1012هـ/ 25 غشت 1603م، وقد تضاربت الروايات حول سبب وفاته، انظر التفاصيل في :

المؤرخ المجهول ص 78، نزهة ص 188، نشر 1: 105 . التقاط ص 41، الروضة السليمانية مخ خع و 33، الاستقصا 5 : 186 – 187 .

(108) أحد أبناء المنصور المتنازعين على الملك، ظل يتقلب في أنحاء المغرب ساعيا الى القضاء على منافسيه، فكانت الغلبة تارة له وأخرى عليه، إلى أن توفي في 9 محرم 1037هـ/

20 شتنبر 1627 م.

(109) للمزيد من التفاصيل، انظر المؤرخ المجهول ص 105، نزهة ص 245 . نشر 1: 290 التقاط ص 93، تقييد القادري، مخ خع ص 287، الاستقصا 6 : 77 .

(110) تميزت الفترة الاخيرة من الحكم السعدي بانقسام في السلطة المركزية، اسفر عن تمرد العديد من القبائل كالشياظمة وهشتوكة وشراگة وغيرها ، ثم ظهور شخصيات دينية ذات طابع سياسي متفاوتة الخطورة منها على سبيل المثال، سليمان الزرهوني بفاس، ومحمد المعروف بزغودة بالهبط، ويحيى الحـــاحي وأبو محلي وأبو حسون السملالي في الجنوب، والعياشي بالسواحل الأطلسية الشمالية، والدلائيون في تادلة وما والاها وعبد الكريم الشباني بمراكش، وهو ما عبر عنه المؤلف بـ « الثوار القائمين بالأطراف ».

(111) من خلال هذا التعبير، يلاحظ تأثر المؤلف بالنظرية الخلدونية حول المراحل التي تمر منها الدولة.

(112) أحمد بن عبد الله المعروف بابي محلي، أحد كبار فقهاء ومتصوفي عصره، ادعى المهدوية، واستمال إليه الكثير من الاتباع استطاع بمآزرتهم، الاستيلاء على سجلماسة ودرعة ومراكش، الشيء الذي دفع زيدان السعدي أن يستصرخ عليه يحيى بن عبد الله الحاحي الذي أخمد ثورته بمقتله سنة 1022هـ / 1613م.

محاضرات ص 106 - نزهة ص 200، نشر 1 : 107 . التقاط ص 61 . الاستقصا 6 :26 اتحاف 3 : 68 . الدر المنضد مخ خع و 102، اعلام 2 : 83 .

(113) المقصود « أبو العباس أحمد بن عبد الحميد » المعروف بـ « المريد » المراكشي المتوفى عام 1048هـ / 1638 م.

روضة الآس ص 212 - 215 . نشر 1: 375 . الإعلام 2 : 114 - 115 .

(114) بمعنى أنه قام عام 1019هـ. ومات عام 1022هـ.

(115) فقيه مالكي مشهور، ومحدث بارع، توفي في 3 جمادى الثانية 1015 هـ/ 6 أكتوبر 1606م. زار المغرب في ذلك العهد، وكان المؤرخ ابن القاضي ممن لقيه به.

التقاط ص 48، هامش 3 والاحالات.

(116) انظر هامش 112 في (نفس الصفحة).

(117) وهو علي بن محمد بن أحمد بن موسى المشهور بابي حسون السملالي، انظر عنه : ايليغ ص 46، نزهة ص 286 . التقاط ص 183 . الاستقصا 7 : 13 . اعلام 7: 76 . هذه الصفحات وما بعدها.

(118) لقب كذلك لأن إحدى عينيه لم تكن تفتر عن الدمع بسبب مرض ألم بها .

إيليغ ص 46.

(119) دعوة بودميعة كانت عام 1022 هـ / 1613م، أما السنة المذكورة هنا، فقد كان يسيطر خلالها على كل الجنوب تقريبا.

(120) في هذا التاريخ استولى أبو حسون على تافيلالت، أما استصراخ مولاي الشريف به فقد كان في عام 1043 هـ / 1633م.

(121) جد الملوك العلويين، ظهر كشخصية دينية وسياسية منذ عام 1041هـ / 1631م. وقد دخل في صراع مع أبي حسون الذي أسره، ثم افتدي منه بمال، توفي في 13 رمضان 1069 هـ/ 3 يوينه 1659م.

(122) « تبوعصامت» إحدى قصور تافيلالت الكبرى، تقع على الضفة اليمنى لوادي زيز على بعد نحو 13 كلم جنوب سجلماسة.

التقاط ص 108 . هامش 3

(123) كان مولاي الشريف معتقلا في « حصن بقنة جبل جنوبي ايليغ، ولا يزال طلل ذلك الحصن إلى الآن » (ايليغ ص 110). ولا يعرف بالضبط تاريخ هذا الاعتقال والراجح انه كان قبل عام 1046 هـ / 1636م.

ايليغ ص 109 .

(124) اختلفت الروايات التاريخية حول أصل هذه الجارية، هل هي أمة، أم حرة؟

عن التفاصيل في هذا الموضوع، انظر: العمراني، مولاي إسماعيل ص 22 – 25 .

(125) كان ذلك سنة 1051 هـ / 1641م. إيليغ ص 114 .

(126) لعل المؤلف يشير هنا الى محمد بن أحمد الصباغ لقبا، البوعقيلي نسبا، المتوفى سنة 1076هـ / 1666م. أصله من مكناسة، لكنه نشأ بفاس.

له مشاركة في مختلف العلوم الشرعية والنقلية. ولم استطع بعد البحث الكثير الوقوف على « تاريخه» الذي نقل عنه الزياني.

يراجع عنه سلوة الانفاس 1 : 239 .

(127) ظهر كزعيم سياسي وديني للزاوية الدلائية، مقتسما النفوذ مع قوى أخرى كانت تنافسه، وقد أفل نجمه بعد معركة « بطن الرمان» على يد مولاي الرشيد. توفي بتلمسان في4 محرم 1082 هـ / 14 ماي 1671 م.

البدور الضاوية مخ خع ص 228 . حدائق الازهار مخ خع ص 5، حجي، الزاوية الدلائية ص 149. المحاضرات ص 72 . نزهة ص 279، نشر2: 196 . التقاط ص 188 . الدر المنضدو 142،

الاستقصا 6 : 97، شجرة النور 1 : 311 .

(128) المقصود بجبل « درن» الاطلس الكبير الجاثم بين مراكش وتارودانت، ويسميه أهل سوس « ادرارن داران».

ايليغ ص 8، هامش 42، ابن خلدون 1 : 76، اعلام 3 : 222 .

(129) « ايليغ ». عاصمة السملاليين بسوس، تقع في « وادي وزكري » بتازروالت، يرجع تاريخ تأسيسها إلى عام 1021هـ / 1612 م، عرفت أوج ازدهارها في عهد ابي حسون، وقد تعرضت للهدم عام 1081 هـ / 1670م على يد مولاي رشيد، وأنشئت على أنقاضها « ايليغ الحديثة ».

ايليغ ص 60 وما بعدها، التقاط ص 183، هامش 6 .

(130) كان ذلك عام 1069 هـ / 1659 م.

ايليغ ص 122 .

(131) المعروف تاريخيا أن الذي سرح مولاي الشريف هو « أبو دميعة » وذلك عام 1049هـ 1639م، ومما يؤكد ذلك، رسالتان متبادلتان بين مولاي محمد بن الشريف وأبي دميعة بعد تسريح مولاي الشريف، مع العلم أن أبا دميعة لم يمت الا بعد عشرين سنة من هذا الحدث.

إيليغ ص 114 و ما بعدها.

(132) إذا علمنا أن موت الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي كان عام 1046 هـ / 1636م. فهذا يعني أن ابنه محمد الحاج لم يقم الا في هذا التاريخ أو بعده، والا فسيكون قد دعا لنفسه في أيام والده، وهو أمر لا تشير إليه المصادر التاريخية التي بين أيدينا.

الزاوية الدلائية ص 150 وما بعدها.

(133) نسبة الي قبيلة « مجاط» إحدى فروع صنهاجة، يقال لهم « آيت يتيدر» بلسان البربر، وهم في عداد قبائل الأطلس المتوسط.

البدور الضا وية ص 14 . الزاوية الدلائية ص 29، الدر المنضد مخ خع و 140 .

(134) الأصل هو « الدلاء» وتطلق على الأرض التي أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا .

الزاوية الدلائية ص 29 .

(135) أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، من أشهر علماء المغرب وأقطابه الفكرية، استقر نحو 20 سنة بالزاوية الدلائية طالبا ثم أستاذا. ثم أخرج منها بعد أن هدمها مولاي رشيد. كانت وفاته في ذي الحجة 1002 هـ / شتنبر 1691م. ودفن بتامزيزت قرب مدينة صفرو.

ولم نستطع تحديد المصدر الذي نقل عنه الزياني روايته المتعلقة بمحمد الحاج، ولمحمد حجي تعليق في الموضوع، انظر كتابه الزاوية الدلائية ص 50 .

وعن اليوسي انظر : الأخضر، الحياة الأدبية ص 122 – 136 والاحالات.

(136) أصل « صنهاجة » من عرب حمير، والتي لا زالت تحمل الاسم الاصلي بالمغرب، تتوزع في الأقاليم الشمالية، وتنقسم إلى ثلاثة فروع كبيرة، وهـــي « صنهاجة مصباح» بإقليم فاس، و« صنهاجة غدو» بإقليم تازة، و « صنهاجة السراير» بإقليم الحسيمة.

ابن خلدون 6 : 201 . قبائل المغرب 1 : 328، روض القرطاس ص 119 . معلمة المدن ص 296، هذه الصفحات وما بعدها.

(137) « آيت اومالو» اسم بربري يعني « ابناء الظل» وهم قبيل من صنهاجة يقطن جبل فازاز .

الترجمانة الكبرى ص 75 .

(138) « نهر ملوية » أهم نهر بالمغرب يصب في البحر المتوسط، ينبع من مرتفعات الاطلس المتوسط والكبير، وينحدر في اتجاه شمالي شرقي متوغلا في مفازات أنجاد وكرط فيسقي سفوح جبال بني يزناسن. يبلغ طوله نحو 500 كلم.

الاستبصار ص 177 – 193 . الوزان 2 : 250، مارمول 1 : 37 . كتاب المغرب ص 105 .

(139) « تادلة » أو « تادلا » تختلف دلالة هذه الكلمة، فتطلق على الاقليم الممتد بين وادي العبيد وام الربيع على طول الواجهة الغربية لمرتفعات الاطلسين الكبير والمتوسط، كما تطلق على المدينة الرئيسية في هذه المنطقة وهي « قصبة تادلا » الواقعة على الضفة الشرقية لنهر أم الربيع.

الاستبصار ص 200، الوزان 1 : 139 – 150 . مارمول 2 : 116، الترجمانة ص 67 . التقاط الدرر ص 37، هامش 2 .

(140) وهو ابن عم عائشة رضي الله عنها وسيد قريش، وابن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية بعد أن كان مغرى بها ، عرف بكثير من السخاء والكرم حتى كان بنو تيم يلومونه على تبذير أمواله.

الروض الأنف 1 : 158 – 160 . ابن خلدون 2 : 389 .

(141) وردت هذه الأبيات باختلاف في بعض الكلمات في الروض الأنف 1 : 159 .

(142) طبع الجزء الأول من هذا الكتاب بتونس عام 1979، وقد قام بتحقيقه ودراسته د. رضا السويسي.

(143) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. ولد بالعراق سنة 213 هـ.

له ثقافة واسعة في علم الكلام والفلسفة والمنطق، تولى قضاء دينور مدة 19 سنة، اشتهر بكتابه « غريب الحديث». توفي في بغداد فيما بين 270 هـ و 276 هـ حسب اختلاف النصوص. انظر «غريب الحديث» مقدمة التحقيق والاحالات.

(144) « عدوان» إحدى القبائل العربية العدنانية، كانت مواطنهم الأولى بالطائف، وعند مجيء الإسلام استقرت في جبال الحجاز.

ابن خلدون 2 :370 . نهاية الأرب ص 354 . تاريخ الاسلام (حسن ابراهيم) 1 : 20 .

(145) « إياد » قبيل من معد بن عدنان، كانوا يستوطنون مكة، ثم تشعبوا بطونا كثيرة، فمالت أغلبيتهم الى العراق .

ابن خلدون 2 : 358 . نهاية الأرب ص 95 .

(146) امام محدث، وحافظ عالم باللغة والسير. ولد في مالقة عام 508 هـ / 1114م. كف بصره وهوفي ربيع العمر. أقام بمراكش نحو 3 أعوام يصفف كتبه إلى أن توفي بها في شعبان من عام 581 هـ / 1185م.

الروض الأنف، المقدمة ص ط – ك. نفح الطيب 4 : 369 – 371 . وفيات الأعيان 3 : 143 – 144 . شرف الطالب ص 65 . السلوة 2 : 225 – 226 .

(147) تأليف لأبي القاسم السهيلي في تفسير سيرة ابن هشام. فرغ منه في جمادى الأولى 569 هـ. تم طبعه بمصر في أربعة أجزاء عام 1971 . ضبطه، وقدم له، وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، ووفقا لهذا النص فما نقله الزياني وارد باختلاف يسير في 1 : 158 – 160 .

(148) ورد قبل هذا، أن قيام محمد الحاج كان عام 1042 هـ. أنظر ص 41 .

(149) جاء استيلاء محمد الحاج على تادلة بعد معركة « أبي عقبة » على ضفة وادي العبيد عام 1048 هـ / 1638 م. والتي انتصر فيها على جموع محمد الشيخ بن زيدان السعدي. الزاوية الدلائية ص 154 . نزهة ص 281 . نشر 1 : 376 . التقاط ص 109 .

(150) استولى محمد الحاج على سلا على حساب المجاهد محمد العياشي وذلك في أوائل عام 1050 هـ / 1640 م. لمزيد من التفاصيل انظر : الزاوية الدلائية ص 155 – 158

(151) لست أدري ماذا يقصد ب « مرارا » فهل هذا يعني أن محمد الحاج خاض معارك عديدة ضد مولاي محمد قبل وقوع الصلح بينهما ؟! ما تذكره المصادر التي بين أيدينا هو معركة واحدة والمعروفة ب ـ « وقعة الكارة » أو «القاعة»، وقد انتهت بانهزام جموع مولاي محمد بن الشريف وذلك في ربيع الأول 1056 هـ / 1646 م .

انظر التفاصيل في: البدور الضاوية ص 229 . الزاوية الدلائية ص 158 . نزهة ص 281. تاريخ الضعيف 1 : 98 . الدر المنضد و 108. الاستقصا 7 : 16 . الاتحاف 3 : 130. هذه الصفحات

وما بعدها.

(152) عن تفاصيل هذا الصلح، انظر المصادر السابقة (هامش 151).

(153) وهو أبو مروان عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر، يلقب بالمظفر وسيف الدولة، ثاني ملوك الدولة العامرية بالأندلس. حكم فيما بين 392 هـ و 396 هـ / 997 – 1006م.

ابن بسام، الذخيرة، م 1 القسم 4ص 78. البيان المغرب 3 : 3. روض القرطاس ص 105. جذوة 1 : 198. المعجب ص 62. ابن خلدون 7 : 44 الاستقصا 1 : 241. دولة الاسلام في الاندلس ص 554، هذه الصفحات وما بعدها.

(154) وهو هشام بن الحكم المستنصر، يلقب بالمؤيد، آخر ملوك بني مروان بالأندلس، حكم من 366 هـ الى تاريخ وفاته عام 403 هـ / (976 – 1013م) خلع خلالها أكثر من مرة.

البيان المغرب 2 : 253 و 3 : 3. المعجب ص 45، ابن خلدون 4 : 188. دولة الاسلام في الأندلس ص 467، هذه الصفحات وما بعدها.

(155) تولى حجابة هشام المؤيد بعد أخيه عبد الملك عام 396هـ / 1006 م، وهو آخر ملوك الدولة العامرية بالأندلس، توفي عام 100هـ / 1010 م.

البيان المغرب 3 : 38. المعجب ص 63. ابن خلدون 4 : 190. دولة الاسلام في الاندلس ص 569، هذه الصفحات وما بعدها.

(156) أول ملوك الدولة الحمودية الإدريسية بالأندلس والتي قامت على أنقاض الدولة العامرية، بويع له بقرطبة في محرم 407هـ / أوائل يوليوز 1016م، ولم تطل خلافته إذ توفي في 2 ذي القعدة 408 هـ / 23 مارس 1018م.

البيان المغرب 3 : 119. القرطاس ص 118. أعمال الاعلام ص 121، ابن خلدون 4 : 195. جذوة 2 : 506.

(157) سبتة : إحدى المدن المغربية الواقعة على ساحل البحر المتوسط، ارتبط مصيرها بتاريخ الاسلام في المغرب منذ أن عبر منها طارق الى الأندلس، وظلت تشكل قاعدة استراتيجية إلى أن استولى عليها البرتغال عام 818هـ / غشت 1415م. ثم انتقلت الى الاسبان منذ عام 1079 هـ / 1668م، وقد حاول الشرفاء العلويون تحريرها أكثر من مرة كما سيأتي.

البكري ص 102، الاستبصار ص 137، معيار الاختيار ص 144، أزهار الرياض 1 : 29 الوزان 1 : 245. مارمول 2 : 216، ياقوت 10: 182. تاريخ تطوان 1 : 203. 2 :30. سبتة ومليلية تاريخ وواقع (منشورات المحرر). السراج، خلاصة تاريخ سبتة.

(158) كان ذلك في محرم 407 هـ / أوائل يوليوز 1016م

(159) جاء تحول مولاي محمد بن الشريف الى محاربة الاتراك العثمانيين عقب مجموعة

من الاصطدامات بينه وبين أهل الدلاء.

انظر التفاصيل في: البدور الضاوية مخ خع ص 232 . الانوار الحسنية ص 76، نزهة ص 3 نشر 2 : 51 . التقاط ص 127 . الجيش 1 : 56 . تقييد القادري مخ خع ص 259 . الاستقصا 7 : 17 إتحاف 3 : 131 . هذه الصفحات وما بعدها.

(160) « الإيالة » لفظة تركية، انتقلت إلى الإدارة المغربية في العصر السعدي، وتطلق على المنطقة الاد ارية التي ينبسط عليها نفوذ قائد أو عامل، وقد يتسع مدلولها لتعني «المملكة».

ابن زيدان، العز والصولة 1 : 399 .

(161) عاصمة المغرب الشرقي، يرجع تاريخ تأسيسها الى عام 384 هـ/ 994م، وفي العهد الذي يتحدث عنه المؤلف، كانت هذه المدينة تلعب دور « المدينة العسكرية » لقربها من حدود الايالة التركية العثمانية.

البكري ص 77، الاستبصار ص 177 . الوزان 2 : 12 مارمول 2 : 294، معلمة المدن ص 372 المغرب ص 134 . مجلة « جمعية تاريخ المغرب » ع 4 و 5 (1972).

(162) جل المصادر التاريخية، تجمع على أن حركة مولاي محمد لاتراك الجزائر كانت بعد 10 سنوات أو أكثر من هذا التاريخ.

تاريخ الضعيف 1 : 107 . تقييد القادري مخ خع ص 260 . الدر المنضد مخ خـــع و 126 الاستقصا 7 : 20 اتحاف 3 : 132 .

A.Cour. Ibid P.175.

(163) « ندرومة » مدينة قديمة كانت تحمل اسم « گومية » نسبة إلي القبيلة التي كانت تقطنها، تقع عند سفح مرتفعات « ترارة » على بعد نحو 15 كلم عن البحر المتوسط بين وادي تافنا والحدود المغربية الجزائرية اليوم.

الاستبصار ص 135 . الوزان 2 : 13 . مارمول 2 : 295 .

(164) يحاول المؤرخون والنسابون تمييز مطغرة حسب كتابتها، فالبطاء تعني، مطغرة تلمسان « وبالدال تعني » مدغرة تافيلالت والصحراء « وبالضاد » مضغرة الواقعة في إقليم سوس.

قبائل المغرب 1 :310 . التقاط ص 99 . هامش 1 . معلمة المدن ص 347 .

(165) « گومية » قبيلة بربرية مواطنها ما بين أرشكول وتلمسان بالمغرب الأوسط.

ابن خلدون 6 : 150 . الوزان 2 : 44 . معلمة المدن ص 253 .

(166) قبيلتان بربريتان على مقربة من تلمسان .

ابن خلدون 6 : 150 . الوزان 2 : 44 . معلمة المدن ص 253 .

(167) انظر بنمنصور، قبائل المغرب 1 : 434 .

(168) إحدى قبائل عرب بني هلال بالمغرب الأوسط.

قبائل المغرب 1 : 423 . الاستقصا 7 : 21 . ابن خلدون 6 : 55 .

(169) انظر ماء الموائد 2 : 417 .

(170) وهي بطون متفرعة عن بني مالك بن زغبة من عرب بني هلال.

قبائل المغرب 1 : 423 . ابن خلدون 6 : 58، الاستقصا 7 :21 هذه الصفحات وما بعدها.

(171) لفظة تركية تعني رتبة سامية في الجيش.

(172) أبو الصون المحجوب الحضري، أحد أدباء وفقهاء القطر الجزائري، يبدو أنه كان في هذا الوقت أحد كتاب الديوان التركي بالإيالة الجزائرية العثمانية .

(173) مدينة جزائرية على ساحل البحر المتوسط من بناء الأفارقة، تبعد عن « مزگران» بنحو 4 كلم، وعن مصب الشلف بنحو 14 كلم.

الوزان : 2 : 32 . وهامش 44 . مارمول 2 : 350 .

(174) « مازونة » مدينة جزائرية قديمة، تقع على الضفة اليسرى لـــــــوادي « واريزان». المدني، الجزائر ص 236 . الوزان 2 : 36 . مارمول 2 : 359 . رحلة العبدري ص 278 .

(175) آخر ملوك الدولة المرينية بالمغرب، حكم من عام 823 هـ الى تاريخ وفاته عام 869هـ/ 1420 – 1465م.

جذوة 2 : 388 . لقط ص 261 . الاستقصا 4 : 95 .

(176) انظر نص هذه الرسالة كذلك في الروضة السليمانية مخ خع و 38، تاريخ الضعيف 1:107 . الاستقصا 7 :22، وقد أرخت في منتصف رجب 1064هـ / 1654م.

(177) نهر ينبع من جبل بني ورنيد قرب قرية « سبدو» جنوبي تلمسان، وينحدر في اتجاه شمالي غربي إلى أن يتصل برافده نهر « المويلح » شمال شرق مغنية، ثم يغير مجراه في اتجاه شمالي شرقي بين مرتفعات « ترارة» و « سبع الشيوخ» يصب في البحر المتوسط أمام جزيرة «أرشگون»، كان لذلك العهد يمثل الحد السياسي الذي يفصل الجزائر العثمانية عن المغرب السعدي فالعلوي.

الاستبصار ص 134 . الوزان 2 : 250 . روض القرطاس ص 309، هامش 176 .

(178) حاكم عثماني بالجزائر لذلك العهد، انظر عنه: المدني، حرب الثلاثمائة سنة ص 134

وما بعدها .

(179) احتلت مسألة الحدود بين المغرب والجزائر حيزا هاما وكبيرا في تاريخ العلاقات المغربية العثمانية في العهدين السعدي والعلوي، للمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع، انظر: العماري، مشكلة الحدود الشرقية، (رسالة جامعية غير منشورة) ومجلة كلية الآداب، فاس 1985 (عدد خاص) ص 127 وما بعدها .

(180) انظر، هامش 149 في هذا الفصل.

(181) وهو السلطان مراد الرابع، سابع عشر ملوك آل عثمان، حكم فيما بين 1032هـ و 1049 / 1623 - 1640م. في عهده استرجعت بغداد من يد الفرس وذلك في شعبان 1048 هـ/ اواخر دجنبر 1638 م.

آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان ص 98 . تاريخ الدولة العلية ص 124، وما بعدها .

(182) المقصود بملك العجم هنا الشاه عباس ملك الفرس الذي حكم إيران فيما بين 996و 1038 هـ / 1588 - 1629 م. وقد انتهز فرصة الصعوبات السياسية التي كانت تتخبط فيها الدولة العثمانية ليستولي على بغداد وذلك عام 1032هـ / 1623م .

المحامي، تاريخ الدولة العلية ص 125 . آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان ص 98 .

(183) « القزلباش » كلمة فارسية تعني ذوي « الرؤوس الحمر » بسبب حمرة عمائمهم، وبهذه العمائم اثنتا عشرة ثنية كرمز لذكر اثني عشر ابنا من أبناء الحسين، وكان الصفويون يميزون أنفسهم بذلك عن السنيين.

مارمول 1 : 427 .

(184) سبق فتح بغداد (1048 هـ / 1638 م) مجموعة من الاشتباكات بين العثمانيين والصفويين، انتهت، بعقد الصلح بين الطرفين في شتنبر 1639م.

تاريخ الدولة العلية ص 127 - 128 . رافق، العرب والأتراك ص 211 .

(185) المقصود مدينة « اريوان» وقد تم فتح هذه المدينة في 25 صفر 1045هـ / غشت 1635م. تاريخ الدولة العلية ص 127 .

(186) يقصد « الشاه مرزا بن الشاه عباس ».

(187) كان ذلك عام 1046هـ / 1636م. وانتهى باسترداد مدينة اريوان.

تاريخ الدولة العلية ص 127 .

(188) احد اقطاب التصوف في عصره، اقترن تصوفه بالجهاد ضد الاحتلال الاجنبي في أواخر العصر السعدي، وظل كذلك إلى أن تعرض للاغتيال في محرم 1015هـ / ابريل 1641م.

الشادلي، الحركة العياشية. الخبر عن ظهور الفقيه العياشي مخ خع د 91 .

(189) كانت هذه الوقعة هي الثالثة من نوعها، وقد جرت في ضواحي سوق الاربعاء الغرب في أواخر عام 1050 هـ / 1641م.

الزاوية الدلائية ص 157 .

(190) « عين القصب، تبعد عن مركز سوق الأربعاء بنحو 20 كلم غربا .

الزاوية الدلائية ص 157 . نزهة طرة ص 271 .

(191) كان له تكوين ديني وصوفي مع مشاركة في الفقه والادب، حاول أن يثأر لابيه محمد العياشي، وظل معارضا للدلائيين إلى حين وفاته في ذي الحجة 1073هـ / يوليوز 1663م.

نشر 2: 133 التقاط ص 156، الاستقصا 6 : 95 . الزاوية الدلائية ص 158 .

(192) وادي الطين، أحد روافد نهر أبي رقراق، ويتصل به قرب « حد كورت» بالغرب حاليا، وقد وقعت هذه المعركة في أوائل ربيـــع الأول 1053هـ / 1643م. البدور الضاوية ص 229 الزاوية الدلائية ص 158، نشر 2 :27، التقاط ص 119 .

(193) انتهى هذا الحصا ر بدخول محمد الحاج الى فاس وذلك في شعبان 1051هـ/ 1641م أي قبل وقعة « وادي الطين ».

البدور الضاوية ص 229 . الزاوية الدلائية ص 157 .

(194) ما ذكره المؤلف هنا مخالف لما في الكثير من المصادر التاريخية، أفلا يجسد هذا الرأي موقفه من فاس وأهلها ؟!.

(195) اقتصر المؤلف هنا فقط على الجانب السلبي الذي وصف به لسان الدين بن الخطيب فاس وأهلها، وتحاشى الجانب الإيجابي وذلك لتزكية موقفه وتبرير رأيه، انظر معيار الاختيار ص 172 - 179، نفح الطيب 9 :150 .

(196) أحد الثوارفي عهد علي بن عمر بن إدريس الادريسي، الذي واجهه في حروب عظيمة، انتهت بدخوله مدينة فاس عام 245 هـ/ 859م.

القرطاس ص 78 - 79 . البيان المغرب 1: 212، ابن خلدون 4 : 20 - 21 جذوة 2:534 . الاستقصا 1:178 - 179 .

(197) كان عبيد الله الشيعي ولاه قيادة الجيش الفاطمي لاخضاع قبائل زناتة في المغربين الأوسط والأقصى، أما حصاره لفاس الذي انتهى بدخولها، فقد تم عام 305هـ / 918م.

انظر المصادر السابقة (هامش 196) ما بعد الصفحات.

(198) تاسع ملوك الدولة الادريسية بالمغرب (292 هـ / 305 هـ). توفي بإفريقية سنة

332هـ. بعد أن لازم سجن موسى بن أبي العافية ما يناهز العشرين سنة.

القرطاس ص 80 . ابن خلدون 4 : 21 . الاستقصا 1 : 181 . هذه الصفحات وما بعدها.

(199) حصل ذلك بعد عودة مصالة الى المغرب للمرة الثانية سنة 309 هـ، وامتحانه ليحيى بن إدريس بإيعاز من موسى بن أبي العافية.

القرطاس ص 81، البيان المغرب 1 : 212 ابن خلدون 4 : 21 الاستقصا 1 : 183 .

(200) انظر تفاصيل هذه الاحداث في المصادر السابقة (هامش199) ما بعد الصفحات.

(201) كان ذلك عام 321 هـ / 933م.

(202) يظهر أن الثائر الذي قام على « حامد بن حمدان الشيعي» هو « أحمد بن بكرين عبد الرحمان بن ابي سهل الجذامي» وليس عبد الرحمان كما ذكر المؤلف. وقد كـان قتله لابـن حمدان عام 322هـ / 925م.

القرطاس ص 85 . البيان المغرب 1 : 214 . ابن خلدون 6 : 178 . جذوة 1 : 342 الاستقصا 1: 189 .

(203) كان هذا الحصار عام 323هـ / 935 م، بعد موت عبيد الله الشيعي، وتولية ابنه ابي القاسم القائم على افريقية.

انظر المصادر السابقة (هامش 202) نفس الصفحات.

(204) ما تذكره المصادر هو عام 223 هـ / 935 م.

(205) وهو معد بن إسماعيل المنصور « الملقب بالمعز لدين الله »، تولى الحكم بعد وفاة والده عام 341 هـ/ 952م، وقد دامت خلافته إلى وفاته بمصر عام 365هـ / 976م.

انظر ترجمته في : المقتبس ص 26 . البيان المغرب 1 : 221، ابن خلدون 4 : 58

(206) وهو « جوهر بن عبد الله الرومي » المعروف بالكاتب، وقد كان دخوله لفاس في رمضان 349 هـ/ نونبر 960م .

القرطاس ص 90 . البيان المغرب 1 : 222 . ابن خلدون 4 : 59 . جذوة 1 : 176.الاستقصا 1: 198 . ابن خلكان، وفيات الأعيان 1 : 345 - 380 .

(207) عن دولة آل أبي العافية المكناسيين بالمغرب، انظر : القرطاس ص 83. جذوة 1: 340 الاستقصا 1 : 185 . هذه الصفحات وما بعدها .

(208) أسست هذه المدينة في بداية القرن 3 هـ/ 9 م على بعد نحو 40 كلم من مولاي بوسلهام، ذكر ابن عذاري من وليها من الأدارسة الى تاريخ غزو جوهر الرومي لها، حيث أصبحت مركزا لدويلة إدريسية صغرى تشمل مناطق الريف تحت إمرة الحسن بن كنون .

البكري ص 110 . الاستبصار ص 189 . ابن حوقل، صورة الأرض ص 81 . ياقوت 4 : 430

الوزان 1 : 240 مارمول 2 : 196 . البيان المغرب 1 : 235، هذه الصفحات وما بعدها .

(209) بويع له عام 343 هـ/ 954 م، وهو آخر ملوك الدولة الادريسية بالمغرب، توفي عام 375هـ/ 986م .

المقتبس ص 79 . القرطاس ص 89 . البيان المغرب 1 : 176، الاستقصا 1 : 197 .

(210) كان ذلك عام 369هـ/ 980م .

القرطاس ص 101 . ابن خلدون 6 : 207 . البيان 1 : 237 . الاستقصا 1 : 207 .

(211) ينتمون الى مصمودة الصنهاجية، أسسوا دولتهم في إقليم تامسنا الممتد على وجه التقريب فيما بين وادي أبي رقراق ووادي أم الربيع، مذهبهم خارجي صفري . استمرت دولتهم ما يزيد على أربعة قرون، ابتداء من القرن 2هـ إلى منتصف القرن 6 هـ .

انظر: محمود إسماعيل، مغربيات، المحمدية 1977، ص 15 - 56 . مقالة بقلم ميلود عشاق في جريدة العلم المغربية العددان 972 و 973 . السنة 1990 .

(212) أول ملوك الدولة العامرية ببلاد الاندلس، ظل في الحكم زهاء 27 سنة . توفي عام 392 هـ/ 1002م .

أعمال الاعلام ص 58 . البيان المغرب 2 : 256 . المعجب ص 45 . ابن خلدون 4 : 189 . نفح 2 : 113 . أ زهار الرياض 5 : 106 . ابن بسام، الذخيرة م أ، ق 4 ص 73 - 78

(213) انظرهامش 153 في هذا الفصل.

(214) كان ذلك في منسلخ شوال 387هـ/ 4 نونبر 997 م، ويبدو أن دخوله المدينة كان عن طواعية أهلها .

القرطاس ص 107 . ابن خلدون 7 : 44 . الاستقصا 1 : 216 .

(215) عام 391 هـ / 1001 م .

القرطاس ص 108 . البيان 1 : 253 . جذوة 1 : 199 . الاستقصا 1 : 217 .

(216) المعز بن زيري بن عطية المغراوي، ولي الملك بعد وفاة والده، وبقي أميرا على المغرب مصالحا الدولة العامرية بالاندلس . توفي في جمادى الأولى 422 هـ / ابريل - ماي 1031 هـ .

انظر المصادر السابقة (هامش 215) ما بعد الصفحات .

(217) وهو « حمامة بن المعز بن عطية » ابن عم المعز بن زيري، استوطن فاسا بعد موت المعزوملكها إلى أن أخرجه منها تميم اليفرني عام 424 هـ/ ماي 1033 م، ثم عاد إليها بعد سبع سنوات، ففتحها وأقام بها إلى أن توفي عام 440هـ/ 1048 م .

القرطاس ص 109 . البيان المغرب 1 : 254 . ابن خلدون 7 : 47 . جذوة 1 : 172 .

(218) أبو الكمال تميم بن زيري اليفرني، كان متحيزا في نواحي سلا وتادلا وغيرها، إلى أن استطاع أن يتملك فاسا من حمامة بن المعز، وقد أقام عليها نحو 7 سنوات الى تاريخ وفاته عام 448 هـ / 1056 م .

انظر المصادر السابقة (هامش 217) نفس الصفحات .

(219) « القلعة »، تعرف كذلك بقلعة « أبي طويل » و « قلعة حماد » نسبة الى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أصبحت منذ عام 398 هـ/ 1008 م عاصمة لبني حماد .

الاستبصار ص 167 . ابن خلدون 6 : 227 . المعجب ص 298 .

(220) وهو القائد (اسما) بن حماد . ولي الامر بعد وفاة والده عام 419هـ/ 1028م . توفي عام 446 هـ/ 1054م .

ابن خلدون 6 : 229 .

(221) سبق في ترجمته ما يخالف هذا التاريخ، انظر هامش 217 .

(222) ملك فاسا عام 440 هـ / 1048م، وبقي كذلك الى تاريخ وفاته في شوال .عام 452 هـ/ نونبر 1060 م .

القرطاس ص 11 ابن خلدون 7 : 48 . جذوة 1 : 194، الاستقصا 1 : 222 .

(223) وهو المعروف إلى اليوم بـ « حي السياج» بعدوة القرويين بفاس .

(224) يظهر ان هذه المعلومات منقولة من تاريخ ابن خلدون، 7 : 48 .

(225) جرة قلم من المؤلف أو من النساخ، إذ المقصود هو « دوناس بن حمامة»

(226) الفتوح بن دوناس، كان مستوطنا عدوة الأندلس، ودخل في حروب ضد أخيه «عجيسة» فغلبه على عدوة القرويين وبقي بها إلى حدود 455 هـ عند ظهور دولة المرابطين، حيث تنازل عاجزا عن الملك لابن عمه « معنصر بن المعز» .

القرطاس ص 111 . ابن خلدون 7 : 48 . جذوة 1 : 49، 2 : 507 . الاستقصا 1 : 222 .

(227) يقصد أنه استقل بحكم العدوتين .

(228) عن هذه الاحداث انظر كذلك البيان المغرب 1 : 255، ابن خلدون 7 : 49 .

(229) وذلك في رمضان 445 هـ/ غشت 1063م، وبقي على إمرة فاس الى تاريخ وفاته عام 460هـ/ 1068 م .

القرطاس ص 112 . جذوة 1 : 337 الاستقصا 1 : 223 .

(230) موافق 1063م، وقد انتهى هذا الحصار بدخول يوسف بن تاشفين المدينة في التاريخ المذكور .

القرطاس ص 139 . ابن خلدون 6 : 246 . جذوة 2 : 546 . الاستقصا 2 : 27 .

(231) مدينة كانت تقع فيما يبدو شمال فاس حيث تسكن قبيلة اشراگة حاليا ، وقد دخلها يوسف بن تاشفين وهدم أسوارها .

القرطاس ص 139، هامش 81 . جذوة 1 : 15 . الترجمانة ص 477. فاس وباديتها 1 : 53 الاستقصا 2 :27 . قبائل المغرب 1 : 310 .

(232) المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين بالمغرب (453هـ - 500هـ/ 1061 - 1107م) اتسعت الدولة في عهده، وأصبحت تمتد من « جزائر بني مزغنة الى جبال الذهب من بلاد السودان» .

يراجع عنه القرطاس ص 136، البيان المغرب 4 : 21 . ابن خلدون 6 : 245 الحلل الموشية ص12، المعجب ص 192، جذوة 2 : 454 الاستقصا 2 : 22.د . محمود اسماعيل، مقالات في الفكر والتاريخ ص 74، هذه الصفحات وما بعدها .

(233) « غمارة » تطلق على المرتفعات الواقعة شمال فاس والممتدة بين نهر ملوية شرقا الى طنجة غربا ، وهي التي يذكرها الوزان تحت اسم « مرتفعات الريف» .

مزين فاس وباديتها ص 50 وما بعدها .

(234) تذكر المصادر أن دخول يوسف بن تاشفين مدينة فاس للمرة الثانية كان عام 460هـ/ 1068 .

القرطاس ص 140 . ابن خلدون 6 : 246 . الاستقصا 1 : 224 .

(235) وهو تميم بن معنصر، ملك فاسا وظل بها إلى أن اقتحمها عليه يوسف بن تاشفين عنوة، ودخلها للمرة الثالثة عام 462هـ /مارس 1070م . وبموت تميم هذا ، انقرضت الدولة المغراوية من المغرب .

المصادر السابقة (هامش 235) نفس الصفحات .

(236) المؤسس الثاني للدولة الموحدية بالمغرب، تمت بيعته في رمضان 524هـ/ يوليوز 1130م اتسعت حدود الدولة في عهده، فصارت تشمل « افريقية من طرابلس الى سوس الأقصى... وأكثر جزيرة الاندلس» : توفي في جمادى الثانية 558هـ/ ابريل 1163م .

علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي .

(237) دام هذا الحصار على فاس مدة 7 أو 9 أشهر حسب اختلاف المصادر، وقد انتهى بدخول الموحدين المدينة عام 540هـ/ 1145م .

علام، الدولة الموحدية ص 133 وما بعدها .

(238) يبدو أن الزياني قد بالغ شيئا ما في وصفه الاسلوب الذي استخدمه عبد المومن مع أهل فاس بعد دخوله المدينة .

القرطاس ص 189 . علام المرجع السابق ص 136 وما بها من إحالات .

(239) أبو بكر بن عبد الحق المريني، المؤسس لصرح الدولة المرينية بالمغرب، بويع عام 642 هـ/ 1244م، وبقي في الحكم الى تاريخ وفاته في جمادى الثانية 656 هـ/ 1258 م .

القرطاس ص 291 . الذخيرة السنية ص 64 . روضة النسرين ص 17 . ابن خلدون 7 : 227 . جذوة 1 : 103 . الاستقصا 3 : 11 .

(240) انتهى الحصار الأول بدخول المدينة صلحا في ربيع الثاني 646 هـ / غشت 1248 م، أما الثاني، فقد دام 9 أشهر بسبب عودة أهل فاس الى بيعة المرتضى الموحدي، وانتهى هو الآخر بدخول المدينة في جمادى الثانية 648 هـ / 1250م .

المصادر السابقة (هامش 239) ما بعد الصفحات .

(241) انظرهامش 46 .

(242) انظر التفاصيل في : المؤرخ المجهول ص 81 . نزهة ص 192 . نشر 1 :107 التقاط ص50 . الاستقصا 6 : 3 إتحاف 3 : 70، هذه الصفحات وما بعدها .

(243) وهو مخالف لما تذكره المصادر التاريخية، التي تكاد تجمع على أن محمدا الشيخ دخل المدينة دون حصار .

انظر المصادر السابقة (هامش 242) نفس الصفحات .

(244) انظر ص 78، هامش 127 .

(245) طرة في (ز) : « بل انقلبوا لما وقع به بجبل زيان ما وقع قبله، وحاصروا ونصروا من انقلب عليه بالبث والهتك والسلب، ومؤلف هذا الكتاب حي بسجنهم، والله ينتقم منهم» .

(248) لا يعرف أي سلطان عثماني في هذا التاريخ يحمل هذا الاسم .

(249) سليمان شاه التركماني، جد سلا طين آل عثمان، نزل بجموعه في صحاري أرمينية متحزبا للسلطان علاء الدين السلجوقي وذلك عام 621 هـ/ 1225 م توفي عام 628 هـ/ 1232 م .

القرماني، تاريخ سلاطين آل عثمان ص 9 . آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان 2 :27 الترجمانة ص 128. تاريخ الشعوب الاسلامية ص 407 .

(250) وهو « تيموجين بن يسوكاي » المشهور بـ « جنكيز خان » مؤسس الدولة المغولية في

النصف الثاني من القرن الهجري السادس / 12م . توفي عام 625هـ / 1227م .

العريني، المغول ص 43 . تاريخ الخلفاء ص 468 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 381 .

(251) كانت وفاة خوارزم شاه في شوال 617 هـ/ دجنبر 1220م، عقب استيلاء التتر بقيادة «جنكيز خان» على بخارى وسمرقند .

ابن خلدون 5: 115 . حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام 4: 139 . العريني، المغـــول ص 108 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 384 . هذه الصفحات وما بعدها .

(252) وهو علاء الدين كَيْقُباد الثالث، سلطان قونية إحدى الامارات السلجوقية، توفي في حدود 700 هـ/ 1301م . القرماني ص 10 . آصاف ص 27 . تاريخ الدولة العلية ص 39 .

(253) الذي نال هذه المكافأة هو أرطغرل بن سليمان شاه، وليس والده كما ذكر المؤلف . انظر المصادر السابقة (هامش 252) .

(254) إذا صح أن المقصود هو أرطغرل كما سبق في التعليق قبله، فإن هذا الحدث كان عام 685هـ / 1286م .

انظر القرماني، تاريخ سلاطين آل عثمان ص 10 .

(255) وهو عبد الحق بن محيو، أول ملوك بني مرين . كان دخوله الى المغرب عام 610 هـ . توفي في جمادى الثانية 614 هـ/ غشت 1217م .

الذخيرة السنية ص 27 القرطاس ص 284 . روضة النسرين ص 14 . ابن خلدون 7 : 224 . الاستقصا 7 : 224 .

(256) سبق في التعليق 249 أنه توفي عام 628هـ/ 1232م .

(257) الخليفة الرابع والثلاثون من خلفاء بني العباس، حكم مدة 47 سنة (575 هـ - 622 هـ / 1180 - 1226م) ، يعده المؤرخون آخر الدهاة السياسيين من بني العباس.

تاريخ الخلفاء. ص 448 . ابن خلدون 3 : 652 . العريني، المغول ص 77. تاريخ الشعوب الاسلامية ص 379، هذه الصفحات وما بعدها .

(258) وهو « أرطغرل » بن سليمان شاه التركماني، يعد مؤسس الدولة العثمانية في الأناضول . عاش نحو 90 سنة، وقد كانت وفاته عام 687هـ / 1288م .

القرماني ص 10 . آصاف ص 27 . تاريخ الدولة العلية ص 39، الترجمانة ص 128.

(259) هذا مخالف لما ذكرنا في التعليق عليه .

(260) وهو «عثمان بن أرطغرل» إليه تنسب الدولة العثمانية، حكم فيما بين 699هـ و726هـ / 1300 - 1326 م .

انظر المصادر السابقة (هامش 258) ما بعد الصفحات .

(261) انظر هامش 12 .

(262) غياث الدين مسعود الثالث، آخر سلطان سلجوقي بآسيا الصغرى، بويع عام 700هـ/ 1301م . تميزت فترة حكمه الاخيرة بالهرج والفوضى . مما دفع غالب عسكره إلى الالتحاق بخدمة السلطان عثمان التركي .

(263) أبو يعقوب يوسف الملقب بالناصر لدين الله، ساد س ملوك بني مرين، تمت له البيعة رسميا بالجزيرة الخضراء في صفر 685 هـ / مارس 1286م، ويقي كذلك الى تاريخ وفاته عام 706 هـ 1307 م . دفن بروضة المرينيين بشالة .

القرطاس ص 347، روضة النسرين ص 21 . ابن خلدون 7 : 278 . جذوة 2 : 547 الاستقصا 3 : 66 . الاغتباط ص 473، هذه الصفحات وما بعدها .

(264) أو « الأناطولي » وتعرف ب «الأناضول»، تطلق على الجزء الاسيوي من تركيا، وتستعمل هذه اللفظة أحيانا مرادفا لآسيا الصغرى .

(265) « قونية »، مدينة في جنوب وسط تركيا ، وهي إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق في أواخر القرن 5هـ/ أواخر القرن 11م.

(266) «بورصة» أو « بروسة»، إحدى مدن آسيا الصغرى شمال تركيا على بعد نحو 35كلم عن بحر مرمرة. حاصرها عثمان عام 717 ه / 1317 م، وقد دام الحصار عليها عشر سنوات انتهى بفتحها عنوة عام 726 ه / 1326م.

القرماني ص 12 . آصاف ص 31 . تاريخ الدولة العلية ص 41 .

(267) « اورخان الاول بن عثمان »، ثاني ملوك الدولة العثمانية، حكم فيما بين 726 و761، هـ/ 1326 – 1360م.

ابن خلدون 5 : 635 . القرماني ص 12 . آصاف ص 32 . تاريخ الدولة العلية ص 41 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 409، هذه الصفحات و ما بعدها .

(268) عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني المكنى «أبا سعيد» الملقب «السعيد»، تاسع ملوك بني مرين (710 – 731 هـ / 1310 – 1331 م).

القرطاس ص 395 . روضة النسرين ص 23 . ابن خلدون 7 :319 . جذوة 2 :456 . الاستقصا 3: 103 . الاغتباط ص 414، هذه الصفحات و ما بعدها.

(269) « مراد الأول بن اورخان »، ثالث ملوك الدولة العثمانية (761 – 791هـ/ 1360–1388م)، هو الذي اتخذ من «أدرنة» عاصمة للدولة، ويقيت كذلك الى حين فتح القسطنطينية. ابن خلدون 5: 635 . القرماني ص 14 . آصاف ص 35 . تاريخ الدولة العلية ص 44 . تاريخ

الشعوب الاسلامية ص 416، هذه الصفحات و ما بعدها.

(270) إبراهيم بن أبي الحسين المريني، يكنى « أبا سالم »، ويلقب « المستعين »، ثالث عشر ملوك بني مرين (760 – 762 ه / 1359 – 1361م)، وقبره بفاس.

ابن خلدون 7: 402 . روضة النسرين ص 30 . جذوة 1: 83 . الاستقصا 4: 7 .

(271) سبق في التعليق عليه (هامش 269) ما يخالف هذا التاريخ.

(272) بايزيد الاول بن مراد الاول، يلقب « يلدرم» (الصاعقة)، رابع سلاطين آل عثمان (792 – 804 هـ/ 1390 – 1402م). كانت له وقعة مع تيمورلنك المغولي قرب أنقرة، انهزم خلالها وأخذ اسيرا الى تاريخ وفاته في شعبان 805هـ / مارس 1403م.

ابن خلدون 5 : 635 . القرماني ص 16 . آصاف ص 39 . تاريخ الدولة العلية ص 48 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 419 .

(273) أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن، يلقب « المستنصر» سابع عشر ملوك بني مرين (776 – 796 هـ / 1374 – 1394م)، وقد خلع مرة خلال فترة حكمه.

ابن خلدون 7: 449 . روضة النسرين ص 34 . جذوة 1: 112 . لقط ص 216 – 224 – 227 . الاستقصا 4 : 61 .

(274) انظر التعليق 272.

(275) عثمان بن أحمد بن أبي سالم، السلطان الثالث و العشرون من ملوك بني مرين. توفي عام 823 هـ / 1420م.

روضة النسرين ص 40 . جذوة 2 :457 . الاستقصا 4 :86 .

(276) خامس ملوك الدولة العثمانية (816 – 824 هـ / 1413 – 1421م) .

القرماني ص 21 . آصاف ص 48 . تاريخ الدولة العلية ص 52 .

(277) هذا التاريخ مخالف لما ذكرنا في التعليق عليه (هامش 276) .

(278) انظر هامش 175 .

(279) سادس ملوك آل عثمان (824 – 855 هـ / 1421 – 1451 م) .

(280) محمد الثاني ، يلقب بالفاتح ، سابع ملوك الدولة العثمانية. هو الذي فتح القسطنطينية في جمادى الاولى 857 هـ / ماي 1453 م، حكم فيما بين 855 هـ و 886 هـ / 1451–1481م.

(281) انظرالتعليق 175 .

(282) سبق في التعليق عليه مايخالف هذا التاريخ.

(283) محمد بن أبي زكريا يحيى، الملقب بالشيخ، أول ملوك بني وطاس (875 – 910 هـ/ 1470 – 1504م) .

عروسة المسائل ص 13 . جذوة 1: 211 . لقط ص 155 . الاستقصا 4: 119 .

(284) و هو الملقب « بايزيد الصوفي » عند بعض المؤرخين الترك، ثامن سلاطين آل عثمان. (886 – 918 هـ / 1481 – 1512 م) .

القرماني ص 32 . آصاف ص 63 . تاريخ الدولة العلية ص 68 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 442 .

(285) انظر التعليق 60 .

(286) سليم الاول المشهور ب « ياوز سلطان » (السلطان المهول) ، تاسع ملوك آل عثمان (918 – 926 هـ/ 1512 – 1520م) .

انظر المصادر السابقة (هامش 284) ما بعد الصفحات .

(287) اسمه يعقوب، ولقبه « المستمسك بالله» آخر خلفاء بني العباس بمصر. توفي سنة 927 هـ، و هو الذي فتح عليه السلطان سليم مصر.

قطب الدين الحنفي، تاريخ مكة المشرفة ص 86 . تاريخ الخلفاء ص 516 . المحامي، تاريخ الدولة العلية ص 77 .

(288) انظر الزياني، « الترجمان المعرب » مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 658 (د) . ص 212

(289) سليمان الأول المشهور ب « القانوني»، عاشر ملوك الدولة العثمانية، حكم فيما بين 926 هـ و 974 هـ / 1520 – 1566م . في عهده دخلت تونس و الجزائر في حوزة الامبراطورية العثمانية .

القرماني ص 40 . آصاف ص 72 . تاريخ الدولة العلية ص 79 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 450، هذه الصفحات و مابعدها .

(290) انظر التعليق 66 .

(291) انظر التعليق 47 .

(292) الموافق 27 ماي 1529 م ، و تعد هذه السنة تاريخ بداية تأسيس ما يعرف ب «نيابة الجزائر العثمانية» فيها استولى خير الدين على حصن « البينون » الذي أقامه الاسبان في مواجهة ميناء الجزائر.

تاريخ الدولة العلية ص 95 . العقاد، المغرب العربي ص 21 .

Julien. Histoire de L' Afrique du Nord 2: 257.

(293) و هو « خسرف » بن يعقوب التركي المشهور بخير الدين، الملقب «باربا روس» (ذو اللحية الشقراء) ، أحد رؤساء البحرية في عهد السلطان سليم الاول، تحول إلى مجاهد بحري شهير في غرب حوض البحر المتوسط، و حظي بلقب « أميرال » من لدن السلطان «سليمان القانوني». توفي عام 1456م.

تاريخ الدولة العلية ص 95 . المدني، حرب الثلاثمائة ص 156 . اللسان المعرب ص 90 . العقاد، المغرب العربي ص 18 . شحاتة، وقعة وادي المخازن ص 70 .

Julien. Ibid 2: 256 .

(294) انظر التعليق 48 .

(295) انظر التعليق 70 .

(296) راجع ص 36 من هذا التاليف .

(297) « رودس» جزيرة ببحر « إيجه » تجاه آسيا الصغرى، نظرا لأهميتها الاستراتيجية عمل السلطان سليمان القانوني على إخضاعها و ذلك في صفر 929هـ / يناير 1523م.

تاريخ الدولة العلية ص 82 . القرماني ص 42 . آصاف ص 74.

(298) تم ذلك على يد خير الدين باربا روس الذي سبق التعليق عليه (هامش 293) .

(299) سبق أن أشرنا (هامش 289) أنه توفي سنة 974 هـ / 1566م .

(300) سليم الثاني بن سليمان الاول، حادي عشر سلاطين آل عثمان (974 - 982 هـ / 1566 - 1575م) .

القرماني ص 52 . آصاف ص 80 . تاريخ الدولة العلية ص 109، هذه الصفحات و ما بعدها.

(301) و لي باشوية الجزائر فيما بين 1554 و 1567 م ثلاث مرات .

Julien. Ibid 2: 267

(302) « وادي اللبن» ، أحد روافد نهر سبو. ينبع من المرتفعات الممتدة بين تازة وتاونات وينحدر في اتجاه جنوبي غربي وسط بلاد الحياينة إلى أن يلتقي بالنهر الرئيسي شمال جبل زلاغ قرب فاس. و على مقربة من هذا الوادي، وقعت معركة حاسمة بين عبد الله السعدي و حسن بن خير الدين التركي عام 965 هـ/ 2 ابريل 1558م، انهزم فيها الاتراك.

لقط ص 306 . المؤرخ المجهول ص 33 .نزهة ص 50 . الشجرة الزكية ص 454 . الاستقصا 39:5 . المغرب في عهد الدولة السعدية ص 86 . فاس وباديتها 1 : 184 .

S. I. H. M. 1ere SERIE. Espagne T.2 P.445

(303) انظر هامش 92 .

(304) للمزيد من التفاصيل، انظر : كريم. المغرب في .. ص 102 . شحاتة، وقعة وادي المخازن ص 173، و ما بعدها.

(305) مراد الثالث بن سليم الثاني، ثاني عشر سلاطين آل عثمان (982 – 1003 هـ/ 1574–1596م) .

القرماني ص 57 . آصاف ص 83 . تاريخ الدولة العلية ص 113 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 509، و ما بعد هذه الصفحات.

(306) انظر: مناهل الصفا ص 49 – 50 . نزهة ص 82 . الاستقصا 5 : 92 .

(307) « علوج علي » . هو آخر « بايلرباي » بالجزائر في العهد العثماني (1568 – 1572م) ، و قد نصبه السلطان مراد الثالث قائدا عاما للاسطول التركي، توفي عام 1587م.

مناهل الصفا ص 61 وهامش 2 . وقعة وادي المخازن ص 179 .

Julien Ibid. 2: 270.

(308) وصل علوج علي إلى الجزائر في جمادى الثانية 989هـ / يونيه 1581م، غير أن هذه الحملة لم تتعد الحدود الجزائرية نظرا للموقف الحاسم و التدابير التي اتخدها أحمد المنصور لمواجهة هذا التدخل.

للمزيد من التفاصيل في الموضوع، انظر : مناهل الصفا ص 61 وهامش 1. نزهة ص 86. الاستقصا 5 : 95 . المغرب في عهد الدولة السعدية ص 112 .

S.I.H.M. 1ère S FRANCE T.2 P. 96

(309) أحمد بن يحي الهوزالي، أديب ناثر، وشاعر ناظم، و هو سفير أحمد المنصور إلى السلطان العثماني مراد الثالث و قائد قواد ولي عهده محمد المامون. توفي عام 994هـ/ 1586م.

المنتقى 1 : 243 . درة الحجال 1 : 156 . جذوة 1 : 159 . لقط ص 320 . الاستقصا 5: 96 . إعلام 2 : 30 .

(310) يقصد « علوج علي » (انظر هامش 307) .

(311) انظر هامش 300 .

(312) انظر هامش 305 .

(313) محمد الثالث بن مراد الثالث، ثالث عشر سلاطين آل عثمان. حكم من جمادى الاولى 1003 هـ / 1595 م الى تاريخ وفاته في رجب 1012 هـ/ دجنبر 1603م.

القرماني ص 62 . آصاف ص 86 . تاريخ الدولة العلية ص 117 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 510، و ما بعد هذه الصفحات.

(314) أحمد الأول بن محمد الثالث، رابع عشر سلاطين آل عثمان. (1012 - 1026 هـ/ 1603 - 1617م) .

انظر نفس المصادر في الهامش قبله، ما بعد الصفحات .

(315) مصطفى الاول بن محمد الثالث، سادس عشر ملوك آل عثمان، حكم فيما بين 1026هـ و 1032 هـ / 1617 - 1623 م ، خلع خلالها مرتين. توفي عام 1048 هـ / 1638م.

آصاف ص 95 . . تاريخ الدولة العلية ص 123 .

(316) كان هذا الخلع في ربيع الاول 1027 هـ / فبراير 1618م .

(317) عثمان الثاني بن أحمد الاول، خامس عشر سلاطين الدولة العثمانية. جلس على سرير الملك عام 1026 هـ/ 1617 م، ثم عزل في رجب 1013 هـ / ماي 1622 م. بعد ذلك قتل في جماعة من أعيان دولته بقلعة « يدي قلة ».

آصاف ص 92 . تاريخ الدولة العلية ص 123 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 512 .

(318) انظر التفاصيل في نفس المصادر السابقة (هامش 317) .

(319) و هو الخلع الثاني للسلطان مصطفى، و قد كان في ذي القعدة 1032 هـ / شتنبر1623م.

(320) انظر هامش 181 .

(321) سبق التعليق على هذه الأحداث. راجع ص 49 و ما بعدها.

(322) انظر هامش 127 .

(323) و هو المعروف بالأصغر (1045 هـ - 1064 هـ). بويع بعد مقتل الوليد، وقد حاول فرض احترام السلطة السعدية و لو بشكل صوري، إلا أن الظروف السياسية لذلك العهد لم تكن تساعد على ذلك.

النزهة ص 247 - 257 . الاستقصا 6 : 83 - 107 . الاعلام 5 :280- 292 .

(324) إبراهيم الأول بن أحمد الأول، ثامن عشر ملوك الدولة العثمانية، تولى السلطنة عام 1049 هـ / 1639م، فعمل على التخلص من رؤساء الجيش المتغلبين على السلطة، غير أن محاولته هذه باءت بالفشل وانتهت بمقتله في رجب 1058 هـ / غشت 1648 م بعد عشرة أيام من خلعه.

آصاف ص 105 . تاريخ الدولة العلية ص 128 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 514 .

(325) كان ذلك في 18 رجب 1058 هـ / 8 غشت 1648 م.

(326) محمد الرابع بن إبراهيم الاول، السلطان التاسع عشر من ملوك آل عثمان، تولى الملك عام 1058 هـ / 1648م، في عهده تولى الصدارة الباشا الشهير «محمد كوبرلي».عزل في محرم 1099 هـ / نونبر 1687م، و بقي معزولا إلى أن توفي في ربيع الثاني 1104هـ/ دجنبر 1622م
انظر المصادر السابقة، (هامش 324) ما بعد الصفحات.

(327) سليمان الثاني بن إبراهيم الاول، السلطان العثماني العشرون (1099 – 1102 هـ/ 1687 – 1691م).

آصاف ص 115 . تاريخ الدولة العلية ص 139 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 251 .

(328) نصبه والده على فاس، مع أنه لم يكن رجل حرب، و لم تطل مدته فيها أكثر من ثلاث سنوات وبضعة أشهر، حيث توفي في ربيع الاول 1064 هـ / 1651م، و عليه تكون ولايته على فاس عام 1061 هـ و هو غير ماذكر المؤلف.

البدورالضاوية مخ خع ص 232 . الزاوية الدلائية ص 209 . الاستقصا 7 : 19 .

(329) ربما كان المقصود هو جزيرة « كريت » كما سيتضح من خلال التعليق الآتي.
(330) « كندية» (Candie) . و هو اسم كانت تعرف به جزيرة « كريت» في القديم، تعرضت مدينتها « كانيه » (Canea) للحصار من طرف قوات ابراهيم العثماني في ربيع الثاني 1055 هـ / يونيه 1645 م، وانتهى بفتحها، أما عاصمة الجزيرة و هي «كنديا» فلم يتم إخضاعها بسبب ما حدث في القسطنطينية من اضطرابات.

آصاف ص 107 . تاريخ الدولة العلية ص 129 ، و ما بعد هذه الصفحات.

(331) انظر هامش 326 في نفس الصفحة.

(332) أحد قواد محمد الحاج الدلائي، تولى مقاليد ولاية فاس عام 1051 هـ / 1641م، تعرض للسجن من طرف مولاي محمد بن الشريف بعد فتحه المدينة في رجب 1059هـ / يوليوز 1649م، ثم سرح بعد عودة محمد الحاج الى فاس، وبقي كذلك الى أن ولى مكانه ابنه أحمد عام 1061 هـ/ 1650 م.

الانوار الحسنية ص 76 . نشر 2 : 51 . التقاط ص 127 . تقييد القادري ص 259 . البدور الضاوية ص 232 . الزاوية الدلائية ص 208 . الاستقصا 7 : 19 . اتحاف 3 : 31

(333) هذا الاشتباك، هو المعروف بمعركة « ظهر الرمكة » بين مولاي محمد و محمد الحاج.

انظر المصادر السابقة (هامش 332) .

(334) من أسرة اندلسية، و هو أول من ولاه الدلائيون منها عدوة الاندلس بفاس.

انظر المصادر السابقة (هامش 332) ، نفس الصفحات.

(335) أحد اعيان مدينة فاس، يظهر أنه كان مؤازرا لعبد الكريم الليريني في موقفه المساند لمولاي محمد بن الشريف و نبذ طاعة الدلائيين.

(336) انظر هامش 328 .

(337) أحد أفراد الأسر الإدريسية بفاس، كان واليا لحرم مولاي ادريس من عدوة القرويين، وبسبب سوء تصرفه مع سكان المدينة، تم ابعاده عن فاس في شوال 1061 هـ / 1651م.

الدرالسني ص 25 . نشر 2 : 54 . التقاط ص 129 وهامش 4 و 5 . استقصا 19 :7

(338) و هي زاوية سيدي « محمد بن محمد عبد الله معن الاندلسي»، المتوفى في جمادى الثانية 1062هـ / مـاي 1652م ولازالت هذه الزاوية موجودة الى اليوم بحي المخفية من عدوة الاندلس.

(339) « بنو حسن » إحدى القبائل العربية التي انتقلت من أعالي ملوية. واستقرت في نهاية المطاف بمنطقة الغرب.

التقاط الدرر ص 25، هامش 2 .

(340) من أبرز رجال الدولة في عهد محمد الحاج، فقد كان اميرا على الرباط وسلا، كما كان يقود الجيوش بنفسه، فضلا عن قيامه بوظيف « وزارة الخارجية» في حكومة أبيه. استقر آخر الامر بالعباد بالجزائر حيث توفي في أواخر 1086 هـ .

البدورالضاوية مخ خع ص 419 - 424 . الزاوية الدلائية ص 175 .

(341) أحد الانهار القصيرة التي تصب بالمحيط الاطلسي بين الرباط و المحمدية، والمعركة التي دارت به، جمعت بين محمد الحاج وقبائل زعير وبني حسن وذلك عام 1061 هـ/ 1651م.

البدور الضاوية ص 232 . الزاوية الدلائية ص 163 . نشر 2 : 53 التقاط ص 129 .

(342) « الحياينة» ، قبيلة عربية، انتقلت من جنوب المغرب ضمن حركة الگيش السعدي واستقرت شمال شرق فاس بين نهري سبو وورغة، تتكون من ثلاثة فروع رئيسية هي: أولاد عليان وأولاد عمران وأولاد رياب.

العزو و الصولة 1 : 152، هامش 9 . التقاط ص 109، هامش 5 . الزاوية الدلائية ص 154، هامش 56 .

(343) يظهر من خلال المصادر التاريخية، أن القيادة لهذه الحملة، اقتسمتها ثلاث شخصيات، الأمير عبد الله بن محمد الحاج ، و القائد شعشوع، و المجاهد العياشي بعد أن أفتى العلماء بستة نصوص توجب قتال أهل الحياينة. وقد كانت هذه الحملة التأديبية في أوائل رمضان 1062 هـ/ غشت 1652م.

البدور الضاوية مخ خع ص 233 - 238 . الزاوية الدلائية ص 154 .نشر 2 : 64 . التقاط الدرر ص 132 .

(344) « الخضر غيلان » ، من قبيلة « جرفط » العربية التي تقطن بين العرائش وتطوان. كان أحد كبار مساعدي المجاهد العياشي ببلاد الهبط، وبعد موت مخدومه، انتشر نفوذه بين قبائل الهبط، فانضمت إليه قبائل الخلط وغمارة وغيرها. كانت له عدة حروب مع الدلائيين ثم مع الشرفاء العلويين إلى أن قتله مولاي اسماعيل في 20 جمادى الاولى 1084 هـ/ 1673م- 1674

الزاوية الدلائية ص 217 . نشر 2 : 108 . التقاط ص 134 . تاريخ الضعيف 1 :116، و ما بعد هذه الصفحات.

(345) « الفحص » ، تطلق على المنطقة الممتدة ما بين منابع نهري النكور و اللكوس إلى البحر المتوسط و المحيط، و يطلق عليها كذلك « بلاد الهبط ».

الوزان 1 :237 . معلمة المدن ص 333 .

(346) « القصر الكبير » يعرف كذلك بقصر صنهاجة، و هو قاعدة بلاد الهبط تقع هذه المدينة على نهر اللكوس على بعد نحو 36 كلم جنوب شرق العرائش.

الاستبصار 189 . الوزان 1 : 234 . الترجمانة ص 80 .

Mouette. S.I.H.M. 2 S. France T.2 P.180.

(347) انظر هامش 328 .

(348) أسندت إليه ولاية فاس بعد موت أخيه أحمد عام 1064 هـ / 1654م، فقضى بها نحو ست سنوات لم يستطع خلالها أن يفرض احترام السلطة الدلائية عليها ، وبسبب سوء تصرفه، تألبت ضده بعض الأسر الفاسية، وانتهى الامر باغتياله في أوائل ربيع الثاني 1070 هـ/ 1660م.

الزاوية الدلائية ص 210 . نشر 2 : 108 . التقاط ص 145 .

(349) أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان، آخر ملوك الدولة السعدية، بويع عام 1064 هـ/ 1649م، غير أن الشبانات حاصروه بمراكش مدة طويلة، وتمكنوا من قتله غيلة و ذلك عام 1069هـ/ 1660م.

نزهة الحادي ص 257 . الاستقصا 6 : 107 .

(350) يطلق اسم « البحر الأخضر » على البحر الابيض المتوسط، ويعرف كذلك بـ «البحر الرومي » و « بحر الزقاق» و « بحرالمغرب ».

ابن خلدون 6 : 128 . الترجمانة ص 66 . ياقوت 3 : 344 . معلمة المدن ص 85 .

(351) الميرة جمعها « مير » وتطلق على المدخرات الغذائية.

(352) يقصد بوغاز « البوسفور » و الذي يصل بحر مرمرة بالبحر الاسود من الجهة الشمالية، وبوغاز « الدردنيل » الذي يصل بحر «مرمرة» ببحر إيجه من الجهة الغربية.

(353) حدث ذلك في بداية عهد محمد الرابع العثماني.

للمزيد من التفاصيل، انظر، تاريخ الدولة العلية ص 130 . آصاف ص 111 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 516 .

(354) ربما يقصد « محمد باشا كوبرلي» و قد ولاه السلطان محمد الرابع منصب «الصدر الاعظم » عام 1067 هـ / 1656م. توفي عام 1072 هـ / 1661م.

(355) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث، انظر المصادر السابقة (هامش 353). مابعد الصفحات.

(356) انظر هامش 121 .

الباب الأول
في
فضل العلم وأهله

قال (X 1) تعالى: « يرفع الله الذين آمنوا منكم، و الذين أوتوا العلم درجات » (1).

و لما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وهو واقف بعرفة يوم الجمعة. نزل عليه (X 2) قوله تعالى: « اليوم أكملت لكم دينكم » (X 3). الآية (2) .

قال أهل الكتاب: « لو نزلت علينا هذه الآية، لجعلنا يوم نزولها عيداً من الأعياد ».

(وقال صلى الله عليه وسلم: « نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل ») (X 4).

و قال صلى الله عليه وسلم: « علماء (X 5) أمتي كأنبياء بني إسرائيل ».

و قال (صلى الله عليه وسلم) (X 6): « قيدوا العلم بالكتابة ».

و قال مولانا (X 7) علي رضي الله عنه:

/ 21 د/ ما حوى العلم جميعا أحد   لا ولو مارسه ألف سنه

إنما العلم بعيد غوره   فخذوا من كل شيء أحسنه .

(زهد مولاي علي وحفيده مولاي الشريف في العلم)

وممن عظم العلم واكتفى به عن الملك وزهد فيه، مولاي علي الشريف (3) جد الأشراف فإنه كان يتوجه للغزو بجزيرة الأندلس المرة بعد المرة، واشتهر علمه وظهر فضله. وراوده أهل الاندلس على ملكها، فزهد فيه وأبى عنه، قال: « يكفيني منصب العلم».

و كذلك حفيده مولاي الشريف (4) بن علي، كان (8x) أهل إقليم الصحراء كلها أسندوا أمرهم إليه. فكان يرشد هم إلى سبل الخير. و لما بايعوه، رد عليهم بيعتهم و لم يقبلها، فقام بها ولده مولاي محمد بن الشريف قبل موته.

(X 1) ك   الله.
(X 2) « عليه » سقطت من (د).
(X 3) ب   « وأتممت عليكم نعمتي ».
(X 4) ما بين قوسين سقط من (ب).
(X 5) أ   علما.
(X 6) ب، ز، ج، ك، عليه السلام.
(X 7) « مولانا » سقطت من باقي النسخ المعتمدة في التحقيق.
(X 8) « كان»   سقطت من (ب)

(استطراد: زهد زيادة الله بن الأغلب عن الملك)

(و مثل هذا، وقع من زيادة الله بن الأغلب (5) أمير إفريقية، لما بايعوه، أقام ستة أشهر وخلع نفسه، وزهد في الملك ولبس الصوف ونبذ عياله وأولاده وما في قصره، وانقطع لعبادة ربه بساحل البحر زمنا طويلا.

وكان الناس يقصدونه للبركة، فاستوحش منهم وساح إلى أن بلغ مكة، فكان يسقي الماء للناس في قربة في سبيل الله، وبلغ مبلغا عظيما في العبادة، إلى أن مات بمكة رحمه الله)(1x) .

وأما مقابل العلم و هو الجهل، فذم الله تعالى أهله بقوله: « وأعرض عن الجاهلين » (6). وقال عيسى عليه السلام: « عالجت الأكمه والأبرص فأبرأتهما، وعالجت الجاهل فأعياني». وقيل في الجهل هذا:

و في الجهل قبل المـــوت مـــوت لأهـــلـــه   وأجسامـــهـــم قبـــل القـــبـــور قـــبـــور
و كل امرئ لم يحي بـــالـعـــلـــم مـــيـــت   وليس لـــه حتى النـشـــورنـشـــور(7)

(رأي المؤلف في مولاي محمد بن الشريف ومحمد الحاج الدلائي)

فانظر إلى نور العلم، كيف زهد صاحبه مولاي علي الشريف وحفيده مولاي الشريف بن علي في منصب الملك بعد أن عرض عليهما، وظلمة الجهل قادت صاحبها محمد بن الشريف إلى مصرعه قبل بلوغ أمله (8).

وكذلك محمد الحاج، أبلغه جهله إلى فضيحته وفضيحة أهله وحزبه، وتشتتوا في البلاد بعد أن كانت تشد لزاويتهم الرحال لطلب العلم (9) . فلما زهدوا فيه و جهلوا قدره، سلط الله عليهم من هتك حرمتهم وأزال نعمتهم (10) .

(1x) ما بين قوسين زيد في طرأة (أ) بتصحيح، وسقط من باقي النسخ المعتمدة.

دولـة مولاي محمـد بن (1X) الشريف

و لما مات مـولاي الشريف (11)، بايع أهل أقاليم الصحراء ولده مولاي محمد عام تسعة وستين وألف ، و هي البيعة الثانية العامة (12).

(خروج مولاي رشيد من تافيلالت)

فخرج أخوه (2x) الرشيد عن تافيلالت فارا خوفا على (3 X) نفسه. وبلغ تدغة (31)، فأقام بها مدة، وتوجه إلى دمنات (14) فأقام به مدة، ورجع إلى زاوية أهل الدلاء (15) فأقام بها مدة، وتوجه لأزرو (16) فأقام به مدة، وتوجه لفاس ومنها توجه لتازة (17). ثم خرج إلى حلل المعقل من الأحلاف وسقونة، فأقام عندهم (18).

واستمرت ولاية محمد الحاج على المغرب إلى عام سبعين وألف (19)، وذلك في دولة السلطان محمد بن إبراهيم العثماني (20) الذي فتح مدينة « أويور».

(محمد الحاج يلاحق الخضر غيلان)

وفيه أغار الخضر غيلان على شراگة (21) فنهبهم، ودخلوا فاسا يتكففون. وبإثر ذلك دخل محمد الحاج للغرب (4x) (في جموع البربر، وعاث فيه، وفر أهل الغرب و الخضر غيلان للفحص) (5 X). وبلغ محمد الحاج إلى ضريح الشيخ أبي سلهام (22) بساحل البحر، و لم يلقه أحد.

(قيام الدريدي بفاس)

و في ذلك العام، قام الدريدي (23) بفاس الجديد، بعد موت محمد بن محمد الحاج (24)، وذلك ابتداء اختلال دولة أهل الدلاء.

(الأمير عبد الله الدلائي يحاصر فاسا)

و في عام ثلاثة وسبعين وألف، نزل عبد الله ولد محمد الحاج على فاس (25) ، وحاصرها عشرة أيام، وأحرق وأفسد ورجع، و كان رئيس فاس القديم ابن صالح (26).

(1 X) « بن» سقطت من (ك).

(2 X) « أخاه » في جميع النسخ المعتمدة.

(3 X) ب ، ج عن.

(4 X) ك للمغرب.

(5 X) مابين قوسين سقط من (ك).

(حركة مولاي محمد بن الشريف للحياينة)

و في آخر العام، نزل/ 22 د / مولاي محمد بن الشريف على زرع الحيـاينـة، فـأكـلـه وأفسده (27). ووقعت مجاعة عظيمة، أكل الناس فيها الجيف و الدواب والادمي، وخلت الدور وعطلت المساجد.

(استغاثة أهل فاس بالدلائيين)

وخرج أهل فاس يستغيثون بأهل الدلاء.

وخرج مولاي محمد بن علي بن طاهر [كان نزلها بقصد أن يبايعوه، فلم يقبلوا، وتوجه] (1X) مع الحياينة يحارب مولاي محمد بن الشريف، فلم يجتمع به، ورجع (28).

(رجوع أهل فاس إلى طاعة محمد الحاج)

و في عام أربعة وسبعين وألف، بلغ محمد الحاج أزرو (29) ونزل به، فتوجه له أهل فاس وعلماؤها وأشرافهم، وبايعوه ورجعوا، وبقي هنالك إلى فصل الشتاء ورجع.

(خروج أهل فاس عن طاعة الدلائيين)

ثم تحالف أهل فاس مع الدريدي بفاس الجديد على مخالفته، وصار الدريدي يبعث جموعه للإغارة على مكناسة وأحوازها ويأتون (X 2) بالنهب و السبي، ويلقاهم الدريدي بطبوله.

(حدوث زلزلتين بفاس)

و في هذه السنة، خربت طالعة فاس من درب الحرة (X 3) إلى باب المحروق (30)، وهدمت و غرست كلها (31).

وفيها (X 4)، أوقع البربر بأصحاب الدريدي، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

(الإنجليز يتملكون طنجة من يد البرتغاليين)

و في هذه السنة، أخذ الانجليز طنجة (32) من يد البردقيز (33) لضعفهم عن مقاومتهم.

(استطراد: السلطان محمد الرابع العثماني يقوم ببعض الفتوحات)

وفيها فتح السلطان محمد بن إبراهيم (34) مدينة البصرة. و فيها، وجه العساكر لفتح مدينة « كاسترو» من جزيرة « كندية»، فأقاموا على حصارها برا وبحرا ثلاثة أعوام، إلى أن

(X 1) مابين معقوفتين استدرك من طرة (أ)، وثبت في متن الروضة السليمانية (ظ و 52) .

(X 2) « ويأتوا » في جميع النسخ االمعتمدة.

(X 3) « الدرة» في باقي النسخ االمعتمدة.

(X 4) « ثم » في باقي النسخ االمعتمدة.

انقطع عنهم المدد، فطلبوا الأمان، فأمنهم ثلاثة أيام وأعطاهم مراكب حملوا فيها أولادهم، وملكها المسلمون. و هي أعظم مدائن الكفار(1x).

(خروج مولاي رشيد على أخيه مولاي محمد)

و في عام خمسة وسبعين وألف، قام مولانا الرشيد على أخيه مولاي محمد، ودعا لنفسه بالشرق، وجمع كلمة العرب ونزل وجدة. فتوجه له مولاي محمد بن الشريف من تافيلالت، وخرج الرشيد من وجدة بجموعه.

(وفاة مولاي محمد بن الشريف)

فكان اللقاء ببسيط أنگاد (35). و لما وقع الحرب، كان أول قتيل مولاي محمد بن الشريف، وانهزمت جموعه. فتوجه مولانا الرشيد بشلو أخيه ليدفنه ببني يزناتن. فطرق دار ابن مشعل(36) الذمي (X 2)، وقتله وأخذ ماله، ودفن أخاه هناك. وفرق على العرب نصيبا من المال، وباقيه استعان به على أمره.

ووافقت أيامه دولة السلطان محمد بن إبراهيم العثماني (37) .

(استطراد: مصطفى باشا يحاصر مدينة البييج)

و في أيامه، وجه وزيره « قارمصطفى » (38) في العساكر لمدينة « البييج » (39) قاعدة ملك النمسة، وحاصرها الى أن طلب صاحبها الأمان، فلم يقبله منه، وطمع في أخذ الأموال التي بها. فتوجه صاحبها بالأموال، وأتى بعساكر الكفار، وداروا بعسكر المسلمين، فهزموهم وقتلوهم، و لوأرادوا قتل جميعهم، لم يفلت منهم أحد. و نهبوا محلتهم وآلة حربهم.

و هذه الوقعة (40). هضمت، جناب الدولة العثمانية و الاسلام كله. و لما بلغ الخبر للاسطنبول، قام عندهم هرج عظيم (X 3)، وردوا الملام على السلطان لتخلفه عن الجهاد، فعزلوه وعزلوا أهل المناصب، وبايعوا السلطان سليمان بن إبراهيم (31) . انتهى.

(بيعة مولاي رشيد)

رجوعا لخبر مولانا الرشيد : فإنه لما فرغ من مأتم أخيه، واجتمع عليه من كان من العرب والبربر مع أخيه محمد بن الشريف، و من معه من العرب الأحلاف وسقونة وبني يزناتن، بايعوه البيعة العامة، ووجه لأهل تلك النواحي كلها من العرب و البربر، وقدمت عليه وفودهم بالهدايا.

(X 1) ك الروم.

(X 2) « الذمي » سقطت من باقي النسخ المعتمدة.

(X 3) ك كثير.

وكتب من كان مع أخيه، وكساهم وأعطاهم الخيل و السلاح، وكتب عسكرا من الشراگة من بني سنوس، ومديونة، و من بني عامر و الشجع [وهوارة] (1x).

(استعانة مولاي رشيد بثروة ابن مشعل)

] احتاج إلى المال، و كان أخذ ولدا صغيرا للذمي ابن مشعل، فكانت أمه تسعى في فدائه، وتتعلق بكل أحد، فلمارأى الرشيد تلهفها على الولد، شدد عليها وتفرس فيها وقال:

- « لا أعطيه و لا أفديه إلا إذا صادقتني ودللتني على مال والده، أو أقتله.

ولما رأت منه الجد، قالت:

- رد علي ولدي، وأدلك على مال أبيه ».

فسار معها للدار، ودخلت به بيتا مهملاً، فدلتهم على خزين فيه، فنقبوا / 23 د/ بابه، ودخلوا من النقب، وأخرجوا خوابي فيها ذهب (X 2) وفضة، كسرها وحمل مافيها في غرائر على الابل قيل عشرون، وقيل ثلاثون (X 3) حملا (42).

ومنه فرق الراتب على من كان كتب في الجند من العرب و البربر، وأصلح منه أحوال دولته و عد ذلك من سعادته.

(استطراد : قصة علي بن بويه الديلمي)

و مثل هذا، وقع لعماد الدولة ابن بويه الديلمي (43)، وإخوته؛ فإنهم كانوا جندية، ووالدهم فقير يصيد السمك ويتعيش منه.

و لما حاصر عماد الدولة « شيراز » و مات واليها في الحرب ودخلها عماد الدولة (44)، ونزل دار الوالي، فأصبح عليه الجند يطلبون الراتب أو يتوجهون عنه، وليس عنده ما يعطيهم ويسد به فاقتهم.

فاغتم لذلك، واستلقى على ظهره مفكراً في أمره، و ما يكون به المخرج مع العسكر، فرأى حية خرجت من نقب ودخلت لآخر في زاوية البيت، فخاف أن تسقط عليه ليلا، فأمر من يحفر عليها في ذلك النقب الذي دخلته، فحفروا. فوجدوا النقب يفضي الى بيت آخر، فأمرهم أن يوسعوا النقب، ويدخل بعضهم ليرى ما هنالك، فنصبوا سلما ونزلوا للبيت، فوجدوا فيه صناديق وسلاحا كثيرا، فأخرجوا ذلك وفتح الصناديق، فوجدها مالا ذهبا وفضة، ففرق منها على الجند وأصلح حاله، وأعطى إخوانه وخدامه.

(X 1) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(X 2) د ذهبا.

(X 3) د عشرين و قيل ثلاثين.

واشترى حريرا وديباجاً، وطلب خياطا يخيط له، فأتوه بخياط كان لوالي البلد قبله، وكان أطروشا. و لما أبلغوه لعماد الدولة، دهش وارتعد و قال:

- والله ياسيدي ما ترك عندي غير اثني (X 1) عشر صندوقا ما عرفت ما فيها، ولا زالت على حالها.

فضحك، ووجه معه من حملها وأتى بها. و لما فتحها، وجد فيها مالا و جوهرا وحللا معتبرة استغنى بها عن الخياطة، فأعطى الخياط مالا، وقال له:

- عمر به دكانا، وأرح نفسك من تعب الخياطة، و توسع بذلك المال (45).

واشتهر أمر بني بويه (46) و عظم أمرهم بالعراق إلى أن أدركوا السلطنة بسعادتهم كما قيل:

وإذا السعادة أحرستك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان (47).

(انتقال مولاي رشيد الى مدينة تازة)

رجوعا لخبرالرشيد] (X 2): و لما قضى غرضه ورتب جنده، وجه رسله إلى الآفاق بالاعذار و الإنذار و الوعد والوعيد لأهل الطاعة و المعصية، و سار على آثارهم راجعا الى المغرب. و لما نزل على وادي ملوية، أقام به للاستراحة وانتظار من يأتيه من قبائل كارت و الريف. و حيث لم يقدم عليه أحد منهما، ارتحل لتازة، و لما بلغها، بايعه أهلها وقبائلها.

(1x) د اثنا.

(2x) ما بين معقوفتين زيد في طرة (أ) بتصحيح مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ، وسقط من باقي النسخ المعتمدة في التحقيق. و هو مثبت كذلك في الروضة السليمانية مخ خع (ظ و 53).

التعاليق و الهوامش

(1) سورة المجادلة. الآية 11 .

(2) سورة المائدة . الآية 3 .

(3) في طرة (ب): « مولاي علي الشريف جد الاشراف، حلاه ابن هلال في رحلته بقوله الشيخ الصالح العابد الزاهد المجاهد » و في طرة (ز)، زيادة: « ذو الصدقة والأوقاف وأحد علماء الأشراف. تحلية ابن هلال، رحم الله الجميع».

(4) انظر هامش 121 (مقدمة المؤلف) .

(5) هذا الاسم، يحمله ثلاثة أمراء من بني الأغلب، وربما كان المقصود هنا «زيادة الله الثالث (290 – 297 هـ / 903 – 910م) لأنه الوحيد من بينهم المتوفى ببيت المقدس بالمشرق، وهو آخر أمراء بني الاغلب، و ماذكره المؤلف هنا، يختلف في كثير من النقط عما في المصادر التاريخية التي بين أيدينا.

البيان المغرب 1 : 134 . ابن خلدون 4 :263 . محمود اسماعيل، الأغالبة ص 60 . تاريخ الخلفاء ص 379 . تاريخ الاسلام السياسي 3 : 159 . دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 389، هذه الصفحات و ما بعدها.

(6) سورة الأعراف. الآية 199 .

(7) البيتان لعلي بن أبي طالب(باختلاف يسير) . انظر ديوانه ص 28 .

(8) لا مبرر لهذا الحكم، فمولاي محمد بويع على القاعدة الشرعية في حياة والده واستطاع بحنكته ونجدته منافسة الدولة العثمانية وكانت يومئذ أقوى دول العالم الاسلامي. وربما كان تبريره لهذا الرأي هو موت مولاي محمد فجأة في حربه ضد أخيه الرشيد، وهو ما عبر عنه بقوله « قبل بلوغ أمله».

(9) عن الدور العلمي لهذه الزاوية، انظر: حجي، الزاوية الدلائية ص 71 وما بعدها .

(10) يشير الى مولاي رشيد العلوي الذي تم على يديه تخريب الزاوية الدلائية بعد معركة «بطن الرمان » عام 1079 هـ/ 1668 م كما سيأتي.

(11) انظر هامش 121 (مقدمة المؤلف).

(12) كانت البيعة الأولى لمولاي محمد في حياة والده عام 1050هـ / 1641م .

الأنوار الحسنية ص 76 . نزهة 301 . إتحاف 3 : 130 . الاستقصا 7 : 15 .

(13) « تدغة » مجموعة من القرى على وادي «دادس» بالسفح الجنوبي للأطلس الكبير.

التقاط الدرر ص 142، هامش 4 . الوزان 2 : 129 . الترجمانة ص 67 .

(14) «دمنات، مدينة جبلية بالأطلس الكبير على بعد حوالي 120 كلم شرقي مدينة مراكش، كانت تلعب أدوارا اقتصادية مهمة وذلك لتوسطها بين تافيلالت ومراكش عبر طريق درعة لذلك العهد.

التقاط الدرر ص 142، هامش 5 . الترجمانة ص 79 . العزوالصولة 1: 153 هامش 6 كتاب المغرب ص 89 . معلمة المدن ص 199 .

(15) يقصد هنا الزاوية التي بناها محمد الحاج، و التي تقوم على أنقاضها اليوم زاوية «آيت إسحاق» في الطريق الرابطة بين خنيفرة وقصبة تادلا .

الزاوية الدلائية ص 30 وما بعدها. التقاط ص 143، هامش 1 .

(16) «أزرو» لفظة بربرية تعني « الصخر» و هي مدينة بالأطلس المتوسط وسط قبائل بني مگيلد على بعد نحو 82 كلم جنوب مدينة فاس.

التقاط ص 143، هامش 2 . الترجمانة ص 79 . كتاب المغرب ص 41 .

(17) تقع هذه المدينة بين الأطلس المتوسط و الريف على بعد نحو 230 كلم شرقي مدينة فاس، تتمتع بموقع استراتيجي مهم جعل منها قاعدة حربية، وحصنا منيعا لصد كل هجوم يأتي من الشرق، لذلك سنجد مولاي رشيد يتخذها منطلقا لتوسيع دولته .

البكري ص 118 . الاستبصار ص 186 . معيار الاختيار ص 182 . الوزان 1 : 275 .

(18) للمزيد من التفاصيل، انظر: نشر 2 : 192 . التقاط ص 142 . تاريخ الضعيف 1:116 . الدر المنضد و 110 . الاستقصا 7 : 29 . الإتحاف 3 : 32 .

Mouette. S. I. H. M. 2e S. France T. 2 P. 15

(19) موافق 1660 م. وهذا العام يؤرخ انهزام محمد الحاج الدلائي ب «أبي حريرة» أمام قوات الخضر غيلان، وهذه المعركة أضعفت نفوذ الدلائيين إلى حد بعيد.

الزاوية الدلائية ص 217 . نشر 2 : 108 . التقاط ص 147 . تاريخ الضعيف 1 : 118 .

Arch. Mar. V. 24 P.107, N: 1.

(20) انظر هامش 326 (مقدمة المؤلف).

(21) إحدى القبائل الشهيرة بأحواز فاس، سميت كذلك نسبة إلى ناحية شرق المغرب و التي أتت منها. و في ذلك العهد نجد عدة قبائل منها تنزع إلى مولاي رشيد، كالشجع، وبني عامر، ومديونة، وهوارة و كلها انضمت الى جيشه.

العز والصولة ص 152، هامش 5 . تاريخ الضعيف 1 : 117، هامش 135 .

(22) و هو مرسى بالساحل الاطلسي على بعد نحو 40 كلم جنوب مدينة العرائش.

معلمة المدن ص 11 .

(23) أبو عبد الله الدريدي، استقل بأمر فاس الجديد بعد موت محمد الحاج، ربط علاقة مصاهرة مع صالح الليريني صاحب عدوة الأندلس هادفين معا الى توطيدمركزهما أمام كل التحديات، غير أنهما كانا يفتقدان إلى الكفاءات التي تؤهلهما الى هذا الدور، الشيء الذي جعل فاسا تدخل من جديد تلقائيا في طاعة الدلائيين.

الزاوية الدلائية ص 219، هامش 5 . نشر 2 : 108 . التقاط ص 147 .

(24) انظر هامش 343 (مقدمة المؤلف) .

(25) كان ذلك في أوائل رمضان عام 1072 هـ/ ماي 1662م، قصد استرجاع المدينة بعدما استقل بها الدريدي.

المصادر السابقة (هامش 23) ، مابعد الصفحات.

(26) راجع عنه : الزاوية الدلائية ص 220 .

(27) تم ذلك عام 1074 هـ/ 1663 م، و تدخل هذه الحركة في إطار إخضاع مولاي محمد للقبائل الشمالية. وللمزيد من التفاصيل، انظر :

البدور الضاوية مخ خع ص 238 . تاريخ الضعيف 1: 121 . تقييد القادري ص 259 . الاستقصا 7: 28 .

(28) للمزيد من التفاصيل في الموضوع، انظر: نشر 2: 134 . التقاط ص 158 . الضعيف 1:120 . تقييد القادري ص 260 . الاستقصا 7 : 28 . إتحاف 3: 135 .

(29) كان ذلك في صفر 1074 هـ/ شتنبر 1663 م، و هي آخر حركة لمحمد الحاج.

البدور الضاوية مخ خع ص 238 . الزاوية الدلائية ص 220 .

(30) أحد أبواب عدوة القرويين بفاس، سمي كذلك بسبب إحراق شلو أحد الثوار العبيديين به في العهد الموحدي. و قد كان قبل ذلك يعرف ب « باب الشريعة ».

جذوة 1: 50 . بيوتات فاس ص 63 . لوتورنو، فاس قبل الحماية 1 : 160 وهامش 1و2

(31) سبب ذلك، زلزلتان عنيفتان وقعتافيما بين منتصف ربيع الأول، وأواخر رمضان من عام 1074هـ/ 1663م.

نشر 2 : 144 . التقاط ص 162 . الضعيف 1 : 122 .

(32) مدينة قديمة تقع على رأس بوغاز جبل طارق، يرجع تاريخ تأسيسها إلى العصر الفنيقي. احتلها البرتغاليون عام 841هـ / 1471م، ثم منحوها للانجليز عام 1661م، وظلت مستعمرة إنجليزية إلى أن حررها السلطان مولاي إسماعيل عام 1059 هـ/ 1684م.

البكري ص 104 الاستبصار ص 138 . معيار الاختيار ص 147 . الوزان 1 : 243 .

مارمول 2 : 208 . تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية ص 77 . تاريخ تطوان 1 : 213 .

De La Varonne. Tanger sous l'occupation Anglaise

S.I.H.M. 2è S.France. T .1 P4 et P.497

(33) ترد في بعض المصادر « البرطقيز » و هي تعريب عامي لكلمة (Portugais)، كما ترد باسم « البرتغال» (Portugual) .

(34) انظر هامش 326 (مقدمة المؤلف) .

(35) يبدو من خلال المصادر التاريخية، أن الحرب بين مولاي رشيد و مولاي محمد دارت على مرحلتين الأولى عام 1074هـ بتمسمان بالريف، كان النصر فيها حليف مولاي محمد، والثانية بموضع « سيدي بوهدية» بسهل أنكاد، وهي التي توفي خلالها مولاي محمد وذلك في أوائل محرم 1075 هـ/ غشت 1664م.

الانوار الحسنية ص 77 . نزهة ص 302 . نشر 2: 148 . التقاط ص 163 . الضعيف 1:132 . الجيش 1:57 . تقييد القادري مخ خع ص 261 . الدر المنضدو 112 .

S. I. H. M. 2eS. France. T.1 P. 84.

Mouette. T. 2 P. 21.

H. Terrasse. Histoire du Maroc. 2: 239.

(36) تقع بقرية « تاكمة» القريبة من تافوغالت شمال غرب مدينة وجدة، و على بعد نصف مرحلة شرق مدينة تازة.

بنويزناسن ص 68 . الدر المنضد مخ خع و 111 . اتحاف 3: 34 . ب . دوسينيفال هسبريس 1925 ص 137 - 218م . 5 .

Mouette.Ibid P.17.

(37) انظر هامش 326 (مقدمة المؤلف).

(38) « قره مصطفى باشا» صهر أحمد باشا كوبرلي. تولى منصب « الصدرالأعظم» عام 1078 هـ/ 1676 م. توفي قتيلا عام 1095هـ / 1684م.

تاريخ الدولة العلية ص 136 . آصاف ص 114 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 520 .

(39) ما تذكره المصادر التاريخية هو مدينة (Vienne)، وقد حاصرها مصطفى باشا عام 1094هـ/ 1683م انظر المصادر السابقة (هامش 38) نفس الصفحات.

(40) ربما يشير هنا إلى وقعة « موهاكس» التي اندحر خلالها الجيش العثماني أمام الحلف الأوروبي الذي ضم النامسا و البندقية وروسيا وبولندا ومالطة وغيرها، وذلك في شوال 1098هـ/ غشت 1687م.

انظر المصادر السابقة (هامش 38)، مابعد الصفحات.

(41) انظر هامش 327 (مقدمة المؤلف).

(42) لا نملك - فيما بين ايدينا من المصادر و المراجع - دلائل مادية تحدد قدر هذه الأموال.

(43) أبو الحسن علي بن بويه الملقب ب « عماد الدولة» أحد قواد الخليفة القاهر العباسي ببلاد « الديلم». ثار على مخدومه عام 320 هـ/ 932 م، واستطاع الاستقلال بكثير من المدن مثل « اصبهان» و «أرجان» و« شيراز». توفي عام 323 هـ/ 935م.

ابن خلدون 4: 564. تاريخ الخلفاء ص 386. تاريخ الاسلام 3: 42. دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 191.

(44) كان ذلك عام 322 هـ/ 934 م، في عهد الخليفة الراضي العباسي.

(45) مثل هذا الكلام ورد في تاريخ الخلفاء ص 387 و تاريخ ابن خلدون 3: 492.

(46) أصل البويهيين من الديلم، و هم قبائل فارسية استوطنت المناطق الواقعة بين طبرستان وجيلان وبحر الخزر وأذربيجان، قامت إمارتهم منذ عام 320هـ / 932 م على حساب الدولة العباسية. و ما لبثت دولتهم أن ضعفت بسبب الصراع على السلطة بين ابناء عضد الدولة، و من جاء بعدهم، إلى أن سقطت على يد السلاجقة عام 447 هـ / 1055م.

ابن خلدون 4: 563. دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 190. تاريخ الاسلام السياسي 3:37. تاريخ الشعوب الاسلامية ص 244، هذه الصفحات و ما بعدها.

(47) انظر النبوغ المغربي 2: 248.

الباب الثاني
في
العقل وشرفه

قال عليه السلام: «العقل نور يجعله الله في قلب من أحبه يفرق به بين الحق والباطل».

وقال عليه السلام: «إنما يرتفع العباد غدا في الدرجات، وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم».

وقال بعض الحكماء: «إذا صحبت إنسانا، فانظر لعقله لا لدينه، فإن دينه له، (وعقله له) (1x) ولك».

وقيل: « كل شيء إذا كثر رخص، إلا العقل فإنه إذا كثر غلا. و كل شيء يحتاج إلى العقل، و العاقل يحتاج الى التجاريب». و فيه قيل:

« وما المرء منفوعا بتجريب غيره إذا لم تعظه نفسه و تجاربه».

فانظر إلى كمال العقل كيف بلغ بالرشيد الغاية القصوى، و عالج داء أهل المغرب إلى أن دان له الجميع.

(1x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح.

دولة مولانا الرشيد بن مولانا الشريف

/ 24 د/ و لما مات مولاي محمد بن الشريف، بويع مولانا الرشيد بأنگاد، فحمل شلو أخيه، وتوجه به لدار ابن مشعل [فدفنه بها، وقبض على الذمي ابن مشعل] (1x)، فقتله وأخذ أمواله وبضائعه استعان بها على أمره، وفرق بعضها على العرب الذين معه كما قدمنا.

(خروج أهل فاس مع الحياينة لقتال مولاي الرشيد)

و لما بلغ خبر بيعته لأهل فاس، اجتمعوا مع الحياينة وأهل الحوز (1)، واتفقوا على مخالفته و عدم بيعته، وتحالفوا.

وأمر رؤساء أهل فاس عامتهم بشراء الخيل و العدة و الإكثار منها، ففعلوا. ووظفوا على كل دار مكحلة (2)، و من لم توجد (x 2) عنده يعاقب. فاشتروا منها فوق الكفاية، وخرجوا لباب الفتح (3) لعرض الخيل و السلاح.

واجتمعوا مع الحياينة وأحلافهم، وتحالفوا على حرب الرشيد ولايدخل بلادهم بسبب ما فعل مولاي محمد بن الشريف من النهب لهم (x 3)، ظنا منهم أنه مثله. فنفروا منه، وعرضوا خيلهم وسلاحهم على رؤسائهم (4x) . و لما بلغ ذلك للرشيد، أعرض عنهم لكمال عقله.

(مولاي رشيد يحاصر مدينة سجلماسة)

وتوجه لسجلماسة، فأقام محاصرا لها تسعة أشهر إلى أن خرج عنها محمد بن محمد بن الشريف (4) ليلا، ودخلها مولانا الرشيد، فسد فرجها ومهد أطرافها ورتب حاميتها ورجع لتازة، فأقام بها.

(انهزام أهل فاس و الحياينة أمام قوات مولاي رشيد)

و لما بلغ خبره لأهل فاس، اتفقوا مع أحلافهم أن يغيروا عليه (x 5) بتازة، فتأهبوا للحركة، وخرجوا من فاس في شوال عام ستة وسبعين وألف (5)، فلما قابلوا محلته، انهزموا دون قتال، فتبعهم إلى وادي سبو (6)، ورجع. فبعثو ا له في الصلح، فلم يكمل بينهم وبينه إلى أن ملك نواحي المغرب كلها.

(x 1) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(x 2) ك توجب.

(x 3) « لهم» سقطت من (ك).

(x 4) ز رؤوسهم.

(x 5) ب، ز عليهم.

(مولاي رشيد يحاصر مدينة فاس)

و في صفر عام سبعة وسبعين وألف (7)، نزل على فاس وحاصرها، وقاتلهم ثلاثة أيام، فأصابته رصاصة في طرف أذنه ورجع سالما، ثم أعاد حصارها مرة أخرى في ربيع، فأوقع فيهم بالقتل و الجراحات ورجع لأنه لم يأت بقصد المقام.

ثم توجه للريف (8) بقصد أعراص (9) القائم به، فحاصره وقاتله، و كانت بينهما وقعات ومنازلات إلى أن أخذه في رمضان. و في ذي (x 1) القعدة، نزل على فاس وقاتلها إلى ثالث ذي الحجة، فدخل فاسا الجديدة من السور من ناحية ملاح المسلمين (10)، وفر أميرها الدريدي(11).

و هذا الدريدي، كان في جملة من إخوانه من جشم (12)، وكانوا في ديوان السعديين. و لما بايع أهل فاس محمد الحاج، كان من جملة عساكره (x 2)، إلى أن فشل ريحهم، و خالفهم، وصار يشن الغارة على البربر إلى أن نزل الرشيد على فاس الجديدة و دخلها، ففر الدريدي. ومن الغد، نزل الرشيد على فاس القديمة وحاربها، ففر رئيس اللمطيين ابن الصغير وولده الى بستيون (13) باب الجيسة (x 3) بالليل.

و لما أصبح، فر رئيس الأندلس ابن صالح، و خرج أهل فاس، فبايعوا مولاي رشيد، وقبض على ابن صالح بحوز المدينة (14)، فسجنه بباب دار ابن شقرا، وقتل عدة من أصحابه، ثم قبض على ابن الصغير وولده. و (4x) بعد سبعة أيام قتلهم. وولى على قضاء فاس حمدون المزوار(15).

(حركة مولاي رشيد للغرب وانتصاره على الخضر غيلان)

ثم خرج من فاس للغرب، بقصد الخضر غيلان، فانهزم غيلان للقصر، فتبعه، فانهزم من القصر لأصلة (16)، فرجع الرشيد لفاس (17).

(وقعة ابي مزورة بين مولاي رشيد و الدلائيين)

و في عام ثمانية و سبعين وألف، حرك لمكناسة (18)، وقصد آيت ولال (19) من البربر حمية محمد الحاج، فأخذهم ورجع.

وبعد رجوعه، نزل محمد الحاج بجموع البربر بأبي مزورة (20) قرب فاس، فقاتله الرشيد ثلاثة أيام، ورجع محمد الحاج. ثم خرج الرشيد لتازة ونواحيها، ورجع. وعزل العكيد قائد مكناسة.

(x 1) « ذي» سقطت من باقي النسخ االمعتمدة.

(x 2) « عسكره» في باقي النسخ االمعتمدة.

(x 3) ب باب الحبيبة.

(x 4) ك ثـــم.

(حركة مولاي رشيد لبني زروال)

وخرج لحركة بني زروال (21) ثاني النحر، فأخذهم وبعث رئيسهم الشريف لفاس.

(نزول مولاي رشيد على تطوان)

(وتوجه لتطوان (22)، فقبض على رئيسها أحمد النقسيس (23) في جماعة (x 1) منهم ورجع بهم لفاس) (x 2)، فخلد هم في سجنها. ثم خرج لحركة بني يزناتن، فحاربهم ورجع. ثم خرج لحركة گيگو، فقضى غرضه فيه، ورجع.

(وفاة كروم الحاج الشباني)

و في هذا العام، مات كروم الحاج الشباني (X 3) (24) الثائر بمراكش، و تولى ولده ابو بكر بن الحاج (25) .

(خروج مولاي رشيد للزاوية الدلائية)

و فيه خرج الرشيد لحركة الزاوية / 25 د / الدلائية، وولى على فاس الفقيه السيد محمد بن أحمد الفاسي (26)، في أول (x 4) محرم تسعة (x 5) وسبعين وألف. فلقي محلة أهل الدلاء مع ولد محمد الحاج (27) ببطن الرمان (28) من فازاز، ووقع القتال ، فانهزم ولد [محمد] (x 6) الحـــاج و البربر، ورجعوا للزاوية، وتبع الرشيد آثارهم إلى أن نزل على الزاوية.

قال الشيخ اليوسي في محاضرته (29): « كان الرئيس (x 7) محمد بن محمد الحاج بن أبي بكر الدلائي ملك المغرب كله سنينا عديدة، واتسع هو وأولاده واخوانه (x 8)، في الدنيا ، فلما قام عليه السلطان الرشيد بن الشريف، و لقي جيوشهم ببطن الرمان وهزمهم، وقدموا على محمد الحاج للزاوية إذ لم يحضرهو للمعركة لكبر سنه وعجزه عن الحروب، ودخل عليه أولاده(30) واخوانه (X 8)، وأظهروا له جزعا شديدا وضيقا عظيما ، فلما رأى منهم ذلك، قال لهم: ماهذا الجزع الذي أرى منكم؟! إن قال حسبكم حسبكم، يريد الله تعالى. و هذا كلام عجيب، وإليه يساق الحديث، و المعنى، إن قال لكم الله تعالى حسبكم من الدنيا ، فكفوا راضين مسلمين ». انتهى كلام اليوسي.

(x 1) « من حزبه، وتوجه بهم لفاس » في باقي النسخ المعتمدة.

(x 2) ما بين قوسين زيد في طرة (د) (ز) بتصحيح.

(x 3) د الشيباني.

(x 4) « أول » سقطت من باقي النسخ االمعتمدة.

(x 5) أ واحـــد.

(6x) مابين معقوفتين سقط من (د) .

(x 7) ك الرشيد.

(x 8) « واخوته» في باقي النسخ االمعتمدة.

وكان استيلاؤه على الزاوية في ثامن المحرم عام تسعة وسبعين وألف (31). و لما خرج إليه أهل الزاوية، عفا عنهم و لم يرق دماءهم، و لا كشف لهم عورة، لحلمه وكرمه و لما فرغ من الزاوية، انقلهم عنها لفاس، وأخلاها.

(نبذة عن تاريخ الزاوية الدلائية)

و كانت اشتهرت بالزاوية البكرية، نسبة إلى جدهم أبي بكر (32)، و لا عبرة بزعم من زعم من بقاياهم، أنهم من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (33)، فلم يقل به أحد من سلفهم ولا خلفهم. و لما وجه أبو بكر ولده للحجاز، من جملة وصيته له، قال له: «توجه على طريق الصحراء على بلاد ايت (x 1) عطة (34) و التوارك (35)، فانهم رهطك» نعم، كان سلفهم صلحاء علماء، تشد لزاويتهم الرحال من (x 2) أقطار المغرب.

(علماء الزاوية الدلائية)

وكان فيهم خمسة وعشرون عالما (36) مدرسين في المعقول و المنقول، أولهم:

جدهم أبو بكر بن محمد بن سعيد (37) المجاطي الصنهاجي من قرية يدلا، مات عام (3x) عشرين وألف (38).

(ثم ولده محمد بن أبي بكر (39) ، مات عام ستة وأربعين وألف.

ثم المسناوي بن محمد (40)، مات عام واحد (x 4) وخمسين وألف) (x 5).

ثم عبد الخالق بن محمد (41)، مات عام تسعة وخمسين وألف.

ثم المسناوي بن إسماعيل (42)، مات عام أربعة وستين وألف.

ثم عمر بن أبي بكر (43)، مات عام تسعة وستين والف.

ثم محمد بن الخديم (44) ، مات عام اثنين وسبعين وألف.

ثم الطيب بن المسناوي (45)، مات عام أربعة وسبعين وألف.

ثم محمد الحاج بن أبي بكر (46)، مات عام (أربعة وسبعين وألف) (x 6) .

(x 1) ب آية.

(x 2) «و» بدل « من» في (ج).

(x 3) « عام» سقط من ك .

(X 4) « إحدى » في جميع النسخ المعتمدة.

(X 5) ما بين قوسين سقط من (ك).

(X 6) أ اثنين و ثمانين وألف، وهو الصواب

ثم محمد بن محمد بن عبد الرحمن (47)، مات عام اثنين و ثمانين وألف.

ثم محمد المرابط (48)، مات عام ثمانية وثمانين وألف.

ثم محمد بن عبد الله البكري (49)، مات عام تسعة وثمانين وألف.

ثم أحمد بن عبد الله البكري (50)، مات عام واحد (x 1) وتسعين وألف.

ثم الغزواني بن محمد (51)، مات عام واحد (x 1) وتسعين وألف.

ثم الشرقي بن أبي بكر (52)، مات عام خمسة وتسعين و ألف.

ثم محمد الشاذلي (53)، مات عام ثلاثة ومائة وألف.

ثم محمد بن الشاذلي (54)، مات عام سبعة ومائة وألف.

ثم محمد البكري بن الخديم (55)، مات عام أربعة عشر و مائة وألف.

ثم محمد المسناوي (56) أيضا، مات عام ستة وثلاثين ومائة وألف.

ثم أبو بكر الثاني (57)، مات عام ثمانية وثلاثين و مائة وألف.

ثم أحمد المسناوي (58)، مات عام أربعين (x 2) ومائة والف.

ثم محمد المسناوي أيضا، مات عام خمسين ومائة وألف.

ثم محمد بن الخديم (59)، مات عام ستة وخمسين ومائة وألف.

ثم أبو بكر بن محمد (60)، مات عام أربعة وستين ومائة وألف.

ثم عمر بن / 26 د/ عبد الله، مات عام ستة وسبعين ومائة وألف.

(ثم أحمد (3x) البكري (61)، مات (4x) عام ثمانين (x5) ومائة وألف) (x 6) (62)، و هو الذي كان قاضيا بردانة (63)، أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله، و هو خاتمهم.

(X 1) « أحد » في جميع النسخ المعتمدة.

(x 2) « أربعة وأربعين » في باقي النسخ االمعتمدة.

(x 3) د حـــد.

(x 4) « أيضا » في باقي النسخ االمعتمدة.

(x 5) أ تسعيـــــن.

(x 6) مابين قوسين زيد في طرة (د) بتصحيح.

(علماء أسرة آل الفاسي)

و لم يتفق هذا العدد في بيت من بيوت أهل المغرب غيرهم وغير السادات الفاسيين (64)، لقب جدهم بالفاسي (65)، لكثرة تردده (x 1) لفاس في تجارة، فلقبه أهل القصر بالفاسي، ثم انتقل بعد ذلك لفاس وأول علمائهم:

سيدي يوسف بن محمد بن يوسف، الذي استوطن فاسا، مات عام ثلاثة عشر وألف (66).

ثم ولده سيدي أحمد بن يوسف (67)، مات عام واحد (x 2) وعشرين وألف.

ثم سيدي عبد الرحمان (68)، العارف بالله، مات عام ستة وثلاثين وألف.

ثم سيدي العربي بن يوسف (69)، مات عام اثنين وخمسين وألف.

ثم سيدي أحمد بن علي بن يوسف (70)، مات عام اثنين وستين وألف.

ثم سيدي عبد الوهاب بي العربي (71)، مات عام ثمانية وسبعين وألف.

ثم سيدي محمد بن أحمد (72)، و هو الذي ولاه السلطان رشيد على فاس، مات عام أربعة وثمانين وألف.

ثم سيدي أحمد بن أحمد (73)، مات عام أربعة وتسعين وألف.

ثم سيدي عبد العزيز بن علي (74)، مات عام تسعة وثمانية وألف.

(ثم سيدي عبد القادر بن علي (75)، مات عام واحد وتسعين وألف) (x 3) .

ثم سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر (76)، مات عام ستة وتسعين وألف.

(ثم سيدي محمد بن محمد (77)، مات عام ثمانية (x 4) وتسعين والف) (x 5).

(ثم سيدي العربي بن أحمد (78)، مات عام ستة وتسعين وألف) (x 6).

ثم سيدي المهدي بن أحمد (79)، مات عام تسعة و مائة والف.

(x 1) ك تجرده.

(X 2) « أحد » في باقي النسخ ا لمعتمدة.

(x 3) مابين قوسين زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(x 4) « ثمانية » سقطت من (ك).

(x 5) مابين قوسين سقط من (أ).

(6x) مابين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح.

ثم سيدي الطيب بن محمد (80)، مات عام ثلاثة عشر ومائة وألف.

ثم سيدي يوسف الثاني بن محمد (81)، مات عام ثلاثة عشر ومائة وألف.

ثم سيدي محمد بن عبد القادر (82)، مات عام ستة عشر ومائة وألف.

ثم سيدي بوعسرية (83)، مات عام سبعة [عشر] (x 1) ومائة وألف.

[سيدي محمد بن عبد الرحمان (84)، مات عام أربعة وثلاثين ومائة وألف] (x 1).

ثم سيدي محمد بن محمد بن أحمد (85)، مات عام واحد وخمسين ومائة وألف.

ثم سيدي أبي مدين بن أحمد (86)، مات عام خمسة وسبعين ومائة وألف.

ثم سيدي عمر بن عبد الله (87)، مات عام ثمانية و ثمانين و مائة وألف

ثم سيدي محمد بن عبد السلام (88)، مات عام خمسة عشر و مائتين وألف، وهو خاتمهم.

(نسب أسرة آل الفاسي)

وأما نسبهم بعد الفاسي فلم أقف له على حقيقة إلا مارأيته في « الابتهاج» (89) للعلامة أبي زيد عبد الرحمان بن أبي محمد عبد القادر الفاسي (90)، حيث قال:« الفهري الاندلسي الجدي»

وهؤلاء بنو الجد، هم من بني فهر حقيقة من أولاد عبد الملك بن قطن (91) أمير الأندلس، وانتقلوا الى العدوة، ونزلوا فاسا.

و كان بعض خلفهم يتعاطى حرفة الشمع بفاس، أيام السلطان إسماعيل، ويصنعون المنارات منه ويهدونها للملوك أيام رمضان في ليلة القدر، و لم (x 2) تنقطع تلك العادة إلا بعد المائتين (92) .

ثم لاأدري من أين يتصل نسبهم بهم بعد البحث الكثير، وقد ذكر هذا النسب جملة العلامة سيدي عبد السلام القادري (93) في « العرف العاطر» (94)، ولم يزد على الجدي. وأما علماء أهل فاس، فينسبونهم إلى القصر (95)، إذ كان سلفهم به. وأهل القصر ينسبونهم إلى كتامة من قبيلة « سريف»، ويزعمون أن أصلهم من كتامة وسلفهم بها، وانتقل جدهم إلى القصر، وكان كثير التردد لفاس في تجارة، فلقبوه بالفاسي.

وبعد تقييدي لهذا، وقفت على تأليف معزو للسلطان مولانا سليمان بن محمد، مختص

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(2 x) د فلم.

بنسب هؤلاء السادات الفاسيين (96)، رفعه إلى بني الجد المذكورين الذين هم من فهر بن مالك. وهو من أهل الاطلاع و البحث في الأنساب، واجتمع بخزانته من كتب التاريخ مالم يجتمع لأحد، لولوعه به.

وحاصله إنهم أهل علم وصلاح، وخير وفلاح، بيتهم مجتمع الأخيار، وكانوا في المغرب كالشموس و الاقمار، وخاتمتهم علم الأعلام، أبو عبد الله سيدي (x 1) محمد بن عبد السلام(97)، من أين كانوا، و(x 2) حيث كانوا، رحمهم الله.

(استيلاء مولاي رشيد على مراكش)

/ 27 د / رجوعا إلى خبر السلطان رشيد: فإنه لما ارتحل من الزاوية، توجه لمراكش، فاستولى عليها في صفر. وقتل رئيسها أبا بكر بن كروم الحاج (98) مع جماعة من قرابته وحزبه، وأقام بها شهرا، ورجع.

وفي ذلك العام، خرج ابن أخيه محمد بن محمد بن الشريف (99) عن تافيلالت.

وكذلك الخضر غيلان، ركب البحر وتوجه للجزائر.

(عزل وتوليات بفاس)

ثم عزل السيد محمد الفاسي (100) عن فاس، وعزل المزوار (101) عن القضاء، وولى القضاء للسيد محمد المجاصي (102)، و الخطابة بالقرويين للسيد محمد البوعناني (103).

و في رجب، خرج لحركة الشاوية (104)، ورجع في رمضان.

(ذكر خروج أهل الزاوية الدلائية)

وفيه أمر بإخراج أهل الدلاء من فاس، ثم سمح لبعض منهم، وبقي الآخرون بضريح سيدي علي بن حرز هم (105) إلى تمام العام، فردهم جميعا. وبعث محمد الحاج مع أولاده لتلمسان(106)، فأقاموا بها إلى أن مات محمد الحاج بها ودفن بضريح الشيخ السنوسي خارجها (عام اثنين وثمانين) (x 3) (107).

قلت: حدثني من يوثق به من قرابة محمد الحاج، أنه لما أشرف على مدينة تلمسان، وشاهدمبانيها وموا ذنها وأجنتها (x 4)، التفت إلى من حوله من أولاده، وقال لهم: «سبحان

(x 1) « سيدي» سقطت من باقي النسخ االمعتمدة.

(x 2) ب ومن.

(x 3) مابين قوسين سقط من باقي النسخ االمعتمدة.

(x 4) ج وجنتها.

الله، كنت أرى أن أدخل هذه المدينة مؤيدا منصورا، فدخلتها مقيدا مقهورا » (108). وهذا أعلى غاية الحمق.

و لما بويع مولانا إسماعيل، ،وقعت شفاعة في أولاده، فردهم لفاس.

وفي الحجة، خرج لحركة آيت عياش (109).

وفيه أمر بضرب السكة الرشيدية.

(بناء قنطرة سبو)

وأقرض تجار أهل فاس اثنين وخمسين ألف مثقال (110) لعام، إلى أن ردوها، وبها بنيت قنطرة وادي سبو، الأقواس الأربعة من ناحية فاس. وكان تأسيسها عام ثمانين وألف (111).

(حركة السلطان لأولاد الأبيض)

وفيه خرج لحركة الأبيض (112)، وقبض أولاد أخي الأبيض، ولما بلغ لتازة، قتلهم.

(مرض السلطان مولاي رشيد)

ثم مرض مرضا أشرف منه على الموت، فأمر بتسريح المساجين وإخراج الصدقات، فعافاه الله.

(عرس مولاي إسماعيل)

وفي شوال، عمل العرس لأخيه مولاي إسماعيل (113) بدار ابن شقرة. وفي القعدة، جدد قنطرة الرصيف.

(استيلاء السلطان على تارودانت)

وفي عام واحد وثمانين وألف، حرك لسوس. وفيه أخذ تارودانت (114).

(قتال هشتوكة وأهل الساحل)

وفيه استولى على هشتوكة (115) بعد أن قتل منهم أزيد من ألف وخمسمائة نفس، واستولى على أهل الساحل (116) بعد أن قتل منهم أزيد من أربعة آلاف نفس.

(استيلاء مولاي رشيد على إيليغ)

وفيه استولى على أهل قلعة إيلغ (x 1) (117)، دار ملك علي أبي [حسون أبي] (X 2) دميعة بعد أن قتل منهم بسفح الجبل أزيد من ألفين.

(x 1) ب، ز، ج، ك إيلغـي.

(x 2) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(قتل أولاد جامع)

وفيه قتل أخوه (1x) إسماعيل الخليفة بفاس ستين من أولاد جامع (118) على قطع الطريق، وعلقهم بالبرج الجديد.

(ضرب الفلوس المدورة)

وفيه أمر بضرب فلوس النحاس المستديرة، وكانت قبل مربعة، وجعلها أربعا وعشرين بالموزونة (119)، وكانت قبل، ثمانيا وأربعين ورجع لفاس في رجب العام.

(بناءات مولاي رشيد بفاس)

وفي شعبان (x 2)، ابتدأ بناء مدرسة الشراطين (120)، بدار الباشا عزوز.

وأمر ببناء القصبة الجديدة (121) بفاس، بديار (x 3) لمتونة، وغرسة ابن صالح (122) أعطى ألف مثقال لبناء سورها، وأمر أصحابه ببناء الدور فيها.

وأعطى (4X) لشراگة ألف دينار (123) لبناء قصبة الخميس (124).

(نقل قبائل شراگة من فاس)

لأن هؤلاء شراگة، كانوا قدموا معه من الشرق، واستخدمهم في جنده، منهم من العرب الشجع وبني عامر، ومنهم من البربر مديونة وبني سنوس، وأنزلهم بقرب فاس، فحصل منهم الضرر لأهل المدينة، وتشكوا منهم.

فأمرهم بالانتقال بحلتهم لبلاد صدينة (125)، وفشتالة (126) بين النهرين سبو وورغة (127)، وأقطعهم تلك الأرض، وعزل عزابهم، وأمرهم ببناء بيوتهم بقربه، وأعطاهم ألف دينار لبناء السور، وجعلهم قبيلة واحدة حيث أنفوا من ولاية الترك، ففروا اليه.

(خروج مولاي رشيد لزيارة أبي يعزى)

وخرج لزيارة أبي يعزى (128)، ومنه لسلا، ورجع لفاس.

(بعث خيل للجهاد بطنجة وخيل إلى سوس)

وفي عام اثنين وثمانين وألف، وجه خيلا للجهاد بطنجة (129). ووجه خيلا للسوس قائدهم (x 5) عبد الله أعراص (130).

(x 1) «اخاه» في جميع النسخ المعتمدة.

(2 x) ك رجب.

(3 x) ك بدار.

(4 x) ك والف.

(5 x) ك وقائدهم.

(قيام ابن محرز بمراكش)

وخرج للصيد بتافراطا (131)، فبلغه قيام [ابن] (1X) أخيه أحمد بن محرز (132) بمراكش، فرجع لفاس. وخرج منها في عصر يومه، فلقيه بفنزارة (133) مقبوضا بيد أصحابه، فبعثه لتافيلالت، وسار لمراكش.

(دخول أهل سوس في طاعة السلطان)

وبعث قائده زيدان (134) لفاس ليأتي (x 2)/ 28 د/ بالجيش، فأتاه أهل السوس طائعين، ولم يبق للحركة محل بعد أن خرجت الأخبية لوادي فاس (135).

(وفاة السلطان مولاي رشيد)

فأقام بمراكش إلى أن عيَّد عيد الأضحى، وفي ثاني العيد، جمح به فرس في بستان المسرة، فأصابه عود شجرة نارنج، مات منه رحمه الله (136). فكانت خلافته سبعة أعوام إلا شهرين(137) .

وبلغ خبر موته لأخيه إسماعيل في خامس عشر الحجة متم عام اثنين وثمانين وألف (138).

وفي أيامه، كان السلطان محمد بن إبراهيم العثماني (139).

وفي هذا العام، مات محمد الحاج بتلمسان (140).

(x 1) « ابن » سقطت من جميع النسخ االمعتمدة، وقد أضفناها لما يقتضيه السياق

(x 2) ج ليأتيه

الهوامش و التعاليق

(1) المقصود بالحوز « حوزفاس» ومن قبائله أهل صفرو و البهاليل وجبل كندر وسايس وغيرها.

نشر 2: 149 . التقاط ص 165 . تاريخ الضعيف 1: 137 . الجيش 1 : 58 . الاستقصا 7 : 33 . الاتحاف 3: 38 .

(2) « المكحلة»، لفظة عامية تطلق على أداة كانت تستعمل لقذف الاحجار ثم لقذف مواد محرقة. وبعد اختراع الرصاص و المواد المتفجرة، سمي السلاح الذي يقذفها «المكحلة» أي « البندقية».

الاكسير ص 118، هامش 1 .

(3) أوباب الفتوح، نسبة إلى الفتوح بن دوناس، إحدى أبواب مدينة فاس جنوب شرق عدوة الاندلس.

(4) عقدت له البيعة على تافيلالت عقب وفاة والده مولاي محمد. ظل خارجا على مولاي رشيد زهاء أربع سنوات، وانتهى الأمر بسجنه بتازة، وموته بعد مدة قصيرة.

الضعيف 1 :136 . تقييد القادري مخ خع ص 262 .

(5) شوال 1075 هـ في بعض المصادر.

انظر: نشر 2: 149 . التقاط ص 166 . الضعيف 1: 137 . الاستقصا 7 : 34 .

(6) يقصد إلى « قنطرة سبو» الواقعة على بعد نحو 5 كلم شمالي مدينة فاس.

(7) يبدو أن نزول مولاي رشيد على فاس كان في محرم 1076 هـ / شتنبر 1665 م، ثم أعاد الحصار في ربيع الثاني من نفس السنة، وانتهى ذلك بدخوله المدينة في ذي الحجة 1076 هـ/ يونيه 1666 م.

الأنوارالحسنية ص 78 . نشر 2: 158 . التقاط ص 168 . الضعيف 1: 137 . تقييد القادري ص 263 . الاستقصا 7: 134 .

S. I. H. M. 2e S. France. T. 1 p. 166 et N 2

Mouette (SI. H. M.) T. 2 P. 25 et N 1.

(8) عن اقليم الريف في هذا العهد، انظر:

Mouette. Ibid P . 179

(9) أبو محمد عبد الله أعراص، كان من أكبر المعارضين لمولاي رشيد، وربما كانت له طموحات بعيدة، إلا أنها اصطدمت بقوة القبائل الريفية المنافسة له. وعلى أي، ظل سيد الريف إلى أن أخضعه مولاي رشيد في مارس 1666م.

S.I.H.M. 2e S. France T. I P. 84

Mouette P. 23.

(10) المعروف أن « الملاح» هو حي خاص باليهود في المدن الاسلامية، ولفظة «المسلمين» هنا في غير محلها، سوى إذا كان يقصد بها « الذميين الإسلاميين من اليهود ».

(11) انظر هامش 23 في الباب الأول.

(12) عن هذه القبائل، راجع: ابن خلدون 6: 30 . قبائل المغرب 1: 418 .

(13) تعريب حرفي لـ (Bastion) و التي تعني «الحصن» أو « القلعة » .

(14) انظر حجي، الزاوية الدلائية ص 229 .

(15) ولاه مولاي رشيد القضاء على فاس بعد إخضاعها، ثم عزل عنها في 22 جمادى الثانية 1080 هـ / 16 نونبر 1669 م. وإلى جانب ذلك، ولي الخطابة ببعض جوامع فاس. توفي عام 1084هـ / 1673م.

صفوة ص 172 . نشر 2: 205 . التقاط ص 195 . سلوة 3: 77 .

(16) تكتب « أصيلا » و« أزيلة »و «أرزيلة» تقع على الشاطئ الاطلسي بين طنجة و العرائش، يرجع تاريخ تأسيسها إلى العهد القرطاجي. احتلها البرتغال في ربيع الاول 876هـ/ غشت 1417 م. ثم حررها أحمد المنصور، وبعد ذلك، استقرت في يد الاسبان. وفي عهد مولاي رشيد، كانت تخضع لنفوذ الخضر غيلان.

البكري ص 111 . الاستبصار ص 139 . معيار الاختيار ص 150 . الوزان 1: 241 . مارمول 2 : 197 . الترجمانة ص 80 . ياقوت 2: 170 .

Mouette. Ibid p.180.

(17) كانت حركة مولاي رشيد للخضر غيلان في أوائل ربيع الاول 1077هـ / أكتوبر 1666م وبعد رجوعه لفاس، كتبت له البيعة رسميا في نفس الشهر و السنة.

نشر 2 : 168 . التقاط ص 171 وهامش 7 . تاريخ الضعيف 1 : 139 . الاستقصا 7 :35 . الاتحاف 3: 42 .

S.I.H.M. 2e S France T. 1 P. 190, N 1.

Mouette Ibid. P. 29.

(18) هذه الحركة كانت في ربيع الثاني 1077 هـ/ نونبر 1666م. انظر المصادر السابقة (هامش 17)، ما بعد الصفحات.

(19) « آيت ولال» قبيلة بربرية تنتسب إلى آيت عطة الصنهاجية، وقد كانوا لهذا العهد من المناصرين لمحمد الحاج الدلائي، ومن خير العناصر التي يعتمد عليها في نواحي فاس ومكناس.

التقاط الدرر ص 172، هامش 1 ومابه من إحالات.

(20) موقع على «وادي فاس» بضاحية المدينة، به وقعت المعركة التي ذكر المؤلف، وهي آخر حركة لمحمد الحاج.

البدور الضاوية مخ خع ص 238 .

(21) أصل هذه القبيلة من « غمارة» من قبيلة المصامدة التي تعربت تماما، شأنها في ذلك، شأن الكثير من القبائل المغربية.

الفاسي، قبيلة بني زروال ص 8 ومابعدها .

(22) تذكرها المصادر تحت اسم «تطوان» و « تيطاوين » و « تسطاون» والأصل في اللفظة بربري، ويتألف من «تيط» (عين) و«وين» (كناية عن المخاطب) أي «عينك». وهي مدينة بأقصى شمال المغرب على بعد نحو 40 كلم جنوب سبتة. بنيت قصبتها عام 685 هـ/ 1286م، وقد كانت في عهد مولانا الرشيد تحت إمرة آل النقسيس.

تاريخ تطوان 1: 33 . الاستبصار ص 137 . الوزان 1: 247 . مجلة المناهل ع 7 ص7 .

Mouette. P. 180.

(23) وهو المقدم أحمد الثاني بن عيسى النقسيس، تولى حكم تطوان عام 1071 هـ/ 1660م، وبقي بها إلى أن قبض عليه مولاي رشيد وصادر أملاكه في صفر 1078 هـ/ يوليوز1667م.

تاريخ تطوان 1 :238 – 242 . مختصر تطوان ص 47 – 49 .

(24) عبد الكريم بن أبي بكر الشباني الحريزي، المعروف بـ «كروم الحاج». تولى حكم مراكش عام 1069 هـ/ 1659 م. ظل معارضا للدولة العلوية منذ قيامها إلى أن تم اغتياله على يد أحد جنده عام 1079 هـ/ 1668م.

نزهة ص 278 . نشر 2 : 175 .

(25) تولى حكم مراكش بعد موت أبيه، ولم تطل مدته، إذ أسره مولاي رشيد بعد 40 يوما من توليه هذا المنصب، وذلك في صفر 1079 هـ / غشت 1668م.

الضعيف ص 147 . تقييد القادري مخ خع ص 264 .

Mouette. Ibid P. 33.

(26) ولي القضاء بمكناسة، ثم نقله مولاي رشيد إلى فاس حيث أسند إليه الخطابة و الفتيا بجامع القرويين. لازم التدريس في أواخر حياته إلى أن توفي في ربيع الاول 1084هـ/ يونيه 1673م.

ابتهاج القلوب مخ خع ص 404. صفوة ص 170 . نشر 2: 205 . التقاط ص 194. عناية ص 35 السلوة 2 : 230 . الاتحاف 4: 42 . شجرة النور 1: 312 .

(27) وهو « عبد الله» الذي سبق التعليق عليه. انظر هامش 340 (مقدمة المؤلف) .

(28) يقع هذا الموضع على بعد نحو 12 كلم شرقي مدينة خنيفرة.

حجي، الزاوية الدلائية ص 230، وهامش 28 .

(29) من أهم مؤلفات اليوسي، طبع حديثا بالرباط (1976م) بتحقيق د حجي. ووفقا لهذا النص، فان كلام المؤلف وارد ببعض التصرف في ص 102 .

(30) في هذه الأثناء، لم يبق حيا من أبناء محمد الحاج غير « عبد الله» وربما كان المقصود بأولاده، مايشمله من الأحفاد.

الزاوية الدلائية ص 130 .

(31) الموافق 17 يونيه 1668م. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث، انظر:

البدور الضاوية ص 239 . الزاوية الدلائية ص 230 . نشر 2: 180 . التقاط ص 175 الضعيف 1: 140 . الدر المنضد مخ خع و143 .

Mouette. Ibid P. 32.

(32) أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطي، مؤسس الزاوية الدلائية على الطريقة الصوفية الشاذلية. توفي في شعبان 1021 هـ/ شتنبر 1612م.

البدور الضاوية ص 24 . حدائق الأزهار ص 1 . الزاوية الدلائية ص 43 . مرآة المحاسن ص 223 . نزهة 274 . صفوة ص 46 . ممتع الأسماع ص 129 . نشر 1: 163 . التقاط ص 56 وهامش5 .

(33) حول هذه النقطة، انظر: حجي، الزاوية الدلائية ص 29 وهامش 3 .

(34) «آيت عطا» المقصود بها القبائل البربرية الصنهاجية الاصل، ويمتد وجودها السكني في الأطلس الكبير حيث منابع وادي دادس ووادي أحنصال ووادي العبيد. وهذه القبائل تعرف بـ « صنهاجة الجبل » أو «آيت عطا الجبل».

انظر التقاط ص 286، هامش 2 .

(35) انظر التقاط ص 202، هامش 1 .

(36) طرة في (ب) : « جمعهم اليازغي في نظم، وشرحه سيدي سليمان الحوات ».
انظر : « الحدائق الندية » لليازغي، و « البدور الضاوية » للحوات، مخ خع 261 د .

(37) انظر هامش 32 (الباب الثاني) .

(38) سبق في التعليق عليه (هامش 32) مايخالف هذا التاريخ.

(39) أحد علماء الأسرة الدلائية، وشيخ زاويتها. برز في تدريس الفقه و التفسير، كانت وفاته في رجب 1046 هـ/ دجنبر 1636م، ودفن بالدلاء.

الأزهار الندية ص 3 . البدور الضاوية ص 60 - 213 . الزاوية الدلائية ص 54 . مرآة المحاسن ص 225 . نزهة ص 276 . صفوة ص 67 . فهرس الفهارس 1: 294 .

(40) محمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي، برع في علوم اللغة والدين التي كان يدرسها بالزاوية. توفي غدرا عام 1059هـ/ 1646م.

البدور الضاوية ص 255 . نشر 2: 43 . التقاط ص 124 . الزاوية الدلائية ص 83 .

(41) شقيق « محمد المسناوي » قبله، اشتهر بالشجاعة والبطولة أكثر من اشتهاره بالعلم. توفي قتيلا عام 1059 هـ/ 1646م أثناء عودته من حملة تأديبية قادها ضد عرب الشاوية ببلاد تامسنا.

البدور الضاوية ص 259 - 264 . الزاوية الدلائية ص 132 وهامش 1 . نشر 2: 43 . التقاط ص 124 وهامش 6 .

(42) محمد بن إسماعيل المسناوي، أحد كبار علماء تيگورارين، فقيه ومتصوف، طريقته قادرية. توفي عام 1064 هـ/ 1654م.

ماء الموائد 1: 40 - 43 . نشر 2: 69 - 73 . التقاط ص 134 - 136 . حجي، الحركة الفكرية 1: 193 و 2: 630 وهامش 9 .

(43) أحد علماء الزاوية الدلائية، برز في كثير من العلوم، وله فيها بعض المؤلفات. توفي عام 1069 هـ / 1658م.

البدور الضاوية ص 265 - 271 . الزاوية الدلائية ص 84 . نشر 98 - 101 . التقاط ص 144 .

(44) أبو عبد الله محمد بن محمد الخديم الدلائي، أحد كبار علماء ومدرسي الزاوية. توفي عام 1072 هـ / 1671م.

البدور الضاوية ص 341 - 342 . حدائق الأزهار ص 8 . نشر المثاني 2 : 128 . التقاط ص154.

(45) من ألمع أدباء وفقهاء الزاوية الدلائية، امتاز بالبلاغة والبراعة في كتاباته النثرية وانظامه الشعرية. توفي عام 1077 هـ/ 1666م.

البدور الضاوية ص 343 – 373 . الزاوية الدلائية ص 84 . نشر 2: 161 . التقاط ص 170 . الدر المنضد مخ خع و 155 .

(46) انظر هامش 127 (مقدمة المؤلف).

(47) أحد كبار علماء الزاوية الدلائية وفقهائها المتصوفين، أكب على الاقراء والتدريس في أواخر حياته بفاس. توفي في رجب 1088 هـ / 1677م على الأرجح .

البدور الضاوية ص 504 – 508 . نشر 2: 223 . التقاط ص 200 . سلوة 2: 8 . شجرة النور 1: 313 .

(48) محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي المعروف بـ «المرابط» أخذ عن مشاهير شيوخ عصره بالمغرب و المشرق، له عدة تآليف. توفي في جمادى الثانية 1089 هـ / 1678م، ودفن بفاس.

البدور الضاوية ص 275 – 338 . الزاوية الدلائية ص 82 . نزهة ص 280 . سلوة 2: 90 . الدر المنضد و 146 . الزركلي، الاعلام 7: 294 . شجرة النور 1: 313 .

(49) محمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي، إمام عالم، كان متوليا الخطابة بجامع الحمراء بفاس. توفي في 12 جمادى الاولى 1089 هـ/ 2 يوليوز 1678م مطعونا بفاس الجديد.

البدور الضاوية ص 502 – 503 . النشر 2: 248 . التقاط ص 210 .

(50) من أهم الشخصيات الدلائية في الميدانين العلمي و السياسي، لعب دورا مهما في تحريك الثورة الدلائية بالأطلس المتوسط وفاس في عهد مولاي اسماعيل. اعتصم في آخر حياته بجبل « يسري» حيث اغتيل أو توفي بالطاعون حسب اختلاف الروايات في محرم 1091 هـ / فبراير 1680م.

البدور الضاوية ص 424 – 448 . الزاوية الدلائية ص 238 . نشر 2 : 282 التقاط ص 219 .

(51) الغزواني بن محمد بن أبي بكر، أحد متصوفي ومحدثي الزاوية، استقر آخر حياته بمكناسة، وبها توفي بالطاعون في جمادى الثانية 1091 هـ/ 1680م، ثم نقل الى فاس وبها دفن.
البدور الضاوية ص 338 – 339 . نشر 2: 289 . التقاط. ص 220 . سلوة 2: 96 .

(52) شخصية علمية وصوفية بالزاوية الدلائية، اختص بتدريس القراءات والتجويد مع إتقان كثير من العلوم الأخرى. توفي عام 1079 هـ / 1668م، ودفن بفاس.

البدور الضاوية ص 217 – 226 . الزاوية الدلائية ص 85 . نشر 2: 361 . التقاط الدررص 251 سلوة 2 : 94 . شجرة النور 1: 311 .

(53) أحد أدباء الزاوية، كان مختصا بتدريس ألفية ابن مالك ومقامات الحريري. تصدر للتدريس و الخطابة والفتيا بالمدرسة البوعنانية خلفا لأخيه المرابط وذلك بعد تخريب الزاوية توفي في جمادى الاولى 1103 هـ / 1691م ودفن بفاس.

البدورالضاوية ص 271 – 275 . الزاوية الدلائية ص 85 . نشر 3: 58 . التقاط ص 263 . سلوة 2 : 96 . شجرة النور 1: 327 .

(54) كان ميالا على الخصوص، إلى علوم الأدب و البلاغة و الشعر. استقر آخر أمره بفاس حيث كان يتولى الخطابة بالمدرسة البوعنانية. توفي في محرم 1107 هـ / غشت 1695م. ودفن بفاس.

البدور الضاوية ص 469 – 476 . الزاوية الدلائية ص 86 . نشر 3: 74 . التقاط ص 269 . سلوة 2: 89 . الدر المنضد و 220 . شجرة النور 1:327 .

(55) أحد أئمة وعلماء وقضاة مدينة فاس. كان يأم ويخطب بجامع الشرفاء والقرويين. له تآليف خاصة في النوازل. توفي في رجب 1164 هـ/ يونيه 1751م. ودفن بفاس.

البدور الضاوية ص 487 – 501 . الزاوية الدلائية ص 242 . نشر 4:89 . التقاط الدرر ص 422 سلوة 3:50 .

(56) محمد بن أحمد بن محمد المسناوي الدلائي. انظر هامش 28 (مقدمة المؤلف) .

(57) أبوبكر بن محمد بن الخديم، كانت طريقته الصوفية قادرية، وكان يتمتع بوجاهة لدى ولاة عصره. توفي في 15 جمادى الاولى 1149 هـ/ 21 شتنبر 1763م،

البدور الضاوية ص 466 – 467 . نشر 4: 383 . التقاط ص 370 . سلوة 2: 339 .

(58) إمام ومحقق كبير، انتقل الى فاس بعد تخريب الزاوية، اشتهر بتلقينه القراءات برواياتها السبع. توفي في ربيع الاول 1117 هـ / 1705م.

البدور الضاوية ص 373 – 374 . نشر 3: 158 . التقاط ص 294 . سلوة 2 : 351 . شجرة النور 1: 330 .

(59) بالنظر الى تاريخ الوفاة، ربما كانت هذه الشخصية هي: « محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي» وهو فقيه له مشاركة في كثير من العلوم. توفي بفاس عام 1156 هـ / 1743م.

حدائق الازهار ص 10 . البدور الضاوية ص 486 .

(60) بالنظر الى تاريخ الوفاة، ربما كان المقصود هو « محمد البكري» الذي سبق التعليق عليه (هامش 55 من نفس الصفحة) .

(61) أحد علماء مدينة فاس، احترف خطة الشهادة، ثم تولى القضاء بفاس. استدعاه سيدي محمد بن عبد الله لإقراء ابنه أبي عبد السلام بتارودانت، وهناك تولى القضاء، وتصدر

للتدريس و الخطابة بجامعها. توفي عام 1198 هـ / 1784م،

البدور الضاوية مخ خع ص 501 .

(62) زيادة هذه الشخصية لا يتطابق مع العدد الذي ذكره المؤلف في البداية وهو 25 عالما.

وللمزيد من التفاصيل عن علماء الدلائية، انظر البدور الضاوية ص 12 وما بعدها.

(63) وهي مدينة « تارودانت» تقع على وادي سوس على بعد نحو 81 كلم شرق مدينة أگادير، ظلت تلعب أدوارا تجارية مهمة حتى نهاية العصر السعدي، غير أن هذا الدور بدأ يتقلص بالاعتماد على الموانيء الساحلية الجنوبية، خاصة بعد بناء مدينة الصويرة.

الاستبصار ص 211 . الوزان 1: 93 . مارمول 2 :30 . الترجمانة ص 477 . ايليغ ص 215 . كتاب المغرب ص 73 .

R. Montagne. Les Berbères et le Makhzen P. 37

(64) إحدى الاسر العريقة بفاس، موطنها الأصلي بالأندلس بمالقة. لعبت دورا كبيرا في مجال العلم و القضاء و السياسة بالمغرب منذ القرن 10 هـ/ 16م.

(65) يشير إلى « أبي المحاسن يوسف الفاسي » الذي سبق التعليق عليه (هامش 25 مقدمة المؤلف).

(66) انظر هامش 25 (مقدمة المؤلف).

(67) أحد أعلام الفكر الاسلامي بفاس في عصره. كان على اطلاع بمذاهب الفلاسفة في الالهيات، منفردا بعلم الحديث. له موقف سياسي من مسألة تسليم العرائش للاسبان، حيث وقف معارضا لمؤيدي المامون السعدي. توفي سنة 1021 هـ/ 1612م.

يراجع عنه: ابتهاج القلوب مخ خع ص 403 . التقاط الدرر ص 55 وهامش 4 و الاحالات.

(68) عبد الرحمان بن محمد الفاسي المشهور بـ « العارف»، عالم صوفي شهير، من مواليد القصر الكبير. انتصب للمشيخة الصوفية بالزاوية الفاسية بعد موت أخيه أبي المحاسن. توفي بفاس في ربيع الاول 1036 هـ / فبراير 1627م.

التقاط ص 85 وهامش 5 والاحالات. حجي، الحركة الفكرية 2 : 366 وهامش 60 .

(69) أبو حامد محمد العربي الفاسي، من أبرزالشخصيات العلمية في عصره، اكتسب شهرة واسعة في المغرب والعالم الاسلامي بمؤلفاته القيمة ومواقفه السياسية.

توفي بتطوان في 14 ربيع الثاني 1052 هـ/ 12 يوليوز 1642 م، ثم نقل إلى فاس وبها دفن.

التقاط ص 115 وهامش 2 . حجي، الحركة الفكرية 2 : 420 وهامش 12 .

(70) درس بالقصر الكبير وفاس، امتاز باتساع العارضة في الفهم و الحفظ مع حسن

الالقاء و التدريس. استوطن مكناس وفاس مدة ثم انتقل الى القصر الكبير وبه توفي عام 1062 هـ / 1652م.

ابتهاج القلوب مخ خح 402 . نشر 1 :58 . التقاط ص 131 . عناية ص 33 . سلوة 2: 315 . شجرة النور 1: 308 .

(71) أحد كبار علماء مدينة فاس، يعده المؤرخون من « أئمة الحساب و الفرائض والتوقيت... » تولى القضاء بتطوان مدة، عام 1075 هـ / 1665م، كما تولى نظارة أوقاف القرويين بفاس. توفي في محرم 1078 هـ/ يونيه 1667 م.

صفوة ص 169 . نشر 2 : 172 . التقاط ص 173 . عناية ص 34 . سلوة 2 :324 . مختصر تطوان ص 245 . شجرة النور 1: 311 . ابتهاج القلوب مخ خح ص 404 .

(72) انظر هامش 26 (الباب الثاني).

(73) عالم ومتصوف طرقي بالقصر الكبير . تصدر للتدريس وبقي كذلك إلى تاريخ وفاته عام 1094 هـ/ 1683م، وقبره إلى اليوم في عداد المزارات بالقصر.

نشر 2 :307 . التقاط ص 226 . عناية ص 42 . شجرة النور 1:315 .

(74) اشتهر بإتقانه لتجويد القرآن، ارتحل من القصر الى تطوان، واستقر بها إلى أن توفي عام 1089 هـ / 1679م،

نشر 2 : 236 . التقاط ص 207 . عناية ص 36 .

(75) أحد أقطاب الفكر بالمغرب في العهد العلوي الأول، ولد بالقصر ثم ارتحل الى فاس حيث تتلمذ على مشاهير علماء وقته. نبغ في كثير من العلوم، وكان محط احترام رجال الدولة وأرباب السلطة. توفي بفاس في رمضان 1091 هـ / اكتوبر 1680 م، ودفن بزاوية حي القلقليين. التقاط ص 217 وهامش 4 وما به من إحالات. الأخضر، الحياة الادبية ص 102، وهامش1 ومابه من احالات.

(76) انظر هامش 42 (مقدمة المؤلف) .

(77) وهو الملقب ب « السبع». توفي عام 1098 هـ/ 1687م،

ابتهاج القلوب مخ خع. نشر 2 : 336 .

(78) اشتهر بإتقانه تجويد القرآن برواياته السبع، كانت وفاته في رجب 1096ـ هـ / 1685م.

نشر 2 : 329 . التقاط ص 232 .

(79) عالم متخصص في التصوف والأنساب و التراجم، يعتبر المؤرخ الأول للمدرسة الصوفية الشاذلية وفروعها بالمغرب. ولد بالقصر، ثم انتقل إلى فاس وبها توفي في شعبان

1109 هـ/ فبراير 1698م.

الأخضر، الحياة الادبية ص 138 وهامش 1 . مؤرخو الشرفاء ص 192 وهامش 1 .

(80) من علماء وخطباء مدينة فاس، جمع بين البراعة في التدريس و التحقيق والتأليف و الفتيا. لعب أدوارا سياسية مهمة في العهد العلوي، إذ اختاره مولاي اسماعيل لعقد الصلح مع أتراك الجزائر عام 1103 هـ / 1692م. توفي في ربيع الثاني 1113 هـ/ شتنبر 1701م،

نشر 3: 131 . التقاط ص 283 . عناية ص 46 . سلوة 1: 318 . مؤرخو الشرفاء ص 200 الدر المنضد و 224 . شجرة النور 1 : 329 .

(81) أحد فقهاء ورجال التصوف بالقصر الكبير. درس بفاس على مشاهير علماء وقته، ثم رحل الى تطوان وهناك تصدر للتدريس مدة، بعد ذلك عاد إلى القصر، وبه توفي عام 1115 هـ/ 1703م، وهو مخالف لما ذكر المؤلف في تاريخ وفاته.

نشر 3 :147 . التقاط ص 290 . عناية ص 47 .

(82) أحد كبار علماء مدينة فاس في بداية العصر العلوي، كان مقربا ومعظما لدى مولاي إسماعيل، وقد جرت بينهما مراسلات عديدة في موضوع جيش العبيد.

توفي في رجب 1116 هـ/ 1704م.

صفوة ص 215 . نشر 3 : 151 . التقاط ص 292 . عناية ص 48 . سلوة 1 :316 . فهرس الفهارس 1: 128 . شجرة النور 1: 329 .

(83) أحد أعلام القصر الكبير، اشتهر بنظم الموشحات و الأزجال. توفي عام 1117 هـ/ 1705م بالقصر وبه دفن.

نشر 3: 158 . التقاط ص 294 . عناية ص 50 .

(84) يلقب بـ « الصغير» أحد علماء ومتصوفي مدينة فاس. توفي في 5 جمادى الثانية 1134 هـ/ مارس 1722م.

صفوة ص 226 . نشر 3: 254 . التقاط ص 323 . عناية ص 51 . سلوة 1 :319 . مؤرخو الشرفاء ص 210 . شجرة النور 1: 333 .

(85) بالنظر إلى تاريخ وفاة هذه الشخصية، ربما يكون المقصود « أبا محمد عبد الله بن محمد بوعسرية بن أحمد الفاسي» أحد علماء القصر وفاس. تولى خطة الشهادة بفاس، ثم القضاء و الامامة بالقصر الكبير. توفي عام 1151 هـ / 1738م.

نشر 4 : 10 . عناية ص 55 .

(86) أحد علماء مدينة فاس، ولي الخطابة و التدريس بجامع القرويين، وبقي كذلك إلى أن

توفي في شعبان 1181 هـ/ يناير 1768م .

الاخضر، الحياة الادبية ص 290، وهامش 50 ومابه من إحالات.

(87) أحد شيوخ المؤلف، انظر مقدمة التحقيق ص 92 (مرقونة على الآلة الكاتبة. مرفوفة بخزانة كلية الآداب . فاس) .

(88) أحد كبار علماء مدينة فاس، درس بسوس مدة، ثم عاد الى فاس فتصدر للتدريس إلى تاريخ وفاته في رجب 1214 هـ/ دجنبر 1799م، ومن تلامذته السلطان مولانا سليمان.

الأخضر، الحياة الادبية ص 341 وهامش 1 .

(89) عنوانه الكامل «ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب» توجد منه نسخة مخطوطة بخع تحت رقم 326 ك . وأخرى بالخزانة الحسنية تحت رقم 1222 .

(90) انظر هامش 42 (مقدمة المؤلف) .

(91) ولي أمر الأندلس في عهد هشام بن عبد الملك الأموي عام 114 هـ / 732م، وعزل بعد عامين، ثم عاد مرة ثانية إلى حكم الاندلس عام 122 هـ / 740م، وبقي كذلك الى تاريخ وفاته في أوائل ذي القعدة 123 هـ/ شتنبر 741 م.

ابن الاثير 5: 64 . البيان المغرب 2: 28 . ابن خلدون 3:176 و 4 : 152 . نفح 4 : 17. المعجب ص24 . عنان دولة الاسلام في الأندلس ص 110 .

Ency. De L'Islam T. 1 P. 78

(92) يعني 1200 هـ / 1786م.

(93) انظر هامش 10 (مقدمة المؤلف) .

(94) عنوانه الكامل « العرف العاطر في نسب من بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر» لابي محمد عبد السلام بن الطيب القادري، عرف فيه بالشرفاء القادريين الموجودين بالمغرب. منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2619 د ضمن مجموع

(95) انظر هامش 346 (مقدمة المؤلف) .

(96) يشير إلى « عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي بن الجد» ، طبع بفاس عام 1347 هـ/ 1928م، وطبقا لهذا النص فما ذكره المؤلف وارد في ص 4 .

(97) عند هذه الشخصية وقف السلطان مولانا سليمان في تأليفه «عناية أولي المجد».

(98) انظر هامش 25 (الباب الثاني) .

(99) انظر هامش 4 (الباب الثاني) .

(100) انظر هامش 26 (الباب الثاني) .

(101) انظر هامش 15 (الباب الثاني).

(102) شخصية مشهورة في تاريخ القضاء بالمغرب، ولي القضاء بفاس عام 1079 هـ/ 1668م، إلى جانب التدريس بجامع القرويين. توفي بمكناس في ربيع الاول 1103 هـ/ نونبر 1691م.

نشر 3: 55 . التقاط ص 262 . اتحاف 4 : 47 .

(103) من أسرة الخطباء و الأئمة بجامع الاندلس و القرويين بفاس. توفي في جمادى الثانية 1098 هـ/ ابريل 1687م.

نشر 2 : 335 . التقاط ص 236 . سلوة 1: 200 . جامع القرويين 3 : 795 .

(104) أصل هذه القبيلة من عرب بني وزغبة الهلاليين، وقد انضافت اليها قبائل اخرى عربية وبربرية، وأطلق على الجميع « شاوية » تغليبا.

وقد كانت حركة مولاي رشيد لعرب الشاوية في أواخر جمادى الثانية عام 1079 هـ/ نونبر 1668م.

(105) أحد كبار علماء مدينة فاس، وشيوخ الفكر و التصوف بها، إليه تنسب عين الماء المعدني الواقعة بضاحية فاس. توفي في أواخر شعبان 559 هـ/ يوليوز 1164 م.

القرطاس ص 265 جذوة 2 : 464. شرف الطالب ص 63 . نيل الابتهاج ص 182 . التشوف ص 147 سلوة 3 : 71 . جامع القرويين 1 : 164 . النبوغ المغربي 1: 98 .

(106) كان ذلك في مستهل عام 1080 هـ / 1669م.

للمزيد من التفاصيل، انظر : الضعيف 1: 146 . البدور الضاوية ص 243 . الزاوية الدلائية ص 235 . الدر المنضد و 147 .

(107) كانت وفاة محمد الحاج في 4 محرم 1082 هـ/ 14 ماي 1671م.

(108) طرة في (ز) : « لعله لم يطلع على ماذكره في « نزهة الحادي » فإنه ذكر فيها ما حدثه به هذا القريب، غير أنه قال: وجدت في بعض كتب الحدثان أني أدخل تلمسان، فظننت أني أدخلها دخول الملك ».

وفي طرة (ج)، زيادة: « قالها موقنا بأن قضاء الله للمرء غالب، ومن أسند أمره لمولاه فهو أكمل الناس عقلا ».

وما ذكره المؤلف هنا على لسان محمد الحاج، فيه خلاف بين المؤرخين، وللمزيد من التفاصيل انظر: البدور الضاوية ص 251 . الزاوية الدلائية ص 235 . نزهة ص 285 . الضعيف 1: 146، الجيش 1: 60 . الاستقصا 7 : 37 .

(109) أحد فروع قبائل البربر الصنهاجيين، استقروا بجبل الاطلس الكبير في الطريق

الواصلة بين فاس وتافيلالت، وقد دخلت فئات منهم في صفوف الجيش العلوي، ومنهم «آيت عياش» بالضواحي الجنوبية لمدينة فاس.

التقاط ص 378، هامش 3 . العز والصولة ص 159، هامش 7 .

(110) المثقال: وحدة أساسية في العملة المغربية القديمة، يساوي 10 أوقيات. غير أن هذا الوزن يختلف حسب المراحل التاريخية، كما يختلف عدد أجزاء وحداتها تبعا لذلك.

التقاط ص 130، هامش 2 . العز والصولة ص 408 ، الاكسير ص 6، هامش 2 .

(111) نونبر 1669م.

(112) كان ذلك في رجب 1080 هـ/ دجنبر 1669م. ولا تمدنا المصادرالتي بين أيدينا بكثير من التفاصيل عن هذه الحركة.

(113) حول هذه النقطة، انظر : روضة التعريف ص 47 . الجيش 1: 61 . الاستقصا 7: 40 .

(114) تم إخضاع هذه المدينة في 4 صفر 1081 هـ / 24 يونيه 1670م.

نشر 2 : 190 . التقاط ص 183 . تاريخ الضعيف 1: 150 . تقييد القادري ص 266 .

S.I.H.M. 2é S. France T. 1 P. 303 et N 2.

(115) «هشتوكة»، تنطق أيضا « شتوكة، إحدى قبائل مصمودة البربرية التي تقطن بين وادي سوس ووادي ماسة.

R. Montagne. Ibid PP. 35-99 .

(116) وهي القبائل المستقرة بالساحل الاطلسي من جنوب أگادير الى جنوب وادي نون بما في ذلك قبائل ماسة.

التقاط ص 183، هامش 4 . معلمة المدن ص 218 .

(117) تم ذلك في ربيع الاول 1081 هـ / 21 يوليوز 1670م.

إيليغ ص 227 .

(118) إحدى القبائل العربية الأصل، يظهر أنها وصلت إلى نواحي فاس في القرن 16م، وقبائل أولاد جامع إلى اليوم، توجد في الشمال الغربي من مدينة فاس.

العز والصولة ص 152، هامش 6 .

(119) « الموزونة» وحدة قياسية، قيمتها ربع الدرهم.

التقاط ص 157، هامش 2 . الاكسير ص 119، هامش 1 .

(120) ابتدأ بناء هذه المدرسة في أوائل شعبان 1081 هـ/ أواخر 1670م، وظل البناء فيها

قائما إلى عهد مولاي اسماعيل، أما المكان الذي أنشئت فيه فكان «منجرة» تابعة لأحباس القرويين.

التقاط ص 184، هامش 4 .

(121) وتعرف أيضا بـ« قصبة فيلالة» وهي المتصلة بباب المحروق، وقد تعرض مكانها لكثير من الهزات الارضية.

التقاط ص 184، هامش 6 .

(122) بهذه « العرصة » أنشئت قصبة فيلالة.

(123) « الدينار » عملة ذهبية يظهر أنها كانت تساوي عشرة دراهم فضية أو مثقالا .

التقاط ص 157، هامش 2 .

(124) وهي المعروفة بـ « قصبة شراردة » شمال غرب مدينة فاس، ويلاحظ من الناحية الهندسية أن شكلها مربع على خلاف « قصبة فيلالة » الثلاثية الشكل.

التقاط ص 185، هامش 3 .

(125) انظر هامش 231. (مقدمة المؤلف) .

(126) « فشتالة » ، بطن من صنهاجة، كانوا لهذا العهد مستقرين شمالي إقليم فاس على نهر ورغة.

ابن خلدون 6 : 202 . قبائل المغرب 1: 334 . فاس وباديتها 1: 104 وهامش 71 .

(127) أحد روافد نهر سبو، ينبع من مرتفعات الريف، ويأخذ اتجاها جنوبيا غربيا الى أن يلتقي بالنهرالرئيسي بين «الخنيشات» و «جمعة الحوفات» بالغرب.

الاستبصار ص 136 . المعجب ص 511 . الوزان 2 : 248 . معلمة المدن ص 373 .

(128) وهو الشيخ «يلنورين ميمون الهزيري» المكنى «أبا يعزى» عمر حوالي 130 سنة، قضى ثلثها زاهدا متقشفا. توفي في أول شوال 572 هـ/ 2 ابريل 1177م، وقبره مشهور بمركز «مولاي بوعزة» المنسوب إليه بين الرباط وواد زم.

القرطاس ص 267 . شرف الطالب ص 63 . جذوة 2 : 564 . التشوف ص 195 . التقاط ص 185، هامش 6 .

(129) كان ذلك في صفر 1082 هـ/ يونيه 1671م. وحول هذه النقطة، انظر روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية ص 84 – 87 . اتحاف 3: 62 – 63 .

(130) انظر هامش 9 (الباب الثاني) .

(131) يطلق عليها كذلك «تافرطاست» وتشمل المنطقة الهضبية الواقعة غرب «تاوريرت» و المتاخمة لمدينة تازة.

الوزان 1: 271 . التقاط ص 186، هامش 1 .

(132) اختلفت الروايات حول اسم الشخص الذي ثار على مولاي رشيد، أهو «أحمد بن محرز» أم «محمد بن محمد» المعروف بالصغير؟ فإذا كان مولاي أحمد وزيرا لعمه الرشيد، وقائدا لجيوشه، فالراجح أن يكون الثائر هو «محمد بن محمد الشريف».

انظر: تقييد القادري مخ خع ص 267 . الاستقصا 7 :42 .

(133) «فنزارة» مدينة على بعد نحو 14 كلم من سلا، بناها الموحدون، تعرضت للتخريب في أوائل القرن 9 هـ/ 15م. وما يظهر من كلام المؤلف، أنها لم تكن تبعد كثيراً عن مدينة فاس، غير أن هذا الاسم اختفى ولا نعلم الاسم الذي عوضه.

الوزان 1: 165 - 166، مارمول 2: 136 .

(134) زيدان بن عبيد المالكي العامري التونسي، يظهر أنه كان من أكبر قواد مولاي رشيد، اغتاله أهل فاس في جمادى الاولى 1083 هـ/ شتنبر 1672م، مما أدى إلى استياء مولاي إسماعيل منهم وتحاربه معهم.

نشر 2 :201 . التقاط ص 191 . الضعيف 1 :156 .

(135) أحد روافد نهر سبو، كان يعرف ب «وادي الجواهر» يمر وسط مدينة فاس فيشقها إلى قسمين. يصب على بعد بضع كيلومترات من القنطرة التي بناها مولاي رشيد.

الاستبصار ص 180 . القرطاس ص 48 . الوزان 1: 173 . مارمول 2 : 144 . جذوة 1 :42 .

(136) كانت وفاة مولاي رشيد في 11 ذي الحجة 1082 هـ/ 9 ابريل 1672م، ودفن بمراكش ثم نقل جثمانه ليدفن بفاس بضريح الشيخ علي بن حرزهم خارج باب الفتوح.

الانوار الحسنية ص 80 . نزهة ص 304 . روضة التعريف ص 41 . نشر 2 :194 . التقاط ص 186 . الضعيف 1: 154 . الدر المنضد و 148 . الاستقصا 7 : 43 .

S. I. H. M. 2é S. France T. 1 P. 426.

Terrasse. Histoire du Maroc 2 : 247.

Ency. de L'Slam T. 3, P 1200

(137) طرة في (ج): «ترك مآثر الرشيد التي أعظمها الجود، مدحه عالم جزائري ببيتين فذين ذكرناهما في « الحسام المشرفي» أجازه عليهما برطل ذهبا. وخرج يصيد على عادته وهو بمراكش، فمدحه شاعر بأربعين بيتا أجاره بأربعين ألفا، وقال له: لوزدت على العدد لزدنا.

ومآثره في غير الجود كإصلاح المساجد و المدارس والقناطر مسطرة، ولا تذكر الملوك إلا بالمآثر. قال في «آمال القالي»:

ليـــس الفتى بفتى لا يســـتـضـــاء بـــــه ولا يـكـون لـه في الأرض آثـــــار الخ».

(138) 14 ابريل 1672م، و في نفس هذا اليوم تمت البيعة لمولاي إسماعيل وهو بفاس انظر المصادر السابقة (هامش 136).

(139) انظر هامش 236 (مقدمة المؤلف).

(140) انظر هامش 127 (مقدمة المؤلف).

الباب الثالث
في
الشجاعة

قال صلى الله عليه وسلم: « فضلت الناس بأربع، بالسماحة و الشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش » (1) .

وقال عليه السلام: «الحرب خدعة» (2) .

وقال علي لولده: « لا تدع أحدا للبراز، ولا يدعوك إليه أحد إلا أجبته، فالداعي باغ والباغي مصروع» (3) .

وقيل: «حازم في الحرب خير من ألف فارس».

وقيل: «من تفكر في العواقب لم يشجع».

وقيل لبعض بني المهلب: « بم نلتم ما نلتم؟. قال: بصبر ساعة».

وقال البحتري يصف الشجعان (X 1) بقوله (X 2).

مسترسلين إلى الحتوف كأنما بين الحتوف وبينهم أرحام (4) .

وقال افراسياب لأخيه: « إن الشجاع محبب حتى إلى عدوه، و الجبان مبغض حتى إلى أمه».

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: « إني أرى منك في بعض الأوقات إقداما فاحكم بشجاعتك، وأرى في بعضها إحجاما فاحكم بجبنك» .

(X 1) ك الشجاعة.

(X 2) «بقوله» سقطت من (ك).

قال معاوية:

شـجـــاع إذا مــا أمــكـنـني فرصـــة إذا لـــم يكن لـي فرصـــة فجـــبـــان.

وقال بشار بن برد (5):

من راقـب الـنـاس لـم يظفـر بحـاجـتـه وفــاز بـالطيبات الـفـاتـك اللهـج (6)

وقال سَلم الخاسر (7):

مـــن راقب الـنـــاس مـــات غـمـــا وفـــاز باللـــذة الجـــســـور(8)

وبالشجاعة أدرك السلطان إسماعيل ماأدرك، وبلغ ما بلغ رحمه الله.

دولة السلطان الاعظم
مولانا اسماعيل بن الشريف بن علي

ولما مات الرشيد وبلغ خبره لمكناسة (9)، بويع مولانا إسماعيل.

وقدم عليه أعيان أهل فاس، وعلماؤهم وأشرافهم ببيعتهم، وقدم عليه وفود أهل المغرب من الحواضر و البوادي بهداياهم وبيعاتهم، فجلس للوفود إلى أن فرغ من شأنهم.

ورتب أشغاله بمكناسة إذ كان لا يبغي بها بدلا، حيث أعجبه ماؤها وهواؤها، وشرع في بناء قصوره بها بجوار قصبة الموحدين.

(حركة السلطان لمراكش)

ووجه العساكر للنواحي، وتوجه هو لمراكشة، إذ لم يأته أحد من أهلها.

وبلغه أن ابن أخيه أحمد بن محرز توجه لتلك الناحية. ولما بلغ، تلقاه أهل مراكشة وحوزها بالحرب، فحاربهم وهزمهم، ودخل مراكشة عنوة (10)، ولما طلبوا الأمان، أمنهم وعفا عنهم.

(نقل جثمان مولاي رشيد الى فاس)

وانقل شلوأخيه الرشيد في تابوته، ووجهه لفاس يدفن بضريح الشيخ علي بن حرزهم (11)، ورجع من مراكشة، وفرق الراتب بقصد الحركة للصحراء (12)،

(استنجاد أهل فاس بابن محرز)

ثم إن أهل فاس، قتلوا قائد المحلة زيدان بن عبيد العامري (13)، فاستمر الحرب بينه وبينهم. فوجهوا لابن أخيه أحمد بن محرزيأتيهم، فقدم لدبدو (14)، وبعث لهم رسوله، فاعلنوا بنصره في المدينة / 29 د /، و بالليل وجهوا عشرة من الخيل للقاء أحمد بن محرز لتازة (15) .

(قتل الخضر غيلان)

ثم أصبح عليهم رسول الخضر غيلان، وأنه بلغ تطوان، قدم من الجزائر في البحر مع أولاد النقسيس. (16)

فتوجه إسماعيل بعساكره نحو ابن أخيه أحمد بن محرز لتازة، فلما بلغها، رجع للصحراء أحمد. ورجع إسماعيل للغرب بقصد غيلان، إلى أن ظفر به فقتله (17) .

(تصالح أهل فاس مع السلطان)

ورجع لفاس الجديد، فوقع الصلح بينه وبين أهل فاس. وطلع إليه أعيان أهل فاس وعلماؤهم وأشرافهم فسامحهم، وفتحوا أبواب فاس بعد حصار أربعة عشر شهراً وثمانية عشر يوما (18)

وخلف بفاس الجديد عبد الرحمان المتراري (X 1)، وقيد على فاس أحمد التلمساني، فعاثا في المدينة بالنهب و السجن.

(بناءات السلطان بمكناسة)

ورجع السلطان لمكناسة، واشتغل ببناء قصوره بها بعد أن هدم ما يلي القصبة من الدور، وأمر أربابها بحمل أنقاضها، وبنى لهم سورا على الجانب الغربي، وأمرهم ببناء دورهم به.

وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة زاده في القصبة القديمة، ولم يبق أمامه إلا الفضاء، فجعله كله قصبة. وبنى سور مدينة مكناسة، وأفردها عن القصبة.

وأطلق أيدي الصناع في البناء، وجلبهم من حواضر المغرب، فلم يبلغ بذلك غرضه. ففرض الفعلة (X 2) على قبائل المغرب مناوبة، كل قبيلة توجه عددا معلوما من الرجال و البهائم في كل شهر. ورتب على أهل الحواضر، الصناع في كل شهر من البنائين وغيرهم من جميع الصنائع.

وأسس المسجد الأعظم بداخل القصبة بجوار قصر النصر الذي كان أسسه أيام أخيه الرشيد. ثم أسس الدار الكبرى العظيمة التي بجوار ضريح الشيخ المجذوب (19) .

(قتال بين السلطان وابن أخيه)

وفي محرم أربع وثمانين وألف، بلغه دخول ابن أخيه (أحمد بن محرز) (X 3) لمراكش. وكان متوجها لأنكاد، حيث بلغه عيث العرب في تلك الطريق، فتوجه لهم، وأخذ سقونة ونهب أموالهم، وقتل منهم، ورجع.

واستعد لحرب أحمد بن محرز، فتوجه له في العساكر على تادلة، فكان اللقاء بينهما على وادي العبيد ببوعقبة (X 4) (20) .

(X 1) «المغراوي» في النشر 2 : 210 . تاريخ الضعيف 1 : 159 .

(X 2) « االعملة» في الجيش 1: 65 . الاستقصا 7 : 49

(X 3) ما بين قوسين سقط من (ك).

(X 4) ب بوعقبية . وفي ز ، ج ، ك بوعقيبة.

ولما وقع القتال، انهزم أحمد بن محرز، ومات قائد محلته حيد الطويري (21)، ورجع لمراكش. فتبعه إسماعيل، ونزل على مراكشة عام ستة وثمانين وألف.

فقتل بالمحلة (1x) الشيخ عمر البطيوي وولده عبد الله أعراص وإخواته، كانوا أمراء عساكره. فبلغه عنهم مابلغ، فخنقهم، ووجه لمن بقي منهم بفاس، فقبضوا وقتلوا، وحيزت دورهم وأموالهم.

(دخول مولاي إسماعيل لمراكش)

وأقام على حرب مراكش إلى ربيع الثاني عام سبعة وثمانين وألف، فوقع قتال عظيم مات فيه من الفريقين مالا يحصى.

فانحصر أحمد بن محرز بمراكش، وبقي يقاتل من الأسوار، واستمر الحصار إلى ربيع الثاني من عام ثمانية وثمانين وألف، ففر أحمد بن محرز عن مراكش، ودخلها إسماعيل عنوة (22). فاستباحها وقتل من أعيانها سبعة، وكحل منهم ثلاثين.

(تكوين جيش الوداية)

وفي أثناء مقامه بمراكش، خرج يوما للصيد بالبحيرة، فوجد رجلا يرعى غنما له، وبيده شفرة يقطع بها السدر ويضعه لغنمه تأكل ورقه، فقال للوزعة:

- « نادوا أبا (2 X) الشفرة!

فأوقفوه أمامه، فسأله، فانتسب له إلى الوداية (23)، وأخبره:

إنهم دخلوا من القبلة بسبب جذب، ودخلوا السوس بنجعهم، وافترقوا، كل قصد قبيلة نزل بها، ونحن مع الشبانات (24) .

- فقال له: أنتم أخوالي، وسمعتم بخبري ولم تأتوني؟! والآن أنت صاحبي وإذا روحت غنمك لخيمتك، فاقدم علي لمراكش».

وكلف به من يوصله إليه. ولما قدم عليه، كساه وأركبه وأعطاه خيلا، وكلفه بجمع إخوانه من قبائل الحوز.

(1 X) ب ، ز ، ج ، ك بمحلة.

(2 X) « أبو » في جميع النسخ المعتمدة.

فجمع من وجد منهم، وانقلهم بحلتهم (1x) إلى مكناسة، ثم دخل نجع آخر بعدهم، فكتبهم السلطان في الديوان.

وبالغ في إكرامهم و الاحسان إليهم، وعين لهم بجوار قصبته، المحل المعروف بالرياض، وأمرهم ببناء الدور به، وأعطى أعيانهم النوائب، وهم الزوايا التي لا تغرم مع القبائل. ثم قدم عليه نجع آخر، دخلوا من القبلة، فكتبهم مع إخوانهم.

ولما انقل زرارة (25) / 30 د/ و الشبانات قوم كروم الحاج من الحوز إلى وجدة، [أخرج] (2x) الشبانات الذين (3 X) كانوا بفاس الجديد مع الدريدي، ووجههم لوجدة مع إخوانهم.

وأعطى فاسا الجديد لأخواله الوداية، وجه (4x) نصفهم لها (5x)، ونصفهم بقي بالرياض، وقائدهم علي أبوشفرة، وقائد الذين بفاس، ولده القائد محمد [أبو شفرة] (6X) وكانا يتداولانهما مرة بعد أخرى. ثم استقر بعد ذلك علي أبو شفرة بفاس و[القائد] (6 X) محمد بن عطة (7x) بالرياض.

(تأديب الملوك السعديين لعرب الخلط)

وأما هؤلاء زرارة و الشبانات وأولاد جرار وأولاد مطاع، فانهم كانوا جندية مع الملوك السعديين وهم عساكرهم، وكانوا ينقلونهم بحللهم للنزول بأزغار على أنف عرب جشم من الخلط (26) وأهل الغرب، حيث كانوا شيعة لبني مرين. وكلما رأوا فشلا (8 X) في دولة الأشراف(9x)، ثاروا وغدروا. فعين لهم [مولاي محمد] (6x) الشيخ هؤلاء المعقل، فكانوا

(1 X) ج. بحلته.
(2 X) د ، أ أخرجوا.
(3 X) أ الذي.
(4 X) د ووجه.
(5 X) ز، ج، ك له.
(6 X) سقط من (د) (أ).
(7 X) ج ، ك عطية.
(8 X) ب ، ز ، ج ، ك فتورا.
(9 X) ب ، ز ، ج ، ك الدولة السعدية.

[يزاحمونهم] (1x)، ويراغمونهم، [وينالون منهم] (2x)، فإذا (وقع فتور (3x) في الدولة، قاموا لهم وأوقعوا بهم) (4x)، هذا دأبهم (طول أيامهم)(5x) إلى أن انقل [السلطان أحمد] (2x) المنصور(منهم أولاد مطاع لزبيدة (6x)، وأوقع [بعرب] (2x) جشم وأسقطهم من الجندية، وانتزع منهم الخيل و السلاح، وقبض منهم الأموال وتركهم حفاة عراة بين القبائل [وطردهم لتامسنا] (2 x) يسرحون ويحرثون بالخمس.

(دخول عرب الخلط في صفوف الجيش العلوي)

ولما فشلت دولة الأشراف، (وبويع الرشيد) (7 x)، اجتمعوا ورجعوا لأزغار وتمولوا وأكثروا من الخيل و السلاح، إلى أن ملك السلطان [الرشيد .

فكتبهم في ديوان عسكره، وعادوا إلى حالهم الأول من الزيغ و العيث فيمن يجاورهم من قبائل الجبال، واستمروا على ذلك إلى أن ملك السلطان] (2 x) إسماعيل:

(فانتزع منهم الخيل و السلاح، وضرب عليهم المغارم) (8 x)، [(وأقاموا على ذلك إلى أن مات السلطان إسماعيل) (8 x).

واستراحوا، فتمولوا واقتنوا الخيل و السلاح، ورجعوا لحالهم الأول أيام الفترة إلى أن ملك](9 x) السلطان سيدي محمد بن عبد الله [رحمه الله.

فاستكانوا وصلحت أحوالهم، وكلفهم بدفع الزكاة و العشر، وأسقط عنهم ما سوى ذلك من المغارم) (10 x). وكانوا يعسكرون معه في حروبه [وحركته، وتمولوا وظهروا في دولتهم] (2 x)، (ويغرمون ما وجب عليهم في الزكاة و العشر) (11 x) .

(1 x) د ، أ زجرا لهم.
(2 x) ما بين معقوفتين سقط من (د) (أ) .
(3 X) د ، أ فتورا.
(4 x) ب ، ز ، ج ، ك حصل للدولة فشل، رجع أهل الغرب و الخلط لدفع هؤلاء المعقل وحربهم.
(5 x) ب ، ز ، ج ، ك معهم.
(6 x) ب، ز، ج، ك هؤلاء االمعقل، وأنزلهم بزبيدة.
(7 x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ المعتمدة.
(8 x) ما بين قوسين سقط من (ك)
(9 X) د ، أ واستمروا على ذلك الى أيام .
(10x) د ، أ فظهروا في دولته.
(11x) ما بين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).

ولازالو على حالهم (1x) مع ولده السلطان سليمان، (وحسنت طاعتهم وخدمتهم) (2x)، [ليمنه وحسن سيرته] (3x).

وكذلك قبائل المعقل أهل الحوز، لازالوا على الخدمة و الطاعة، والانقياد لجميع ما يأمرهم به، و الأحوال مستمرة على ذلك (27).

(ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي)

رجوعا لخبر مراكش: ثم بلغه وهو (4 x) بها، اجتماع البربر على أحمد بن عبد الله الدلائي(28)، وعيثهم فيمن جاورهم من قبائل العرب من تادلة إلى سايس.

فوجه عسكرا (5x) لأهل تادلة (6x) إعانة لهم، [فهزمهم البربر] (7x)، واستولوا على تادلة. فوجه(8x) لهم (9x) عسكرا آخر مع القائد يخلف، فيه ثلاثة آلاف من الخيل، فقتل يخلف ونهب عسكره. ثم أعقبه بعسكر آخر، فوقع له مثل الاول [و الثاني] (10 x)، هذا و[السلطان] (10x) إسماعيل في مراقبة أحمد بن محرز الذي بالسوس.

(حرب بين مولاي حمادي ومولاي محرز)

ثم بلغه قيام أخيه حمادي (29) بالصحراء، وحربه مع أخيه محرز الثائر بها أيضا، فرجع لحرب البربر بتادلة (11x)، فلقيه (12 x) أخوه (13 x) الحران، جاء يستنصره على حمادي.

(1 x) ب ، ز ، ج ، ك على هذا الحال

(2 x) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).

(3 x) د ، أ بيمنه وحسن نقيبته.

(4 x) « وهو » سقط من (ك).

(5 x) ج عسكره.

(6 x) ب ، ز ، ج ، ك لتادلة.

(7 x) د ، أ فهزموهم.

(8 x) أ ثم توجه.

(9 x) ك إليهم.

(10 x) مابين معقوفتين سقط من (د) (أ).

(11 x) د لتادلة.

(12 x) ك فقدم عليه.

(13 x) « اخاه» في جميع النسخ المعتمدة.

(السلطان يوقع بشيعة أحمد بن عبد الله الدلائي)

فلما (x 1) وقع الحرب مع البربر (بتادلة) (2x)، وهزمهم [السلطان] (x 3) إسماعيل (30)، (وقطع منهم سبعمائة رأس وجهها مع عبد الله الروسي لفاس. ومات من رماة أهل فاس أربعمائة رجل دون غيرهم من العساكر) (4x). ولما بلغت الرؤوس (5x) لفاس، زينت المدينة وخرجت المدافع.

(فرار مولاي الحران إلى الصحراء)

وبعد الظفر (x 6)، فر الحران (31) من المحلة للصحراء. (فوجه السلطان الخيل في أثره). (7x)

(عزل وتوليات بفاس)

ورجع السلطان لمكناسة عام (x 8) ثمانية وثمانين وألف.

وولى (x 9) على أهل فاس عبد الله الروسي، وولى أباه حمدونا على الاراثة بفاس، وولى [خطة] (x 3) القضاء السيد العربي بردلة (32).

(السلطان يأمر بقتل مساجين أهل تطوان)

وأمر بقتل مساجين أهل تطوان (33) الذين كانوا بسجن فاس، وهم عشرون قطعت رؤوسهم.

(السلطان يعفو عن مولاي الحران)

ثم جيء (x 10) بالحران من الصحراء مسلسلا، فلما قابله، (أمر بتسريحه) (x 11)،وأعطاه خيلا ومدشرا بالصحراء يعيش به (x 12)، ووجهه.

(x 1) ب ، ز ، ج ، ك ، ولما.

(x 2) سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 3) سقط من (د) (أ).

(x 4) ب ، ز، ج، ك بعد وقائع مات فيها من الفريقين مالا يحصى عده، مات من أهل فاس دون غيرهم أربعمائة رجل، وقطع من رؤوس البربر سبعمائة وكذا وجههما مع القائد عبد الله الروسي.

(x 5) ز الروس.

(x 6) ج الدفر.

(x 7) مابين قوسين سقط من (أ)، وفي باقي النسخ « فوجه السلطان من تبعه».

(x 8) ب ، ز ، ج ، ك وفي عام.

(x 9) ب ، ز، ج، ك ولى.

(x 10) ب، ز، ج، ك أتوه.

(x 11) ب، ز، ج، ك سرحه.

(12 X) ب، ز، ج، ك فيه.

(بنـاء قلعة مكناسة)

وأقام (السلطان) (x 1) بمكناسة يقف على بنائه، وكلما أكمل قصرا أسس غيره. ولما ضاق مسجد القصبة بالناس، أسس الجامع الأخضر أعظم منه، وجعل له بابا للمدينة يدخل منه أهل المدينة.

وجعل لهذه القصبة، (عشرين بابا) (x 2) عادية في غاية السعة و الارتفاع مقبوة، فوق كل باب منهـا ، برج عظيم عليه من المدافع النحاسيـة العظيـمة الأجرام و المهـارز / 31 د/ الحربية العظيمة الأشكال ما يقضى منه العجب.

وجعل بهذه القلعة، بركة عظيمة تسير فيها (x 3) الزوارق و الفلائك للفرجة.

وجعل بها هريا لخزن (4x) الزرع (مقبو القنانيط) (5x) يسع زرع (أهل) (x 1) المغرب كله. وجعل بجـواره سـواني للمـاء في غـاية الغـمق، مـقبـو عليـهـا [بأقـواس هائلة] (6x)، و(فـي أعلاها) (7x) صقالة (34) (مستديرة لوضع المدافع و المهارز) (8x) ترمي لكـل ناحية. وجـعـل بها (x 9) إسطبلا لمربط خيله وبغاله، طوله فرسخ (10x) مسقف الدائرة بالبرشلة على سوار (x 11) وأقواس (x 12) هائلة. كل فرس مربوط فـي قوس، وبين الفـرس و الفرس عـشـرون (13x) شبرا. يقال إنه كـان (به مربط) (14x) اثني (15x) عشـر الف فرس، مع كل فـرس، سائس ونصراني

(x 1) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 2) ب، ز، ج، ك ابوابا.

(x 3) ب،ز، ج، ك بها.

(x 4) ب، ز نخزن، وفي (ج) تخزن.

(X 5) ب، ز،ج، ك فيه عشرون بلاطا مقبوة.

(x 6) مابين معقوفتين سقط من (د) (أ).

(X 7) ب،ز، ج، ك وفوقها.

(X 8) ب،ز،ج،ك مربعة عليها مدافع،

(x 9) ب،ز،ج، ك بهذه القلعة.

(x 10) ب، ز، ج، ك نحو الفرسخ.

(x 11) د،أ سواري.

(x 12) ج، و الأقواس

(x 13) «عشرين» في جميع النسخ المعتمدة.

(x 14) ب،ز،ج، ك بذلك الاسطبل.

(x 15) «اثنا » في جميع النسخ المعتمدة.

(من الأسارى لخدمته) (x 1). وفي (x 2) هذاالاسطبل، ساقية الماء مقبوة الظاهر، وأمام كل فرس محل مفتوح كالمعدة لشربه.

وفي (وسط) (x 1) هذا الاسطبل، هري مقبو تحت الأرض وعلوه فوقها نحو القامتين، مقبو قنوط واحد، وله مضاوي (من أعلاه) (x 1) يفرغ منها الشعير المعد لعلف الخيل (يسع)(x 3) شعير المغرب كله، من شرق الاسطبل إلى غربه.

وفي وسط الإسطبل، قبب معدة لوضع (4x) سروج الخيل على أشكال مختلفة. وفيه هري عظيم مربع مقبو على أساطين عظيمة، وأقواس هائلة، يقال إنه كان يوضع به [ركاب] (5x) الخيل، وضوءه من شبابيك في جوانبه (x 6) الأربعة (x 7)، كل شباك يزيد وزنه على قنطار من الحديد، وفوق هذا الهري من أعلاه، قصر يقال له « المنصور » لا يقصر ارتفاعه عن (8x) مائة ذراع، خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى. فيه عشرون (x 9) قبة، كل قبة فيها صرجم (10x) (35)، وعليه شباك من حديد يشرف منه أهل القبة على بسائط مكناسة من الجبل إلى الجبل. وكل قبة بالبرشلة و القرمود، منها أربع قبب (11x) متقابلات، سعة كل واحدة سبعون (12x) شبرا تربيعة. وباقي العشرين سعة كل واحدة، أربعون شبرا تربيعة.

ويجاور هذا الاسطبل بستان (13x) على قدر طوله، فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب، طوله فرسخ، وعرضه ميلان (14x)، ويتخلل (15x) هذه القصور التي في القلعة مماشي

(x 1) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 2) ب، ز، ج ، ك ويشق.

(x 3) زيد في طرأة (أ) بتصحيح، وفي باقي النسخ المعتمدة « يحل».

(x 4) ب،ز،ج، ك لنزول.

(x 5) د سلاح.

(x 6) ب،ز،ج، ك نواحيه.

(x 7) د ، أ الأربع.

(x 8) ج على.

(x 9) ب، ز، ج، ك عشرين.

(x 10) ب، ز، ج، ك سرجم.

(x 11) ب،ز،ج،ك قباب.

(x 12) ب،ز،ج،ك سبعين.

(x 13) ب،ز،ج، ك بستانا.

(x 14) «ميلين» في جميع النسخ المعتمدة.

(x 15) ك وشميل.

مستطيلة متسعة، وأبواب عظيمة فاصلة بين كل ناحية و أخرى، ورحاب عظيمة مربعة لعمارة المشور (36) في كل جانب (1x) لا يحيط بها (2 X) الوصف.

(رأي المؤلف في بناء قلعة مكناسة)

وذلك شيء لم يبن في دولة عربية ولا عجمية. وقد (3 X) شاهدنا آثار الأقدمين بالمشرق و المغرب والترك و الروم، فما رأينا مثل ذلك في دولهم ولا (4 X) آثارهم، بل لواجتمع آثار دول ملوك الإسلام، لرجح به ما بناه اسماعيل في قلعة (مكناسة دار ملكه. ولازال ذلك البناء مع طول الدهر قائما كالجبال، لم تلحقه افات (5 X) الزلازل ولا عواصف الرياح (6x) ولا كثرة الأمطار و الثلوج التي تخرب المباني.

ومن حين مات) (7 X) إسماعيل، و الملوك من أولاده وحفدته يخربون تلك القصور، ويبنون بأنقاضها من خشب وزليج ورخام ولبن وقرمود ومعدن إلى وقتنا (8 X) هذا. وبنيت من أنقاضها مساجد ومدارس ورباطات بكل بلد (من بلدان المغرب) (9 X) ، وما أكملوا نصفها (هذه) (9 x) نحو المائة سنة.

وأما البناء، فلا زال كالجبال الشوامخ، وكل من شاهد ذلك من سفراء الروم والترك، يتعجب من عظمته ويقول: ليس هذا من عمل بني آدم، ولا يقوم به مال. رحمه الله (37) .

(تكوين جيش العبيد)

واعتنى هذا السلطان بجمع العبيد من السودان (10x) و المولدين (38)، وجعلهم عسكرا. و السبب في ذلك حسبما وقفت عليه في كناش[الكاتب السيد أحمد](11x) الحميدي (12X) (39) قال: «لما بلغ السلطان إسماعيل لمراكش (13x)، وكان يكتب العسكر من

(1 X) ب جانبها.
(2 X) أ به.
(3 x) ب، ز، ج، ك ولقد.
(4 X) « لا » سقط من (ب) (ز) (ج) (ك) .
(5 x) ب،ز،ج، اثار.
(6 x) د الريح.
(7 x) مابين قوسين سقط من (ك).
(8 x) ب، ز، زمننا.
(9 x) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).
(10 x) ز،ج،ك السود.
(11 x) مابين معقوفتين سقط من (د) (أ) .
(12x) ب،ز،ج الحيمدي.
(13 x) ب ز،ج،ك مراكش.

الأحرار [من قبائل الحوز] (x1)، وتعلق بخدمته عمر عليلش (40)، كان والده كاتبا مع السلطان أحمد المنصور وبنيه من بعده (x2)، أتاه يوما بدفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في عسكر (x3) المنصور، فسأله:

- هل بقي منهم أحد؟

-فقال: نعم (X 4)، كثير منهم ومن أولادهم. وهم مفترقون (X 5) بمراكش وحوزها (X 6)، وبقبائل الدير ولو كلفني سيدى بجمعهم، جمعتهم. فولاه أمرهم (X 7) و كتب له الى قواد القبائل في اعانته / 32 د/ على جمعهم (X 8). [ولا يحولون بينهم وبينه] (x1).

واشتغل يبحث عليهم (x9) بمراكش إلى أن (جمع من بها و) (x10) خرج للدير، فجمع من وجد به، ثم توجه لقبائل الحوز، فجمع من وجد منهم، ومن غيرهم، حتى لم يترك بتلك القبائل كلها أسود سواء كان مملوكا أو حرا، أسود أو حرطانيا (41).

واتسع الخرق، فجمع منهم في سنة، ثلاثة آلاف رأس (x11)، منهم المتزوج والعازب. (فكتبهم في دفتر، ووجهه لمولانا إسماعيل لمكناسة. فلما قرئ عليه، سر بذلك) (x 12). وكتب له (x13) أن يشتري الإماء للعزاب (x14) منهم، (ويخلص المماليك منهم،ويكسوهم (x15)) (x 16) من أعشار أهل مراكش، ويأتيه لمكناسة بهم.

(x 1) سقط من (د) (أ).

(x 2) ب،ز،ج، ك ومع أولاده.

(x 3) ب،ز،ج،ك جند.

(x 4) « نعم» سقطت من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 5) « مفترقون» سقطت من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 6) ج وأحوازها.

(x 7) ب، ز، ج، ك فامره بجمعهم.

(x 8) ب،ز،ج،ك أن يعينوه على جمعهم.

(x 9) ب،ك يجمع من. ز،ج بجمع من.

(x 10) ب،ز،ج،ك كتبهم ثم.

(x 11) ب،ز،ج، ك لقبائل الحوز ثم قبائل الدير، فجمعهم وكتبهم، ولم يترك عبدا منهم ومن غيرهم، ولما استوفاهم في الدفتر، كان عددهم ثلاثة آلاف، فأخبر السلطان بعددهم وان منهم.

(x 12) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 13) ب،ز،ج،ك فامره.

(x 14) ب،ز،ج، ك لمن هو عازب.

(x 15) ج ويكسيهم.

(x 16) ب،ز،ج،ك ويخلصهم.

فقام لذلك عليلش، واشتغل بشراء الاماء، وجمع (x 1) الحرطانيات (إلى أن استوفى الغرض وكساهم، وحملهم القبائل من قبيلة لأخرى إلى أن بلغ بهم لمكناسة) (x 2). فأعطاهم السلطان السلاح [و الكسوة](3x). وعين لهم قوادهم [وأعطاهم ما يبنون به نوائلهم] (x 3)، ووجههم للمحلة بمشرع الرمل [يبنون بها] (X 3).

ثم كلف كاتبه محمد بن العياشي المكناسي أن (x 4) يخرج لقبائل (X 5) الغرب (وبني حسن)(x 6)، ويجمع (X 7) العبيد. (من كان لا ملك لأحد عليه، يأخذه مجانا، ومن كان مملوكا، يعطي لصاحبه ثمنه.

فخرج لذلك، وطاف على القبائل، فجمع كل أسود وجده، من كان مملوكا، أعطى لصاحبه عشرة مثاقيل، ومن كان غير مملوك، أخذه مجانا.

وأمر عماله أن يشتروا له العبيد من فاس ومكناسة وغيرهما، من المدن، عشرة للعبد، وعشرة للأمة، إلى أن لم يبق لأحد (x 8) عبد.

فاجتمع له منهم، ثلاثة آلاف كساهم وسلحهم، ووجههم للمحلة بعد أن عين لهم قوادهم(9x) ثم قدم (10x) محمد بن العياشي(بدفتر فيه ألفان (11x) من العبيد، منهم المتزوج والعازب)(12x) .

(x 1) «جمع» سقطت من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 2) ب،ز،ج،ك، حيثما كانوا، الى ان اكمل عددهم وكلف قبائل الحوز بحملهم، فحملوهم من قبيلة الى قبيلة، إلى أن بلغوا مكناسة.

(x 3) سقط من (د) (أ).

(x 4) أن سقطت من (أ).

(X 5) ب،ز،ج،ك اهل.

(x 6) ج ويبقى حتى (كذا).

(x 7) ب لجمع. ز بجميع.

(8x) أ عند احد.

(9x) ب،ز،ج، ك اللذين عندهم، فخرج لذلك. ثم أمر قواد المدن أن يشتروا له العبيد و الاماء أينما كانوا. و عند من كانوا فتوجهوا لذلك. ثم أمر قائد أهل تامسنة وقائد دكالة أن يجمعوا ماعندهم من عبيد المخزن ويشتروا من هو مملكا، العبد عشرة، و الأمة عشرة مثاقيل.

(10x) ب،ز،ج،ك فقدم.

(11x) د، أ الفين.

(12x) ب،ز،ج، ك بالفين من العبيد.

(فكتب للقائد) (1x) علي عبد الله الريفي (42) أن يشتري للعزاب منهم الاماء) (2x) ويكسيهم ويعطيهم السلاح من تطوان، [وكل من لا أمة له، يشتري له أمة من تطوان والجبال و الريف] (3x)، ويعين لهم قوادهم، ويوجههم للمحلة (بمشرع الرمل، ففعلوا ذلك.

[واجتمع له من فاس ومكناسة بالشراء ثلاثة آلاف، كساهم وسلحهم، وعين لهم قوادهم ووجههم للمحلة] (3x). هذا عدد من نزل بالمحلة في ابتداء جمعهم) (2x).

ثم (كلف أهل دكالة والشاوية أن يأتوه بعبيد المخزن الذين عندهم، فلم يمكنهم إلا جمعهم وكل عبد في قبائلهم. وكملوا بالشراء، و اشتروا لهم الخيل و السلاح، وكسوهم وأتوا بهم، الشاوية ألفان، (4x) و أهل دكالة ألفان (4X) أنزلهم) (5x) بوجه عروس (43)، (إلى أن بنى قصبة أدخسان (44)، وأنزل أهل دكالة بها، وأنزل أهل الشاوية بزاوية محمد الحاج بيدلا) (6x) (45).

(حركة مولاي إسماعيل للسوس و الصحراء)

ثم (7 X) في عام تسعة وثمانين وألف، توجه [السلطان] (3 X) لتدويخ السوس وتمهيده، (فبلغ (8 x) إلى طاطا وأقا (46) وتسنت وشنقيط، وقدمت عليه وفود العرب، أهل الساحل والقبلة، مغافرة ودليم، وبربوش ومطاع وجرار وودي (47)، وأدوا طاعتهم.

(وفود خناثة بنت بكار على السلطان)

وفي ذلك الوفد، جاءته خناثة (48) بنت الشيخ بكار [المغفرية] (9 x)، (فتزوجها وبنى بها) (10 x).

(بقية الخبر عن جمع جيش العبيد)

وجلب في تلك الحركة (49) ألفين من (الحراطين بأولادهم من الأقاليم المذكورة، كساهم

(1 x) ب ، ج ، ك فامر.

(2 x) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج)·(ك).

(3 x) مابين معقوفتين سقط من (د) (أ).

(4 x) د ، أ الفين.

(5 x) ب ، ز ، ج ، ك أتاه الشاوية وأهل دكالة بأربعة آلاف من العبيد، وجمعوا ماكان عندهم من عبيد المخزن، وكملوا بالشراء، ودفعوا لهم الكسوة و السلاح و الخيل من عندهم، وقدموا إليه لمكناسة، فانزلهم.

(6 x) ب ، ز، ج ، ك بجواره، ولما بنى قصبة أزرو،أنزل بها ألفا من عبيد دكالة. ولما بنى قصبة أدخسان، أنزل بها ألفا، وأنزل بزاوية محمد الحاج ألفا من الشاوية.

(7 x) «و» بدل « ثم » في (ب) (ز) (ج) (ك) .

(8 X) « فبلغ» سقط من (ج).

(9 x) مابين معقوفتين سقط من (د) (أ).

(10 x) ب ، ز، ج، ك فتزوج بها، وأكرم أهلها إكراما عظيما.

بمراكش، وسلحهم وقيد عليهم) (x 1)، ووجههم للمحلة [بمشرع الرمل، وتناسلوا به إلى أن بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا بين من في المحلة، وبين من في القلع التي بنى بالمغرب وعمرها منهم] (2x). (ورجع لتمام العام، وأقام بمكناسة) (x 3).

(استطراد: ولوج الترك في صفوف الجيش العباسي)

وهكذا(4x) وقع للمعتصم بن الرشيد (50)، لما (بويع ببغداد) (x 3)، ولع بجمع المماليك من الأتراك، (كان. يجلبهم من خراسان وما وراء النهر، إلى أن اجتمع عنده منهم عشرون ألفا، كلها بخيلها وسلاحها. وضاقت بهم بغداد، ولحق أذاهم العامة في الأسواق والطرقات، واستغاث الناس من شرهم ، ورفعوا له أمرهم، فبنى مدينة «سر من رأى» (51)، وانتقل لها، وأنزلهم معه بها.

فلم يكفه ذلك العدد ، فاستخدم الأتراك وكتبهم في العسكر، وأسقط ديوان العرب من العسكر، إلى أن كان عدد عسكره من المماليك و الترك سبعين ألفا ، وجعل منهم الحجاب و الأمراء و الكتاب، ورقاهم في المناصب إلى أن استولوا على الدولة، وصار الحل و العقد لهم، ورجال / 33 د/ العرب كالأتباع لهم.

ولما مات المعتصم وولي بعده ولده الواثق (52)، قلد اشناس (53) السلطنة، وخلع عليه وطوقه وسوره، وهو أول من فعل ذلك. فبسبب ذلك، صار أمر الدولة إليهم. ولما مات الواثق، وبويع أخوه (5x) جعفر المتوكل (54)، لم يستقم له أمر معهم إلى أن قتلوه مع وزيره).(6x) الفتح بن

(x 1) ب ، ز، ج . ك من حراطين طاطا وتسنت وشنقيط بأولادهم، ولما رجع كساهم وأعطاهم االسلاح.

(2x) ما بين معقوفتين سقط في (د) (أ).

(3x) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x4) ب ، ز، ج، ك ومثل هذا.

(5 x) د ، أ أخاه.

(6 x) ب ، ز ، ج ، ك « فانه لما بويع ببغداد، اشتغل بشراء المماليك وجمعهم من الآفاق، وجعلهم عسكرا واستغنى بهم عن عسكر العرب. وجعل منهم الأمراء و الوزراء و الحجاب واستولوا على المناصب كلها، وكان لهم الحل و العقد في دولته، وبقي جنود العرب معهم كالحمر مع الخيل. وبلغ عددهم سبعين ألفا، فضاقت بهم بغداد ، وحصلت للعامة منهم إذاية عظيمة.

فاستغاث الناس من شرهم للمعتصم، فبنى مدينة « سامرا » وبنى قصره بها، وانتقل لها وانزلهم معه بها، واسقط ديوان العرب جملة، وأقاموا معه كالاتباع، فأنفوا من ذلك، واستحكمت النفرة بينه وبين العرب، فكان ذلك سبب فساد الدولة العباسية.

واستمر الحال على ذلك إلى أن مات االمعتصم، وبويع و لده هارون الواثق، صار أمر الحل والعقد بيدهم، وتمكنوا في المناصب كلها، فكان يعالج داء هم بالسياسة ألى أن مات الواثق.

وبويع أخوه جعفر المتوكل، فقلد « اشناسا » الوزارة كما قلد ها أخاه الواثق، وخلع عليه وطوقه وسوره.

وهو أول من فعل ذلك منهم، فلم يسلم له أمرهم، وعالج داءهم فلم ينفع فيه دواء آخر الامر، وسوسوا ولده « المنتصر» بالبيعة له، واستمالو ه ألى أن ركن لقولهم، ودخل معهم على والده جعفر المتوكل، فقتلوه وقتلوا وزيره».

خاقان، وبايعوا ولده (1x) المنتصر (55)، (فلم يمتع بالخلافة، ولم يبق إلا ستة أشهر ومات، لأنه كان وافقهم على قتل والده، وشاركهم في دمه) (2 x).

(ماوقع للمنتصر العباسي بعد قتل والده)

ويحكى أنه لما قتل والده ودخل خزينه، رأى فيه بساطا رفيعا، فأمر بإخراجه وأن يبسط له في قبته، فرأى فيه كتابة لم يفهمها، فأحضر من يعرف الخط الفارسي، فوجد على البساط: « هذا البساط صنع للملك أبرويز (3x) قاتل أبيه، فلم يمتع بالخلافة، ومات لستة أشهر». فلما سمع ذلك، تطير وأمر برفع البساط، وخرج فدخل على أمه وهو يبكي، فقالت: ماشأنك؟. فقال: يا أماه ذهبت مني الدنيا و الآخرة، عاجلت أبي فعوجلت. ومات على رأس ستة أشهر(56) .فبايعوا عمه أحمد المستعين (57)، لأنهم خافوا أن يولوا أحدا من أولاد المتوكل أن يمكر بهم، فبايعوا المستعين، (فأخذ منهم بالثأر.

فتبرموا به وقدموا لحربه وبايعوا المعتز (58)، واستمر الحرب بينهم وبينه إلى أن غلبوه وظفروا به) (x 4)، وسجنوه ثم بعد مدة قتلوه] (x 5).

واستمر حالهم هكذا (6x) مع الخلفاء، (يولون ويعزلون ويسمون ويقتلون) (x 7)، إلى أن تم أمر الله فيهم.

(مآل جيش العبيد بعد موت مولاي إسماعيل)

وهكذا كان مآل (هذا العسكر (x 8)) (4x) البخاري مع [ملوكهم من] (x 5) أولاد السلطان إسماعيل الذين ملكوا بعده، يولون من شاؤوا و يعزلون من شاؤوا ويفعلون ما أرادوا إلى أن تم أمر الله فيهم، حيث أبادهم الدهر وتشتتوا في البلدان (9x)، وقل عددهم. وماأحياهم إلا السلطان الجليل سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله، وجمعهم من القبائل وردهم للجندية، وتقلبوا في آلاء فضله. ولما بلغوا الغاية، قاموا عليه وبايعوا ولده اليزيد، وفعلوا مافعلوا حسبما تسمعه بعد.

(x 1) « ولده» سقطت من (ب) (ز) (ج) (ك).

(x 2) ب ، ز، ج ، ك « فلم تطل مدته، ومات لستة أشهر من بيعته، سنة الله فيمن يعصى والده ويخالفه.

(x 3) « أنا شير ويه بن كسرى بن هرمز » في تاريخ الخلفاء ص 357 .

(x 4) مابين قوسين سقط من (ك)

(x 5) مابين معقوفتين سقط من (د) (أ).

(x 6) ب، ز، ج، ك كذلك.

(x 7) مابين قوسين سقط من (ب) (ز) (ج) (ك) .

(x 8) ب ، ز، ج الجند.

(x 9) ب ، ز ، ج ، ك البلاد.

(حركة مولاي اسماعيل لتلمسان)

رجوعا: ثم توجه لحركة الشرق، فترك تلمسان عن يساره وأصحر، فقدمت عليه وفود العرب من ذوي منيع ودخيسة وحميان والمهاية و العمور وأولاد جرير وسقونة وبني عامر و الحشم. وتوجه بهم إلى أن نزل القويعة على رأس وادي شلف (59). والذين قادوه وكانوا (معه) (1x) في محلته هم بنو عامر.

(رجوع السلطان عن تلمسان)

فخرجت محلة الترك من الجزائربقضهم وقضيضهم و مدافعهم، ونزلوا على وادي شلف في مقابلته. ولما كان وقت العشاء، أرعدت مدافعهم ليدهشوا العرب، فكان الأمر كذلك. ولما انتصف الليل، فر بنو عامر من محلة السلطان. ولما أصبح، وسمع العرب بفرارهم، انهزموا دون قتال، ولم يبق مع السلطان إلا عسكره. فكان (ذلك) (x 1) سبب تأخيره عنهم، ورجوعه دون قتال.

(وقوع الصلح بين مولاي إسماعيل وأتراك الجزائر)

وكاتبه الترك أن يتخلى عن بلادهم، ويقف عند حد سلفه، ومن كان قبلهم (x 2) من الملوك السعديين، فإنهم ما زاحموهم قط في بلادهم.

وبعثوا له كتاب مولاي محمد بن الشريف الذي وجه لهم مع رسلهم، وكتاب مولاي رشيد الذي فيه الحد بينهم وبينه، فوقع الصلح (60) على ذلك الحد، الذي هو وادي تافنا .

ورجع لوجدة، فأمر ببنائها، ثم لفاس، ثم لدار الملك، وذلك عام تسعة وثمانين وألف.

(قيام إخوة السلطان بالصحراء)

وفيه، بلغه خروج إخوته الثلاثة الحران وهاشم وأحمد، وثلاثة من بني عمهم (61). ودخلوا لقبائل عطة (x 3) من البربر، فتوجه إليهم (x 4) بالعساكر على سجلماسة.

ووقع الحرب بجبل ساغرو (62)، مات فيه قائد العساكر موسى بن يوسف، ومن أهل فاس أربعمائة دون غيرهم. وكان في تلك السنة وباء عظيم في كل بلد.

فانهزم إخوته، وفروا للصحراء، ورجع هو (5x) على طريق الفائجة، فأصابه ثلج بثنية

(x 1) مابين قوسين سقط من (ك)

(x 2) « قبله» في باقي النسخ االمعتمدة.

(x 3) ج القبائل.

(x 4) « لهم » في باقي النسخ االمعتمدة.

(x 5) « هو » سقطت من (ك).

الگلاوي، أهلك الناس وأتلف أثقالهم وأبنيتهم، وماخلصوا منه إلا بمشقة عظيمة.

(السلطان يعاقب بعض خدامه)

ولما نزلوا بسيدي رحال (63)، مدوا أيديهم في أموال الناس بالنهب لما لحقهم من الجوع، فاشتكى الناس على السلطان، فأمر بقتل من وجده خارج المحلة. وأمر بجر الوزير عبد الرحمان المتراري، وقتل أصحابه بالرصاص، ثم أمر بالوزير أن يجر بمكناسة وفاس، ففعل به ذلك ورمي باقيه. وقتل السلطان (x 1) في تلك الوقعة من المحلة، نحو الثلاثمائة، ورجع لمكناسة، فأقام بها.

(انتشار الوباء بالمغرب)

وفي محرم عام تسعين وألف، وقع الوباء بالمغرب. فكان العبيد يعترضون (x 2) بسبو على الطرقات، ويردون الناس عن مكناسة، وكذلك كانوا يتعرضون بسايس. وكل من يأتي من فاس يقتلونه. وانقطعت السبل (x 3).

(تأديب السلطان لبني يزناسن)

وفيه انقل عرب الشبانات وزرارة قوم / 34 د/ كروم الحاج من الحوز لما كانوا عليه من الظلم و الجور لأهل الحوز، فأنزلهم بوجدة ثغر المغرب، وكتبهم في الديوان، وقيد عليهم العياشي بن الزوغر (x 4) الزراري، وأمره بالتضييق على بني يزناتن، إذ كانوا شيعة الترك (5x)، فكانوا يغيرون عليهم، ويمنعونهم من الحرث في بسائط (x 6) أنگاد.

(السلطان يأمر ببناء بعض القلع)

وأمر أن يبنى عليهم قلعة بطرف بلادهم من ناحية الساحل ضد وجدة برقادة، وأمر العياشي أن ينزل بها خمسمائة من الخيل من أصحابه تمنعهم (7x) النزول والحرث ببسيط تريفة. ثم أمر أن تبنى قلعة ثالثة بطرف بلادهم بالعيون، وينزل فيها ابن الزوغر خمسمائة من الخيل من إخوانه. وأمر أن تبنى قلعة رابعة بطرف بلادهم على ملوية، ويجعل بها خمسمائة فارس من إخوانه، وجعل للعياشي بن الزوغر النظر في القلع الثلاث، وهو بوجدة في ألف فارس. وكانوا في الدفتر بألفين وخمسمائة.

(x 1) « اصحابه » بدل « السلطان» في (ك).
(x 2) ب ، ز، ج، ك يتعرضون .
(x 3) « السبل » زيدت في طرة (ب) بتصحيح.
(x 4) « الزويعر» في الجيش 1 :70 . الاستقصا 7: 61 . المنزع اللطيف ص 177 .
(x 5) ب ، ز، ج، ك للترك .
(x 6) ب بساط. ج أباسط.
(x 7) ج يمنعهم.

(السلطان يخضع قبائل بني يزناسن)

وفي عام واحد وتسعين وألف، خرج السلطان في العساكر لبني يزناسن حين تمادوا على العصيان، فدخل جبلهم وهتك حرمتهم ونسف نعمتهم وخرب قراهم وحرقها، وقتل (1x) [رجالهم] (2x)، وسبى أولادهم، فطلبوا الأمان، فأمن باقيهم على أن يدفعوا الخيل و السلاح الذي عندهم.

فدفعوها عن يد، وقاموا بدعوته على رغم أنوفهم. ثم نزل ببسيط أنگاد ومعه قبائل الأحلاف وسقونه، فأرجلهم وأخذ خيلهم وسلاحهم، وكلف أشياخهم أن يجمعوا ما بقي منها بحلتهم ففعلوا. ثم فعل بالمهاية وحميان كذلك، ورجع.

(السلطان يأمر ببناء قلع أخرى)

ولما نزل « صا » (64)، أمر ببناء قلعة تاوريرت التي بناها بنو مرين (65)، فجددها وأنزل بها مائة من الخيل بأولادهم من عبيده.

(ولما نزل بوادي (x 3) ملوية، أمر ببناء قلعة گرسيف (66)، وأنزل بها مائة من الخيل من عبيده بأولادهم) (x 4).

ولما نزل بوادي مسون (67)، أمر أن تبنى بها قلعة، وأنزل بها مائة من الخيل من عبيده بأولادهم، (وقيد عليهم منصور بن الرامي، أنزله بتازة في ألفين وخمسمائة من العبيد) (5x).

وجعل نظر القصابي التي بين « تازة» إلى وادي « صا » لمنصور بن الرامي. وعين لكل قبيلة قلعتها التي تدفع بها زكاتهم وأعشارهم لعولة العبيد وعلف الخيل، وهم حراس الطريق، فمن وقع شيء في ترابه يعاقب عليه قائد القلعة.

ولما بلغ الگور، أمر أن تبنى به قلعة، وأنزل بها مائة من الخيل من عبيده بأولادهم. ولما بلغ لفاس، أنزل بقصبة الخميس التي بنى سورها السلطان رشيد، خمسمائة من الخيل بأولادهم من شراگة الذين أتى بهم الرشيد من العرب و البربر، فمن العرب بنو عامر و الشجع، ومن البربر مديونة وبني سنوس، وجعلهم قبيلة واحدة.

ثم أمر ببناء قلعة بالمهدومة وأخرى بالجديدة. وأنزل بكل واحدة، مائة من الخيل من وصفانه بأولادهم لحراسة الطريق، وبكل قلعة، فندق لمبيت القفل (68).

(x 1) « وحرق» بدل « وقتل» في (ب).

(x 2) د رجالها.

(x 3) « بوادي» سقط من (ز) (ج).

(x 4) مابين قوسين سقط من (ك).

(x 5) مابين قوسين سقط من (أ)، وفي باقي النسخ: « ولما نزل تازة، أمر أن تبنى بها قلعة بجوار القديمة وأنزل بتازة ألفين وخمسمائة من الخيل من عبيده بأولادهم، وقيد عليهم منصور بن الرامي».

(السلطان يأمر بالحركة لابن محرز)

وفي عام اثنين وتسعين وألف، ورد عليه الخبر أن أحمد بن محرز الذي بالسوس، استولى على بلاد (x 1) آيت زينب، وقويت شوكته، فأمر بتفريق الراتب وتقويم الحركة من فاس.

(استرجاع المعمورة)

ثم بلغه إشراف العساكر التي بالمهدية (69) على الفتح، وتوقفوا على حضوره، فتوجه إليهم حتى حضر الفتح (70).

وخرج رئيس النصارى، فأمنه. وأخرج أصحابه، وكانوا ثلاثمائة وستة، و الغنيمة أحرزها المجاهدون أهل الريف و الفحص الذين كانوا مرابطين عليها مع القائد عمرو وحد البطيوي(71). ورجع السلطان لمكناسة، وتوجه المجاهدون مع أميرهم عمرو بن حد، فأصابه الوباء ، فمات في طريقه، فتولى رياسة المجاهدين أخوه (x 2) أحمد بن حد.

(حركة السلطان مولاي إسماعيل لتلمسان)

وفي عام ثلاثة وتسعين وألف (72)، توجه السلطان لحركة الشرق، فنهب بني عامر، ورجع لمكناسة. وأمر بإخراج أهل الذمة من المدينة، وبنى لهم خارجها ببريمة. ثم بلغه أن الترك جاؤوا بمحلتهم، واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل، وأن كلامهم مع ابن أخيه أحمد بن محرز، راسلهم وراسلوه.

(وبلغه أيضا ذلك من خليفته / 35 د/ بمراكش. فكتب له أن يبقى في حراسة أحمد بن محرز) (x 3) إلى أن يرجع من حركة تلمسان. وخرج بالعساكر للقاء الترك.

(أخذ النصارى شرشال ثم تخليصها)

فوجدهم رجعوا حين بلغهم خروج النصارى (73) بشرشال (74)، وأعانهم أهل الجزائر، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخرجوهم، ومات من المسلمين نحو السبعمائة.

(خروج السلطان لابن محرز)

ورجع قاصدا مراكش، ومنها للسوس. فتلاقى مع ابن أخيه أحمد بن محرز، ووقع القتال خمسة وعشرين يوما، مات فيها من الفريقين مالا يحصى. ودخل أحمد بن محرز تاردانت، فانحصربها، ثم وقع بينهما حرب آخر، مات فيه خلق كثير، وجرح السلطان وجرح أحمد بن محرز.

واستمر الحال على ذلك إلى رمضان العام، فوقع الصلح بينهما ، ورجع السلطان لمكناسة فدخلها في قعدة العام (75) .

(x 1) « بلاد » سقطت من (ك).

(x 2) « أخاه » في جميع النسخ المعتمدة.

(x 3) مابين قوسين سقط من (ك).

(حركة مولاي إسماعيل لجبل فازاز)

وفي الحجة عام أربعة وتسعين وألف، خرج السلطان بالعساكر (1x) لجبل فازاز لحرب البربر من صنهاجة الذين به، فلما سمعوا بخروجه، انهزموا ورجعوا (2 x) لملوية.

(السلطان يأمر ببناء قلع أخرى)

فاختط قلعة بعين اللوح (76) بسفح جبلهم.

ثم نزل على (3 x) عين أزرو (77)، فأمر ببناء قلعة بها بسفح الجبل، ثم تبع آثارهم إلى أن دخلوا جبل العياشي (78).

وتربص بملوية إلى أن دخل فصل الشتاء، وقصده بذلك المقام، إتمام [بناء] (4x) سور القلعتين.

ولما رجع، أنزل بقلعة أزرو ألف فارس، وبقلعة عين اللوح خمسمائة فارس، فاستراح من عيثهم بطريق سايس.

(دخول قبائل فازاز في طاعة السلطان)

ولما قلت عليهم الأقوات، قدم عليه وفدهم لمكناسة تائبين، فأمنهم على دفع الخيل والسلاح والاشتغال بالحرث والنتاج، فدفعوها عن يد، وهم آيت ادراسن، ودفع لهم عشرين ألفا من الغنم، كلفهم بحراستها ورعايتها، وأسقط عنهم الوظائف.

فصلحت أحوالهم، وفي كل عام، يزيدهم الغنم، إلى أن كان عندهم ستون ألفا، يدفعون كل عام صوفها وسمنها.

(استرجاع طنجة من يد النصارى)

وفي عام خمسة وتسعين وألف، ورد على السلطان خبر فتح طنجة (79)، دخلها المسلمون لما ضاق بالكفار الأمر، وطال بهم الحصار، هدموها وتركوها وركبوا (5x) سفنهم.

واشتغل قائد المجاهدين علي بن عبد الله يبني ما تهدم من سورها، وبنى (6x) مساجد بها.

(1x) « في العساكر» في باقي النسخ المعتمدة.

(2 x) ب، ز، ج ، ك وخرجوا.

(3 x) «على» سقطت من باقي النسخ المعتمدة.

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(5x) ك وهدموا.

(6x) " وبنى" سقطت من باقي النسخ المعتمدة

(استيلاء المغاربة على سفينة بساحل سبتة)

وحرث بها (1x) مركب قرصاني كان فيه مال وبضائع جاء مددا لأهل سبتة، فحارب المسلمون أهله، واحتووا على ما فيه.

وكلف السلطان غمارة بجر مدافعه النحاسية لمكناسة، ووجه الرماة من فاس لجرهم، فأتوا بهم (2x) لأربعين يوما.

(حركة مولاي إسماعيل لملوية)

وفي عام ستة وتسعين وألف، خرج السلطان لحركة ملوية، وجعل طريقه على صفرو (80)، ففرت قبائل البربر لرؤوس الجبال، وهم آيت يوسي وسغروشن [وسليم] (3x) وأيوب وعلاهم وقادم وحيون ومديون ومكود.

(السلطان يأمر ببناء قلع أخرى)

فأمر ببناء قلعة بأعليل وأخرى على وادي گيگو (81) من أسفله، وقلعة (4x) على وادي سكورة، وثالثة على وادي تِشُّوكت (82).

وخرج لملوية، ففرت القبائل لجبل العياشي، وتفرقوا في شعابه.

فأمر ببناء قلعة بدار الطمع، وقلعة بتاميوست، وقلعة بقصر بني مطير، وقلعة بوطاط، وقلعة بالقصابي (83).

وأقام (5x) على نهر ملوية يبث (6x) سراياه للبربر سنة كاملة، والخدمة في القلع، إلى أن أكمل أسوارها، وأنزل بكل قلعة أربعمائة من الخيل بأولادهم من وصفانه. وجاءه وفود قبائل البربر تائبين طائعين، فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح، فدفعوها. وصفا له هذا الربع الشرقي من جبل درن.

(وفاة مولاي أحمد بن محرز)

وفي هذه السنة، بلغه دخول أخيه الحران تاردانت مع ابن أخيه أحمد بن محرز، وتوجه (7x) للحركة إليهما. ولما بلغهما حاصرهما بتاردانت.

(1x) «بقربها» في باقي النسخ المعتمدة

(2x) كذا في جميع النسخ المعتمدة والاصوب أن يقول : "لجرها ... فاتوا بها".

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

(4x) ك وأخرى.

(5x) ج وقلعة،

(6x) ج بعث.

(7x) ب،ز،ج،ك فتوجه.

فخرج يوما أحمد بن محرز مع بعض عبيده لزيارة بعض الأولياء، فلقيه جماعة من زرارة أصحاب السلطان، لم يعرفوه وظنوا أنه بعض قواد أحمد بن محرز، فوقعوا عليه، فتقاتل (1x) معهم فقتلوه (84)، فإذا هو أحمد بن محرز.

ولما بلغ خبره للسلطان، توجه حتى وقف عليه، وأمر بتجهيزه ودفنه مع الغرناطي(85)، كان مات يومئذ.وبعد أيام، خرج أهل تاردانت ليلا إلى قبره، ونبشوه واستخرجوه حتى عرفوه، لأنه كان اختلف / 36د/ عليهم قبره مع قبر الغرناطي، فأخرجوهما وحملوا أحمد في تابوته، وتركوا الغرناطي على شفير قبره.

(فتح تارودانت)

وبقي الحران محصورا بتاردانت، والحرب مستمرة، مات فيها القائد الزيتوني، والباشا حمدان ونحو الستمائة. ثم كان بعده حرب آخر كذلك. ثم ثالث كذلك، مات فيه القائد عبد الرحمان الروسي، وتولى موضعه ولد الغرناطي.

وفي جمادى الاولى عام ثمانية وتسعين وألف، دخل السلطان ردانة عنوة بالسيف، واستباحها وهرب الحران.

ولما بلغ خبر فتحها لفاس، توجه (2x) مولاي محمد بن إسماعيل مع أعيان أهل فاس وعلمائهم وأشرافهم للمحلة، لتهنية السلطان بالفتح.

(السلطان يأمر بقتل أولاد النقسيس)

وخرج أولاد النقسيس من سبتة، فتوجهوا للسلطان للمحلة، فأمر بردهم لتطوان، وقتلهم بها. وأمر بقتل من بسجن فاس منهم، فقتلوا.

(استطراد: تولي سليمان بن ابراهيم العثماني السلطنة)

وفي هذه السنة، عزل الأتراك السلطان محمد (86)، وولوا أخاه السلطان سليمان بن ابراهيم(87)، وتوجه للجهاد، فوقعت عليهم الهزيمة (88). واستولى الكفار على محلته وآلة حربه، ورجع لأدرنة (89) مفلولا.

(رجوع السلطان من حركة سوس)

وفي عام تسعة وتسعين وألف، رجع السلطان من السوس، ودخل مكناسة، وبعث لفاس أن يخرجوا أهل الريف الذين كانوا بها لسكنى تاردانت.

(1x) ج فتقابل.
(2x) ب،ز،ج،ك خرج.

(حركة السلطان لفازاز)

ثم تهيأ لحركة فازاز، وخرج له، وطلع من الناحية الغربية. فأول من قدم عليه من برابرته بالطاعة، زمور وبنو حكم، ولم يحاربوه. فولى عليهم كبيرهم بايشي القبلي. فاستصفى منهم الخيل والسلاح [وزاد للأموال، ولحق السلطان وهو ببسيط أدخسان، فدفع له الخيل والسلاح] (1x) والمال، فأنكر عليه ذلك، وقال له:

- "ما حملك على ما فعلت، ولم آمرك به ؟

- فقال له : يا مولانا السلطان، إن كان غرضك في صلاحهم وفلاحهم، فهو الذي فعلت لك ولهم، وإن سرت معهم بغير هذا، أتعبوك وأتعبوا أنفسهم. إنما طهرتهم من الحرام، ويشتغلوا بالتكسب من الحلال، فإنه ينمو ويزكو".

فاستحسن قوله، وأقام إسماعيل بأدخسان يحارب آيت امالو سنة (2x)، حتى أكمل بناء قصبة أدخسان الجديدة بمحل القديمة التي بنى يوسف بن تاشفين وخربت.

ولما دخل فصل الشتاء، ترك بالقصبة ألف فارس وخمسمائة فارس من عبيد أهل دكالة الذين كانوا بوجه عروس، انقلهم من مكناسة بأولادهم.

وأنزل بزاوية محمد الحاج، ألف فارس وخمسمائة فارس من عبيد الشاوية الذين كانوا بوجه عروس، انقلهم بأولادهم لحصار البربر، ومنعهم من النزول للمرعى.

(انتقال جد المؤلف من أدخسان إلى مكناسة)

ورجع لمكناسة، وانقل معه جدنا [الفقيه] (1x) الأستاذ سيدي علي بن إبراهيم بأولاده لمكناسة، لما نزل السلطان بأدخسان، واجتمع به الاشراف الذين بأرگو، قال لهم:

- دلوني على رجل خير دين فقيه يصلي بي!

- فقالوا له : ليس بهذا الجبل أتقى وأزكى من سيدي علي بن إبراهيم"

وأتوه به، فكان إمامه يصلي به في المحلة. ولما رجع، أخذه معه، فترك أولاده الكبار بداره وتوجه (3x) بوالدي رحمه الله صغيرا معه.

فنشأ بمكناسة مع والده إلى أن زوجه مولاي إسماعيل [بأمنا بنت العياط الحسيني. ولما مات مولانا اسماعيل] (3x) مات جدنا بعده بسبعة أيام.

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(2x) "سنة" سقطت من (ك).

(3x) " وتوجه" سقطت من (ك).

(انتقال أسرة المؤلف إلى فاس وازدياده بها)

فانتقل والدي لفاس، واستوطنها. وولدت له بها عام سبعة وأربعين ومائة وألف (90). ولما كانت المجاعة عام خمسين، رجع لمكناسة لداره التي (1x) كان بها، إلى أن خرج عام الخمسين، ورجع لداره بفاس.

هذا سبب انتقال جدنا من أرگو بجبل البربر لمكناسة، ثم انتقال (2x) والدي لفاس، رحم الله جميعهم، وختم علينا وعليهم بالسعادة وحسن الخاتمة والمغفرة [آمين] (3x).

(تربية أولاد عبيد الديوان)

وفي عام مائة وألف، أمر وصفانه أهل المحلة أن يأتوه بأولادهم وبناتهم من عشرة أعوام ففوق. فلما قدموا بهم، فرق البنات على عياله بداره، كل طائفة في قصر للتربية والتعليم.

وفرق الأولاد في الخدمة على البنائين والنجارين وأهل الحرف، وسوق الحمير يتدربون ويتعلمون، فإذا أكملوا السنة، انقلهم من سوق الحمير لسوق البغال الحاملة للآجر (4x) والزليج والقرمود.

فإذا أكملوا السنة، انقلهم لضرب المراكز، وخدمة ألواح الطابية.

فإذا أكملوا سنة، انقلهم للجندية، وكساهم / 37 د/ ودفع لهم السلاح، فخدموا به (5x) الجندية وطرقها.

فإذا أكملوا سنة، دفع لهم الخيل يركبونها عراة دون سروج، ليتدربوا على ركوبها عارية، ويغيرون عليها، فإذا أمسكوا رؤوسها وأكملوا السنة، دفعت لهم السروج، فيركبون بها ويتعلمون الفر والكر والرماية على ظهور الخيل.

فإذا أكملوا السنة، صاروا من حساب الجند، فيخرج لهم السلطان البنات [اللواتي] (6x) قدمن معهم، ويدفع لكل واحد من الأولاد واحدة يتزوجها، ويدفع للرجل عشرة مثاقيل مهرها، وللبنت (7x) خمسة مثاقيل ويقيد عليهم واحدا من آبائهم الكبار، ويعطي له (8x) ما يبني به داره والنوائل لأصحابه. ويوجههم للمحلة بمشرع الرمل، فيكتبون في ديوان العسكر.

(1x) ب الذي.

(2x) ج انتقل.

(3x) سقط من (د).

(4x) أ،ب،ج،ك للاجور

(5x) " به" سقطت من (ب).

(6x) ج التي، اللاتي في باقي النسخ المعتمدة.

(7x) ب وللبنات.

(8x) " ويعطيه " في باقي النسخ المتعمدة.

وفي العام القابل كذلك. كل عام يأتي من المحلة الدفع، ويتوجه من عند السلطان العسكر من عام مائة وألف إلى أن مات السلطان إسماعيل (1x)

(عدد جيش العبيد والقلع)

فبلغ هذا العسكر البخاري مائة وخمسين ألفا ؛ ثمانون ألفا مفرقة في قلع المغرب لعمارتها، وسبعون ألفا بالمحلة.

وعدد القلع التي بنى إسماعيل بالمغرب، ستا وسبعين قلعة، لا زالت قائمة بآفاق المغرب ظاهرة العين والأثر، يعرفها الخاص والعام.

وقفت على هذا (2x) في كناش كاتب الدولتين الرشيدية والاسماعيلية، سليمان بن عبد القادر الزرهوني (91)، مات بردانة، عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف. وكان عنده دفتر العساكر كلها، السواد الأعظم والمتفرقون في قلع المغرب.

(استطراد: عدد مماليك بعض دول المشرق)

قلت: وأين هذا مما نقله المؤرخون على وجه الغرابة؟! أن المعتصم بن الرشيد (92)، بلغ عدة مماليكه الذين اشتراهم والذين جلبهم من بلاد الترك، عشرين ألفا (3x). وكذلك ما ذكروه أن عدة مماليك محمد بن طغج الاخشيدي (93) ملك الشام، ثمانية آلاف مملوك. وكذلك مماليك احمد بن طولون (94) ملك مصر، بلغ عددهم عشرة آلاف.

(رأي المؤلف في القلع التي بناها مولاي اسماعيل)

فرحم الله مولانا إسماعيل الذي جند هذه الجنود، وبنى لها في كل مسافة حصنا لحفظ الوفود. وذلك [شيء] (4x) لم يقع مثله في دولة من الدول في جميع المعمور، ولا خلفه (5x) سلطان في سالف الدهور، وغاية ما شاهدناه في ممالك الأتراك، بناء فندق في كل مرحلة، ينزله أهل ذلك المحل يبيعون للرفاق المرافق من علف وتبن ودجاج وخبز، يسمونه المنزل، لا يبيت الرفاق وأبناء السبيل إلا به صيانة لأرزاقهم، وليس به عسكر ولا حارس، وهذا خاص ببلاد الترك. وأما بلاد العرب، فلا أثر لذلك، ولابد في سلوك مفاوزها وأماكن الخوف بها من إعطاء الخفارة.

(1x) " اسماعيل" سقطت من (ج).

(2x) ب ذلك.

(3x) ثمانية عشر ألفا" في باقي النسخ المعتمدة.

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

(5x) "خلده" في باقي النسخ المعتمدة.

(رأي المؤلف في قوة عبيد الديوان)

وليت شعري لو أن هذه العساكر التي جمعها، والقلع التي بناها، كانت في ثغور المسلمين، والعساكر في نحور أعداء الدين ؛

كعساكر لمتونة التي دخلت الأندلس، وكانوا اثني (1x) عشر ألفا (من الخيل، وثمانية وثلاثين ألفا (2x)) (3x) من الرجال، وأوقعوا بالكفار وقعة الزلاقة (95) [التي] (4x) قصت جناحهم.

أو عساكر الموحدين الذين دخلوا الأندلس في خمسين ألفا بين الخيل والرجال، وأوقعوا بالكفار وقعة الأرك (96)، التي قتل فيها وأسر فيها عدد لا يحصى.

أو عسكر بني مرين، الذين دخلوا الأندلس في ستين ألفا بين الخيل والرجال، وأوقعوا بالكفار وقعة أسجة (97)، وبلغوا بر المائدة، وهزموا عساكر الكفار، وقتلوا زعيمهم "دننة" (98)، ومن معه من الأبطال، وأسروا بقيتهم.

وهذا العدد الذي جمعه السلطان إسماعيل من العبيد، لو خاض به البحر للأندلس، وتلك القلع كانت مراكب لجواز العساكر، لملك بها الأندلس كلها. والتوفيق من الله.

(استطراد: اجتماع الامام السرخسي بيعقوب المنصور الموحدي)

قال الامام السرخسي (99) في رحلته إلى المغرب :

" لما انحدرت من بلادي الى الشام، وزرت بيت المقدس، ووقفت على مزارات الأنبياء والأولياء، وسافرت لمصر ثم للاسكندرية، وركبت البحر للاندلس، ولما بلغتها ودخلت إشبيلية وقرطبة، أيام السلطان يعقوب بن يوسف / 38 د/ بن عبد المومن (100)، ورأيت مبانيه فيها وعدله في رعاياها مع غيبته عنها ببر العدوة، قلت، لا بد أن أدخل المغرب حتى أشاهده، وأجتمع بهذا السلطان المجاهد (5x) العادل، وأزوره.

فتوجهت لبر العدوة ودخلت (6x) مراكشة، واجتمعت بالسلطان يعقوب، فوجدته بحرا لا ساحل له في العلوم، فقها وتفسيرا وحديثا ونحوا ولغة، وعليه اعتماد فقهاء وقته في الفتوى.

(1x) د، أ، ب،ج،ك اثنا

(2x) ب،ز،ج،ك عشرين الفا.

(3x) ما بين قوسين سقط من (أ).

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د) (أ).

(5x) " المجاهد" سقطت من (ك).

(6x) " وبلغت" في باقي النسخ المعتمدة.

(تحول أهل المغرب والأندلس عن مذهب الأوزاعي إلى مذهب مالك)

وكان أهل المغرب على مذهب الأوزاعي (101) في الفروع، وأهل الاندلس على مذهب الأوزاعي، إلى أن حملهم الحكم الأموي على مذهب مالك، كما حمل أهل المغرب، عبد المومن ابن علي على مذهب مالك أيضا ".

(اجتماع السرخسي بأبي العباس السبتي)

قال: (1x) :"واجتمعت بالشيخ أبي (2x) العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي (102) أيضا بمراكش، عام أربعة وتسعين وخمسمائة. وهناك ألفت سيرته، ووقائع أيامه في تاريخ " " عطف الذيل" (103) قال:

ولقد فرق في ليلة الأضحى على الجند والأمراء والفقراء والطلبة، ثلاثة وسبعين ألف رأس من الضأن [والمعز] (3x).

(اجتماع الامام السرخسي بالامير سليمان الموحدي)

وقال في رحلته: " لما قدم من سجلماسة الخليفة بها السيد أبو (4x) الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن (104) بعد موت المنصور (105) لمبايعة محمد الناصر (106)، اجتمعت به بمراكش، فوجدته بحرا في العلم والادب، وهو شيخ بهي المنظر، حسن المخبر، فصيح اللسان(5x) باللغتين العربية والبربرية.

(قصيدة شعرية للأمير سليمان الموحدي في فتح قفصة)

ومن شعره المشهور، قصيدة في ابن عمه السلطان يعقوب المنصور حين ورد عليه خبر (6x) بعض الفتوح (107):

هبت بنصركم الرياحُ الأربعُ ... وجرت بسعدِكم النجوم الطُّلَّعُ
واستبشر الفلك الأثير تيقنا ... إنَّ الأمورَ إلى مرادك (7x) ترجعُ
وأمدكَ الرحمانُ بالفتحِ الذي ... ملأ البسيطةَ نورُه المتشعشع(8x)

(1x) " قال" سقطت من (ب)

(2x) أ ابا.

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(4x) " أبا" في باقي النسخ المعتمدة.

(5x) " اللسان" زيدت في طرة (ك) بتصحيح.

(6x) " خبر" سقطت من (ك).

(7x) ب مراده.

(8x) ك المشعشع.

لم لاَ وأنت بذَلت في مرضاته ... نفسا تُفَديها الخلائق أجمع
ومضيت في نصر الإله مصمما ... بعزيمة كالسيف بل هي أقطع
لله جيشُك والصوارمُ تُنتَضى ... والخيلُ تجري والأسنة تلمع
[مَن كل] (1x) من تقوى الإلاه سلاحه ... ما إن له غير التوكل مفزع
لا يُسلمون إلى النوازل جارهم ... يوماً إذا أضحى الجوار يُضيَّع
من ظن أن فراره منج له ... فبجهله قد ظَنَّ ما لا ينفع
أينَ المفرُّ ولا فرارَ لهارب ... والأرض تُنشَر في يديك وتجمع (2x)
أخليفَةَ اللهِ الرِّضى هُنيته ... فتحٌ يمدُّ بما سواه ويُشفَع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا ... ولبست أنت منهُ مالا يُخلَع
هيهات سر الله أودعِ فيكم ... واللهُ يعطي من يشاءُ ويمنع
لكم الهُدى لا يدعيه سواكُم ... ومن ادعاهُ يقول مالا يَسْمَعُ
إن قيل مَن خيرُ الخلائقِ كلهًا ... فإليك يا يعقوبُ تُومي الأصبُعُ
إن كنتَ تتلو السابقين فإنما ... أنتَ المقدَّم والخلائق تُبَّعُ
خذها أميرَ المومنين مديحةً ... من قلبِ صدقٍ لم يُشبه (3x) تصنع
واسلم أميرَ المومنين لأمّةٍ ... أنت الملاذُ لها وأنتَ المَفزَعُ
فالمدحُ مني في علاك طبيعةٌ ... والمدحُ من غيري إليك تَصنُّعُ (4x)
وعليك يا علمَ الهُداة تحيةٌ ... يَفْنَى الزمانُ وعَرْفُها يتَضوَّعُ.

(قول القسطلاني عن الامير سليمان الموحدي)

/ 39د / وقال الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلاني :

"دخلت على السيد "أبي الربيع سليمان" بقصر سجلماسة، وبين يديه انطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق بين سجلماسة وغانة من أرض السودان، وهو ينكت الأرض بقضيب من الابنوس، ويتمثل بقوله :

ولا غرو إن كانت رؤوس عداته ... جوابا إذا كان (5x) السيوف رسائل.

(1x) د والكل. أ من كان.
(2x) ك يسمع.
(3x) " لم يشنه" في النفح (4 : 104) . القرطاس (ص 320)
(4x) " تطبع" في النفح (4 : 104) والقرطاس (ص 320).
(5x) ج كانت.

ومات بعد الستمائة، رحمه الله تعالى.

وقال لما هجره أمير المومنين المنصور، ووافق ذلك قدوم وفد من العرب من بلاد الشرق على حضرة الخلافة بمراكش، ونزلوا مطمر (1x) تانسيفت، واستأذنوا في وقت الدخول، فكتب إلى المنصور يقول :

يا كعبةَ الجودِ الذي حجَّت لها(2x) عربُ الشامِ وغُزُّها والدَيْلمُ
طوبى لمن أمسى يطوف بها غداً ويَحُل بالبيت العتيق ويحرمِ
ومن العجائب أن يفوز بنظرةِ من بالشامِ ومن بمكة يُحرَمُ

فرضي عنه المنصور، وأحسن إليه، وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم (3x) .

(بعض أخبار المنصور الموحدي)

وورد على المنصور كتاب من سلطان الفرنج " ادفونش" (108) يتهدده فيه، فمزقه، وقال لرسوله:

- اذهب إليهم، فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون إن شاء الله تعالى.

ثم قال [للكاتب] (4x) :

- اكتب في هذه القطعة من الكتاب المزق ليراه، " الجواب ما ترى، لاما تسمع".

فلا كُتْبَ الا المشرفية والقنا ولا رُسُلٌ إلاَّ الخميسُ العرمرمُ (109)

ومن شعره في أبيات كتبها إلى عرب الواسطة، أهل إفريقية، وهي:

يأيها الراكبُ المُزجِي مطيتهُ
على [عذافِرةٍ] (5x) تشقى بها الأكَمُ
بلغ سليمى على بعد الديار [بها] (6x)
بيني وبينكم الرحمنُ والرحِمُ

(1x) " متمر" في (أ) (ز)(ج) (ك)، وسقطت من (ب).

(2x) ك لنا.

(3x) في باقي النسخ ا لمعتمدة : " وورد على المنصور وأحسن إليه، وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم".

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

(5x) " غدا فره" في جميع النسخ، والتصويب من النفح (100:4).

(6x) د لها.

يا قـوم [لا تسبقوا] (1x) الحـرب وإن خَمَدَتْ
[واستمسكوا] (2x) بعُرى الأيام (3x) واعتصمـوا

كم [جرت] (4x) الحرب مـن قـد كـان قَبلكمُ
مـن الـقـرون فـبـادتْ دونـهـا الأممُ

حـاشى الأعـاربَ أن ترضـى بمنقصة
ياليتَ شـعـري هـل تراهـمُ عَلـمُ (5x)

يـقـودهـمْ أرمنيٌّ لا خَلاق لـه
كـأنـه بينـهـم مـن [جهلهم] (6x) عَلَمُ

يعني بالأرميني، " قراقوش" مملوك بني أيوب ملوك مصر، وجهوه لا عانة ابن غانية المسوفي لطرابلس وتونس، وأوقد نار الفتنة بإفريقية، ودخل عربها في حزبه. وقضيته مشهورة في كتب التاريخ.

قال السرخسي: وهؤلاء بنو عبد المومن ملوك المغرب، كلهم فقهاء علماء صلحاء مجاهدون، همتهم مصروفة في العلم والجهاد. رضي الله عنهم".

جلب هذا، صاحب نفح الطيب، " الامام المقري"، رحمه الله في أماكن من تأليفه، نقلته بالمعنى (110).

(استرجاع مدينة العرائش)

رجوعا إلى خبر دولة السلطان إسماعيل : وفي شوال من عام مائة وألف، توجه القائد أحمد وحد مع عسكر المجاهدين لحصار مدينة العرائش(111).

فنزلوا عليها، واشتغلوا بمحاربة أهلها، وحفروا مينة تحت خندق سورها من ناحية المرسى، وملؤوها بارودا وأخرجوها، فسقط جانب من السور، دخل منه المجاهدون للمدينة وملكوها.

وتحصن النصارى بحصن القبيبات الذي بناه السلطان أحمد المنصور السعدي، فحاصرهم به المسلمون سنة (112) إلى أن طلبوا الامان لأنفسهم، فأمنوهم على حكم السلطان، ونزلوا منه. فتم فتحها ولله الحمد / 40د /، وذلك عام واحد ومائة وألف (113).

(1x) " لا تشبوا » في النفح .
(2x) د وامتسكوا.
(3x) " الايمان" في النفح (100:4) والنبوغ (3 :20).
(4x) " جرب» في النفح (4 : 100) .
(5x) " علموا" في النفح.
(6x) د جهله.

وفي هذا العام، حج الشيخ الحسن اليوسي مع المعتصم ابن السلطان.

فأمرهم السلطان أن يبعثوا النصارى لحضرته، فبعثوهم له (1x)، وكانوا ألفا وثمانمائة، فكان يخدمهم في بناء قصوره من جملة غيرهم من الأسارى والمساجين (2x)، يبيتون بالليل بالدهليز.

وعمر العرائش بأهل الريف، وأمر قائدهم أن يبني بها مسجدين ومدرسة وحماما، ويبني داره بقلعتها.

(استرجاع مدينة أصيلا)

ثم انتقل المجاهدون لحصار أصلة (114)، فنزلوا عليها، وحاربوها سنة إلى أن لحق النصارى الجهد، فطلبوا الأمان لأنفسهم، فأمنوهم على حكم السلطان.

وبالليل، ركبوا سفنهم وهربوا لبلادهم. ودخل المسلمون المدينة عام اثنين ومائة (3x) وألف، فعمرها أهل الريف، وبنى قائدهم بها مسجدين ومدرسة وحماما، وبنى داره بقلعتها.

(حصار مدينة سبتة)

وانتقل المجاهدون لحصار سبتة (115)، فنزلوا عليها وحاصروها، ووجه لهم السلطان عسكرا من عبيده، وأمر قبائل الجبال أن يعينوا حصة من كل قبيلة للرباط عليها، وأمر أهل فاس أن يوجهوا حصتهم. فكان عدد المرابطين عليها، خمسة وعشرين (4x) ألفا، ولا ينقطع القتال عنها صباحا ومساء، حتى اتهم القواد الذين على حصارها أنهم لم ينصحوا في فتحها ليلا يتوجهوا لحصار البريجة (116)، ويبعدوا عن بلادهم وأولادهم، لما سئموه من السفر ومشقة الحركة، إلى أن مات القائد علي بن عبد الله، وتولى ولده القائد أحمد بن علي، والقتال لم ينقطع عنها، وفي كل عام يتبدل الغزاة.

والسلطان إسماعيل مشتغل بتمهيد المغرب، إلى أن فتح أقاليم المغرب كلها، وبنى قلعها ورتب حاميتها.

(استعداد السلطان لحرب فازاز)

ولم يبق له بالمغرب كله إلا قبة فازاز، الذي به " آيت امالو" و"آيت يف المان"، و "آيت يسري". ولما أراد الخروج لهم، خلف بفاس الجديد كبير ولده أبا (7x) العلاء محرز، ووجه لمراكش أبا اليمن المامون، وترك بمكناسة، محمد المدعو زيدان، وكان فارس أولاده الموجودين.

(1x) " له" سقطت من (ك).

(2x) " و المساجن" في جميع النسخ المعتمدة.

(3x) " ومائة" سقطت من (ك).

(4x) ج،ك خمسة وعشرون.

(5x) " أبو" في جميع النسخ المعتمدة.

(حرب بين محلة السلطان والترك، ووقوع الصلح)

وفي عام ثلاثة ومائة وألف، وجه السلطان العدة والراتب لأهل فاس، وأمرهم بالحركة للترك مع ولده زيدان، وتوجه لفاس.

فخرجوا في رمضان، وبعد العيد، بدا للسلطان في حركة فازار. وتبعهم للترك، فوقع بينهم وبينه الصلح (117)، ورجع.

وفيه مات بايشي، وولى السلطان ولده علي ويشي على زمور وبني حكم.

(حركة السلطان لقبائل فازاز)

وأمر بالحركة للبربر، عام أربعة ومائة وألف، بالمدافع والمهارز والمجانيق وآلة الحصار، ورتب عليهم العساكر من كل وجه.

وتقدمت لهم الرجال من كل ناحية، كان هو في عسكر عبيده نازلا (1x) بأدخسان،ووجه علي وبركة مع آيت يمور وآيت ادراسن، فنزلوا "تينتغالين". ووجه الباشا مساهل في خمسة وعشرين ألفا من أصحابه كلها رماة، طلع من تادلة على وادي العباد، ونزل خلف آيت يسري. ووجه علي ويشي مع زمور وبني حكم، وأمره أن ينزل بعين توغا، ويبعث لأهل تدغة وفركلة وغريس والصباح يقدموا عليه (2x) بمحلتهم، ووجه له السلطان المدافع والمهارز والكور والبمب والطبجية.

ووجه نصارى العرائش يجرون المدافع و المهارز على طريق " اعليل"، على قصر بني مطير، على " اضزر"، إلى أن بلغوا علي ويشي بعين توغا. وضرب لهم السلطان موعدا، إذا كان وقت العشاء من الليلة الفلانية، يشتغل الطبجية (118) بإخراج المدافع والمهاريز (119) طول ليلتهم، ليحصل الروع والدهش للبربر. فإذا أصبح، تتقدم لهم العساكر من كل ناحية، ويكون القتال في يوم واحد.

فلما سمع البربر بالليل رعد المدافع والمهارز، دهشوا وحملوا حللهم للفرار. ولما أصبح، قصدهم السلطان من / 41 د/ ناحيته، وتقدمت لهم العساكر من كل ناحية، ووقع القتال، فانهزموا وتشتتوا في الشعاب والأودية، وكل من قصد ثنية، يجد العساكر مقبلة منها. وحل بهم البلاء، وتمكن منهم القضاء، فسقط في أيديهم وانتهبوا دون قتال، وقتلت رجالهم وسبيت نساؤهم وأولادهم، وحيزت مواشيهم وأنعامهم وخيلهم وسلاحهم، واستمر فيهم القتل والنهب ثلاثة أيام، والعساكر تلتقطهم من الشعاب والأودية.

(1x) " نازل " في جميع النسخ المعتمدة.

(2x) ب عليهم.

وأمر السلطان قواده مساهل، وعلي ويشي، وعلي وبركة بجمع رؤوس قتلاهم (1x) ، وجمع خيلهم وسلاحهم، ويأتون بذلك لأدخسان، فجمعوا ما وقعوا (2x) عليه من الرؤوس. وجمعوا الخيل والسلاح، وقدموا على السلطان لأدخسان.

فكان عدد الرؤوس اثني (3x) عشر ألف رأس وكذا، وكان عدد الخيل الذكور عشرة آلاف وكذا، وكان عدد المكاحل ثلاثين ألفا وكذا (120) .

وبالاستيلاء عليهم، كمل له فتح المغرب، ولم يبق به من ينبض له عرق، أو ينطق ببنت شفة. وكتب من آيت يمور ألف فارس أنزلهم مع علي وبركة بقلعة "تنتغالين"، وأنزل حلتهم على رأس آيت امالو، ولم يترك الخيل والسلاح إلا عند آيت يمور، والعبيد، والوداية وأهل الريف.

(السلطان يأمر بحرب قبائل گروان)

ولما فرغ السلطان من هذه الحركة، وجه مع علي ويشي عشرة آلاف من الخيل، وقال له :

- لا أرى وجهك إلا اذا أغرت على جروان (121)، و أتيتني بعدد هذه الرؤوس التي هنا من جروان، لأنهم كانوا بوادي زيز (122)، يعيثون في طريق سجلماسة.

فرجع علي ويشي على طريقه بالمحلة كأنه يريد غريس، وحال بين جروان وبين الجبل العياشي (123)، وصبحهم، فنهب حللهم ومواشيهم، وقتل منهم عددا كثيرا، ونادى في تلك القبائل كلها: " من أتى برأس جرواني، فله عشرة مثاقيل (4x) ".

فكل من انحاز عليه أحد منهم، قتله وأتى برأسه، واستمر البحث عليهم، إلى أن اكتفى علي ويشي من رؤوسهم. ولما اجتمعوا، دفع لكل من أتى برأس مثقالا (5x)، وأتى للسلطان باثني عشر ألف رأس منهم، عدد ما اجتمع بأدخسان من رؤوس القبائل كلها. فشكر السلطان صنيعه، وقيده على قبائله العرب والبربر (124).

(حرب بين محلة السلطان والترك)

وفي ربيع من (6x) عام ستة ومائة وألف، خرج زيدان من فاس بمحلته للترك، بعد أن قتل الخليفة أحمد السلوي بفاس (7x)، وحاربهم ونهب ورجع.

(1x) ب،ز،ج،ك قتالهم.
(2x) ك وقفوا.
(3x) " اثنا " في باقي النسخ المعتمدة.
(4x) ب،ز،ج، ك مائة مثقال.
(5x) ب، ز، ج، ك عشرة مثاقيل.
(6x) " من" سقطت من (ك).
(7x) " بفاس" سقطت من (ك).

(الصلح بين السلطان والترك)

وفي عام سبعة ومائة وألف، ورد على السلطان كتاب من السلطان العثماني (125)، يأمره بالصلح مع أهل الجزائر.

وفيه مات السلطان سليمان الثاني (126)، وتولى الملك أخوه (1x) السلطان أحمد بن ابراهيم(127)، ومات عام ثمانية ومائة وألف، وتولى الملك السلطان مصطفى بن محمد بن إبراهيم (128).

(توبيخ فقهاء فاس)

وورد كتاب من عند السلطان للقاضي والعلماء لفاس، يعاتبهم ويوبخهم على عدم موافقتهم على جواز تمليك العبيد(129) الذين في الديوان، وذلك في القعدة عام ثمانية ومائة وألف.

وفي عام عشرة ومائة وألف، جاء كتاب السلطان لفاس يمدح العامة ويذم العلماء، وعزل القضاة والشهود.

(تولية مولاي أحمد الذهبي على تادلة)

وفي عام أحد عشر (2x) ومائة وألف، خلف ولده أحمد الذهبي بتادلة، وأنزله بقصبتها، وانزل معه ثلاثة آلاف من وصفانه، وأمره أن يزيد في تلك القصبة، فبنى قصبة جديدة، وبنى قصره بها، وبنى مسجدا أعظم من مسجد والده، واستقر بها.

(السلطان يفرق أعمال المغرب على أولاده)

وفيه فرق أعمال المغرب على أولاده، فولى مولاي عبد الملك على درعة ونواحيها، ونزل قصبتها، وأعطاه ألفا من الخيل.

وولى على إقليم السوس ولده، مولاي محمد العالم، وأنزل معه ثلاثة آلاف من الخيل.

وولى على سجلماسة ونواحيها، ولده مولاي المامون الكبير، انقله لها من مراكش، وأنزل معه خمسمائة من الخيل بقلعته التي كان بنى له بتزمي (3x). وبعد عامين مات، فأداله بمولاي يوسف.

(سبب عزل مولاي زيدان عن الشرق)

وولى على الشرق مولاي زيدان (130). وكان يغير على رعايا الترك / 42د/ إلى أن شردهم عن نواحي تلمسان، وبلغ مرة إلى "المعسكر"، ودخلها ونهب دار الباي عثمان، وأخذ ما فيها

(1x) " أخاه" في جميع النسخ المعتمدة.
(2x) أ واحد وعشرين.
(3x) ب،ز،ج،ك بثرمي.

من فراش ونحاس وسمن وغير ذلك، لمغيبه عنها في الحركة (131)، فاغتنم انتهاز الفرصة (1x) فيه، وذلك سبب عزله عن الشرق، وتولية أخيه مولاي حفيد عليه لأن مولانا إسماعيل، لم يقبل نهيه لدار الباي للصلح الذي كان كتب له به السلطان سليمان العثماني (132).

(قتال بين السلطان والترك)

وفي عام اثني (2x) عشر ومائة وألف، حرك السلطان للشرق، وتحارب مع الترك ورجع. فمات من عسكره عدد كثير بالطريق من العطش (3x)، مات أربعون من أهل فاس دون غيرهم من العساكر (133).

(استطراد: سبب تخلي مصطفى الثاني عن الملك)

وفيه هرب سلطان الترك مصطفى (134) لأدرنة، وتولى الملك السلطان أحمد بن محمد الثالث (135).

وسبب هروب السلطان مصطفى، قيام العسكر عليه للصلح (136) الذي أوقعه مع الكفار على يد شيخ الاسلام" فيض الله أفاندي" لبغضهم فيه. ولما قبضوه، هرب السلطان ووقع هرج عظيم، ووقع بين العسكر افتراق، وتقابلوا، كل فريق فيه مائتا ألف. فتوسط العلماء بينهم في الصلح، وبايعوا السلطان أحمد، وقتلوا شيخ الاسلام فيض الله أفاندي.

(قتل عبد الخالق الروسي)

وفيه قتل عبد الخالق الروسي (137)، واحدا من عبيد الدار (4x)، دخل عليه بغير إذنه، فلما سمع بذلك السلطان، بعث ولده حفيدا يأتي به من فاس، فاستشفع له بالفقهاء والأشراف، فلم يسجنه وتوجه به مسرحا. ولما بلغ مكناسة، عفا عنه ورجع لفاس.

وفي عام ثلاثة عشر ومائة وألف، وجه السلطان لعبد الخالق الروسي، فلما بلغه، قتله ووجه زيدان لفاس، ومعه حمدون الروسي حاكما بها.

(تنازع بعض أبناء السلطان)

وفي عام أربعة عشر ومائة وألف، وصل مولاي عبد الملك لضريح مولانا إدريس بزرهون مهزوما، لاستيلاء أخيه أبي النصر على درعة وتغلبه على تلك النواحي، فوجه السلطان ولده مولاي (5x) الشريف لدرعة.

(1x) ب،ز،ج،ك الفرسة.
(2x) ج اثنا.
(3x) ك العطس.
(4x) ك الدولة.
(5x) ب مولانا.

(ثورة مولاي محمد العالم)

وفي هذه السنة، قام مولاي محمد العالم (138) بالسوس، ودعا لنفسه. وقدم لمراكش، فحاصرها في رمضان العام. وفي عشرين من (1x) شوال، دخلها عنوة وقتل وهدم ونهب.

ولما بلغ ذلك للسلطان، وجه له ولده زيدان في العساكر، فوجد محمدا خرج عنها ورجع لردانة، فدخلها زيدان (139)، وأساء السيرة في أهلها، بنهب الأموال، والعساكر بالفساد. وتبع مولاي محمد لتاردانت، فنزل عليها، واستمر الحرب بينهما على الدوام.

(أحداث مختلفة بفاس)

وفي عام خمسة عشر ومائة وألف، أتى مولاي حفيد لفاس الجديد، ووظف على أهل فاس مغرما عظيما.

وجاء الزعيم حاكما بها، ثم عزل.

ورجع أبو علي الروسي، فقتل أناسا وعلقهم.

وفي متم شوال، مات مولاي حفيد بفاس الجديد.

وفي ثالث صفر عام ستة عشر ومائة وألف، جاء أمر السلطان أن تعطي كل عتبة بفاس عظم سرج، ولا يتحرر منه أحد.

(مقتل مولاي محمد العالم)

وفي واحد وعشرين من صفر، ورد الخبر بأخذ تاردانت ودخولها عنوة، وقبض مولاي محمد العالم بعد حروب ثلاثة أعوام، مات فيها أمم وأعيان وقواد. ولما دخلت عنوة (140) قتلوا جميع من بها رجالا وصبيانا ونساء.

وفي رابع ربيع الأول، وصل محمد العالم مقيدا لوادي بهت، فوجه السلطان من قطع يده ورجله من خلاف بعقبة بهت، ومات بمكناسة، في خامس عشر ربيع (141). وقتل زيدان الكاتب الوزير.

(استطراد: قيام أبي تاشفين عبد الرحمان على أبيه)

ومثل هذا، وقع للسلطان أبي (2x) حمو موسى (142) سلطان تلمسان، قام عليه ولده أبو تاشفين عبد الرحمان (143)، ودخل عليه قصره في القيلولة، وقتله ومن معه من الوزراء والكتاب، وأخذ أمواله ودخائره، وجلس على كرسيه مملكا.

(1x) " من" سقطت من (ب) (ز) (ج) (ك).

(2x) " ابو" في باقي النسخ المعتمدة.

(قيام أبي حمو الثاني على والده)

وكذلك وقع لأبي حمو الثاني (144) مع ولده أبي تاشفين عبد الرحمان الثاني، فإنه قام على والده، وقبضه وأخذ أمواله وسجنه مدة. ثم طلب منه (1x) أن يوجهه لأداء فريضته، فاكترى له بعض مراكب القطلان من وهران / 43د /، ووجهه في البحر. ولما بلغ به النصراني لمرسى بجاية، طلب منه أن يخلي سبيله، فأشفق منه، وأنزله مع خدامه بمدينة بجاية، فأكرمه صاحبها، وكتب لأميره بتونس بخبره (2x)، فزاد في إكرامه، واستخدم له الجند، واجتمع عليه العرب، وقصد تلمسان فأخذها ودخلها. فلما سمع به ولده، وكان في حرب إخوانه (3x)، قصده قبل أن يستفحل (4x) أمره، ودخل عليه تلمسان، وهرب أبو حمو لمأذنة المسجد، فدخل عليه ولده، وقبضه ووجهه يسجن بوهران، وبعد أيام وجه من يقتله.

فلما بلغه ذلك، تدلى بحبل وصله بعمامته من سور قلعة، ونادى في الناس، فاجتمع (5x) عليه أهل البلد، وأجاروه من الذين جاؤوا لقتله. وقاموا ببيعته، واجتمعت عليه العرب، وقصد ولده فهزمه وشرده، ودخل تلمسان فملكها.

وتوجه ولده إلى ملك المغرب السلطان أحمد المريني (145)، فاستصرخه، فوجه معه العساكر مع وزيره، وحاربوا أبا حمو إلى أن ظفروا به، وقتلوه وولده عميرا. انتهى(146) .

(وفاة مولاي زيدان بن إسماعيل)

وفي رجب عام تسعة عشر ومائة (6x) وألف، ورد الخبر بموت زيدان بتاردانت، وأتوابه في تابوت، ووصلوا به لمكناسة، ودفنوه ليلا بجنب أخيه محمد (147) .

(محنة الفقيه عبد السلام جسوس)

وفي عام عشرين ومائة وألف، كلف عبد الله الروسي الفقهاء أن ينزلوا على ديوان العبيد المملكين، فمن كتب نجا، ومن أبى قبض عليه.

وقبض أولاد جسوس، وأخذ أموالهم، وأجلس فقيههم (148) في السوق مقيدا يتطلب.

وفي هذه السنة، فتح الترك مدينة وهران (149) .

(1x) د طلبه.

(2x) ك فراقه.

(3x) " اخوته" في باقي النسخ المعتمدة.

(4x) ك يستعجل.

(5x) " واجتمع" في باقي النسخ المعتمدة.

(6x) ز،ك ومائتين.

(عفو السلطان عن عبد السلام جسوس)

وفيها عفا السلطان عن السيد عبد السلام جسوس، وسرحه ووجهه لفاس ليزعج الحراطين لمكناسة. فقدم، وأزعجهم في ربيع الأول عام واحد وعشرين ومائة وألف.

وفي شعبان، عزل أبا (1x) علي، وولى حمدون الروسي، ثم رجع أبو علي، وتأخر حمدون. وفيه جاء عبد الله الروسي لبيع (2x) أصل المجاورين بالمشرق [من أهل فاس فباعه] (3x).

(ثورة المولى أبي النصر ومقتله، وأحداث أخرى)

وفي عام ثلاثة وعشرين [ومائة] (4x) وألف، قام أبو النصر بن السلطان بالسوس. (150) وفيه فتح السلطان أحمد بن محمد (151) جزيرة "المورة" التي كان استولى عليها الكفار، واسترجعها من أيديهم بمدنها وقلعها وقراها، وفتح "جزيرة الجوخات".

وفي عام أربعة وعشرين ومائة وألف، سرح السلطان الكاتب الخياط بن المنصور من السجن، وولاه درعة.

وفي عام خمسة وعشرين ومائة وألف، قتل السلطان بمكناسة، الخياط بن منصور، وأخاه عبد الرحمان.

وفيه قدم الخبر على السلطان أن أولاد دليم (152) بالسوس قتلوا أبا النصر.

وفي عام ستة وعشرين ومائة وألف، قتل السلطان القائد أبا دشيش، وثلاثة من القواد، وسبعة عشر من العبيد بمشرع [الرمل] (5x).

(وفاة مولاي التهامي الوزاني)

وفي عام سبعة وعشرين ومائة وألف، مات مولاي التهامي بن محمد (153) صاحب وازان.

وفي جمادى منه، ماتت الحرة عائشة مباركة (154) أم الشرفاء.

(توجه ابن السلطان إلى الحج)

وفي عام تسعة وعشرين ومائة وألف، توجه ابن (6x) السلطان أبو مروان (155) للحج. وفي رمضان منه، بعث والي وجدة نحو المائة رأس من بني يزناتن.

(1x) " ابو" في جميع النسخ المعتمدة.

(2x) ب ليبيع.

(3x) اضافة من الترجمان المعرب (النص المطبوع ص 27) لما يفرضه السياق.

(4x) د، أ ومائتين.

(5x) د الرملة.

(6x) " ابن" سقط من (ج).

(أحداث مختلفة بفاس)

وفي عام ثلاثين ومائة وألف، ورد لفاس كتاب من السلطان فيه تحرير أهل فاس من الكلف، ثم ورد كتاب آخر يوبخهم فيه، ويخيرهم بين أن يكونوا جيشا أو نائبة. فقال ولد الصخراوي : " إنما يكون الكلام أمام السلطان"، فقتل وأصبح معلقا.

فبلغ ذلك للسلطان، فقبض أبو علي وأصحابه وسجن بمكناسة، وولى على (1x) فاس، حمدون الروسي.

ثم بعده، قتل حمدون الروسي عبد الخالق بن يوسف، فقبضه السلطان هو وأخاه مسعود، وولى حكومة فاس، حم قصارة.

ثم بعد أيام، جاء أبو علي حاكما(156).

وبلغه خبر موت أبي مروان بالمشرق.

(السلطان يعزل أبناءه عن الأعمال)

وفيه عزل السلطان أولاده عن الأعمال كلها، ولم يبق إلا ولي العهد (2x) بتادلة، ووجه ولده عبد الملك لمراكش، وولاه / 44 د / أمر السوس .

(حالة المغرب جملة في عهد مولاي اسماعيل)

واشتغل (3x) السلطان إسماعيل ببناء قصوره، وغرس بساتينه، والبلاد في أمن وعافية. تخرج المرأة والذمي من وجدة إلى وادي نول (157)، ولا يجدان من يسألهما من أين أو إلى أين، والرخاء المفرط، لا قيمة للزرع ولا للماشية.

والعمال تجبي الأموال، والرعايا تدفع بلا حساب. وصار أهل المغرب كفلاحي (4x) أهل مصر، يخدمون ويدفعون في كل جمعة.

ومن نتج فرسا، إذا أدرك الركوب يدفعه للعامل ويدفع قيمة السرج من عنده عشرة مثاقيل. واذا نتج أنثى، تبقى له، ويدفع للعامل مثقالا.

ولم يبق بأرض المغرب، سارق ولا قاطع، ومن ظهر عليه شيء وهرب، يؤخذ في كل قبيلة مر بها وفي كل قرية. وكل [من] (5x) بات مجهول الحال بحلة أو قرية، يثقف بها إلى أن تتبين براءته. وإن تركوه، فإنهم يواخذون به، ويؤدون ما سرقه واقترفه من الجرائم كالقتل وغيره.

(1x) " على" سقط من (أ) (ز).

(2x) أحمد الذهبي طرة في (ب).

(3x) ك واستعمل.

(4x) " كفلاحين" في جميع النسخ المعتمدة.

(5x) " ما " في جميع النسخ المعتمدة.

وكانت أيامه رحمه الله، غزيرة الأمطار، كثيرة البركة في الحرائة والفلاحة والتجارة والأمن والرخا والخصب. لم يقع غلاء طول أيامه إلا مرة واحدة، بلغ القمح فيها ست أواق للمد، والشعير ثلاث أواق، ورأس الضأن ثلاث أواق (1x)، ورأس البقر من المثقالين إلى المثقال، والسمن والعسل رطلين بموزونة، والزيت أربعة أرطال بموزونة (2x).

(توسيع ضريح مولاي ادريس بزرهون)

وفي عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، أمر السلطان بهدم ضريح مولانا (3x) إدريس، والزيادة فيه من كل ناحية (4x)، واشتراء الأصول المجاورة له، وهدمها وزيادتها فيه. وشرعوا في حفر أساسه، واستمر البناء والخدمة فيه إلى أن كمل عام أربعة وثلاثين ومائة وألف (158).

وفي عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، مات القائد عبد الله الروسي بمكناسة.

(غضب السلطان على أهل فاس)

وفيه غضب السلطان على أهل فاس، ووجه لهم حمدون الروسي وأخاه أبا (5x) علي وأمرهما بقبض المال من أهل فاس.

فبعثوا علماءهم وأشرافهم للشفاعة، فلم يقبل، واشتغلوا بدفع المال، فلم يسلم منه أحد، ولم يعرف له عدد. وخلت المدينة، ولم يبق بها أحد من أهل اليسار.

(خروج إسبانيي سبتة لقتال المسلمين)

وفيه خرجت محلة الاصبنيول من سبتة لمحلة المسلمين على غرة منهم، واستولوا عليها، وعلى دار (6x) القائد علي بن (7x) عبد الله، ونهبوها، وقتلوا وسبوا، وحازوا شبارات المسلمين وعساتهم، وحازوا قصبة أفراك، ورجعوا لسبتة، ومنها توجهوا لبلادهم، ولم يبق بسبتة إلا من كان بها. وكان هذا الخطب عام أربعة وثلاثين ومائة والف (159).

(احداث مختلفة)

وفيه مات الباشا غازي بوحفرة صاحب مراكش في المحرم.

وفي صفر، مات أبو (8x) عزيز وصدوق صاحب تاردانت.

(1x) " اواق" سقط من (ك).

(2x) ب،ز،ج،ك بالموزونة

(3x) ك مولاي.

(4x) " نواحيه" في باقي النسخ المعتمدة.

(5x) ج ابن . «أبو » في باقي النسخ المعتمدة.

(6x) ك ذلك.

(7x) " بن" سقط من (ج).

(8x) د،أ،ب،ز ابا

وفيه انتقل مولاي عبد المالك من مراكش لتاردانت.

(أبناء مولاي إسماعيل وحفدته)

وكان لمولاي إسماعيل رحمه الله من الأولاد على ما قيل وتواتر به الخبر، خمسمائة ولد ذكر وكذا، ومن البنات مثل ذلك (160).

والذي خلف من أولاده وعقب على ما شاهدناه عيانا في دفتر مولانا أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله، إذ كان يصلهم في كل سنة، وكان (1x) يوجهنا لتفريق الصلة عليهم لسجلماسة مائة دار وخمسة دور لأولاده لصلبه.

وأما الذين لم يعقبوا، أو عقبوا وانقطع عقبهم، فليسوا في الدفتر.

وأما الحفدة والأنباط (2x)، فكان عددهم في أيام سيدي محمد ألفا وخمسمائة وستين (3x)، وزادوا اليوم في دولة السلطان مولانا سليمان نصره الله.

ولا زال يصلهم على دفتر والده، ومن زاد يزاد واجبه. وأما الذي لحقناه من ولد إسماعيل لصلبه في دولة سيدي محمد رحمه الله، فثمانية وعشرون واحدا، نعرفهم بالاسم والصفة، ومن بناته لصلبه، ثمانية وعشرون، أنزلهن السلطان رحمه الله بقصر "حم بك" ورتب لهن العولة والكسوة والصلة في كل سنة، ومعهن الحفدات اللواتي لا أزواج لهن. وكل واحد من هؤلاء المائة والخمسة دور لأولاده لصلبه الذين في الدفتر، كان / 45د / بنى له والده (4x) بسجلماسة قصرا أو دارا، وأعطاه نخيلا وأرضا للحراثة والغراسة، ومماليك يقومون له بخدمة أصله، وحرث أرضه في الشتاء والصيف.

وكل واحد كان له أصل على قدر مرتبته عنده، ومرتبة أمه، فتناسل أولادهم، ونمت فروعهم، وفر الله جمعهم (5x).

(رأي المؤلف في نقل أبناء السلطان لتافيلالت)

وكان رحمه الله، سديد النظر في نقل أولاده بأمهاتهم من مكناسة لسكنى تافيلالت مع بني عمهم من الأشراف، ليتدربوا على معيشتها. فكان ذلك صونا لهم من نكبات الدهر والخصاصة بعد موته في وسط العامة بغير بلادهم، فنجحوا وفلحوا، بخلاف إخوانهم الذين

(1x) " كان" سقط من باقي النسخ المعتمدة.

(2x) ك والاسباط.

(3x) ك وخمسين أو ستين.

(4x) " والده" سقط من (ك).

(5x) د جميعهم.

ربوا بمكناسة، ولم ينتقلوا عنها إلى أن مات والدهم، وتتبعوا شهواته في المآكل والملابس وعزة الجاه. ونخوة الملك. لما طال عليهم الأمد، كشفوا وافتضحوا مع طول الدهر أيام الفترة (1x)، ولم ينم لهم نسل مثل أهل الصحراء.

(رأي المؤلف في مباني مولاي إسماعيل وضخامة ملكه)

وأما مبانيه رحمه الله بقلعة مكناسة، وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه، فشيء فوق المعقول، وتذهل عند مشاهدته العقول، وتعجز عنه قدر الدول القديمة والحديثة (2x). كالفرس والروم واليونان والترك والعرب.

وما يلحق ضخامة بنائه ما بناه كسرى في المدائن، ولا ملوك الفراعنة بمصر، ولا ملوك الروم برومية والقسطنطينية، ولا ملوك اليونان بأنطاكية والاسكندرية، ولا ملوك العماليق بالشام، ولا ملوك الاسلام كبني أمية، وبني العباس، والعبيديين، والمرابطين، (3x) والموحدين، وبني مرين، والسعديين.

وما بديع المنصور بقصر من قصوره، ولا بستان المسرة بأحد بساتينه. فقد كان عنده بجنان حمرية، مائة ألف شجرة من الزيتون، حبسه على الحرمين الشريفين، ومرت عليه هذه العصور والفتن والفترة والناس يحطبون منه.

ولما بويع سيدي محمد رحمه الله، أحياه وأجرى له الماء، وأمر باحصاء ما بقي من عدده فوجدوا به ستين ألف شجرة من الزيتون. وكان رحمه الله يوجه ثمن غلته كل سنة للحرمين الشريفين.

ولا زال ولده سلطاننا (4x) مولانا سليمان على سنته.

ولقد شاهدت الكثير من آثار هذه الدول المذكورة، فما رأيت أثرا أعظم من آثاره، وأضخم من بنائه، وأكثر قصورا من قصوره رحمه الله. لأن هذه الدول، كل من اعتنى منهم بأمر البناء، يبني قصرا ويتأنق في تشييده وتنميقه، وهذا إسماعيل لم يقتصر على قصر ولا على عشرة ولا على عشرين، وقد جعل مباني العالم كلها في بطن هذه القلعة كما يقال : "كل الصيد في جوف الفرا" (161).

(ما كان في سجونه من الأسرى وأهل الجرائم)

وكان في سجونه من أسرى الكفار، خمسة وعشرون (5x) ألف أسير ونيف، كانوا يخدمون

(1x) ك الفطرة.

(2x) " الحادثة" في جميع النسخ المعتمدة.

(3x) " والمرابطين" سقط من (ج).

(4x) ج سلطانا.

(5x) " عشرين " في جميع النسخ المعتمدة.

في بناء قصوره، منهم الرخامين، والنقاشين، والحجارين، والحدادين، والبنائين، والنجارين،والزواقين، والمهندسين، والمنجمين، والأطباء، ومن كل حرفة. ولم تسمح نفسه قط بفداء أسير بمال.

وكان في سجونه من أهل الجرائم العظيمة (1x) كالسارق والقاطع والقاتل، نحو الثلاثين ألفا، كلها تقيل بالخدمة (2x) مع أسارى الكفار، ويبيتون بالسجون والدهاليز مع الأسرى تحت(3x) الأرض. ومن مات منهم، يدفن في البناء.

ولم يبق لأهل الذعارة والفساد، محل يأوون إليه، ويتمنعون به في أيامه على طولها، فقد كان خليفة سبعة أعوام، وسلطانا سبعة وخمسين عاما، حتى كان جهلة العامة، يعتقدون عدم موته.

(استطراد: بعض اخبار المستنصر العبيدي)

ولم يبق في الملك أحد (4x) من ملوك الإسلام هذا العدد، غيره وغير المستنصر العبيدي(162)، أحد ملوك مصر، فإنه أقام في الملك ثلاثا وسبعين سنة. قاله "ابن الخطيب". وهو الذي وجه العساكر لبغداد، باستدعاء الأمير أرسلان التركي المدعو بالبساسيري (5x) لما فسد ما (6x) بينه وبين الخليفة القائم العباسي (163)، وجه بيعته للمستنصر وخطب به على منابر بغداد غير منبر جامع الخليفة / 46د /، فوجه له المال والعساكر، ولما علم بذلك الخليفة القائم، وجه للسلطان " طغر لبك" السلجوقي، واستصرخه على البساسيري، فوجه له العساكر، وحاربوا البساسيري إلى أن هزموه وقتلوه (164) وقطعوا رأسه، ووجهوه للقائم ببغداد، وانهزمت عساكر المصريين، ولم يتم للعبيدي ما أراد من ولايته للعراق، وذلك عام خمسين وأربعمائة (165).

(وفاة السلطان مولاي إسماعيل)

ولما مرض السلطان مرض موته، أمر بقدوم ولده أحمد ولي عهده (166)، من تادلة فقدم وأقام مع والده ثلاثة أيام، واخترمته المنية.

فمات رحمه الله،يوم السبت سابع وعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف (167).

(1x) " العظيمة" سقط من (ج).
(2x) ك في الخدمة.
(3x) ب،ز،ج،ك وتحت.
(4x) د أحدا.
(5x) ج بالمساميري.
(6x) "ما" سقط من (ب).

التعاليق والهوامش:

(1) " فضلت على الناس بأربع : السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش" .هكذا أخرجه الطبراني في المعجم الاوسط، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وكلهم عن أنس.

انظر السيوطي ، الجامع الكبير 2 :302 . عياض ، الشفا 1 :91 .

(2) رواه الائمة الخمسة. انظر ناصف ، التاج الجامع 4 :372 .

(3) ورد با ختلاف يسير في نهج البلاغة ص 608 .

(4) هذا البيت ينسب لأبي تمام وليس للبحتري كما زعم المؤلف.

انظر ديوان ابي تمام (ط بيروت 1887م) ص 249 .

(5) يكنى "بشار ابا معاذ" ، ويلقب بـ«المرعث»، من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية ، توفي عام 168 هـ / 785م.

الاصفهاني ، الاغاني 3: 127 - 247 .

(6) ورد في الاغاني 3 : 196 .

(7) شاعر مطبوع، متصرف في فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية، وهو راوية بشار، وتلميذه ، وعنه أخذ ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ، توفي عام 186 هـ/ 802م.

الاغاني 19: 276 - 302 .

(8) في شأن البيتين معا ، انظر ما دار بين بشار وتلميذه سلم في الاغاني 19: 279 .

(9) الراجح ان نعي مولاي رشيد وصل الى اخيه وهو بفاس كما سبق التعليق على ذلك. انظر هامش 138(الباب الثاني) .

(10) كان ذلك في 7 صفر 1083 هـ/ 4 يونيو 1672 م، بعد ان سمع ببيعة اهل مراكش لاحمد بن محرز الذي تمثل ثورته اول واخطر تمرد عرفته دولة مولاي اسماعيل ، اذ دامت نحو 14 سنة، تخللتها حروب دامية وهدن ومصالحات ، انتهت بمقتل ابن محرز في ظروف اختلفت حولها الروايات وذلك في 15 ذي القعدة 1096 هـ/ 17 اكتوبر 1685 م.

للمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة ، انظر : الانوار الحسنية ص 85 . نزهة ص 305 ، نشر 2 :201 . روضة التعريف ص 55 . التقاط الدر ص 190 ، الضعيف 1: 156 . المنزع اللطيف ص 154 . الدر المنضد و163، الاعلام 2 :120 .

S.I.H.M 2eS : FRANCE; T.1 P:437 et N 3 et T : 3 P:7

Gaston de Verdum Marrakech des origines à 1912:467

(11) انظر هامش 136 (الباب الثاني) .

(12) تعبير الصحراء هنا ، يعني ماوراء الاطلس الصغير جنوبا .

(13) انظر هامش 134 (الباب الثاني) .

(14) مدينة مغربية على بعد نحو 52 كلم جنوب مركز تويرت بالمغرب الشرقي ، لعبت دورا كبيرا في رد الهجومات التي تأتي من الشرق منذ العصر المريني إلى عهد المؤلف.

الوزان 1 : 273 . مارمول 2 : 270 . كتاب المغرب ص 88، معلمة المدن ص 195 .

Ency : de l Islam : Article Dubdu:

(15) كان ذلك في منسلخ جمادى الثانية 1083 هـ/ أكتوبر 1672م.

(16) للمزيد من التفاصيل انظر : تاريخ تطوان 1 :242 . مختصر تطوان ص 49 .

S.I.H.M 2e S.France ; T:1 P.190 et N1et P.437 et N2

A ; cour : l' ètablissement des dynasties des chèrifs P.193.

(17) تم ذلك في 20 جمادى الأولى 1084 هـ/ شتمبر 1673 م.

(18) انظر التفاصيل في : نشر 2 :202 . التقاط ص 193 . تقييد القادري ص 271 المقصد الاحمدي ص 257 . الضعيف 1 :159 . الاستقصا 7 :47 .

(19) عن مدينة مكناس في هذا العهد ، انظر:

روضة التعريف ص51 . الاستقصا 7:48 . المنزع اللطيف مخ خع ص 393 . الدر المنضد و.181

S.I.H.M 2e S France . T; 4 P.688

Mouette .Ibid P.188

(20) وقعت هذه المعركة في 7 ربيع الاول 1086 هـ/ يونيه 1675 .

نشر 2 :218 .تقييد القادري ص 271 . المنزع اللطيف ص 157 . الدر المنضد و161 .

(21) "اختلفت المصادر حول هذه التسمية ، فنجد "عمر بن محمد الطويري الفاسي "في النشر 2 :218 . تقييد القادري ص 271 . وفي التقاط الدرر ص 199 "بوجيدة الطويري" . و"حيدة الطريري" في الجيش 1:65 . وفي الاستقصا 7 :50 :"حيدة" وفي الاعلام 2 :120 "حياة" .

(22) تم ذلك في ربيع الثاني 1088 هـ/ يونيه 1677م، بعد حصار دام نحو ثلاث سنوات.

انظر : الانوار الحسنية ص 86 . روضة التعريف ص 55 . نشر 2 :229 . التقاط ص 203 الاستقصا 7 :50 الاعلام 2 :120 .

Gaston; Ibid : P;468

Julien ; Ibid:2:229

(23) "الوداية" ، إحدى قبائل عرب المعقل بالصحراء ، نزحت في عهد مولاي اسماعيل الى حوز مراكش ، فاتخذ السلطان منهم احدى اهم فرقه العسكرية ، وتعرف بـ"الوداية "تغليبا اذ تشمل رحى "المغافرة" اخوال السلطان ، ورحى "أهل سوس" ، الى جانب رحى "الوداية" . وقد كان فريق منهم يشكل حاميتي فاس ومكناس في هذا العهد .

الجيش 1: 65 . الاستقصا 7 :50 ـ 53 . الدر المنضد و171 . العمراني ، مولاي اسماعيل ص 104 ـ 108 .

(24) احدى قبائل عرب المعقل ، كانوا يقطنون باقليم سوس ، وانتقل فريق منهم الى مراكش ، ومازالت هذه القبيلة تعرف باسمها الاصلي داخل شعبة "الشراردة" بناحية سيدي قاسم، ومنهم بطون مندرجة في قبيلة "الودايا" بحوز فاس ، واخرى بناحية الصويرة وتادلا والجديدة.

ابن خلدون 6 :91 . قبائل المغرب 1 :427 . معلمة المدن ص 285، العزوالصولة ص 155، هامش.4

(25) من عرب المعقل بسوس ، تمثل إحدى فرق جيش أهل سوس المنضوي تحت اسم "الودايا" انظر نفس المصادر السابقة.

(26) انظر هامش 85 (مقدمة المؤلف).

(27) انظر كذلك : الجيش 1:65 ـ 66 . الاستقصا 7 : 51 ـ 53 .

(28) انظر هامش 50 (الباب الثاني) .

(29) "مولاي حمادي بن مولاي الشريف "كان عاملا لمولاي أحمد بن محرز على "توات" دخل في حرب ضد أخيه محرز الثائر كذلك بالمنطقة ، غير أنه سرعان ما غاب عن مسرح الاحداث ، اذ تعرض لعملية اغتيال في ظروف غامضة وذلك في شعبان 1088 هـ/ اكتوبر1677م.

نشر 2 :231 . التقاط ص 205 .

(30) كان ذلك في صفر 1089 هـ/ مارس 1678 م.

وللمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة ، انظر : البدور الضاوية ص 439 ـ 447 . الزاوية الدلائية ص 239 . نشر 2 :229 . التقاط ص 203 . المنزع اللطيف مخ خع ص 173 ـ 176 الدر المنضد مخ خع و 161 ـ 162 .

A. Cour. Ibid . PP. 195 -196

(31) وهو أخ السلطان مولاي اسماعيل، كان مولاي رشيد قد ولاه على تافيلالت، تحالف مع محرز ضد مولاي اسماعيل. منذ وفاة ابن محرز وهو يتابع الحرب ضد أخيه معتصما بتارودانت ، الى ان دخلها جيش مولاي اسماعيل عام 1098 هـ / 1687 م ، بعد ذلك توجه الى المشرق قصد حج بيت الله ، وهناك توفي.

روضة التعريف ص 56 . الضعيف 1 :161، الدر المنضد و164 ـ 165 الاستقصا 7 :69 .

(32) "محمد العربي بن أحمد بردلة"، من أصل اندلسي ، وهو شخصية بارزة في الفقه والقضاء في العهد العلوي ، ولي خطة القضاء والفتيا مرارا، كما تصدر للتدريس بالقرويين ، وفي آخر عمره تولى نظارة أحباس مدينة فاس ، توفي في 15 رجب 1133 هـ/ 12 ماي 1721م، وكان مولده في جمادى الثانية 1042 هـ/ 15 دجنبر 1632 هـ.

نشر 3 :247 . التقاط 1:320، سلوة 3: 138. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الترجمة 69 . شجرة النور 1: 332 الحجوي، .الفكر السامي 4 :118 .

(33) يظهر ان هؤلاء المساجين هم أصحاب المقدم "أحمد بن عيسى النقسيس" الذين كان مولاي رشيد قد سجنهم بفاس عام 1078 هـ/ 1667 م .

تاريخ تطوان 1:257 .

(34) "الصقالة" تعني البرج الكبير الذي توضع به المدافع للدفاع عن المدينة.

(35) ترد في بعض النصوص "سرجب" وهذا النطق عامي يعني النافذة واصلها من الفارسية "جهار جوب".

الاكسير ص 24، هامش 2 .

(36) "المشور" ، لفظة تطلق على ساحة من الساحات المضافة للقصر الملكي او المجاورة له.

العزوالصولة 1:410 .

(37) مثل هذا الكلام ، وارد في الجيش 1 :67 ـ 68 . والاستقصا 7 :54. 56.

(38) "المولدة" التي ولدت بين العرب ونشأت مع أولادهم وتأدبت بآدابهم.

ابن منظور ، لسان العرب 3:469 . و"المولدون" من تزاوج العرب بالصقالبة أو بالعجم. أحمد أمين ، ظهر الاسلام ص 2 .

(39) وهو " محمد" أو "أحمد " -كما كان يسميه مولاي إسماعيل بن الحسن اليحمدي، ولد آخر عام 1060هـ / 1650م. استوزره مولاي اسماعيل ، وكان من اقرب المقربين له، والمتولي امور خزائنه العلمية. توفي في رجب 1132هـ/ ماي 1720م.

له أكبر كناشة عرفت بالمغرب في عهده ، وهي عبارة عن كشكول جمع فيه ما استحسنه من المؤلفات ، منها نسخة في مجلدين ضخمين بخع بالرباط رقم 330ك.

يراجع عنه الضعيف 1: 201 . الاتحاف 4 :106 ـ 117 . المنزع اللطيف ص 261 . الاعلام 2 :172. 5: 28 ـ 30 . الدليل 1:239 .

(40) يظهر ان الاسم الحقيقي لهذه الشخصية هو"محمد بن قاسم عليلش" لا "عمر" كما ذكر المؤلف وذلك اعتمادا على توقيعه في بعض الرسائل التي قام بنشرها محمد الفاسي في مجلة تطوان (عدد خاص ص 63).

يراجع عنه كذلك: الاتحاف 4 : 84 ـ 85 . الاعلام 5 : 21 . مجلة "هسبريس تمودا" عدد خاص 1962 م ص 15 و67 .

(41) "الحرطاني" في عرف أهل المغرب هو"العتيق"، واصله "حرثان" كان الحر الاصلي حراول، وهذا العتيق حرثان، وقد كثر استعمال هذا اللفظ على الالسن حتى صار ينطق "حرطانيا" على ضرب من التخفيف. وهناك من يقول بأن اللفظ مشتق من «حرث» ومنه «الحراثين»، كما أن البعض يرجعون أصله إلى اللهجة البربرية، في حين يذهب آخرون إلى حد البحث عنه في اللغة اللاتينية.

الاستقصا 7: 58 . النبوغ المغربي 2 :183 . المهناوي «التنظيم العسكري وعلاقته بالمجتمع في العصر الاسماعيلي». درية جامعة مولاي علي الشريف الخريفية (الـــــدورة الثانيـــة) ص 109-121.

(42) احد كبار قواد جيش مولاي اسماعيل في منطقة الشمال الغربي من البلاد ، حاصر سبتة مدة طويلة ، وقد كانت وفاته بطنجة في شعبان 1125هـ / 1713م.

نشر 3:216 ، تاريخ تطوان 2 :44 .

(43) موضع بأحواز مكناسة ، تعرض للتخريب عام 1150هـ/ 1737م.

(44) قصبة وسط قبائل زيان بالاطلس المتوسط على مقربة من "خنيفرة" بناها اول الامر يوسف بن تاشفين ، ثم جدد بناءها السلطان مولاي اسماعيل.

كتاب المغرب ص 41، معلمة المدن ص 19 .

(45) انظر بعض النصوص المتعلقة بشراء العبيد في "كناشة" خع رقم 394 ك . الكناش الاسماعيلي مخ خع 330 في جزئين ضخمين ، المنزع اللطيف مخ خع ص 135 ـ 138 .

(46) "أقا"، اسم لاحد روافد نهر درعة ، ينبع من وسط الاطلس الصغير ، تقوم على ضفاف مجراه الاسفل قرى غلب عليها اسم "اقا"، كانت لها اهمية اقتصادية كبيرة لوقوعها على طريق القوافل التجارية الرابطة بين تمبوكتو ومراكش.

حجي الحركة الفكرية 2 :614 . الوزان 2 :117 . كتاب المغرب ص 46 معلمة المدن ص 45 .

(47) وهي قبائل تدخل كلها في عداد قبائل بني معقل بالصحراء.

العزوالصولة 1 :153 هامش 1 وص 155 هامش 1و4 .

(48) فقيهة عالمة وادبية، من الاميرات اللواتي اسهمن في حياة المغرب الدولية، وهي زوج مولاي اسماعيل وام ولده مولاي عبدالله، توفيت في جمادى الاولى 1159ه/ ماي - يونيه 1746م، ودفنت بفاس.

الحياة الادبية ص 243 وهامش 1 والاحالات . الضعيف 1: 208 وهامش 3 .

(49) "الحركة" في العرف الاداري المغربي تطلق على عملية قيادة الجيش في مهمة معينة كما تطلق على الجيش نفسه اثناء تنقلاته.

العز والصولة 1 : 404 . الاكسير ص 90 هامش 1 . الضعيف 1: 140 هامش 24 .

(50) وهو"ابو اسحاق محمد بن الرشيد" الملقب بالمعتصم ، ثامن ملوك بني العباس. (218 - 227 هـ / 833 - 842م) ، يعد اول من استكثر من استخدام الاتراك في الجيش والبلاط العباسي، وقد ترتب عن تطاول هذه الفئات على الرعية نقل العاصمة من بغداد الى "سامراء".

تاريخ الطبري 10: 304 وما بعدها . ابن الاثير 5 : 231 - 266 . تاريخ الخلفاء ص 333 ، ابن خلدون 3: 320 . تاريخ الاسلام 2 : 74 ،دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 99، الاسلام والحضارة العربية ص 236، تاريخ الشعوب الاسلامية ص 208 .

(51) او "سامراء" ، تقع شرقي دجلة على بعد نحو 100 كلم شمال بغداد . شرع المعتصم في تخطيطها عام 221 هـ / 836 م، وقد احتفظت هذه المدينة بمركزها كعاصمة للدولة الى نهاية خلافة المعتضد العباسي عام 289 هـ/ 902م ثم اسرع اليها الخراب.

ابن الاثير 5: 236 . ياقوت 10: 173 . رحلة ابن جبير ص 207 والمصادر السابقة.(هامش 50) .

(52) "هارون الواثق بالله بن المعتصم" تاسع خلفاء بني العباس (227 - 232 هـ/ 842 - 847 م)، تابع سياسة والده في الاعتماد على الأتراك الذين كثر عددهم، وشغلوا المناصب العالية، واستأثروا بشؤون الحكم في الدولة في هذا العهد.

الطبري 11 : 9 - 26 . ابن الاثير 5: 266 . تاريخ الخلفاء ص 340، ابن خلدون 3 :337، تاريخ الاسلام 2 :79، تاريخ الشعوب الاسلامية ص 212 هذه الصفحات ومابعدها.

(53) وزير تركي ، اضطر الخليفة "الواثق " ان يخلع عليه لقب "السلطان " بسبب ما بلغه الترك من نفوذ في الدولة ، ولم يلبث طويلا في هذا المنصب ، اذ توفي عام 229 هـ / 844م. انظر المصادر والمراجع السابقة.(هامش 52) .

(54) عاشر خلفاء بني العباس ، حاول التخلص من سطوة الترك ، غير ان انحرافه عن

المذهب الشيعي ، اثار ردود فعل داخلية قوية انتهت بتدبير مؤامرة ضده، وقتله في شوال 247هـ/ دجنبر 861 م.

الطبري 11 : 26 - 69 . ابن الاثير 5 :278، تاريخ الخلفاء ص 346 ابن خلدون 3 :340 ، تاريخ الاسلام 3: 4 تاريخ الشعوب الاسلامية ص 213، الاسلام والحضارة العربية ص 242 .

(55) "المنتصر بالله محمد بن المتوكل"حادي عشر خلفاء بني العباس، حكم فيما بين 247 هـ و 248 / 861 و862 م.

الطبري 11 : 69 . ابن الاثير 5: 305 تاريخ الخلفاء ص 356 ابن خلدون 3: 353 . تاريخ الاسلام 3: 6 هذه الصفحات وما بعدها.

(56) مثل هذا الكلام ورد ببعض الاختلاف في تاريخ الخلفاء ص 357 .

(57) "ابو العباس احمد بن المعتصم" الملقب بالمستعين بالله، ثاني عشر خلفاء بني العباس (248 ـ 252 هـ / 862 ـ 866 م)

انظر المصادر والمراجع السابقة (هامش 55) مابعد الصفحات.

(58) "محمد بن المتوكل "الملقب بالمعتزبالله ، الخليفة العباسي الثالث عشر (252 ـ 255 هـ/ 866 ـ 869م) .

الطبري 11 : 137 . ابن الاثير 5: 320، تاريخ الخلفاء ص 359، ابن خلدون 3 :359 . تاريخ الاسلام 3: 9، تاريخ الشعوب الاسلامية ص 214، هذه الصفحات وما بعدها.

(59) يعرف كذلك بوادي "صا" ، وهو نهر كبير ينبع من جبال ونشريس ، ويصب في البحر المتوسط شمال مدينة "مستغانم" بالمغرب الاوسط.

الاستبصار ص 171، الوزان 2 :251 وهامش 14، مارمول 2 :350، الاستقصا 7 :59 .

(60) للمزيد من التفاصيل عن حركة مولاي اسماعيل للشرق ، وعقده الصلح مع اتراك الجزائر عام 1091 هـ / 1680 م ، انظر :نشر 2 :295، التقاط ص 222 . الضعيف 1: 167، المنزع اللطيف ص 177 . العماري ، مشكلة الحدود الشرقية ص 305 .

A. Cour .Ibid. P. 197

Defontin - Maxange . Le grand Ismail P 85.

De Grammont. Histoire d'Alger. P 262

(61) كان ذلك في رمضان 1089 هـ / نوفمبر 1678، وعن هذا التمرد ، انظر : نشر 2 :252 . التقاط 211 . الضعيف 1 :163 الدر المنضد و163 الاستقصا 7 :60

(62) حدث ذلك يوم 21 ذي الحجة 1089 هـ/ 3 فبراير 1679م.

انظر المصادر السابقة (هامش 62) .

(63) الإشارة هنا إلى ضريح الشيخ «محمد بن أحمد السملالي الحسني» الشهير برحال البدالي وبالكوش دفين زمران «ت 950 هـ» .

أنظر العربي الرحالي، منهج الارتحال إلى معرفة الشيخ سيدي رحال.

(64) او "زا" احد روافد نهر ملوية ، يمر بالقرب من تاوريرت ، ويلتقي بالنهر الرئيسي قرب المحل المعروف بـ"ملقى الويدان" .

(65) بنيت هذه القلعة في الاصل في عهد يوسف بن يعقوب المريني .عام 695 هـ / 1296م. القرطاس ص 385، ابن خلدون 7: 290، الوزان 1: 271 . مارمول 2 : 269 . الاستقصا 3: 76 .

(66) تقع في منتصف الطريق الرابطة بين تازة وتاوريرت ، والاصل فيها" قصر قديم" يعود تاريخ بنائه الى ما قبل العهد المرابطي.

الوزان 1: 272 . مارمول 2 : 270 .

(67) احد روافد نهر ملوية من جهته الغربية ، يمر شمال مدينة "جرسيف" والقلعة المذكورة هنا تقع في حوالي منتصف الطريق الرابطة بين تازة وجرسيف.

القرطاس ص 85 وهامش 61 .

(68) "القَفَلٌ " اسم للجمع يعني "القفول" اي الرجوع من السفر والمقصود هنا الرفقة العائدة من السفر. لسان العرب 11: 560 . وعن بناء مولاي اسماعيل للقلع ، انظر الجيش 1: 71 . الدر المنضد و185 ـ 186، الاستقصا 7 : 62 . المنزع اللطيف ص 379 ـ 383 .

A. Cour . Ibid P.P .198 -199

Julien .Histoire de l'Afrique du Nord 2:231

(69) تعرف ايضا بـ"المعمورة" ، اختلفت الروايات التاريخية في مؤسسها ، وتاريخ التأسيس. تقع على المحيط الاطلسي عند مصب نهر سبو غرب مدينة القنيطرة.

القرطاس ص 201، الاستبصار ص 117 . الوزان 1 : 166 . مارمول 2 : 136 . المغرب ص 59 .

S.I.H.M 1e S Portugal T.1 P.P 695 -702

2e S. France ; T. 1 P.578 - 659-663.

(70) تعرضت مدينة المهدية اولا للاستعمار البرتغالي في جمادى الاولى 921 هـ / يونيه 1515م ثم استرجعها الوطاسيون في غشت من نفس السنة. بعد ذلك احتلها الاسبان عام 1023هـ/ 1614م ، وظلت تحت نفوذ هم الى ان انتزعها منهم مولاي اسماعيل في منتصف ربيع الثاني 1092 هـ/ 30ابريل 1681م.

عن تفاصيل هذا الفتح ، انظر :الانوار الحسنية ص 90، روضة التعريف ص 57 . نشر2: 301 التقاط ص 224 . الضعيف 1 : 169، المنزع اللطيف ص 138 ـ 143 الدرالمنضدو 174، الاستقصا 7 : 63 .

S.H.M 2e S. France T. I P. 536 et N 1et 2

Defontin - Maxange . Ibid P.157

Julien .Ibid 2:231

(71) احد كبار قواد الجيش في عهد المولى اسماعيل ، ونائبه على ناحية الغرب، وهو الذي تراس الحملات الجهادية لتحرير مدن العرائش والمعمورة وطنجة. توفي بالطاعون عام 1092 هـ/ نونبر 1681 ودفن بمكناس.

نشر 2 : 295 . التقاط ص 221 . تاريخ تطوان 2 :212 مختصر تطوان ص 60 .

S.I.H.M Ibid .P. 497 et P. 535 et N 1 et P. 594 et N 1.

(72) موافق 1682 وعن هذه الحركة الثانية للشرق ، انظر:

الضعيف 1 :170 . الدر المنضد و163 ـ 164 . المنزع اللطيف ص 178 .

(73) يقصد بالنصارى "الفرنسيين" ، وقد جهزوا حملة لاحتلال مدينة الجزائر مستعملين القصف المدفعي الذي اودى بحياة اكثر من 700 مقاتل تركي وذلك عام 1093 / هـ 1682م.

التحفة المرضية ص 19 . حرب الثلاثمائة سنة ص 424 . مدينة المغرب العربي في التاريخ ص 355 .

(74) مدينة قديمة بالمغرب الاوسط على البحر المتوسط غرب مدينة الجزائر ، لعبت ادوارا بحرية هامة ضد الغارات الاجنبية ، منها التي تحدث عنها المؤلف هنا.انظر عنها : البكري ص 81 . الاستبصار ص 132، الروض المعطار ص 340 . الوزان 2 :34 . مارمول 2 :355 . الجزائر ص 22 .

(75) للمزيد من التفاصيل عن هذه الاحداث ، انظر :نشر 2 :310 . التقاط ص 228. الضعيف 1: 171 . الجيش 1: 72 . تقييد القادري ص 272 ـ 273 . الدر المنضد و164 الاستقصا 7: 65

(76) حاضرة صغيرة على السفح الغربي للاطلس المتوسط، جنوب غرب مدينة "أزرو" .

(77) انظر هامش 16 (مقدمة المؤلف) .

(78) يعرف كذلك بجبل "آيت عياش" بالاطلس الكبير قرب "ميدلت" .

Un voyageur au Jbel Ayachi. Revue économique (G. Atlas), Paris 1928.

(79) تم استرجاع طنجة من يد الانجليز في اوائل ربيع الاول 1095 هـ / فبراير 1684 م، بعد

سلسلة من الحملات المتكررة شنها المغاربة على المدينة، الشيء الذي دفع الانجليز الى اخلائها. للمزيد من التفاصيل ، انظر :الانوار الحسنية ص 91، روضة التعريف ص 58 ، نشر 2 : 322 . التقاط ص 230، المنزع اللطيف ص 143-145، تاريخ تطوان 1: 270 مختصر تطوان ص 62 . العلاقات الانجليزية المغربية ص 88 .

S.I.H.M 2e S France ; T. 1 P.P 476 -535.

H. Terrasse . Histoire du Maroc 2:260

(80) مدينة قديمة تقع وسط قبيلة "البهاليل" في سفح الاطلس المتوسط على بعد نحو 30 كلم جنوب شرق مدينة فاس .

البكري ص 146، الاستبصار ص 193 . الوزان 1: 282 . مارمول 2 : 273 .

(81) رافد صغير ينبع من مرتفعات الاطلس المتوسط جنوب غرب بولمان ، يشق مجراه في اتجاه شمالي شرقي الى ان يتصل بواد "زلول" حيث تتوزع مياهه الى شطرين ، الاول في اتجاه شمالي شرقي نحو ملوية ، والثاني في اتجاه شمالي غربي نحو سبو.

(82) رافدان صغيران لواد "گيگو".

(83) توجد هذه القلع على طول المجرى العلوي لنهر ملوية.

(84) كان ذلك في 15 ذي القعدة 1096 هـ/ 17 اكتوبر 1685م.

الانوار الحسنية ص 87، روضة التعريف ص 55 . نشر 2 : 332 . الضعيف 1: 174 تقييد القادري ص 273، الدر المنضد و 164 . المنزع اللطيف ص 163 .

S.I.H.M 2 e S. France T. 3 P.7

A. Cour ; Ibid P.202

(85) كان وزيرا وقائدا لابن محرز ، وقد قتلا معا في نفس اليوم 15 القعدة 1096 هـ / 17 اكتوبر 1685م.

تقييد القادري مخ خع ص 273 . المنزع الطيف مخ خع ص 163 .

(86) انظر هامش 326 (مقدمة المؤلف)

(87) انظر هامش 327 (مقدمة المؤلف)

(88) ربما كان المقصود ، هزيمة الترك أمام النامسا عام 1099 هـ / 1687م ، قبل أن يتولى "كوبرلي مصطفى" منصب "الصدر الاعظم".

آصاف ص 115، تاريخ الدولة العلية ص 139 . تاريخ الشعوب الاسلامية ص 521 .

(89) "ادرنة" (Edirne) ، تقع في تراقيا على بعد نحو 95 ميلا شمالي شرق القسطنطينية، اتخذها العثمانيون عاصمة لهم منذ 767 هـ / 1366م بدلا من "بورصة" وظلت كذلك الى ان تم فتح القسطنطينية.

القرماني ص 15 آصاف ص 35 وهامش 1 . تاريخ الدولة العلية ص 45 .

(90) طرة في (ز) :"مات هذا المؤلف سنة 1249 هـ فيكون عمره على ما ذكره هنا في زمن ولادته ، مائة وواحد ، او مائة ، لانه اخذ من المائة الثانية عشر ثلاثا وخمسين سنة ومن الثالثة عشر تسعا واربعين ، فالمجموع واحد ومائة سنة او مائة فقط".ويبدو ان هذه الطرة لابن زيدان لانها وردت في الاتحاف المخطوط، الجزء الثاني (في آخر ورقة ، وهي غير مرقمة)، الاتحاف مخ خع 3175 .

(91) فقيه واديب ، وكاتب ثقة، تولى تحرير الرسائل السلطانية في عهدي مولاي رشيد ومولاي اسماعيل ، توفي بتارودانت في جمادى الثانية 1098 هـ/ يونيه 1687 م، وهذا التاريخ مخالف لما عند المؤلف.نشر 2 :337 . التقاط ص 236 المقصد الاحمدي ص 151 . وص 249 المنزع اللطيف ص 262 . الدر المنضد مخ خع و 213 .

(92) انظر هامش 50 (الباب الثالث) .

(93) اول امراء الاسرة الاخشيدية ، قلده القاهر العباسي ولاية مصر عام 323هـ/ 935م، دافع عن مصر ضد الغزو الفاطمي ، كما كان له نفوذ قوي ببلاد الشام، توفي بدمشق في ذي الحجة 334 هـ / ماي 947م .

ابن خلدون 3 :507 . تاريخ الاسلام 3 :135 . دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 359، هذه الصفحات وما بعدها.

(94) من اصل تركي ، وهو مؤسس امارة بني طولون بمصر والشام، (254 ـ270 هـ 868 ـ 883م) .

ابن خلدون 3 :468 . تاريخ الاسلام 3 :126 دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 337، هذه الصفحات ومابعدها.

(95) "الزلاقة" اسم بسيط من الارض يقع شمال شرقي مدينة "بطليوس" جنوب غرب اسبانيا ، به وقعت المعركة الشهيرة بين المرابطين وجيوش ألفونس السادس الاسباني، وذلك في رجب 479 هـ / اكتوبر 1086 م.

القرطاس ص 145 . البيان المغرب 4 :130، المعجب ص 196 . الروض المعطار ص 83 . ابن خلدون 6 :248 . الحلل الموشية ص 64 . الاستقصا 2 :33 . اشباخ ، تاريخ الاندلس ص 85 .

Julien, Histoire de l'Afrique du Nord 2 : 85

Brignon. Histoire du Maroc P. 90.

(96) اسم سهل واسع وراء جبال "الشارات" (Sierra Morena) ، به وقعت معركة "الارك" الشهيرة بين جيوش ألفونس الثامن وجيوش يعقوب المنصور الموحدي ، وذلـــــك في شعبـــان 591 هـ/ يوليوز 1195م.

القرطاس ص 220 . المعـجب ص 404 . ابن خلدون 6 :329 . الحلل الموشيـة ص 159 . تاريخ الاسلام 4 :226 .

Julien. Ibid 2 : 113.

Brignon et autres. Ibid P. 114.

(97) يقصد وقعة "استجة" ، وهو اسم لمدينة اسبانية على بعد نحو 56 كلم جنوبي قرطبة ، بقربها دارت معركة بين يعقوب بن عبد الحق المريني والفونس العاشر وذلك في ربــيـــع الاول 674 هـ شتنبر 1275م.

الذخيرة السنية ص 148، القرطاس ص 316 . ابن خلدون 6 :255، الاستقصا 3 :39 .

Julien . Ibid 2: 170

(98) اسمـه الكامل "دون نونيـو دي لارا" (Don Nuno Gonzales de Lara) ، احد كبار قـواد "الفونس العاشر" لقي حتفه في معركة "استجة".

انظر نفس المصادر السابقة (هامش 97).

(99) "ابو محمد تاج الدين عبدالله بن عمر بن حمويه السرخسي " شيخ الشيوخ بدمشق ، كانت له رحلة الى مراكش عام 593 هـ / 1197م في عهد يعقوب المنصور الموحدي ولقي بها كبار علماء الوقت. له تآليف منها "المسالك والممالك" و"عطف الذيل" وغيرها.

نـفـح 4 : 96 ـ 108 . المراكشي ، الاعلام 8 :198 ـ 200 ديوان سليـمان الموحدي، ص 4 هامش 2 .

(100) رابع ملوك الدولة الموحدية بالمغرب (ربيع الثاني 580 هـ/يوليوز 1184م - 595هـ/ يناير 1199م.)

القرطاس ص216 . المعجب ص 378، ابن خلدون 6 :325 . النفح 6 :114 . الحلل الموشيــــة ص 159 . استقصا 2 :158 . تاريخ الاسلام 4 :224، هذه الصفحات وما بعدها.

(101) هو عبدالرحمان بن عمرو ، ولد في بعلبك سنة 88 هـ / 707م ، وكانت وفاته ببيروت سنة 157 هـ 774م، ظلت الاوزاعية مذهب أهل الشام في الفقه لما يزيد عن 200 سنة الى ان غلب عليهم مذهب الشافعي ، وبسط هذا المذهب رواقه على بلاد الاندلس زهاء 40 سنة الى ان غلب مذهب مالك.

محاسن الساعي ، تعليق شكيب ارسلان. عبدالرحمان الاوزاعي ، تاليف طه الولي.

(102) أحد اقطاب العلم والتصوف بالمغرب في العصر الموحدي، ولد بسبتة عام 524هـ/ 1130م ، وكانت وفاته بمراكش في جمادى الثانية 601 هـ / دجنبر 1204 م.

النفح 10:127 . شرف الطالب ص 68 ، الاستقصا 2 : 261 . الاعلام 1:239 . السعادة الابدية ص 115 . النبوغ المغربي 1:159 . هذه الصفحات ومابعدها.

(103) هذا التاليف لتاج الدين عبدالله السرخسي،(انظرهامش 99 الباب الثاني) ولم استطع الوقوف على هذا الكتاب بعد البحث الكثير.

(104) "ابو الربيع سليمان بن عبدالله الموحدي" ، كاتب وشاعر ، واديب ماهر. توفي عام 600 هـ / 1204م، له ديوان شعر قام بتحقيقه محمد بن تاويت وآخرون طبع بتطوان. انظر مقدمة تحقيق ديوانه ص 4 وما بعدها.

(105) انظر هامش 100 .

(106) خامس ملوك الدولة الموحدية بالمغرب ، بويع في حياة والده، ثم جددت له البيعة بمراكش في 23 ربيع الاول 595 هـ / 23 يناير 1199 م. حكم الى تاريخ وفاته بمراكش في 11 شعبان 610 هـ / 22 دجنبر 1211م.

القرطاس ص 231 . المعجب ص 438 . ابن خلدون 6 : 331 . الحلل الموشية ص 160 . الاستقصا 2 : 214، هذه الصفحات ومابعدها.

(107) يشير الى فتح مدينة "قفصة" بافريقية على يد يعقوب المنصور الموحدي عام 583 هـ/ 1187م. والقصيدة التي ذكرها المؤلف هنا واردة في ديوان الامير الموحدي (طبعة تطوان) ص 20 - 22 كما وردت في القرطاس ص 319 . والنفح 4 : 103 . والكناش الاسماعيلي مخ خع 2 : 407 ـ 408 .

(108) يقصد "الفونس الثامن" ملك اسبانيا ، والكتاب المشار اليه هنا عبارة عن رسالة خاطب بها المنصور يدعوه فيها الى القتال ، انظرها في القرطاس ص 220 ـ 221 .

(109) البيت لابي الطيب المتنبي ، انظر ديوانه المطبوع 4 : 91 . وروايته "ولا كتب الا المشرفية عنده". انظر كذلك القرطاس ص 221 . نفح 4 : 100 . الكناش الاسماعيلي 2 : 408 . . النبوغ 2 : 111 .

(110) هذا الاستطراد منقول بتصرف من النفح ، ووفقا للنص المطبوع (تح محيي الدين عبدالحميد) ، فهو وارد في 4 : 99 ـ 105.

(111) مدينة مغربية قديمة، يرجع تاريخ تاسيسها الى العهد الفينيقي، تقع على مصب نهر اللكوس بالمحيط الاطلسي ، احتلها البرتغاليون عام 910هـ / 1504 م، ثم استعادها احمد

المنصور الذهبي عام 986 هـ / 1578 م، بعد ذلك منحها المامون السعدي للإسبان مقابل مساعدته ضد اخيه مولاي زيدان ، وظلت المدينة في حوزته من 1019 هـ / 1610م الى ان تم فتحها في عهد مولاي اسماعيل في محرم 1101 هـ / نوفمبر 1689م.

الانوار الحسنية ص 93 . روضة التعريف ص 58 . نزهة ص 306، نشر 3 :49 . حوليات النشر ص 15 . التقاط ص 420. الضعيف 1:176 . الجيش 1:76 . الدر المنضد و176 ـ 177. الاستقصا 7:73 . المنزع اللطيف ص 146 ـ 149 . الاتحاف 2 :72 . تاريخ تطوان 2 :9 . مختصر تاريخ تطوان ص 64 . مجلة تطوان عدد خاص ص 11 .

H. Terrasse .Histoire du Maroc 2:260

(112) من المصادر من تذكر "نحو ثلاثة اشهر ونصف" ومنها التي تذكر "خمسة اشهر" .،ومنها التي تقول غير ذلك.انظر المصادر السابقة. (هامش 111).

(113) طرة في (ج) :"علم المؤرخ شيئا وغابت عنه اشياء ؛ وحين تم فتحها ، استشعر السلطان خيانتهم ونبذهم لعهد الامان ، فجمع العلماء وافتوه ببيع الكبار وسبي الصغار، وفتاويهم "

(114) تم فتح هذه المدينة عام 1102 هـ / 1691م ، للمزيد من التفاصيل ، انظر: الجيش 1:76، الدر المنضد و 179 ، الاستقصا 7 :77، المنزع اللطيف ص 149 ـ 150 . الاتحاف 2 :72، تاريخ تطوان 2 :21 ..

(115) هذا الحصار الذي ضربه مولاي اسماعيل على مدينة سبتة ،يعتبر اطول حصار في تاريخ المدن بالمغرب ، اذ دام زهاء 33 سنة من 1106 هـ الى 1139 هـ / 1694م الى 1727م.

نشر 3 : 73 . حوليات النشر ص 19، التقاط ص 268، الضعيف 1:185، الدر المنضدو 179 - 180، الاستقصا 7 :77 . المنزع اللطيف ص 150 . تاريخ تطوان 2 :28 .

(116) مدينة مغربية ، تقع على الساحل الاطلسي على بعد نحو 17 كلم جنوب غرب ازمور، كانت تعرف بـ"برج الشيخ" و"مازكان" و"المهدومة" وبعدما جدد بناؤها ، اصبحت تعرف بالجديدة. احتلها البرتغال عام 907 هـ / 1502 م. ثم تعرضت للتخريب ، فقاموا بتجديدها وتحصينها عام 919 هـ / 1514م، ورغم المحاولات المتكررة لتحريرها ، فان ذلك لم يتم الا في عهد سيدي محمد بن عبدالله عام 1182 هـ/ 1769 م كما سياتي.

انظر عنها :بوشرب ، دكالة ص 91 وما بعدها.

S.I.H.M 1e S. Portugal T. 1 P. 103 et T. 4 P.209

J. Goulven La place de Mazagan sous la domination portugaise Paris 1917.

(117) جاء هذا الصلح بعد المعركة التي وقعت على نهر ملوية والمعروفة بـ"وقعة المشارع" عام 1103هـ / 1692م.

للمزيد من التفاصيل ، انظر :حوليات النشر ص 16 ـ 17 . الضعيف 1 : 182 . الاستقصا 7 :79 الاتحاف 3: 77 . مؤرخو الشرفاء ص 200 .العماري ، مشكلة الحدود الشرقية ص 305 وهامش 122 . التحفة المرضية ص 23 .

S.I.H.M 2 e S. France .T. 3P.P.501 -513

H. Terrasse .Ibid 2:259 .

A.Cours . L'ètablissement des dynasties des chèrifs P 203

(118) "الطبجية " ، من الكلمات التركية القليلة التي تسربت للغة المغاربة ، ومعناها : "المدفعية" ، او "الجنود المدفعيون" ، واصلها من "طب المدفع" .

الاكسير ص 14 هامش 1 . العز والصولة 1 :408 .

(119) جمع "مهراز" والاصل "مهراس" ، بمعنى الهاوون التي تدق فيها الاشياء ، وتطلق على نوع من المدافع يقذف القنابل المستديرة ، وسمي كذلك ، لان شكله يشبه المهراس. الاكسير ص 14 . هامش 3 .

(120) عن حركة مولاي اسماعيل لاخضاع قبائل :فازاز" ، انظر كذلك : الجيش 1: 77 . الدر المنضد و165 ـ 166 ، الاستقصا 7 :80 .

(121) قبيلة باحواز مكناس ، من عشائرها اولاد الحسن ، واولاد نصير ، وتولال والخلفيون، ويعزم وغيرهم.

ابن زيدان . العزوالصولة 1: 17 هامش 2 .

(122) نهر بجنوب المغرب ، ينبع من الاطلس الكبير متخذا اتجاها جنوبيا ، مارا قرب بعض المراكز الشهيرة مثل "الريش" و"الراشيدية" و"ارفود" و"الريصاني" ، بعد ذلك تضيع مياهه في الرمال المغربية الجنوبية.

F.Joley . Lès grands traits des pays de l'Oued ZIZ

(Haut Atlas et Tafilal)Ed. 1947

(123) انظر هامش 78 (الباب الثالث)

(124) عن هذه الحركة ، انظر كذلك :الجيش 1: 82 . الدر المنضد و166 ، الاستقصا 7 :87 .

(125) يبدو ان السلطان العثماني الذي وقع في عهده الصلح هو مصطفى الثاني (1106هـ/ 1115 هـ/ 1695 ـ 1703م) ، وذلك عام 1107 هـ / 1695 م او 1108 ه / 1696م حسب اختلاف المصادر نشر 3: 79 . حوليات النشر ص 19 التقاط ص 271 . الضعيف 1: 186 .

H. Terrasse . Ibid 2:259 .

Defontin -Maxange . Ibid P. 98.

A. Cour .Ibid P.205 . Julien .Ibid 2:233

(126) سبقت الاشارة الى ان وفاة سليمان الثاني كانت في رمضان 1102 هـ / يونيه 1691م.

انظر هامش 327 (مقدمة المؤلف) .

(127) وهو السلطان الحادي والعشرون من أسرة آل عثمان ، حكم الى تاريخ وفاته في جمادى الثانية 1106 هـ/ فبراير 1695 م.

آصاف 2 :118 تاريخ الدولة العلية ص 140 .

(128) السلطان العثماني الثاني والعشرون ، عزل في ربيع الثاني 1115 هـ / غشت 1703م، وتوفي بعد ذلك بخمسة اشهر، وذلك في شعبان 1115هـ / دجنبر 1703م. انظر المصدرين السابقين (هامش 127) مابعد الصفحات.

(129) يظهر من خلال مختلف المصادر التاريخية ان هدف مولاي اسماعيل من وراء جمع العبيد، هو انشاء جيش نظامي للدولة على غرار الجيش الانكشاري بالنسبة للترك، بالاعتماد على فتاوي اسلامية صحيحة ، غير ان الطريقة التي سلكها بعض العمال في جمع العبيد، أحدثت نقاشا كبيرا واختلافا في الراي والمواقف بين علماء ذلك العصر.

حول هذا الموضوع ، انظر : مجلة تطوان ، عدد خاص ص 44 ـ 67، نشر 79:3 . حوليات النشر ص 19 تاريخ الضعيف 186:1 ، الجيش 83:1 . الدر المنضد و172 ـ 174، المنزع اللطيف ص 312ـ313 .

(130) حول موضوع توزيع السلطان ولايات المغرب على ابنائه ، انظر كذلك : الجيش 84:1 . الدر المنضد و187 ـ 188 . الاستقصا 7 :89 .

(131) كان ذلك عام 1111 هـ / 1699م.

انظر التفاصيل في : الجيش 1: 84 . الدر المنضد و188 . الاستقصا 7 :89 .الاتحاف 77:3 .

(132) سبق التعليق ان هذا الصلح تم في عهد مصطفى الثاني.

(133) تعتبر هذه الحركة من أخطر الحركات التي وجهها السلطان الى الشرق ، وقد كانت المجابهة في ذي القعدة 1112 هـ / ابريل 1701م.

للمزيد من التفاصيل ، انظر المصادر السابقة (هامش 131) ، مابعد الصفحات.

(134) يشير الى مصطفى الثاني الا ان فرار هذا السلطان لأدرنة كان عام 1114هـ / 1702م.

(135) حكم فيما بين 1115 و 1143 هـ / 1703 ـ 1730م.

آصاف 2: 123 . تاريخ الدولة العلية ص 142 .

(136) يقصد المؤلف هنا صلح "كارلوفتس" المنعقد في رجب 1110 هـ/ ينابر 1699م.والذي لم يكن في صالح الدولة العثمانية، انظر تفاصيل هذا الصلح وشروطه في آصاف 120 -122 تاريخ الدولة العلية ص 141، تاريخ الشعوب الاسلامية ص 522 .

(137) ينتمي الى اسرة حظيت بوجاهة كبيرة لدى السلطان مولاي اسماعيل، غير ان سوء تصرفه اودى به الى الموت على يد مولاي الحفيد بمكناسة وذلك في محرم 1113هـ/ 1701 م .

نشر 3: 142، حوليات النشر ص 21 التقاط ص 285 ، الضعيف 1: 187، الجيش 1: 84 .

S.I.H.M .2e S. France T.4P. 527 et N 3

(138) احد ابناء مولاي اسماعيل الذين جمعوا بين الفكر والسياسة والحرب. ثار بتارودانت عام 1113هـ / أو1114 هـ/ 1701 او 1702م حسب اختلاف الروايات ، ودامت ثورته الى حدود عام 1118هـ/ 1706م، وهو تاريخ وفاته.

نشر 3: 143 . حوليات النشر ص 22 . التقاط ص 285 ، الضعيف 1: 189، الجيش 1: 85 . الدر المنضد و166 - 168 .، الاعلام 5: 12 . الحياة الادبية ص 147 .

S.I.H.M ; Ibid T. 4 P.297

(139) في فاتح محرم 1116 هـ / 6 ماي 1704 .

(140) هنا طرة في (ب) لعبد الوهاب بنمنصور ، نقلا عن الشرقي كاتب مولاي زيدان من كناشته المخطوطة.

(141) كان موت مولاي محمد العالم في ربيع الاول 1118 هـ / يونيه 1706م، وهذا التاريخ يخالف ماذكر المؤلف هنا ، ويطابق ماجاء في الترجمان (النص المطبوع ص 27).

(142) ابو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن (708ه - 718 هـ / 1308 - 1318م)

انظر عنه : ابن خلدون 7 : 131، ازهار الرياض 5 : 14، الاستقصا 3 : 87 .

Julien . Histoire de l'Afrique du Nord 2 :158

(143) حكم فيما بين 718 هـ و737 هـ/ 1318 - 1337م.

انظر :ابن خلدون 7 : 142، الاستقصا 3 : 116 .

Julien .Ibid 2:158

(144) المتوفى عام 791 هـ 1389م

ابن خلدون 7 : 162 . الاستقصا 4 : 4، هذه الصفحات ومابعدها.

Julien .Ibid 2:159

(145) وهو ابو العباس احمد بن ابي سالم المريني ، انظر هامش 273 (مقدمة المؤلف)

(146) يبدو ان هذا الاستطراد منقول بتصرف من ديوان العبر لابن خلدون (7 : 192 ـ 195) .

(147) هنا طرة في (ب) (ص 46) لعبدالوهاب بنمنصور نقلا عن الشرقي كاتب مولاي زيدان.

(148) يشير الى "ابي محمد عبدالسلام جسوس الفاسي "احد فقهاء فاس وعلمائها في العصر الاسماعيلي ، تزعم المعارضة ضد قضية تمليك الاحرار اثناء عملية جمع "جيش عبيد البخاري" توفي قتيلا عام 1121 هـ / 1709، وقد حمل بعض المؤرخين مسؤولية إعدام الفقيه لحاكم فاس، كما حمل محنة سجنه لتصرفه مع السلطان.

نشر 207 . التقاط ص 306 وهامش .1 الضعيف 1 : 178 ـ 195 . شجرة النور 1: 331 .

(149) مدينة في الغرب الجزائري ، تعرضت للاحتلال الاسباني منذ محرم 915 هـ/ ماي 1509م وظلت في حوزتهم الى ان حاصرها "اوزن حسن" و"مصطفى ابو الشلاغيم" في عهد الداي "محمد بكداش" ، وانتهى الحصار بفتحها في محرم 1120 هـ / ابريل 1708م.

التحفة المرضية ص 225 ، تحفة الزائر ص 111 ، حرب الثلاثمائة ص 453 .

H.Lèon Histoire d'ORAN 1858:

(150) لا تمدنا المصادر التاريخية بكثير من التفاصيل عن هذه الثورة ، ويظهر انها اقبرت في مهدها ، حيث توفي ابو النصر بعد قيامه بها بسنة او سنتين حسب اختلاف الروايات. الترجمان ص 27 . الضعيف (تح العماري) ص 96 . الجيش 1:87 . الاستقصا 7 : 96 .

(151) انظر هامش 135 (الباب الثالث) .

(152) اصل هذه القبيلة من عرب معقل الصحراويين . من أكبر فروعها اليوم البطن المستقر قرب سيدي قاسم والذي يكون إحدى قبائل الشراردة الأربع.

العزوالصولة 1:246 هامش 5 .

(153) شيخ صوفي، عرفت زاوية "وزان" في عهد مشيخته توسعا كبيرا لانها كانت مساندة من طرف الدولة، توفي في مستهل محرم 1127 هـ / 7 يناير 1715 م ، ودفن بوزان.

نشر 3:219، التقاط ص 310 وهامش 1 . حوليات النشر ص 26 .

(154) وهي ام السلطان احمد الذهبي واخوته الاشقاء "زيدان" و"الحميد" و"المتوكل" و"السلطان ابي الحسن علي" واربع اناث. وهي دفينة ضريح الولي "سيدي عبدالرحمان المجذوب" . الضعيف (تح العماري) ص 96 وص 100 .

(155) احد ابناء مولاي اسماعيل ، توفي عند عودته من الحرمين بارض مصر وذلك عام 1130هـ / 1718م.

الضعيف (تح العماري) ص 96 .

(156) عن هذه الاحداث انظر كذلك : الجيش 1:88 . الاستقصا 7 :96 .

(157) او "وادي نول" ، يقع مجراه شمال وادي درعة وجنوب وادي ماسة ، يطلق عليه في منبعه اسم :وادي الزاك" وعند مصبه في المحيط الاطلسي "وادي نول".

(158) عن هذا الموضوع ، انظر : نشر 3 :243 . حوليات النشر ص 27 . التقاط ص 315، وهامش 4 و5 الاستقصا 7 :98 .

(159) عن هذا الحدث ، انظر كذلك: نشر 3:252 . حوليات النشر ص 28 . التقاط ص 322 . خلاصة تاريخ سبتة ص 90 . تاريخ تطوان 2 :49 ـ 54 . الاستقصا 7 :98 .

(160) حول هذا الموضوع ، انظر : الضعيف 1:292 ـ 294 . الجيش 1:91 ـ 92 المنزع اللطيف ص 449 ـ 453 . الاستقصا 7:101 ـ 102 . الدرر البهية 1:149 ومابعدها.

(161) معنى هذا المثل ، "أن من قال الأمر العظيم ، كان خليقا أن ينسى ما سواه مما ينال الناس". انظر : زهر الاداب 1 :60 وهامش 2 .

(162) وهو ابو تميم معد الملقب "بالمستنصر بأمر الله" ، ثامن ملوك الدولة العبيدية الفاطمية. دام حكمه ستين سنة وأربعة اشهر. (427 هـ 487 هـ / 1036 ـ 1096م).

تاريخ الخلفاء ص 419 ، البيان المغرب 1 : 273 . ابن خلدون 4 :78 . تاريخ الاسلام 3 : 154 و4 :177، هذه الصفحات ومابعدها.

(163) ابو جعفر عبدالله بن القادر الملقب بـ"القائم بامر الله" ، الخليفة العباسي السادس والعشرون ، تولى الحكم في ذي الحجة 422 هـ / نوفمبر 1031 م . وقد كانت وفاته في شعبان 467هـ / فبراير 1075 م. تاريخ الخلفاء ص 417، ابن خلدون 3 :554 .

(164) كان مقتل "البساسيري" في ذي الحجة عام 451 هـ / دجنبر 1060م.

تاريخ الخلفاء ص 418 . ابن خلدون 3 :566 ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان 1:192 .

(165) هذا الاستطراد منقول بتصرف من تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص 418 ـ 419).

(166) كثير من المصادر التاريخية تنفي ان يكون مولاي اسماعيل قد اوصى بولاية العهد لابنه مولاي احمد، ومهما يكن فهو الذي تولى الملك مباشرة بعد وفاة والده. انظر التفاصيل في نشر 3:293 ، حوليات النشر ص 30 . التقاط ص 334 . الجيش 1:93 . تقييد القادري ص 274 الاستقصا 7 : 114 . الاتحاف 1 :265 . . الاعلام 2 :169 .

(167) وهو ما يوافق 20 مارس 1727 م ، وكثير من المصادر تؤخر هذه الوفاة بيوم واحد، اي الى 28 رجب / 21 مارس. انظر المصادر السابقة (هامش 166) ، وكذلك المنزع اللطيف ص 500، الدرر البهية 1: 149 .

الباب الرابع
في
الجبن والفشل

وهما من أقبح الأوصاف، خصوصا في الملوك.

قال صلى الله عليه وسلم: « شرما في الرجال (1x)، شح هالح، وجبن حالع (2x)، والجبن حرص على تأخير أجل محتوم، ورزق معلوم».

وفي وصية سليمان عليه السلام لابنه: «يا بني، احذر مخالطة السفهاء، فإن انكسارهم يأتي بغتة».

ولما أقبل هرمز لمحاربة بهرام، قال له حاجبه:

- أما تستعد؟

- قال له (3x): عدتي ثبات قلبي، وإصابة رأيي، ونصل سيفي، ونصرة ربي».

وقال ابن الرومي:

لم أر شيئا حاضرا نفعه   للمرء كالدرهم والسيف
يقضي له الدرهم حاجته (4x)   والسيف يحميه من الحيف (1).

وسبب فساد دولة هذا السلطان احمد، هو الجبن والفشل، فقد ذكر معاصروه (5x) أنه لم يشاهد حربا قط، ولا دخله، (ودخل داره (6x)، وترك) (7x) الناس فوضى، وهو بداره على لهوه. فاختلت دولته من ذلك فاستمع لما يتلى عليك.

(1x) ز ، ج ، ك الرجل.

(2x) ب ، ز ، ج ، ك خالع.

(3x) «له» سقطت من باقي النسخ المعتمدة.

(4x) «حاجاته» في باقي النسخ المعتمدة.

(5x) ب معاصره.

(6x) «ودخل داره» سقطت من (ب) (ز) (ج) (ك).

(7x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح.

دولة السلطان (1x)
مولانا أحمد بن إسماعيل

(بيعته)

ولما مات مولانا إسماعيل، اجتمع قواد العسكر البخاري وقواد رؤوسهم، وقواد الوداية، وأعيان العمال والعلماء، وأعيان الدولة، وقضاتها، وكتابها، وبايعوا ولي العهد (2) أحمد الذهبي، وكتبوا به للآفاق.

ولما بلغ خبر موت السلطان لفاس، قتل أهل فاس قائدهم أبا (2x) علي الروسي(3) . وبايعوا مولاي احمد، وكتبوا بيعتهم. وتوجه بها أعيانهم وعلماؤهم وأشرافهم [لمكناسة] (3x)، واجتمعوا به، فلم يحرك لهم ساكنا، ولم يعاتبهم. وولى عليهم القائد المحجوب العلج وأعطى العلماء والأشراف جائزة البيعة، ووجههم.

وجلس للوفود، فورد عليه قواد القبائل وعمالها، وأهل (4x) الحواضر والبوادي، فأجازهم كل على مرتبته، ووجههم، وتفرغ لشأنه .

(قتل السلطان لبعض رجال الدولة)

فافتتح عمله بقتل العمال قوائم الدولة، فابتدأ بعلي ويشي (4)، وبعده أحمد بن علي (5)، والصحيح أن أحمد بن علي كان في السجن، ووجه علي ويشي من ذبحه، فكان جزاء علي ويشي من جنس عمله، وابن الأشقر، ومرجان الكبير (6) قائد عبيد (5x) الدار (6x)، وصاحب بيوت الأموال .

وكان لنظره، ألفان ومائتان (7x) من المفاتي، كلها مفرقة بأبواب القصور، وكل واحد من هؤلاء المفاتي، له عبدان وثلاثة وأربعة لخدمته .

(1x) " السلطان " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) " ابو" في جميع النسخ المعتمدة

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د) (أ) .

(4x) ك الخواص من .

(5x) ب عبد.

(6x) ك الدولة .

(7x) " الفين ومائتين " في جميع النسخ المعتمدة .

(استطراد : بعض أخبارالمقتدرالعباسي)

قلت: ولقد وقفت على ترجمة [جعفر] (1x) المقتدر العباسي (7) في" تاريخ الخلفاء " للأسيوطي نقلا على الذهبي، أنه: " قدم لبغداد رسول ملك الروم بهدية من سلطانه يطلب من المقتدر عقد المهادنة، فاحتفل لملاقاته / 47 د/، وأمر العساكر أن تصطف سماطين من باب بغداد إلى باب الخلافة، ويمر الرسول بين السماطين ليرى قوة عساكر الاسلام، فكان عدد العساكر، مائة ألف وستين (2x) ألفا. ووقف أمامهم خدامه، وكانوا سبعة آلاف، وأوقف أمامهم حجابه، وكانوا سبعمائة حاجب، وبعد الحجاب، الموكب السلطاني من مماليكه الذين معه .

وكان في داره، أحد (3x) عشر ألفا من العبيد المفاتي من غير الصقالبة والروم والسودان. وكان عدد الستور المعلقة على حيطان دار (4x) الخلافة، ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج، وعدد البسط المفروشة على أرضها، اثنين وعشرين ألف بساط.

[ولما دخل الرسول على باب دار الخلافة، وجد مائة سبع قائمة في سلاسلها كأنها الخيل] (5x) .

وبعد هذا كله، قال الذهبي: وفي أيام المقتدر، انحل نظام ملك بني العباس، لصغره وسوء تدبيره. وكان لا يبالي بما يفعل، وبدر الأموال والجواهر.

وقام عليه يونس المظفر(8). وكان أكثر جند يونس من البربر، فقصد المقتدر [لدار الخلافة، وخرج له المقتدر في عسكره، فقصد المقتدر] (6x) بربري ضربه بحربة، فسقط عن فرسه، وقطع رأسه، وفر به . فتبعه الجنود، فقتلوه وأحرقوه بالنار (9) لا رحمه الله. وذلك عام عشرين وأربعمائة (10) .

وفي أيامه، أخذت الروم ملطية (11)، وسبوا جميع من فيها وأخذوا ما فيها .

ثم في أيامه، بنى أبو طاهر القرمطي (7x) دارا(8x)، وسماها " دار الهجرة" . (12)

(1x) ما ين معقوفتين سقط من (د) .

(2x) د، أ وستون .

(3x) ك إحدى .

(4x) " ذلك " بدل " دار " في (ك) .

(5x) ما بين معقوفتين زيد من طرة (أ) .

(6x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(7x) " القرمطي " زيد في طرة (أ) بتصحيح، وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(8x) " ذلك " بدل " دارا " في (ك)

وفي أيامه، أخذ أبو طاهر القرمطي الحجيج بمكة، و (1x) قتلهم بالمسجد الحرام، ورماهم في بير زمزم، وقلع (2x) الحجر الأسود وحمله إلى بلاده، وبقي عندهم (13) نحو العشرين سنة (14)، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وما فائدة هذه الجنود والمماليك والخدام والحجاب والمفاتي التي سردنا، والمسلمون يقع بهم هذا في حرم الله، وحرم رسوله، وهو في لذاته ولهوه. انتهى . (15)

(السلطان يفرق الراتب على خدامه)

رجوعا الى ماكنا بصدده من خبر السلطان أحمد وقتله لابن الاشقر، وجمعا من القواد والكتاب وغيرهم:

ثم دخل دار الملك، فطاف على بيوت الأموال، وخزائن السلاح والكسوة (3x)، وأمر بإخراج المال. ففرقه على العساكر كلها أحرارا وعبيدا فوق الكفاية، وأعطى العلماء، والأشراف، والطلبة، وخص أفراداً من العساكر بألوف .

(قتال بين أحمد بن علي الريفي وأهل تطوان)

وفي أثناء ذلك، ورد عليه الخبر أن الباشا أحمد بن علي الريفي (16) حرك لتطوان ودخلها فقام أهلها مع أميرهم السيد عمر الوقاش (17) لحربه، وقاتلوه إلى أن اخرجوه من المدينة. ووقعت بينهم وبينه مقتلة عظيمة (18)، ولم يحصل منهم على طائل .

(رأي المؤلف في تصرف مولاي أحمد مع خدامه)

فأعرض عن ذلك كله (4x)، ولم يجب عنه، ودخل داره واعتكف على لهوه، وترك الناس وشأنهم، يفعل كل واحد ما أراد، ولم يول ولم يعزل، ولم يسمع من أحد شكوى، ولم يلتفت إلى شيء من أمور الدولة، ولا عرج عليه. فانحل نظام الدولة بقتله لرجالها الذين كانوا قائمين بأمر الرعايا .

فقد كان علي ويشي أمير البربر وغيرهم وعامل العمال . وأحمد بن علي اليازغي عامل جبال مرموشة وبني وراين وغياته والحياينة والجبال، رديفا لعلي ويشي، ويضاهيه في جلب الأموال والأحكام . وابن الاشقر أمير الزراهنة، وعلى يديه أعشار القبائل كلها من أهل (5x) الغرب وبني حسن رديفا لهما. ومرجان صاحب بيوت الأموال، وبيده [دفتر] (6x) الداخل والخارج [منها] (6x)، وعارفا بما يدفعه العمال في كل سنة .

(1x) سقط حرف الواو من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) " واقلع " في جميع النسخ المعتمدة .

(3x) " والكسوة " سقط من (ب) .

(4x) " كله " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(5x) " أهل " سقط من (ب)

(6x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

فلما ماتوا، استخفت الرعية بمنصب الملك، واستراحوا ممن يحول بينهم وبين الفساد، ويزجرهم عن القبيح، خصوصا البربر، فقد كانوا في أقماع النحاس، فخرجوا منها بموت علي ويشي، واشتغلوا بشراء الخيل واقتناء السلاح، ورجعت هيف إلى أديانها فكأنما كانوا على ميعاد.

فامتدت أيدي النهب في الطرقات، وكثر العيث من البربر في أطراف المدينة، إذ لا وازع لهم ولا زاجر، وكثرت الشكايات بباب السلطان، فما وجد الناس من يسمع منهم ولا من ينصفهم و (1x) يرد مظالمهم، هذا بمكناسة.

(عيث الوداية بفاس)

وأما فاس، فإن الوداية قاموا بأمره، ونابوا عن البربر في العيث في أطرافه وطرقاته، ولم يكلوه / 48 د/ إلى غيرهم.

وفي المحرم عام أربعين ومائة وألف، أغار الوداية على سوق الخميس، ونهبوه وسلبوا وقتلوا، وقبضوا على بعض أهل فاس، فسجنوهم عندهم. فوجه أهل فاس جماعة من أعيانهم وأشرافهم وطلبتهم بقصد الشكاية على السلطان، فلم يجتمعوا به، وقبضهم محمد وعلي ويشي، فسجنهم.

(قتال بين الوداية وأهل فاس)

ولما بلغ خبر سجنهم، وقع الحرب بين أهل فاس والوداية. وأغلق أهل فاس أبوابهم، وعلموا أن ذلك من السلطان، وبلغهم أن الوداية كتبوا للسلطان أن أهل فاس شقوا العصا، فترادفت العساكر لحصار فاس من عند السلطان، وركبت عليهم المدافع والمهاريزوالمجانيق (19)

(وقوع الصلح بين الوداية واهل فاس)

واستمر القتال، إلى أن وجه السلطان أخاه المستضيء مع الشرفاء الذين سجن محمد وعلي ويشي، وشرفاء مكناسة، ليوقعوا الصلح بين الوداية وأهل فاس. ووجه معهم ولده أبا فارس يسكن معهم، ويكون واسطة بينهم وبين السلطان. فوقع الصلح، ورجعت المحلة.

(استمرار القتال بين الوداية وأهل فاس)

ومن الغد، أصبح عليهم الوداية بالحرب، ورموهم بالكور (20) والبمب (21)، واستمر الحال على ذلك إلى أن ورد موسى الجراري من عند السلطان في شأن الصلح.

فوجهوا معه جماعة من الأعيان والعلماء والأشراف، وترك لهم رهنا من أصحابه، فلم يجتمعوا بالسلطان، ولم يحصلوا على طائل، ورجعوا لفاس.

(1x) د، أ لا.

(عزل السلطان مولاي احمد الذهبي)

وبقي الحرب، إلى أن وجه لهم عبيد الديوان أنهم عزلوا أحمد (22)، وولوا أخاه عبد الملك، ويطلبون موافقتهم. فأجابوهم لذلك، وحلفوا لهم على الوفاء، وأكرموا وفدهم، ورجعوا لمكناسة شاكرين .

التعاليق والهوامش

(1) ورد البيتان في ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، 4 : 1085، وروايته: " ..صادقا نفعه .."، " يقضي له الدرهم حاجاته " .

(2) انظر هامش 166 (الباب الثالث)

(3) هذه العملية التي قام بها سكان مدينة فاس، يمكن اعتبارها مجرد انتقام من القائد المذكوربسبب سوء تصرفه معهم في أواخر حكم مولاي إسماعيل.

نشر3 : 293 . حوليات النشر ص .30 التقاط ص 335 . الجيش 1: 93 . الاتحاف 1 : 267 . تاريخ تطوان 2 : 94 وهامش 1 .

(4) " علي بن يشي القبلي " ، أحد قواد السلطان مولاي اسماعيل، وهو الذي كلف بإخضاع قبائل " گروان " عام 1104 هـ/ 1693م .

(5) وهو غير الباشا أحمد بن علي الريفي.

(6) كبير عبيد السلطان مولاي اسماعيل، ومحور شؤون الدولة في النفقات المالية .

التقاط ص 334 وهامش 2 .

(7) الخليفة الثامن عشر من بني العباس، حكم فيما بين 295 هـ و 320 هـ/ 908 - 932م، عزل خلالها مرتين .

ابن الأثير 6 : 119 . تاريخ الخلفاء ص 378 . ابن خلدون 3 : 446 . تاريخ الاسلام 3 :20، هذه الصفحات وما بعدها .

(8) يقصد " مؤنس " " وهو المعروف ب " المظفر " خادم المقتدر العباسي .

(9) ما في تاريخ الخلفاء هو: " وبقي مكشوف العورة، حتى ستر بالحشيش ثم حفر له بالموضع ودفن ... " فإما أن يكون المؤلف نقل عن نسخة أخرى، أو يكون قد تصرف .

تاريخ الخلفاء ص 384 .

(10) ما عند السيوطي هو شوال 320 هـ/ اكتوبر 932م . تاريخ الخلفاء ص 384 . انظر كذلك تاريخ الاسلام 3 : 24 .

(11) تم ذلك عام 314 هـ/ 926م .

(12) وذلك عام 316 هـ / 928م .

(13) الضمير يعود على الحجر الأسود .

(14) هذا الاستطراد منقول بتصرف من تاريخ الخلفاء للسيوطي. انظر النص المحقق ص 381 - 384 .

(15) كلمة " انتهى " تشير إلى نهاية الاستطراد ، ومحلها فيما نقله من تاريخ الخلفاء ، بعد " نحو العشرين سنة " .

(16) هذا الباشا ، كان مولاي اسماعيل قد ولاه حكومة تطوان وقيادة المجاهدين المحاصرين لسبتة منذ 1125 هـ/ 1713م، إلا أنه في أواخر عهد مخدومه، بدأت تظهر عليه علامات التمرد والنزوع إلى الاستقلال، واشتدت قساوته على اهل تطوان ونواحيها ، فأعلنوا العصيان والثورة ضده بمجرد وفاة مولاي إسماعيل، شأنهم في ذلك شأن أهل فاس مع القائد الروسي .

انظر التفاصيل في تاريخ تطوان 2 : 45 وما بعدها .

(17) يبدو أن حاكم تطوان لهذا العهد كان هو " عبد الملك بوشفرة " وليس" لوقش " ، وقد ولاه مولاي أحمد الذهبي عليها في ذي القعدة 1139 هـ/ يوليوز 1727م، في حين ظل الباشا أحمد واليا على طنجة والعرائش وأصيلا واحوازها .

تاريخ تطوان 2 : 104 وما بعدها .

(18) كان ذلك في 24 صفر 1140 هـ/ 11 اكتوبر 1727م، وتعرف هذه الوقعة ب " عيطة السبت" .

تاريخ تطوان 2 : 138 .

(19) عن هذه الاحداث، انظر : نشر 3 : 296 . حوليات النشر ص 31 . التقاط ص 341 . الجيش 1 : 94 . الاستقصا 7 : 118 . الاتحاف 1 : 274 . الاعلام 2 : 170 .

(20) " الكور " ، جمع للفظة " كورة" ، وهي قنبلة مستديرة الشكل تقذف بواسطة المدافع. الاكسير ص 42 هامش 3 .

(21) تعريب حرفي للفظة (Bombe) والتي تعني القنبلة .

(22) كان ذلك في شعبان 1140 هـ / ابريل 1728م .

نشر 3 : 299 . حوليات النشر ص 31 . الاستقصا 7 : 119 . الاتحاف 1: 280 . الإعلام 2 :170

الباب الخامس
في الجود والكرم وشرفه

هذا الوصف من أشرف (1x) الخلل في الإنسان وأعظمها، وله عند الله وعند الناس البال . أوحى الله إلى موسى عليه السلام : " لا تقتل السامري فإنه سخي " .

وقيل لأنو شروان : ما الجود ؟

قال : " الذي يسع الناس كلهم، وهو إرادة الخير لجميعهم، وبسط الوجه لهم " .

وقال علي رضي الله عنه: « كن سمحا ولا تكن مبذرا، وكن مقدرا ولا تكن مقترا » (1) « ولا تستحي من العطاء القليل، فإن الحرمان أقل منه » (2) .

وقال: «السخاء ما كان ابتداء (2x)، فأما ما كان عن مسألة فحياء» (3).

وقال رضي الله عنه:

سأمـــنـح مــالي كـل مـن جـاء طالـبـا   وأجعله وقفا على القـــرض والـــفـــرض
فإما كـــريم صـنـت بالمــــال عــرضـــه   وإمـا لئيم صُنتُ عن لوته (3x) عـــرض.

وهذا السلطان أحمد [رحمه الله] (4x) كان على جبنه سخيا كريما جوادا رحمه الله .

(1x) ك الأشراف .

(2x) ك لابتداء .

(3x) ب، ز، ج، ك لونه .

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

التعاليق والهوامش

(1) ورد في نهج البلاغة ص 571 .

(2) ورد باختلاف يسير في نهج البلاغة، ص 576 .

(3) ورد في نهج البلاغة ص 575 .

الباب السادس
في
البخــل والشــح

وهو من الأوصاف القبيحة المذمومة عند الله وعند الناس .

قال تعالى: « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (1) .

وقال عليه السلام: « أقبح ما في الرجل، الشح والجبن » .

وفي الحكمة : « ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة، وجزاء البخل حرمان وإتلاف ومذلة » .

وقال عليه السلام: « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم » (2) .

ومن وصف البخل أتي (1x) عبد الملك، وعُزل وسُجن وخُنق وأُخذ ماله. وكان رحمه الله، عادلا حليما متوقفا عن (2x) سفك الدماء .

(1x) ك أوتي .

(2x) ب على .

دولة السلطان (1x)
مولاي عبد الملك بن إسماعيل

ولما رأى قواد رؤوسهم وقواد العبيد، ما بلغ الناس إليه (2x) من الفساد، وما لحقهم من العيث في البلاد، / 49د / وما وقعوا فيه من سوء التدبير، قاموا لرقع هذا الخرق، وكتبوا كتبهم، ووجهوا رسلهم (3x) لأخيه عبد الملك الذي بالسوس ليأتوا به للقيام بأمر الملك، ظنا منهم أنه أحسن من أحمد، ووجهوا له جريدة من الخيل يأتي معها. فلما بلغته المكاتب والخيل، خرج مسرعا وجد السير .

(عزل مولاي احمد وبيعة مولاي عبد الملك)

ولما سمع العبيد بمبيته بوادي بهت (3)، دخلوا على أحمد، وقبضوا عليه وخلعوه وأخرجوه من دار الملك، وسجنوه بداره التي خارج القصبة، في شعبان عام أربعين ومائة وألف. ومن الغد، ركب الجيش كله لملاقاة عبد الملك .

فاجتمعوا به (4x)، وأدوا واجب التحية، وأدخلوه دار الملك. وحضر أعيان الدولة وأمراؤها وقضاتها وعلماؤها وأشرافها، وبايعوه (4).

ومن الغد، ورد عليه أعيان أهل فاس وعلماؤهم وأشرافهم ببيعتهم، فاجتمعوا به وبايعوه. وكتب ببيعته (5) لحواضر المغرب وبواديه، فقدمت وفودهم، وجلس لملاقاة الوفود إلى أن فرغ من شأنهم .

ودفعوا له أخاه أحمد، فوجهه يسجن بفاس، ثم بدا له رأي فيه، ووجهه يسجن بتافيلالت.

(إقدام العبيد على عزل مولاي عبد الملك)

وأمل الناس أن عبد الملك يسير بسيرة والده، فخفق سعيهم فيه، وأمسك الله يده عن العطاء للعساكر والوفود، ولم يخطر له ذلك ببال .

(1x) « السلطان » سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) « إليه » سقط من (ك)

(3x) ك رؤوسهم .

(4x) « به » سقط من (ك) .

فطلب العسكر البخاري راتب البيعة منه، فوجه لهم أربعة آلاف مثقال. وكان راتبهم في عهد السلطان إسماعيل مائة ألف مثقال . ولما بويع السلطان أحمد، زادهم في الراتب خمسين ألفا، فلما رأوا من عبد الملك هذه المسخرة، وهذا التقصير، تكلموا بخلعه (1x)(6).

فلما بلغه كلامهم، صار يكتب لقبائل العرب، ويجمع كلمتهم، ظنا منه أنهم يقاومونهم، وصار يكتب لقبائل البربر يغريهم بالعبيد، ويغري العبيد بالبربر، ويقول لهم: - « لا يستقيم أمركم، إلا إذا خرجتم لهؤلاء البربر، وحينئذ يكون الكلام » .

ودهاهم بتقويم الحركة، وأمر أهل فاس بتوجيه حركتهم لحضرته، فقدموا .واشتغل بهذا التضريب بين العسكر والبربر، فاطلعوا على خبيه، وبدا لهم منه ما لم يحتسبوه . فاتفقوا على عزله، ورد أحمد لسلطانه لسخائه وبسط يده بالعطاء.

(توسط الطيب الوزاني بين العبيد والسلطان في الصلح)

فلما بلغه ذلك، وجه لهم مولاي الطيب بن محمد (7) شفيعا وواعظا، فتوجه لهم، ولما بلغهم، وعظهم ووعدهم بكل خير، ونهاهم عن الخروج على السلطان، ورغبهم في الرجوع عن عزمهم. فازدادوا بذلك قسوة وشدة، ووجهوا جريدة من الخيل لسجلماسة، يأتون بالسلطان أحمد .

(عيث عبيد الديوان بمكناسة)

وركب العبيد من الديوان، وقصدوا مكناسة، فأغاروا على سرحها، ودخلوا المدينة فنهبوها، وهتكوا حرماتها، وقتلوا من ظفروا به من أعيانها، ودخلوا دار الملك للقبض على عبد الملك. فلم يجدوه، لأنه لما سمع بقدوم العبيد وما صدر منهم من العيث ركب في أصحابه وفر لفاس .

(إحرام مولاي عبد الملك بضريح مولاي إدريس)

ولما بلغها، دخل لحرم مولانا إدريس فاستحرم به. وبعث لأهل فاس، فاستحرم بهم فوعدوه النصرة والقيام بأمره .

فلما بلغ ذلك للعبيد، منعوا رماة أهل فاس الذين جاؤوا بقصد الحركة مع عبد الملك من الرجوع لفاس، وثقفوهم إلى أن يأتي أحمد.

(بيعة مولاي أحمد الثانية)

ولما قدم السلطان أحمد لمكناسة، أمر بسجنهم، وحضر أعيان الديوان والقواد والعلماء والقضاة، وبايعوا السلطان أحمد في ذي الحجة الحرام سنة (2x) أربعين ومائة وألف (8) .

(1x) ك في خلعه .

(2x) ب، ز، ج، ك عام

(استطراد: عزل المعتز العباسي وتولية المهتدي)

ومثل هذا وقع للمعتز العباسي (9) مع الاتراك حين طلبوه في راتبهم، فقال: - « لم يبق ببيت المال شيء أنفقه عليكم ». فأخذوه وضربوه، إلى أن خلع نفسه وشهدوا عليه وقتلوه وأخذوا ماله، وبايعوا المهتدي الخليفة الصالح (10). واختفت « قبيحة » أم المعتز، ثم ظهرت، وقبض منها صالح بن وصيف ألف ألف دينار من الذهب، وثلاثمائة ألف، وسفط فيه مكوك من الزمرد، وسفط فيه / 50 د/ مكوك من الدر [حب] (1x) كبار، وكيلجة ياقوت أحمر، فقومت (2x) الأسفاط بألفي ألف دينار .

فلما رأى ذلك صالح بن وصيف، قال: « قبحها الله، عرضت ولدها للموت، ولو أعطت خمسين ألف دينار ما قتل» . ونفاها لمكة، فأقامت بها إلى أن ولي المعتمد (11)، فردها إلى سامرا. انتهى (12) .

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(2x) « وقومت » في باقي النسخ المعتمدة .

دولة مولانا أحمد الثانية

ولما بويع السلطان أحمد، ودخل دار الملك، فرق الأموال في العساكر والعلماء والأشراف، وأجاز الوفود القادمين عليه من الحواضر والبوادي، غير أهل فاس لم يقدم منهم أحد، خوفا مما ارتكبوه من قتل الروسي ونهب أمواله ومال السلطان الذي كان عنده. وكانوا يرتقبون سطوة أحمد لما بويع أولا، فلم يلتفت إليهم، وكان مشغولا بأمر نفسه.

(بيعة أهل فاس لمولاي عبد الملك)

ولما دخل بلادهم عبد الملك، جأجؤوا به وبايعوه وجاهروا بالعصيان خوفا مما صدر منهم، فكتب لهم أحمد أن يسلموا إليه أخاه أويأذنوا بحربه . فامتنعوا ولجوا (1x) وأغلقوا أبواب مدينتهم .

ثم وجه لهم القائد صالح الليريني قائد الرماة المسجونين ليأتي ببيعتهم ويسرح لهم إخوانهم المسجونين، فلما فرغ من كلامه، عمدوا إليه وقتلوه وجروه وعلقوه بالتوتة، وقتلوا الحاج الخياط عديل بباب داره .

وخرج عبد الله بن ادريس الادريسي في جمع من الخيل والرماة إلى زواغة، فأغاروا على مواشي الوداية غنما وبقرا وبهائم، وبلغوا بها لفاس فباعوها بأبخس الثمن، بيعت البقرة بستة أوجه (2x)، والشاة بموزونة، ووقع الحرب .

(حصار مولاي أحمد لفاس)

فخرج السلطان أحمد من مكناسة في أول يوم من المحرم عام واحد وأربعين ومائة وألف، ونزل على فاس في ثانيه بعساكر العبيد والوداية أهل مكناسة، وركب عليها المدافع والمهارز والمجانيق. وأمر العساكر بالعيث في بساتينها وبحائرها، ونسف ثمارها وإفساد غلتها. وأمر الطبجية بإرسال الكور والبمب والحجارة عليها، فأرسلوها ليلا ونهارا إلى أن عمها الفساد وتهدم كثير من دورها بالصواعق المدبرة المهلكة، واستمر عليها الحرب أياما مترادفة إلى أن مات أكثر رجالها، بعضهم في الحرب، وبعضهم بالكور والبمب والحجارة والردم، خمسة أشهرمتوالية إلى أن ضاق بهم الحال، وضعفوا عن مقاومة الرجال، وقلت عندهم الأقوات، وارتفعت الأسعار، فبايعوا السلطان أحمد وصالحوه على دفع أخيه وتمكينه منه (13) .

(1x) « ولجوا » سقط من (ك)

(2x) ك وجوه .

وكتب السلطان أحمد لأخيه عبد الملك، يخبره في التوجه لسجلماسة أو المقام في الحرم. فاختار المقام بالحرم. ثم إن السلطان كتب لأهل فاس ألا يجتمع معه أحد ولا يكلمه، ولا يشتري أحد من أصحابه ولا يبيع لهم (1x)، ومن فعل يعاقب.

فلما رأى عبد الملك ذلك، وجه ولده للعبيد يطلب منهم أن يؤمنوه ويخرج معهم، فقدم عليه الباشا سالم الدكالي في خمسين من القواد، وعاهدوه بضريح مولانا إدريس، وخرج معهم بالأمان، فمكنوه من أخيه.

(وفاة مولاي احمد ومولاي عبد الملك)

ولما وقف بين يديه وسلم عليه، أمر بسجنه ووجهه لمكناسة، فسجن بدار الباشا مساهل، ولما رجع أحمد لمكناسة، مرض. فلما أحس من نفسه بالموت (2x)، أمر بخنق عبد الملك، فخنق ليلة الثلاثاء أول يوم من شعبان العام (14).

ومات أحمد يوم السبت رابع شعبان المذكور (15)، رحمهما الله تعالى وغفر لهما.

وكان يتشبه بالأمين بن الرشيد (16) في كرمه، ويقتدي به في لهوه وارتكاب شهواته وإهماله لأمور المملكة، إلى أن انحل النظام، وفسدت الأحوال، وكان ماكان.

(استطراد: عزل السلطان عثمان الثاني العثماني)

ومثل هذا وقع للسلطان عثمان بن أحمد العثماني (17)، لما عزلوا أخاه السلطان مصطفى [بن احمد] (3x)، (وبايعوه، وأتوه بأخيه [السلطان] (3x) مصطفى) (4x) / 51 د/ المعزول، فأمر بسجنه بالسراية، فسجن بها عام تسعة (5x) وعشرين وألف. ولما وقع الصلح مع الكفار، وأراد السفر للحج عام واحد وثلاثين وألف، قام عليه العسكر وعزلوه وقتلوه (6x) (18).

وسبب عزلهم للسلطان عثمان وقتله، أنه أراد السفر للحج، ولما سمع العسكر ذلك، قاموا عليه، وقالوا:

- « هذا أراد أن يخرق الدولة ويترك الجهاد، وما زين له هذا السفر، إلا الوزير وأهل المناصب، فلا بد من قتلهم ».

(1x) " لهم " سقط من (أ).

(2x) ز، ج بالفوت.

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(4x) ما بين قوسين زيد في طرة (د) بتصحيح.

(5x) ب، ز، ج، ك سبعة.

(6x) « وقتلوه » سقط من باقي النسخ المعتمدة.

فهربوا لدار السلطان، ومنعهم، فقالوا : « لا بد من قتلهم » . ودخل بينهم شيخ الاسلام، وقال للسلطان:

- «ادفع لهم هؤلاء المطلوبين لتسكن هذه الفتنة .

- فقال: لا، أما السفر فقد تركناه وأما قتل هؤلاء، فلا يكون» .

فهجموا على السراية وأخرجوا السلطان مصطفى المخلوع منها وبايعوه، وقبضوا على السلطان عثمان ودفعوه لأخيه مصطفى. فأمر بسجنه بـ « يدي قلة » (19). وقتلوا الوزير وأهل المناصب، وعينوا للسلطان وزيرا آخر اسمه « داوود باشا »، وأمروه بقتل السلطان عثمان، فتوجه للسجن، وخنقه دون علم السلطان مصطفى رحمه الله . لكنه لما تمكن السلطان [مراد] (1x) (20) من المملكة، ورسخت قدمه، قتل الوزير الذي قتل أخاه وأعيان دولته وأعيان العساكر، وكل من له دخل من العسكر في قتل أخيه، إلى أن بلغ عدد المقتولين بسبب قتل هذا (2x) السلطان، أربعين (3x) ألفا ، رحمه الله .

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(2x) " هذا " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(3x) " اربعون " في جميع النسخ المعتمدة في التحقيق .

التعاليق والهوامش

(1) سورة الحشر. الآية 9 .

(2) أخرجه ابو داود في السنن (2 : 133) باختلاف يسير في اللفظ .

انظر كذلك : التاج الجامع 5 : 20 .

(3) أحد روافد نهر سبو، ينبع من أعالي غربي الأطلس المتوسط، ويلتقي بالنهر الرئيسي شمال شرق مدينة القنيطرة .

(4) تمت بيعة مولاي عبد الملك بفاس في 8 شعبان 1140 هـ / 21 مارس 1728م، بينما تأخرت البيعة العامة بستة أيام، وكانت بضريح مولاي إدريس بزرهون .

نشر 3 : 299 . التقاط ص 341 . تقييد القادري ص 274 . الجيش 1 : 95 . الاتحاف 1 : 280 و 5 : 298 . الاستقصا 7 : 119 .

(5) انظر نص هذه البيعة في الاتحاف 5 : 298 – 306 .

(6) اختلفت تفسيرات المؤرخين حول أسباب هذا الخلع . انظر التفاصيل في:

نشر 3 : 300 . حوليات النشر ص 31 . تقييد القادري ص 275 . الجيش 1: 96 . الاستقصا 7: 120 . الاتحاف 5 : 307 .

(7) يقصد « مولاي الطيب بن محمد اليملحي العلمي الوزاني »، شيخ الزاوية الوزانية. لعب دورا هاما في أحداث شمال المغرب لصالح السلطة المركزية بمكناس خلال مرحلة ازمة العبيد. توفي في ربيع الثاني 1181 هـ/ شتنبر 1767 م، ودفن بوزان .

نشر 4 : 178 . التقاط ص 448 . تحفة الاخوان ص 114 . سلوة 1 : 104 . إتحاف 5 :529 .

(8) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث، انظر :

نشر 3 : 300 . حوليات النشر ص 31 . التقاط ص 342 . الجيش 1 : 96 . تقييد القادري ص 275 . الاتحاف 1 : 283 و 5 : 307 . الاعلام 2 : 170، هذه الصفحات وما بعدها.

(9) انظر هامش 58 . (الباب الثالث)

(10) الخليفة الرابع عشر من خلفاء بني العباس (255 – 256 هـ / 869 – 870م) .

الطبري 11 : 162 . تاريخ الخلفاء ص 361 . ابن خلدون 3 : 370 . تاريخ الاسلام 3 : 10، هذه الصفحات وما بعدها .

(11) الخليفة العباسي الخامس عشر، بويع له بعد مقتل المهتدي عام 256 هـ/ 870م، وبقي في الملك إلى تاريخ وفاته في رجب 279 هـ / شتنبر 892م .

الطبري 11 : 214 . تاريخ الخلفاء ص 363 . ابن خلدون 3 : 379 . تاريخ الاسلام 3 : 12، هذه الصفحات وما بعدها

(12) هذا الاستطراد منقول بتصرف من تاريخ الخلفاء . انظر النص المطبوع ص 360 .

(13) انتهى هذا الحصار في 22 جمادى الاولى 1141 هـ/ 25 دجنبر 1728م . للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث، انظر: نشر 3:316 . التقاط ص 343.

تقييد القادري ص 276. الاتحاف 1 : 284، هذه الصفحات وما بعدها .

(14) وهو ما يوافق 3 مارس 1729م .

(15) 6 مارس 1729م . وللمزيد من التفاصيل عن هذه الاحداث، انظر:

نشر 3 : 321 . حوليات النشر ص 33 . التقاط ص 350 . تقييد القادري ص 277 . الاتحاف 1 : 294 . الاعلام 2 : 170، هذه الصفحات وما بعدها .

(16) سادس خلفاء بني العباس (193 - 198 هـ / 808 - 813م) .

الطبري 10 : 124 . ابن الاثير 5 : 134 . تاريخ الخلفاء ص 297 . ابن خلدون 3 : 288 . تاريخ الاسلام 2 : 63 . دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 79، وما بعد هذه الصفحات .

(17) انظر هامش 317 (مقدمة المؤلف) .

(18) للمزيد من التفاصيل عن هذه الاحداث، انظر :

آصاف ص 94 . تاريخ الدولة العلية ص 123 وما بعد الصفحات .

(19) " يدي قلة " لفظة تركية تعني القلعة ذات السبعة أبراج، وتقع في نهاية الطرف الجنوبي من سور القسطنطينية .

آصاف ص 94 هامش 2 .

(20) يقصد السلطان مراد الرابع . انظر هامش 181 (مقدمة المؤلف) .

الباب السابع
في القسوة (1X) والشدة والبطش
وما ينشأ عن ذلك من المفاسد

قال تعالى: « ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » . (2X) (1)

وقال : « وما هي من الظالمين ببعيد»(2).

وقال عليه السلام: « يوتى يوم القيامة بالجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم، ويدور كما تدور (3X) الأرحي، ثم يرتبط في قعرها » (3) .

وقال عليه السلام لسلمان (4X): « إياك والامارة فإنها للدماء أمارة، وللبلاء أبارة» .

وقال علي كرم الله وجهه: « حدة المرء تهلكه، وبطشه يوحشه، وشدته تبغضه» .

وقال « إزدشيربن بابك (4): « لا تستعمل السيف لمن عصى حيث يكفي العطاء» .

وقال عليه السلام: « إذا أراد الله بأمير خيرا، جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه» (5) .

قال المتنبي (6):

هـو البحر غــص فيه إذا كــان ســاكــنــا ... على الـذر، واحذره إذا كــان مزبـــدا. (7)

وقال علي:

لا تظلمــن إذا مــا كــنــت مقـــتـــدرا ... فــالظـــلـم آخـره يأتيـك بـــالـــنـــدم

تنـام عيناك (5X) والمظـلـوم مـنـتـبــه ... يـدعو عليك وعين اللـه لـــم تـنـــم (8).

(1X) " الجور " بدل " القسوة " في باقي النسخ المعتمدة .

(2X) " الظالمين " بدل " الكاذبين" في (أ) (ز) (ج)، وفي (ك) : " فنجعل لعنة الله على الكاذبين بعد قوله ثم نبتهل " .

(3X) ج يدور .

(4X) ك لسليمان .

(5X)" عينيك " في باقي النسخ المعتمدة .

والجور والشدة والبطش، بسببهما نفرت قلوب الرعية والعسكر عن السلطان عبد الله، وبقي مهملا بدار دبيبغ، لا يأتيه أحد (1X) لكثرة سفك الدماء دون سبب وبيعته في أعناق الناس، وهم فارون منه مدة من اثني عشرة سنة، من عام تسعة وخمسين ومائة وألف، إلى أن مات عام (2X) واحد وسبعين ومائة وألف (9) .

(1X) ك أحداً .

(2X) عام " سقط من (ج)

دولة السلطان (1X)
مولاي عبد الله بن إسماعيل الأولى

ولما مات السلطان أحمد، اجتمع أعيان الديوان من العبيد وقواد رؤوسهم والوداية، واتفقوا على بيعة السلطان عبد الله وهو (2X) بسجلماسة، كان قدم في ركاب أخيه عبد الملك لما قدم من السوس .

(بيعة مولاي عبد الله الأولى)

/ 52د / ولما فر عبد الملك لفاس، توجه هو لداره بسجلماسة، فبايعوه (10)، ونادوا باسمه في المحلة ومكناسة، ووجهوا جريدة من الخيل تأتي به .

وكتبوا لأهل فاس كتابا يعزونهم فيمن مات من إخوانهم في الحصار والحرب، ويؤكدون (3X) عليهم في الموافقة وعدم المخالفة في بيعة السلطان عبد الله .

ولما بلغ الكتاب، قرئ على منبر القرويين، فأجابوهم بعدم المخالفة إن حضر .

(خروج مولاي عبد الله من سجلماسة إلى فاس)

ولما بلغته الخيل، قدم من تافيلالت ونزل بظاهر فاس بالمهراس، فخرج لملاقاته الأعيان والفقهاء والأشراف، فاجتمعوا به وسلموا عليه. ففرح بهم وباشرهم بالاحسان، وواعدهم الدخول لزيارة مولانا ادريس في غدهم، ورجعوا لفاس .

ومن (4X) الغد لبسوا زينتهم وحملوا سلاحهم وألويتهم، وخرجوا لموعده (5X). فلما قابلوه، ركب فرسه، وركب أهل موكبه وخدامه ودائرته، وتوجه معهم لفاس على باب الفتح، وكان في جملته، حمدون الروسي عدو أهل فاس، فلما رآه [بعض] (6X) سماسرة الفتن من أولاد ابن(7X)

(1X) " السلطان " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2X) " وهو " سقط من (ب)

(3X) ك ويذكرون .

(4X) ج فمن .

(5X) ب، ز، ج، ك لوعده .

(6X) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(7X) " ابن " سقط من (ج) .

يوسف كان قتل أباهم، قصدوه . فلما رآهم، تنحى عنهم، فتبعوه ففهم قصدهم وأنهم أرادوا قتله، فركض فرسه لناحية السلطان، فأخبره خبرهم وهو على قنطرة الرصيف. فرجع على طريق جامع الحوت، على جزاء بن عامر، وخرج على باب الحديد، ولم يزرمولانا إدريس، ودخل لفاس الجديد. وما عرف الناس سبب رجوعه عن الزيارة إلى أن شاع ذلك، وطلع أعيان فاس وعلماؤهم وأشرافهم ببيعتهم (1x)، فدفعوها له، واعتذر له بعض الفقهاء بأن ذلك الواقع من السفهاء في شأن حمدون، فأعرض عن ذلك وسكت . وأمر أهل فاس بتقويم حركتهم معه على عادتهم، فعينوا الخمسمائة رام توجهت معه لمكناسة .

(خلاف بين السلطان وأهل فاس)

ولما بلغ لمكناسة، قدم عليه أعيان الديوان وقواد القبائل والوفود، فبايعوه البيعة العامة وأجاز القبائل، وفرق الراتب ولم يحرم أحداً غير أهل فاس لم يعطهم شيئا، إلى أن حضر العيد وقدم العيادون من فاس بهديتهم لحضور العيد .

وخرج السلطان يوم العيد للمصلى، وركبت القبائل والعساكر، وحضروا صلاة العيد. ولما رجع، فرق المال على كل من حضر من العساكر والقبائل والوفود، غير أهل فاس حرمهم .

ومن الغد أمر بحضور أهل فاس للمشور، فلما خرج، ووقفوا بين يديه، قال لهم:

- « يا أهل فاس، كاتبوا إخوانكم يسلموا لنا البساتين (11) والقصابي فإنها (2x) للمخزن ومن وظائفه، وإن أبوا فإني آتيهم وأهدم عليهم تلك القرية » . فأجابوه بالسمع والطاعة ورجعوا لمحلتهم . ولما جن الليل، ارتحلوا وهربوا، وباتوا سائرين طول ليلتهم، فأصبحوا على باب فاس، فأبلغوا إخوانهم كلامه، وسمعوا نثره ونظامه .

(خروج أهل فاس عن بيعة مولاي عبد الله)

فاجتمع الأعيان والأشراف والعلماء، للنظر فيما يقع به الائتلاف، وأخرجوا نسخة بيعته، وشروط توليته، وقالوا: « ما على هذا الفعل بايعناه، ولا لهذا الجور قلدناه، فاشهدوا أننا خلعناه» .

وكانت هذه البيعة من إملاء الفقيه النبيه، العلامة الوجيه، الذي ولاه السلطان إسماعيل القضاء، ووجهه مع ولده أحمد الذهبي لما خلفه بتادلة، وهو القاضي إدريس بن المهدي المشاط (12) المنافي، المرفوع نسبه إلى عبد مناف بيت كبير، ونسب قريشي شهير، ونصها :
" الحمد لله الذي جعل العدل صلاحا للملك والرعية والعباد، كما جعل الجور هلاكا للماشية والحرث والبلاد، وسدد العادل بعنايته وأعد للجائر ما هو معلوم له يوم المعاد، وجعل المقسطين

(1x) ج ببيعته .
(2x) " فانهم " في جميع النسخ ا لمعتمدة .

العادلين على منابر من نور يوم القيامة، كما جعل القاسطين الجائرين في العذاب والحسرات والأنكاد، فأسعد الملوك يوم القيامة من سلك مع (1x) الرعية سبيل الرشاد (2x)، وأصلح ما أظهره الجائر في الأرض من الفساد .

نحمده أن تفضل علينا بإمام عادل، ونشكره أن حَكَّم فينا من لا يصغى في الحق / 53 د/ لقول عادل، فولى علينا الخليفة من نسل الشفيع يوم التناد .

ونشهد أن لاإله إلا الله، وحده لا شريك له، الذي لا يسأل عما يفعل. يوتي الحكمة من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء ويعز (3x) من يشاء ويذل من يشاء في أي وقت شاء وأراد.

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله، الشفيع في أمته يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا يقبل من القاسطين فداء بطريف ولا تلاد. صلى الله عليه وعلى آله الذين أظهروا الشريعة ومحوا الظلم محو المداد .

أما بعد حمد الله الذي أمر بطاعة أولي الأمر، ووعد من نصر دينه بالظفر والنصر فقد قال عليه السلام :« من مات وليس في عنقه بيعة، فقد مات ميتة جاهلية » . (13)

وقال عليه السلام : «من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، مات ميتة جاهلية» (14).

وفي صحيح مسلم، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان» (15) .

وفي حديث مسلم أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم، فاقتلوه» (16) .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج عن السلطان شبرا، مات ميتة جاهلية» (17) وفيه أيضا، عن أبي هريرة أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أطاعني فقد أطاع الله،ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني» (18) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه [لسويد] (4x) بن عقبة: « لعلك لا تلقاني بعد اليوم، فعليك بالطاعة لله، والسمع والطاعة للأمير وإن [كان] (4x) عبدا حبشيا » واتفق أيمة

(1x) ك من .

(2X) " السداد" في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) ك ويعزل .

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د) (أ) .

الدين على أن نصب الامام واجب على المسلمين، وإن ذلك من فروض الكفاية (1x)، كـــمـــا أن القيام بذلك من الواجبات، كما دلت عليه نصوص الأيمة والآيات، وقيل:

لا يصلح الـنـاس فـوضى لا سـراة لـهـم ولا ســـراة إذا جـهـالـهـم ســادوا (19).

ولما كان من أمر الله ما (2x) أراده وقدره، وقبض خليفته وأقبره، دهش المسلمون وخافوا من توالي الشرور والفتن، فتوجهوا له وطلبوه أن يغمد عنهم السيوف، ويصرف عنهم صروف المحن والخسوف (3x)، فأجاب الله الدعوات، ونفس الهموم والكربات، ونشر رحمته، وأزاح نقمته، فصارت القلوب ناعمة بعد بوسها، والوجوه ضاحكة بعد عبوسها، والشرور والفتن قد أدبرت، وأعلام الأمن والأمان والعافية قد أقبلت .

فوفق الله جيوش المسلمين للأعمال المرضية، وألهمهم لما فيه صلاح الدنيا والدين والراعي والرعية، فاقتضى نظرهم السديد، ورأيهم الموفق الرشيد، على بيعة من في شمس السعادة قد طلع، [وظهر] (4x) في سماء المعالي بدره وارتفع، الإمام الهمام، العلوي الهاشمي العدل في الأحكام، الموصوف بالكرم والشجاعة، والحزم والزعامة، المتواضع لله، المتوكل في جميع أموره على الله، أمير المومنين مولانا عبد الله، بن الشريف الجليل، الماجد الأصيل، أمير المومنين مولانا إسماعيل.

فبايعوه أعزه الله على كتاب الله وسنة الرسول، وإقامة العدل الذي هو غاية المامول، بيعة التزمتها القلوب والألسنة، وسعت إليها الأقدام والرؤوس خاضعة مذعنة، لا يخرجون له عن طاعة، ولا ينحرفون عن مهيع الجماعة. أشهدوا بها على أنفسهم (5x) عالم الطويات، والمطلع على جميع الخفيات .

وقلدناك لتسير فينا (6x) بالعدل والرفق، والوفاء والصدق، وتحكم [فيما] (7x) بيننا بالحق، (فقد قال تعالى لنبيه، / 54 د / في صريح وحيه: « يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق» . (20)) (8x)

وقال تعالى، وقوله الحق: «ومن أوفى بما عاهد عليه الله، فسنوتيه أجرا عظيما» . (21)

وقال تعالى: « ولا تكن للخائنين خصيما » (22).

(1x) د الكفايات
(2x) ج على ما .
(3x) " والخسوف " سقط من (ب) (ز) (ج) (ك) .
(4x) د وطلع .
(5x) ك انفسكم
(6x) " فينا " زيد في طرة (ب) بتصحيح
(7x) ما بين معقوفتين سقط من (د)
(8x) ما بين قوسين سقط من (ك) .

وهذه الرعايا تدعو لربها أن يعين مالكها ويساعده، ويقذف الرعب في قلب من يعانده، وأن يفتح له ما عسر على غيره، ويمده بعزيز نصره . إنه على ما يشاء قدير، وبالاجابة جدير، وبيده الحول والقوة، نعم المولى ونعم النصير .

شهد على نفسه ومن معه بهذا، العبد الفقير، المذنب الحقير، مليها وكاتبها إدريس بن المهدي المشاط، بمحضر فلان وفلان، وجمهور الفقهاء والأعيان. في يوم الاثنين سابع صفر (23) من عام واحد وأربعين ومائة وألف» .

(نسب ادريس بن المهدي المشاط)

وهذا الكاتب هو العلامة (1x) المبجل، المشارك الأمثل، القاضي الأعدل، المدرس الأحفل، الخطيب البليغ، الفصيح الرفيع، ذو القلم النفيس، أبو العلاء إدريس، بن الفقيه الأجل سيدي محمد المدعو المهدي .

ولما كبر سنه، أراد الرحلة إلى الحجاز لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، والوقوف على معاهد سلفه، ورفع نسب خلفه، فكتب جريدة من مضى من سلفه، حسبما ذلك مسطر في رسوم أنكحتهم وأصدقتهم، ومتوارث خلفهم عن سلفهم، ومشهور عند أهل فاس خاصتهم وعامتهم، فسأل من السادات الأعلام، والأئمة الكرام، وضع خطوطهم على هذه الجريدة (2x)، التي هي رافعة لنسبهم كالخريدة، فوضعوا خطوطهم، وتمموا شهادتهم، من غير خلاف، إلى جد النبي عبد مناف . وقد ذكر أهل هذا البيت المنافي ابن حزم (24) في جمهرته (25)، وهو من أهل التحقيق، والمعول عليه (3x) في هذا الفن من كل طريق .

وأبو محمد بن حزم، شهد له أبو حامد الغزالي بعظم الحفظ، وسيلان الذهن. وقال فيه الشيخ زورق، إنه حافظ يعتمد عليه في النقليات، ولا يلتفت لمذهبه في العقائد.

وقال ابن خلدون فيه : « وابن حزم موثوق به، ولا يعدل به غيره، لأن بيوتات (4x) العرب الذين كانوا بالأندلس مذكورين (5x) في الدواوين، محفوظة أنسابهم، ومن انتقل منهم لبر العدوة فكذلك، استمروا على حالهم بالأندلس .

(استطراد: اعتناء أهل الأندلس بالأنساب)

وكانت عادة أهل الأندلس من العرب، الاعتناء بالبحث في كل من يرد عليهم من المشرق،

(1x) ب العالم .

(2x) ج الجزيرة .

(3x) " على قوله " في باقي النسخ المعتمدة .

(4x) د بيوت .

(5x) كذا في جميع النسخ المعتمدة .

وينتسب لقبيل من قبائلهم، البحث في هذا الشأن مما (1x) ليس لغيرهم في سائر الأقاليم والأزمان، بحيث إذا قدم عليهم من ينتسب إلى بيت من البيوتات ويدلي به اليهم، استفصلوه عن جده وأبيه، وفصيلته التي تؤويه، واستفهموه عن مولده، ومنشئه وبلده، حتى إذا أحاطوا عنه علما بذلك، كتب به طالبا لصحة خبره من له ولاية عندهم هنالك، وتوجه الكتاب إلى الناحية، التي قدم منها قريبة أو نائية، فإن ورد الجواب بصدق الخبر دون كذب، أجلوا مكانه وعظموا حرمته كما يجب، وإلا عزروه تعزيرا شديدا، وأخرجوه عن أرضهم شريدا، فكانت أنسابهم لذلك مضبوطة، وأحسابهم عن الأدعياء محوطة» .

قاله الإمام النسابة أبو محمد سيدي (2x) عبد السلام بن الطيب القادري الحسني (26) في « العرف العاطر » (27) .

رجوعا لخبر الدولة: ولما وقع هذا الصدع، واتفقوا على عدم تمكينه من القصابي والبساتين(28)، وأعلنوا بالخلاف، ونادوا في المدينة: «من أراد الخروج لبلاده، فليتهيأ لثلاث»، وأغلقوا أبواب مدينتهم .

(حصار مولاي عبد الله لفاس)

فلما سمع بذلك السلطان، تهيأ لحربهم وجهز العساكر، وخرج في خامس عشر من شوال(29) العام. ونزل على فاس بعساكره من كل ناحية، وسرحها للعيث وقطع الأشجار، وتخريب المباني، وإفساد الزرع والبحائر، وقطع عنهم الوادي .

واستمرت العساكر / 55 د / تحاربهم من كل ناحية على كل باب، وبالليل يأمر الطبجية والأعلاج والنصارى (30) بإرسال الصواعق المدبرة بالبمب والكور وحجارة المجانيق، فلا ينامون ليلا ولا نهارا، إلى أن أيسوا من الفرج، وضاق بهم المتسع، وارتفعت عندهم الأسعار، وكثر الهرج .

(وقوع الصلح بين مولاي عبد الله وأهل فاس)

فبعثوا له في الصلح، فقال: «على القصابي والبساتين» .

فعادوا إلى الحرب، وتجلدوا إلى أن ضعفوا عن مقاومة العساكر، وعضهم ناب الحرب، فأذعنوا لتمكين القصابي والبساتين . ووقع الصلح (31) على يد القائد محمد السلاوي بضريح مولانا إدريس. فتوجه معه الأعيان والعلماء والأشراف لفاس الجديد، فأكرمهم، وأعطى العلماء والأشراف (3x) ألف دينار، وكسا الأعيان، وقيد عليهم الحاج علي السلاوي . وفي ثاني المولد النبوي، دخل القصبة، وعمر أصحابه القصابي والبساتين .

(1x) ك ممن .

(2x) " سيدي " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(3x) " والأشراف " زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(رأي المؤلف في عناد أهل فاس)

قلت: وما فائدة هذه البساتين التي لم تغن عنهم شيئا، ولم تمنعهم من رمي البمب والكور وحجر المنجنيق، ولو أعطوهم (كذا) له، لم يقعوا (1x) في المحذور، وغاية ما يعاقبهم به السلطان، إعطاء المال أو العفو. فكان منعهم ولجاجهم وبالا عليهم، قتلت رجالهم، وهدمت ديارهم، وقطعت أشجارهم، وتلف موجودهم في الجوع الذي حل بهم، وفتنة أولادهم ونسائهم وقت نزول الصواعق المدبرة عليهم، لا ينام أحد بالليل. فقبح الله اللجاج خصوصا مع الملوك(32)

وبالجملة، فلم يصادف السلطان أحمد المنصور رحمه الله في بنائهما (2x) بفاس ولو بناهما بثغر من ثغور المسلمين، كأخويهما اللذين بناهما بالعرائش، كان له الأجر العظيم، والثواب الجسيم.

فرحم الله مولانا أمير المومنين الذي قال: « وددت (3x) أن جدنا إسماعيل بنى تلك البساتين العادية، والأسوار الجافية الهائلة التي بقلعة مكناسة في ثغور المسلمين، لعمت جميعها، وكانت نكاية في نحر العدو، وحصنا حصينا للمسلمين، لكان له بذلك أعلى الدرجات في الآخرة، والثناء الجميل في الدنيا. لكن التوفيق من الله.

(عزل وتوليات بفاس)

وافتتح علي السلاوي عمله بقتل الشيخ " دحمان المنگاد". فلما بلغ خبره للسلطان، عزله وولى على فاس البادسي ولد حمدون الروسي. ثم بعد حين، عزله وولى عبد النبي بن عبد اله الروسي.

(توجه سيدي محمد بن عبد الله للحج)

وفي هذا العام، وجه السلطان ولده سيدي محمد مع أمه خناثة بنت بكار للحج (33)، وهو دون البلوغ. ولما أراد السفر، ولى على فاس حمدون الروسي.

(ارتحال السلطان لمكناسة)

وارتحل السلطان في العشرين من ربيع الأول عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ودخل مكناسة، فوجد القبائل عادت لحالها الأول من ركوب الخيل واقتناء السلاح، والعيث في قبائل العرب والطرقات. فأمر العبيد بتجهيز الحركة لتمهيد البلاد.

(1x) ك يوقعوا.

(2x) الضمير يعود على " بستيوني " باب الجيسة وباب الفتوح.

(3x) ك وجدت.

(حركة مولاي عبد الله لقبائل آيت يمور)

وقصد تادلة لقمع آيت يمور (34) الذين نزلوا بها، وأضروا بأهلها لما أخرجهم (1x) آيت امالومن رأس ملوية، وغلبوا عليهم، نزلوا على أهل تادلة وأوقدوها نارا وفتنة، فكثر شاكيهم على السلطان . ولما أحسوا بقدومه، فروا أمامه ودخلوا بلاد آ يت يسري، فتبعهم إلى أن أوقع(2x) بهم بوادي العباد، وقتل منهم آلافا، ونهب أموالهم .

ولما رجع لتادلة، قتل من أعيان رماة فاس عشرين (3x)، وكتب لأهل فاس يعتذر عن قتل من قتل منهم، ويأمرهم بتوجيه حركة أخرى . فعينوا حركة أخرى (4x)، وسردها حمدون الروسي برأس الماء، وتوجهوا (35) .

(هدم بعض أبواب فاس)

ومن الغد، قتل حمدون الروسي عبد الواحد بتير، ومحمد بن الأشهب بباب السجن، وجرهما ومن الغد، أصبح حمدون يهدم أبواب المدينة، فهدم باب المحروق (36)، وباب الفتح(37)، وباب الجيسة (38)، وباب الحديد (39)، وباب بني مسافر (40) . وحمل الأبواب لفاس الجديد.

وفي أول يوم من المحرم عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، شرع في هدم سور المدينة، وجر / 56 د/ الأنقاض لفاس الجديد .

ثم ورد كتاب من السلطان بالعفو عن أهل فاس، فهرب حمدون الروسي لزرهون، ورجع السلطان من تادلة . وفي هذا العام، حرك السلطان لسوس، فمهده ورجع . (41) وفيه بنى باب منصور العلج، وأكمل سور القصبة (42) .

(السلطان يأمر بهدم مدينة الرياض بمكناسة)

وأمر النصارى والشعابنية أن يهدموا مدينة الرياض (43) التي بها أخواله الوداية وبها دور العمال والقواد والكتاب وأعيان دولة والده إسماعيل رحمه الله .

ركب عند الفجر، ووقف على تل مشرف عليها، وأمر بالهدم من كل ناحية، والناس نيام. فمن أسرع، حمل رزقه وقشه، ومن لا معين له، بقي قشه تحت الردم . وارتحل الوداية لفاس الجديد مع إخوانهم، وتفرق غيرهم بالمدينة .

(1x) ك أخرجوهم .

(2x) ك وقع .

(3x) د عشرون .

(4x) " الحركة " في باقي النسخ المعتمدة .

وكانت مدينة الرياض زينة مكناسة وبهجتها، وبها آثار أهل دولة (1x) إسماعيل . كل من كان له وظيف بخدمته، بنى داره بها . وتنافس العمال والقواد في بناء القصور والدور، فقد كان بدار علي ويشي أربعة وعشرون (2x) حلقة يجمعها باب واحد. وكانت دار عبد الله الروسي وأولاده كذلك أعظم منها، كأنها حومة، وأمثالهما من القواد . وخلدوا بها آثارا عظيمة، وبنى كل عامل مسجدا في حومته، وبوسطها المسجد الأعظم الاسماعيلي، ومدرسته، وحمامه، وخانه، وأسواقه الموقوفة عليه .

وكانت تنفق فيها البضائع التي لا تنفق بغيرها (3x)، فما مضت عليها عشرة أيام، إلى أن صارت كدية تراب، ولم يبق بها إلا الأسوار والجدرات قائمة الاشخاص .

(عقاب السلطان لبعض خدامه)

وفي هذا العام، قتل السلطان موسى الجراري (44) وثلاثمائة من أصحابه قدموا عليه((من الحركة . ثم قتل بعدهم، ثلاثمائة من أعيان المجاهدين أهل الريف) (4x) قدموا عليه)) (5x) من طنجة بهدية (6x) الباشا أحمد بن علي (45) . فكان قتلهم سبب نفور أحمد بن علي منه وسعيه في فساد دولته .

(ايقاع السلطان بقبيلة الحجاوة)

وفيه قتل مائتين من الحجاوة (46) على دعوى قطع ببلادهم، حتى أنه لما قتل هؤلاء القوم، خرج لمحل قتلهم أهل مكناسة والبطالون (7x) منهم للفرجة في المقتولين بباب البطيوي . فاتفق خروجه على ذلك الباب. فلما رأى القوم قصدهم، ولما رأوه، فروا خوفا منه إلى كهف قريب من المحل، ودخلوه وهو يراهم . فقصد محل اختفائهم، إلى أن وقف على باب الكهف . وكان بقربه ردان من الحجر للبناء، فأمر المسخرين (47) بوضع السلاح، ووضع الحجر على باب الكهف إلى أن امتلأ، ومات ذلك الجمع غما، ولم يوقف لهم على خبر، ولم يعرف لهم عدد .

ولما صدر منه هذا، كتب له أهل الديوان من مشرع الرمل ينكرون عليه قتله للمسلمين دون سبب، فوجه لهم الراتب، وأمرهم بتقويم الحركة لفازاز .

(1x) ك دولة اهل .

(2x) " وعشرين " في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) ك في غيرها .

(4x) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) (ج) بتصحيح .

(5x) سقط من (ك) .

(6x) ك بهدايا .

(7x) " والبطالين " في جميع النسخ المعتمدة .

(استطراد: بعض اخبار القاهر العباسي)

(وعلى هذا النمط، كان محمد القاهر العباسي (48) في سفك الدماء. وهو الذي قتل ابن أخيه المكتفي، وقتل عددا لا يحصى، وقبض (1x) السيدة أم المقتدر على المال، وعذبها، وعلقها منكسة، فكان يجري بولها على وجهها، واستصفى أموالها، ونفاها لمكة.

وكان يحمل حربة بيده لا يضعها إلى أن يقتل إنسانا. ولولا جودة الحاجب سلمة، لأهلك الخلق أجمعين. ولما رأى ذلك الجند، قبضوا عليه، وسملوا عينيه، وأخذوا جميع ماله وما عنده. وكان يخرج يوم الجمعة يتكفف بالمسجد. نعوذ بالله من سخطه. (49)

(تضييق مولاي عبد الله بأهل فاس)

رجوعا) (2x): وفيه وجه محمد وعلي الزموري عاملا على فاس، وقال له:

- " اقبض منهم المال، وألقه في وادي أبي الخراريب، ولا تتركه عندهم. فما أطغاهم إلا المال، حتى استخفوا بالمملكة ".

فتوجه لفاس، ونزل بدار أبي علي بالمعادي، وعين نقيبا في كل حومة عارفا بأهل اليسار، فجمعوهم (3x) له، إلى أن كانوا بين يديه. وأمر بسجنهم، ووظف عليهم أولا خمسمائة ألف مثقال وزعها على التجار وأهل اليسار من غيرهم من العشرة آلاف إلى الألف. واشتغل بقبض المال، ومن تراخى في الدفع، يضرب، ومن تغيب من أهل اليسار، قبض ولده أو أخاه أو زوجته إلى أن استوفى العدد. ثم رجع إلى أهـــل / 57 د/ الحرف والأصول والبطالين من الألف إلى المائة، حتى لم يبق بالمدينة أحد. وفر الناس للمدن والقرى والجبال، ومنهم من بلغ تونس ومصر والشام والسودان، وما بقي بفاس إلا النساء والذرية ومن لا عبرة به، حتى ان الذين كانوا بالسجن، لما خرجوا منه، فروا وتركوا الأولاد والبلاد. وأقام بفاس سنة وشهرا، وكلما قبض مالا وجهه لمكناسة. (50)

وفي هذه السنة، مات السلطان أحمد العثماني (51)، وتولى الملك السلطان مصطفى بن محمد الثالث (52).

(توجيه مولاي عبد الله جيشا من العبيد إلى فازاز)

وفي عام ستة وأربعين ومائة وألف، وجه محلة من العبيد فيها خمسة عشر ألفا من الخيل، قائدهم الباشا قاسم بن ريسون، وثلاثة آلاف من الوداية قائدهم [القائد] (4x) عبد الملك أبـو

(1x) " وقتل " بدل " قبض " في (أ).

(2x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح، وسقط من باقي النسخ المعتمدة.

(3x) ب فجمعهم.

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

شفرة لجبل آيت امالو (53) .

فلما قطعت المحلة وادي أم الربيع على قنطرة البرج ونزلت أدخسان، فروا أمامهم للجبال، فتبعوهم إلى أن توغلوا في الجبل (1x)، وبعث البربر بالليل من سد الثنايا التي دخلوا منها (بأشجار الأرز، ولما أصبح، هجموا عليهم من كل ناحية إلى أن هزموهم . ورجعوا على طريقهم، فوجدوا الثنايا التي دخلوا منها (2x)) (3x) مسدودة، وازدحموا عليها، فترجلوا وتركوا الخيل والأثقال . فنهبها البربر، وجردوا العساكر، ولم يقتلوا أحدا. ورجعوا لمكناسة مجردين .

فكان هذا أقوى سبب بغضهم له، مع إسرافه في قتل رؤوسهم وأعيانهم، فأعطاهم مالا لكسوتهم، ووعدهم بإخلاف ما ضاع لهم، ورجعوا لمشرع الرمل .

(ثورة العبيد على مولاي عبد الله)

وفي عام سبعة وأربعين ومائة وألف، فسد ما بينه وبين العبيد لاسرافه في القتل حتى كاد أن يأتي على عظمائهم، وذلك بسبب قتلهم لأخيه عبد الملك، فكل من حضر منهم في قتله أو وافق عليه، قتله . وبلغ عدد من قتله من العبيد، أزيد من عشرة آلاف . فاتفقوا على قبضه وقتله، فأنذره بعضهم، فهرب ليلا من مكناسة (54)، وأصبح في حلة آيت ادراسن، ففرحوا به وأكرموه، وتوجهوا معه إلى أن بلغ تادلة، ورجعوا عنه، ومنها لمراكش، ومنها للسوس، ومنه لوادي نول، .فنزل على أخواله المغافرة، وكان معه سيدي محمد صغيرا دون البلوغ (4x)، وولده أحمد (55) فوق البلوغ . وأقام عندهم ثلاثة أعوام .

وأما محمد وعلي، لما بلغه فرار السلطان عبد الله من مكناسة، خرج من فاس ليلا، وأصبح بزرهون .

(استطراد: انتقام السلطان مراد من قتلة أخيه عثمان)

ومثل هذا وقع للسلطان مراد بن أحمد العثماني (56) مع الوزراء والأمراء والجند الذين قتلوا أخاه السلطان عثمان، لما تولى الخلافة، قتل الوزراء الذين قتلوا أخاه، ومن وافق على قتله من الأمراء، ومن تسبب في الفتنة من الجند، إلى أن قتل منهم آلافا لا تعد ولا تحصى .

(1x) " الجبال " في باقي النسخ ا لمعتمدة .

(2x) " عليها " بدل " منها " في (ب) .

(3x) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح وسقط من (ك) .

(4x) ج بلوغ .

التعاليق والهوامش

(1) سورة آل عمران . الآية 61 .

(2) سورة هود . الآية 83 .

(3) رواه علي باختلاف يسير في اللفظ، انظر نهج البلاغة ص 292 .

(4) أحيانا " اردشير " بالراء المهملة بن بابك بن ساسان الأكبر، أحد ملوك الفرس، وهو الذي جمع كلمة الدولة بعدما أصابها التفرق على يد الاسكندر برأي أرسطو طاليس . توفي عام 241م .

(5) رواه أبو داود والنسائي . انظر التاج الجامع 3 : 51 .

(6) أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي الملقب " بأبي الطيب "، نادرة زمانه في صناعة الشعر. اشتهر بمدحه لكبار رجال الدولة في عصره مثل سيف الدولة الحمداني وكافور الاخشيدي وغيرهما . توفي عام 354 هـ / 965م .

انظر المتنبي . دراسة عامة . جورج غريب 5 وما بعدها .

(7) ديوان المتنبي 2 : 4 .

(8) انظر ديوانه ص 52 وروايته " .. فالظلم مرتعه يفضي .. تنام عينك والمظلوم منتصر" .

(9) يشير المؤلف هنا إلى الفترة الأخيرة التي عاد فيها مولاي عبد الله إلى الحكم، والتي دامت من 1159 هـ إلى 1171 هـ / 1746 – 1757م .

(10) هذه البيعة الغيابية التي أجمع عليها كبار رجالات الدولة لذلك العهد، تمت بمكناسة في 4 شعبان 1141 هـ / 6 مارس 1729م، بينما تأخرت البيعة الرسمية بفاس إلى رمضان / أبريل، من نفس السنة .

نشر 3 : 321 . حوليات النشر ص 33 . التقاط ص 351 . الجيش 1 : 101 . تقييد القادري ص 277 . الاستقصا 7 : 128 . الاتحاف 4 : 391 . هذه الصفحات وما بعدها .

(11) جمع للفظة " بستيون " (Bastion) وهو البرج أو الحصن العسكري المؤسس للدفاع عن المدينة، ويشير المؤلف هنا إلى بستيوني " باب الجيسة " و " باب الفتوح " اللذين أنشئا في عهد أحمد المنصور الذهبي.

التقاط ص 351، هامش 6 .

Mouette . S.I.H.M 2e S. France. P . 184 N 1 et 2

(12) تولى القضاء بتادلا، ثم عين في عهد مولاي أحمد الذهبي قاضيا بفاس في رجب 1141 هـ خلفا للقاضي أحمد الشدادي، إلى جانب ذلك تولى الامامة بمسجد الأندلس. توفي بالمشرق أثناء أداء فريضة الحج عام 1142 هـ/ 1730م .

نشر 3 : 325 . التقاط ص 354 . الاتحاف 1 : 294 .

(13) رواه مسلم . انظر التاج الجامع 3 : 46 .

(14) رواه مسلم باختلاف يسير في اللفظ . التاج الجامع 3 : 46 .

(15) رواه مسلم باختلاف يسير . التاج الجامع 3 : 46 .

(16) رواه مسلم باختلاف يسير في اللفظ . انظر التاج الجامع 3 : 46 .

(17) رواه مسلم والبخاري باختلاف يسير . التاج الجامع 3 : 45 .

(18) أخرجه البخاري في صحيحه 8 : 104 . مسلم 6 : 13 . النسائي، السنن 7 : 154

(19) البيت للشاعر الجاهلي " الأفوه الأودي " المتوفى حوالي عام 50 ق هـ / 570م.

انظر ديوانه (مجموعة الطرائف الادبية ط القاهرة 1937م) ص 10 .

(20) سورة ص . الاية 26 .

(21) سورة الفتح . الآية 10 .

(22) سورة النساء . الاية 105 .

(23) أوسابع رمضان، حسب اختلاف المصادر.

الجيش 1 : 101 . الاستقصا 7 : 128 . الاتحاف 4 : 393 وهامش 1 .

(24) فقيه أندلسي مشهور، ومؤرخ اجتماعي كبير . توفي سنة : 456 هـ/ 1064م.

الترجمانة الكبرى ص 536 . بنعبد الله، الموسوعة المغربية 1 : 76- 74 . التقاط الدرر، مقدمة التحقيق ص 194 .

(25) من أوسع كتب النسب وأحفلها وأدقها مع الايجاز والاستيعاب . قام بتحقيقه عبد السلام هارون. وقد تم نشره بدار المعارف، القاهرة، 1962 .

(26) انظر هامش 10 (مقدمة المؤلف) .

(27) انظرهامش 94 (الباب الثاني) .

(28) " ووجهوا فقهاءهم وأشرافهم وأعيانهم للشفاعة، فلم يقبل منهم وردهم بغير طائل. ثم اتفق رأيهم على توجيه هدية جمعها التجار ووجهوها مع جماعة من أعيانهم وجماعة من التجار، فتعرض لهم الوداية، وأخذوا الهدية، وسلبوهم وسجنوهم بفاس الجديد، وقالوا لهم: إن

السلطان أمرنا بحصار فاس، فأعلنوا بالخلاف " . هذه التكملة من الترجمان المعرب . النص المطبوع ص 36 .

(29) 15 شوال 1141 هـ / ماي 1729م .

(30) انفرد المؤلف فيما بين أيدينا من النصوص بذكر عناصر أجنبية في صفوف عسكر مولاي عبد الله، والغالب على الظن أنها فئات تعرضت للأسر خلال فترة حكم مولاي إسماعيل، ثم صارت إحدى الفرق العسكرية التي يعتمدها السلطان في حروبه، وربما استمر وجودها في هذا العهد في صفوف جيش مولاي عبد الله .

(31) تم ذلك في 10 ربيع الأول 1142 هـ/ 3 اكتوبر 1729م، بعد حصار دام حوالي خمسة أشهر . انظر التفاصيل في :

نشر 3 : 333 . التقاط ص 352 . حوليات النشر ص 35 . الجيش 1 : 101 . الاستقصا 7: 130 الاتحاف 4 : 395 .

(32) للناصري رأي آخر في الموضوع . انظر الاستقصا 7 : 129 .

(33) انظر التقاط ص 355 . وهامش 7 و 8 .

(34) " آيت يمور " ،إحدى القبائل البربرية المتواجدة بالأطلس المتوسط، كانت تقطن في ذلك العهد شرق وشمال قصبة تادلة.

(35) انظر تفاصيل هذه الاحداث في :

نشر 3 : 336 . حوليات النشر ص 37 . التقاط ص 362 . الجيش 1 : 102 . الاستقصا 7 : 132 الاتحاف 4 : 398 .

(36) انظر هامش 30 (الباب الأول)

(37) كان يعرف ب " باب القبلة " ، ثم أصبح يعرف ب " باب الفتوح " نسبة الى مجدد بنائه " الفتوح بن دوناس " ، وهو أحد أبواب عدوة الأندلس من فاس الواقع شرقي المدينة . القرطاس ص 112 .

(38) نسبة إلى " عجيسة بن دوناس المغراوي " ، يقع شمال مدينة فاس .

القرطاس ص 112 .

(39) أحد ابواب عدوة القرويين بفاس، يعود تاريخ بنائه إلى عهد مولاي ادريس الثاني :

جذوة 1 : 35 .

(40) أحد أبواب عدوة الاندلس بفاس، يقع شمال شرق المدينة بالقرب من باب سيدي بوجيدة .

(41) « ... ورجع السلطان من الحركة، فولى على فاس الطيب بن جلول، ولم يتول على فاس أقبح منه . كان ظلوما غشوما، حتى سمي حجاج الوقت، وقد أغرى السلطان بنهب زرع العرب الذي بالمدينة . فأمره بجمعه، فتوجه الأشراف للسلطان في الشفاعة، فوبخهم وسبهم وردهم، واستمر على عمله. وقتل « أحمد فرصاد بن موسى» بباب مدرسة الصفارين، وولى على المواريث وديوان الحراطين عبد الواحد بن سودة، وكان من أمثاله .

وفي شعبان عام 1144 هـ، قتل السلطان عبد الواحد بن سودة بتادلة، ولما قدم لمكناسة، وتوجه ابن جلول بالهدية، فنكبه وسجنه، وولى على فاس عبد اللطيف بن عبد الخالق الروسي".
هذه التكملة من الترجمان المعرب، الجزء المطبوع ص 38 .

(42) " وفيه وجه عبد الرزاق ولد علي بن يشي لفاس، وقبض تجارهم، ودخل دورهم وحوانيتهم، واشتغل بقبض المال منهم إلى أن بلغ مائة وعشرين ألفا . فعفا السلطان عنهم. وتوجهوا معه بالمال حتى دفعه، فأمرهم بالزيادة عليه وسجنهم، وغضب على عبد اللطيف الروسي على تأخيره الرماة، وأمر بضربه، ثم ذبحه " .

هذه التكملة من الترجمان المعرب، النص المطبوع ص 38 – 39 .

(43) طرة في (ز) : " كان بناء الرياض سنة 1099 هـ/ 1685 م، وفيه قال الكاتب الاديب أبو حفص عمر الحراق قصيدة، منها قوله:

أكتاب الامام لقد سعدتم ... بآراء لسيدنا سديدة
دنوتم من قصور أبي المعالي ... وقد كانت منازلكم بعيدة
وما دار تقرب منه إلا ... مباركة بلا ريب سعيدة. الخ.

فامرله (أي مولاي إسماعيل) بأربعمائة مثقال يقبضها من عامله علي بن عبد الله الريفي والي طنجة وأعمالها . رحم الله الجميع " .

(44) أحد قواد مولاي أحمد الذهبي، وهو الذي أرسله لتسوية الخلاف بين الوداية وأهل فاس. كان قائدا للجيش كذلك في عهد مولاي عبد الله، لعب دورا كبيرا في الأحداث التي عاصرها، غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تذكر شيئا عن سبب هذا الإعدام .

(45) للمزيد من التفاصيل عن هذا الحدث، انظر: تاريخ تطوان 2 : 198 وما بعدها.

(46) قبيلة عربية تعد من قبائل " الكيش " ، استقرت أكبر بطونها في المناطق الشمالية لمدينة فاس، وخاصة في المنطقة الواقعة بين " أولاد جامع " و " فشتالة " . يوجد فرع منها اليوم بين سبو وورغة في اتجاه الطريق الرابطة بين فاس وتاونات .

التقاط ص 383، هامش 1 .

(47) " المسخرون " أعوان كانوا في القصر يتكلفون بتبليغ الأوامر والرسائل السلطانية،

كما كانت تتألف منهم كتيبة من الفرسان الشجعان فيلازمون السلطان ويدافعون عنه .

العز والصولة 1 : 409 .

(48) " أبو منصور محمد بن المعتضد " الملقب بالقاهر بالله، الخليفة العباسي التاسع عشر، حكم فيما بين 320 هـ و322 هـ. توفي في جمادى الاولى عام 339 هـ/ شتنبر 950م .

ابن الاثير 6 : 222 . تاريخ الخلفاء ص 386 . ابن خلدون 3 : 486 . تاريخ الاسلام 3 : 24 وما بعد هذه الصفحات .

(49) هذا الاستطراد منقول بتصرف من تاريخ الخلفاء . انظر النص المطبوع ص 386 – 390 .

(50) مثل هذا الكلام، نقله اكنسوس في الجيش 1 : 103 والناصري في الاستقصا 7 : 134 وابن زيدان في الاتحاف 4 : 402 .

(51) يقصد " أحمد الثالث بن محمد الرابع " ، إلا أن عام 1143 هـ/ 1730م لا يؤرخ وفاة هذا السلطان، بل تنازله عن الملك، أما منيته فقد تأخرت إلى عام 1149 هـ/ 1736م

أصاف ص 123 . تاريخ الدولة العلية ص 142 وما بعدها.

(52) تتفق المصادر التاريخية على أن السلطان الذي خلف أحمد الثالث هو "محمود الأول بن مصطفى الثاني " .

انظر المصدرين السابقين (هامش 51) ما بعد الصفحات .

(53) عن هذه الحركة، انظر كذلك : الجيش 1 : 104 . الاستقصا 7 : 135 . الاتحاف 4 : 405 .

(54) كان ذلك في ربيع الثاني 1147 هـ/ شتنبر 1734م .

(55) هو الذي ولاه السلطان مولاي عبد الله خلال دولته الثانية على رباط الفتح، مسندا إليه أمر بني حسن وقبائل الشاوية . توفي بفاس عام 1163 هـ/ 1750م .

(56) وهو السلطان العثماني السابع عشر . انظر هامش 181 (مقدمة المؤلف) .

الباب الثامن
في
العفو والحلم

وهما من أشرف (1x) الخصال خصوصا في الملوك

قال تعالى: «وان تعفوا أقرب للتقوى» (1).

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله عفو يحب العفو » .

وقال علي: «العفو زكاة الظفر» (2).

وقال الشاعر:

ولا تتركن العفو عن كل زلة ... فما العفو مذموم وإن عظم الجرم

وقال الآخر:

فإنما يرفع الإنسان أربعة ... العلم والحلم والإحسان والجود

وكان مولانا (2x) علي (3x) رحمه الله، من أهل العفو والحلم، متوقفا عن سفك الدماء، فستره الله بذلك ولم يفتضح .

(1x) ك اشراف

(2x) " مولاي " في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) " علي " زيد في طرة (ب) بتصحيح

دولة مولانا علي بن إسماعيل

(بيعته)

/ 58 د/ ولما هرب السلطان عبد الله من مكناسة، اجتمع عبيد الديوان، واتفقوا على بيعة مولانا علي بن إسماعيل، وبايعوه (3)، وكتبوا له، ووجهوا جريدة من الخيل تأتي به من سجلماسة .

ولما بلغ صفرو، تلقاه أعيان أهل فاس، وعلماؤهم، وأشرافهم، فبايعوه، وفرح بهم. وقدموا معه لفاس الجديد، فولى عليهم مسعود الروسي (4) في ربيع الثاني (1x)، وأمره ألا يقبض منهم إلا الهدية والزكاة والأعشار .

ولما بلغ مكناسة، بايعه الجيش البيعة العامة، وقدمت عليه الوفود ببيعتهم وهداياهم، وفرق المال على الجيش .

ولما نفد ما عنده، قبض على السيدة خناثة بنت بكار (5) أم مولاي عبد الله وسجنها، إلى أن أخذ ما عندها، وامتحنها لتقر له بالمال، فلم يحصل على طائل .

(ثورة أهل فاس على قائدهم مسعود الروسي)

ثم إن مسعود الروسي، قتل الحاج أحمد بودة (2x) رئيس اللمطيين، وأمر بجره لباب الفتح، إذ كان هو الذي سعى في قتل أخيه أبي (3x) علي عند موت السلطان إسماعيل . فاجتمع أهل فاس، وحملوا السلاح، وتوجهوا لقتل مسعود الروسي، فهرب، فكسروا السجن، وأطلقوا المساجين، وقتلوا الحرس والجرائين (6) .

فلما بلغ ذلك السلطان، أعرض عنهم ووجه لهم القائد غانم الحاجي (7) مع أخيه المهتدي، وقال لهم في كتابه: « إني عزلت عنكم مسعود الروسي، ووليت غانم الحاجي» . فلم يقبلوه . ورجع من الغد، ووجهوا مع المهتدي جماعة من العلماء والأشراف والأعيان بهدية كبيرة، فلما اجتمعوا به، قبض هديتهم وعدد عليهم أفعالهم وما يرتكبونه، وأمر بسجنهم .

(1x) " الثاني " زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) " بودى " في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) " ابي " سقط من (ك) .

فلما بلغ خبرهم لفاس، أغلقوا أبواب المدينة وأعلنوا بالخلاف، وقتلوا أصحاب مسعود الروسي، ومن كان له اتصال به . ووقع الشر مع الوداية من كل ناحية .

(تولية القائد عبد الله الحمري على فاس)

وفي رمضان، قدم القائد عبد الله الحمري من قواد العبيد، واجتمع بأهل فاس، واعتذر عن السلطان . وأمرهم بتوجيه الهدية والعلماء والأشراف، وكتب للسلطان يعتذر عنهم، فلقاهم بالتهديد والتشديد، ثم سمح لهم وسرح لهم المساجين، وولى عليهم عبد الله الحمري .

(تولية القائد عبد الله بن الأشقر على فاس)

وفي عام ثمانية وأربعين ومائة وألف، ولى على فاس عبد الله بن الأشقر .

(ايقاع السلطان ببرابرة آيت امالو)

واشتغل بتجهيز العساكر لآيت امالو في خاطر العبيد ليأخذوا بثأرهم، وخرج بهم في محرم تسعة وأربعين ومائة وألف (8). فلما أحسوا بإقباله إليهم، أظهروا الفرار أمامه، وهو ينزل في منازلهم ويتبع آثارهم، إلى أن قطعوا وادي أم الربيع، وتوغلوا في الجبال، فانقضوا عليهم من الثنايا والشعاب، وأحاطوا بهم من كل ناحية، واعترضوهم على الثنايا . فولوا منهزمين، وازدحموا في الأوعار، فتركوا الخيل والأثقال، وأرجلوهم وجردوهم، ولم يتعرضوا لمولاي علي في موكبه وخاصته، إلى أن قطع وادي ام الربيع، ورجعوا عنه . ودخل مكناسة، فطالبه العبيد بالكسوة والسلاح والراتب، فلم يكن عنده ما يعطيهم .

(تحرك مولاي عبد الله من السوس الى تادلة)

وفي الحجة من العام بلغ خبر وصول السلطان عبد الله لتادلة (9)، قدم من وادي نول . فتحدث العبيد برده للملك، وخالفهم سالم الدكالي(10) الذي تسبب في عزله مع شيعته، وقالوا: " لا نعزل عليا " .

(لجوء مولاي علي إلى الأحلاف)

ثم إن شيعة عبد الله قويت عليهم، واتفقوا على بيعته، فهرب سالم الدكالي ومن معه من القواد لزاوية زرهون . ولما سمع بذلك علي، هرب لفاس وأراد الدخول لفاس الجديد، فمنعه الوداية، فنزل بقنطرة سبو إلى أن قضى ما يحتاج إليه، ومن الغد توجه لتازة، ومنها للأحلاف، فأكرموه وصاهروه، وأقام عندهم بوطنهم عدة أعوام معرضا عن الولاية وأسبابها . إلى أن رجع لمكناسة بأمر أخيه السلطان عبد الله، لما قدم عليه لدار دبيبغ، أعطاه (1x) مالا، ووجهه لداره بمكناسة، وأعطاه المكس (11)، وأجنة المخزن وأرضه .

(1x) " اعطاه " سقط من (ك)

ثم إن العبيد قبضوا عليه، ووجهوه له، وقالوا: «هذا أفسد علينا بلادنا»، فسرحه ووجهه لسجلماسة إلى أن مات بها رحمه الله .

(استطراد: بعض أخبار مصطفى الثاني العثماني)

ومثل / 59 د/ هذا وقع في دولة السلطان مصطفى بن محمد (12)، لما أوقع (الصلح مع الكفار على يد شيخ الإسلام فيض الله أفاندي، أنكر ذلك الوزراء والأمراء) (1x)، وقاموا على السلطان، واختلف العسكر على قسمين وتقابلوا للحرب، فهرب السلطان مصطفى لأدرنة، ووقع الصلح بين العساكر، وبايعوا السلطان أحمد بن محمد(13)، وقتلوا شيخ الاسلام فيض الله أفاندي، لأن الصلح وقع على يده، وبدلوا أهل المناصب، وتحكموا فيه كيف شاؤوا . وساعدهم إلى أن دخل للاسطنبول، ورسخت قدماه في الملك، وقلب لهم ظهر المجن . فقتل كل من سعى في قتل شيخ الاسلام فيض الله أفاندي، أو حضر، أو وافق من رؤساء العساكر، إلى أن بلغ عددا كثيرا، لأنه كان شيخه ومؤدبه من صغره رحمه الله .

(1x) ما بين قوسين سقط من (ك)

دولة مولاي (1x) عبد الله الثانية

ولما فر مولاي علي من مكناسة، بايع العبيد مولاي عبد الله، وبايعه الوداية، وأهل فاس، والقبائل .(وتوجه العبيد بالبيعة للسلطان عبد الله بتادلة (14)، ولما بلغوه، قال لهم: «لا حاجة لي بهذا الملك المشترك مع سالم الدكالي»، وردهم ببيعتهم .

(مقتل سالم الدكالي)

وأما سالم الدكالي، فتوجه لزرهون مع شيعته من القواد الذين لم يبايعوا السلطان عبد الله) (2x)، ثم بعد ذلك كتب سالم الدكالي من زرهون لأهل (3x) فاس، يقول لهم:

- « إن الديوان اتفق على عزل عبد الله، وعلي، وبيعة سيدي محمد بن إسماعيل، والمشورة لعلمائكم .

- فأجابوه: نحن تبع لكم» .

فلما سمع أهل الديوان ذلك، خرجوا من المحلة، وتوجهوا لزرهون، فقبضوا على سالم الدكالي ومن معه من القواد، وتوجهوا بهم للسلطان عبد الله بتادلة، فاستفتى فيهم القاضي أبا (4x) عنان كان معه، فأفتى بقتلهم، فقتلوا . (15)

(تحرك مولاي محمد بن عريبة من تافيلالت لفاس)

وبلغ لسيدي محمد بن عريبة وهو بتافيلالت ما قال سالم الدكالي من بيعته، فظن صحة ذلك، وقدم للغرب . فلما بلغ صفرو، وجد الناس بايعوا السلطان عبد الله، فسقط في يده . فقدم لفاس خفية، واستخفى عند السيد عبد الرحمان الشامي بداره، كان صاحبه، ويتصلح عليه، ويعده (5x) بالملك .

(مقتل بعض أهل فاس ومكناس)

ولما بويع السلطان عبد الله، توجه له أعيان فاس وعلماؤهم وأشرافهم ببيعتهم، فوجدوه

(1x) ك مولانا .

(2x) ما بين قوسين زيد في طرة (د) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(3x) ك ولاهل .

(4x) د، أ، ز ابو . وفي (ك) " ابي " .

(5x) ج وعده .

بقصبة أبي فكران (16) . ولما وقفوا بين يديه، وبخهم وهددهم، وقبض على من كان هنالك من أعيانهم، فقتلهم . (17) وفعل مثل ذلك بأعيان أهل مكناسة، واستباح حرماتهم، [وقتل قائدهم] (1x)، وعزل قاضيهم أبا قاسم العميري (18) .

ورجع العلماء والأشراف، وولى عليهم محمد وعلي ويشي، فبقي بالقصبة، ولم يدخل لفاس خوفا على نفسه .

(خلع السلطان مولاي عبد الله)

واشتغل الوداية بنهب الطرقات، ويوم الخميس، أغاروا على سرح فاس كله، ولم يتركوا غنما ولا بقرا ولا بهائم، ونهبوا كل ما دخل لسوق الخميس . ولما وقع ذلك، اتفق أهل فاس، وتحالفوا على بيعة سيدي محمد بن إسماعيل، ومخالفة السلطان عبد الله، وذلك عام خمسين ومائة وألف (19) .

وفي هذا العام (2x)، مات السلطان مصطفى العثماني (20)، وتولى أخوه (3x) السلطان عثمان الثالث (21).

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

(2x) " العام " سقط من (ك)

(3x) " أخاه " في جميع النسخ المعتمدة

التعاليق والهوامش

(1) سورة البقرة الآية 237 .

(2) ورد في نهج البلاغة ص 575 .

(3) تمت بيعة العبيد لمولاي علي المشهور ب " الأعرج " ، يوم 28 ربيع الثاني 1147 هـ / 27 شتنبر 1734م .

نشر 3 : 370 . حوليات النشر ص 38 . التقاط ص 364 . الضعيف 1 : 208 . تقييد القادري ص 277 . الاستقصا 7 : 137 . الاتحاف 5 : 443 .

H . Terrasse . Histoire du Maroc 2 : 283

(4) " مسعود بن عبد الله الروسي " ، أحد كبار قواد مولاي علي على فاس وغيرها ، إلا أن اشتطاطه ومغالاته في التصرف مع أهل المدينة، كان مثار غضب السكان وتحركهم ضده . انظر المصادر السابقة (هامش 3) ما بعد الصفحات .

(5) انظر هامش 48 (الباب الرابع) .

(6) ربما كان المقصود " الأجرياء " جمع " جري " ، وهو العون، وقد ذكر القادري أسماءهم في حوليات النشر ص 38 .

(7) " غانم الحاجي " ، أحد قواد مولاي علي بن إسماعيل، قتل من طرف مولاي المستضيء كما سيأتي عند المؤلف .

(8) جل المصادر المتوفرة لدينا ، تتفق على أن خلع مولاي علي كان قبل حلول عام 1149هـ/ 1736م، فكيف يمكن أن يقوم بهذه الحركة في هذا التاريخ؟!

(9) بتادلة كانت بيعة مولاي عبد الله الثانية وذلك في ذي الحجة عام 1148 هـ / ماي 1736م نشر 3 : 380 . حوليات النشر ص 39 . التقاط ص 368 . الضعيف 1 : 212 . تقييد القادري ص 277 . الاتحاف 4 : 408 .

(10) أحد كبار قواد جيش العبيد، لعب دورا رئيسيا في الأحداث السياسية والعسكرية بعد وفاة مولاي إسماعيل . على يده بويع مولاي علي الاعرج ومحمد بن عريبة، إلا أنه كان ضد بيعة مولاي عبد الله، وبسبب ذلك أعدم في محرم 1149 هـ / ماي 1736م، بافتاء القاضي أبي عنان الشريف .

التقاط ص 368 وهامش 5 . الضعيف 1 : 208 . تقييد القادري ص 276 . الاتحاف 3 : 141

و 4 : 346، هذه الصفحات وما بعدها .

(11) " المكس " ، هو الضريبة التي يأخذها الجابي ممن يدخل البلد من التجار ، وتطلق في المغرب على الموارد المحددة في الشرع، كما تطلق على الضرائب التي قد تفرضها الدولة على الرعايا عند الضرورة .

المقصد الاحمدي ص 149 . التقاط ص 233، هامش 2

(12) انظر هامش 125 (الباب الثالث) .

(13) انظر هامش 51 في الباب السابع.

(14) انظر هامش9 (الباب الثامن).

(15) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث، انظر:

نشر 3 : 381 . الحوليات ص 39 - 40 . التقاط ص 369 . الضعيف 1 : 213 . تقييد القادري ص 278 . الاستقصا 7 : 142 . الاتحاف 4 : 408 .

(16) " أبو فكران " ، مركز استراتيجي هام بهضبة سايس، يقع على بعد نحو 15 كلم شرق مدينة مكناس، ويمر بها نهر يسمى " أبا فكران " .

S.I.H.M 1e S. Portugal T. 2P . 278

(17) كان ذلك في صفر 1149 هـ/ يونيه 1736م . وللمزيد من التفاصيل، انظر: نشر 3 : 392. حوليات النشر ص 40 . التقاط ص 372 . الضعيف 1 : 213 .

(18) " أبو القاسم بن سعيد العميري" ، فقيه وأديب وعلامة، كان قاضيا على مكناسة، وهو الذي حج صحبة خناثة بنت بكار زوج مولانا إسماعيل . توفي في جمادى الثانية 1178 هـ/ 1765م .

فهرس الفهارس 2 : 209 - 210 .

(19) الراجح أن خلع مولاي عبد الله وبيعة أخيه مولا ي محمد بن عربية كان في جمادى الأولى عام 1149 هـ / شتنبر 1736م، وهو ما ذكر المؤلف نفسه في الترجمان المعرب . انظر الجزء المطبوع ص 43 . انظر كذلك : نشر 3 : 393 . حوليات النشر ص 41 التقاط ص 373 . الضعيف 1 : 214 . الاتحاف 3 : 341 و 4 : 312 .

(20) السلطان المقصود هنا هو " أحمد الثالث " المتوفى عام 1149 هـ/ 1736م . انظر هامش 51 (الباب السابع) .

(21) السلطان العثماني الخامس والعشرون (1168 - 1171 هـ / 1754 - 1757م) . وقد تولى الملك بعد أخيه محمود الأول وليس أبيه مصطفى الثاني كما زعم المؤلف .

الباب التاسع
في
الرزق والحرمان (1x)

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الرجل ليحرم [الرزق] (2x) بالذنب الذي يصيبه . ألا ترى أن آدام عليه السلام كان في الجنة في عيش رغد، فأخرج منها إلى الدنيا بالمعصية التي كانت منه» (1) .

وقال علي: « إذا غضب الله على أمة، غلى أسعارها، ولم تربح تجارتها، ولم تزك ثمارها(3x)، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وغلب عليها (4x) أشرارها » .

قال موسى عليه السلام في مناجاته : « يا رب، لم ترزق الأحمق وتحرم العاقل؟

قال : ليعلم العاقل أنه ليس في الرزق حيلة لمحتال» .

قال محمد بن سابق (2) :

فكم قوي قوي في تغلبه ... مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف

وكم ضعيف ضعيف في تقلبه ... كأنه من خليج البحر يغترف

/ 60د/ هذا دليل على أن الإله له ... في الخلق سر خفي ليس ينكشف

(1x) ج، ك والشؤم .

(2x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(3x) " تزك ثمارها " سقط من (ب) .

(4x) " وغلبها " في باقي النسخ المعتمدة .

وقال ابن الراوندي (3) :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه — وجاهل جاهل تراه (1x) مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة — وصير العالم النحرير زنديقا

فأجاب عنه (2x) من قال :

نكد اللبيب وطيب عيش الجاهل — قد أرشداك إلى طبيب كامل

وقال علي كرم الله وجهه :

كم من أديب كامل عقله — مستكمل العقل مقل عديم

ومن (3x) جهول مكثر ماله — ذلك تقدير العزيز العليم (4)

وقال أبو جعفر الكاتب (5):

والمرء يرزق لا من حيث (4x) حيلته — ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي

قال " بزر جمهر" : « وكل الله الحرمان بالعقل (5x)، والرزق بالجهل، ليعلم أن (6x) لو كان الرزق بالحيلة، لكان العاقل أعلم بوجوه مطلبه، والاحتيال لمكسبه » .

وقال المتنبي (6) :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله — وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم (7)

وقال الطغرائي (8) :

الجد يدني كل أمر (7x) شاسع — والجد يفتح كل باب مغلق

(1x) " تلقاه " في باقي النسخ المعتمدة .

(2x) ب فأجابه .

(3x) ج وكم .

(4x) " حيث " سقط من (ب)

(5x) " بالعقل " سقط من (ب) .

(6x) " ليعلم أن " سقط من (ك) .

(7x) ك امرئ .

فإذا سمعت بأن مجدوداً حوى ... عوداً فأورق في يديه فصدق

وإذا رأيت بأن محروماً أتى ... ماء ليشربه فغاض فحقق

وقال الحمدوني (9) :

تموت الأسد في الغابات جوعاً ... ولحم الطير يطرح للكلاب

وخنزير ينام على فراش ... وذو أدب (1x) ينام (2x) على التراب

وقيل :

إن الزمان لتابع للأنذل ... تبع النتيجة للأخس الأرذل.

(1x) ك أديب .

(2x) ك ينوم

دولة سيدي محمد بن إسماعيل

(مبايعة أهل فاس مولاي محمد بن عريبة)

ولما خالف أهل فاس على السلطان عبد الله، أخرجوا سيدي محمد بن عريبة (10) من دار الشامي، وتعاهدوا معه، وقوموا له كل ما يحتاج إليه من خيل وسلاح وآلة (1x) . وبايعوه في عاشر جمادى الأولى من عام خمسين ومائة وألف (11)، وكتبت بيعته في خامس عشر الشهر .

ونزل عليها الفقهاء، وامتنع بعضهم (12)، وقالوا: « بيعة عبد الله في أعناقنا » . فعزلوا عن الخطط وامتحنوا. وكتب أهل فاس للعبيد بالديوان يعرفونهم بما فعلوا، ويطلبون موافقتهم، فأجابوهم بالموافقة، وبايعوا ابن عريبة . وفر السلطان عبد الله لجبل البربر، وأقام عندهم . وفتحت أبواب فاس، ودخل السلطان فاسا الجديدة .

(تجديد البيعة لمولاي محمد بمكناسة)

ومن الغد توجه لمكناسة، وبايعه العبيد البيعة العامة (13)، وقدمت عليه الوفود بهداياهم، وفرق على العبيد ما عنده من المال / 61 د/، فلم يقنعهم ذلك، وأطلق أيدي النهب في المسلمين.

واشتغل (2x) بنهب الزرع من دور أهل مكناسة، والبحث عنه في الأهرية (14) والمطامير (15)، ومن ذكر له أن (3x) عنده زرعا، يقبضه إلى أن يظهر ما عنده. وكل من أتى بزرع من أهل البادية يوخذ له . وكثر الهرج والفتنة، وفر الناس من المدينة وامتدت أيدي النهب من خارجها، فانقطعت (4x) السبل .

(إغارة مولاي عبد الله على مكناسة)

ثم إن السلطان عبد الله الذي فر للبربر، جاء ليلة في أصحابه، ودخل الاسطبل وقتل من وجد به من العبيد، وأحرق نوائلهم .

ولما بلغ الخبر لسيدي محمد، أمر بركوب الجند (5x)، وقصد السلطان عبد الله بالحاجب فلما رأى العساكر مقبلة، هرب وترك أبنيته ومحلة أصحابه، فنهبها العبيد، وتبعوه إلى أن توغل

(1x) " حرب " بعد " آلة " في (ب) .

(2x) " هو " في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) " ان " سقط من (ب)

(4x) ك فانطلقت .

(5x) ج، ك الجيش .

في الجبل، ولم يقفوا له على أثر. ولما بلغوا ملوية، رجعوا فاعترضهم البربر، وحاربوهم فهزموهم وأخذوا أثقالهم . (16)

ولما بلغوا صفرو، وجه سيدي محمد بن عريبة العبيد لأهل المزادغ (17) وتلك القرى (18)، فقتلهم ونهبهم، وأمر بقطع رؤوسهم وتوجيهها لفاس يوهم أنهم رؤوس البربر .

(أمر السلطان بجمع الأموال من فاس ومكناس)

ووجه أخاه الوليد لفاس، وأمره أن يقبض المال من أشراف فاس (1x)، فمن أعطى يجلس بداره (2x)، ومن أبى، يخرجوه للحركة، فتحير الناس . ولما قدم لفاس، قبض على الحاج بوجيدة برادة كان مثريا، فقتله، وأخذ أمواله وباع أصوله . ثم قبض على الحاج عبد الخالق عديل، فأخذ ماله (3x) . ثم تسلط على أهل الزوايا، وكل من ذكر له أنه من أهل اليسار، إلى أن أكمل غرضه. وتوجه لمكناسة، ففعل بأهلها كذلك، حتى لم يسلم منه أحد، والناس، في محنة عظيمة من المجاعة والفتنة، ونهب الدور ليلا، لا ينام أحد من أهل اليسار، وكل الناس رجعت لصوصا .

والوداية يعيشون (4x) في أطراف المدينة والأجنة، ويغيرون على القصارين بوادي فاس . وبعد أن صاروا يقصرون الكتان بمصمودة (19)، أخذوه لهم، وأخذوا القفل من الفنادق .

والسلطان معرض عن هذا، لا (5x) يلتفت إليه . ولقد مات من الجوع عدد لايحصى، وخبر صاحب المارستان أنه كفن في رجب وشعبان ورمضان ثمانين ألفا وكذا من غير من يكفنه أهله (20) .

(استطراد :ضعف الدولة العلية خلال النصف الثاني من ق12 هـ)

وفي هذا العام، مات السلطان مصطفى (21)، وتولى السلطان عثمان بن أحمد (22)، ولم تطل مدته، وقتلوه وبايعوا أخاه السلطان محمود بن أحمد (23) .

وكانا معاصرين للسلطان محمد بن عريبة وللسلطان المستضيء، وكانت أيامهما أيام نحس مستمر على المسلمين، كلها فتنة وهرج ومجاعة، استولى فيها الكفار على بلاد الاسلام، واستردوا ممالكهم وتشوفوا لاسترجاع بلادهم كلها .

(1x) ك الناس .

(2x) " بداره " سقط من (ب)

(3x) ك أمواله

(4x) د يعيشوا .

(5x) ك ولا .

واستمرت هذه الفتن والهرج إلى أن بويع السلطان مصطفى بن أحمد (24) سنة واحد وسبعين ومائة وألف، وهي السنة التي بويع فيها السلطان سيدي محمد رحمه الله . فانظر الى هذا الاتفاق الغريب .

وفي أيامهما أيضا (1x)، خالف عليهما صاحب مصر علي باي، جن وشق العصا، وضرب السكة باسمه، وخطب لنفسه . وكذلك صاحب الشام الظاهر بن عمر، دعا لنفسه وخلع طاعة الدولة العثمانية بسواحل الشام ومراسيه، وتظافر مع صاحب مصر .

(استطراد: حرب السبع سنوات بين اجناس النصارى)

وفي ذلك الوقت، وقعت الفتنة العظمى بين أجناس الإفرنج من جنس الإنجليز في البحر، ودخل في حزبهم الاسبنيول، وقصدوا جبل طارق بعمارتهم، وحاصروه برا وبحرا سبعة أعوام. وقطعوا عنه المواد حتى لا يخلص له الطير .

وفي أثناء الحصار، أخذوا له جزيرة ميورقة (25)، واستولوا على مدينتها العظمى التي كانت / 62 د / تأوي إليها مراكبه في البحر الأخضر وهي « برطماعون» (26)، وملكها الفرنسيس وأعطاها للاسبنيول، فعمرها إذ هي قريبة من بلاده . وأما جبل طارق، فامتنع عليهم، ووقع الصلح بين الأجناس سنة واحد وسبعين المذكورة .

(خلع السلطان مولاي محمد بن عريبة)

رجوعاً إلى خبر ابن (2x) عريبة: واستمر الحال على ذلك، إلى رابع عشرين صفر، عام واحد وخمسين ومائة وألف، فقبض العبيد على سيدي محمد بن عريبة، وقائده على فاس الشريف القائد عبد المجيد المشامري (3x)، (و صالحه عبد الرحمان الشامي) (4x)، وسمروا عليهم أكبالا.

ووجهوا جريدة من الخيل يأتون بمولاي المستضيء من تافيلالت، فتوجهوا له . وأخرجوا سيدي محمد بن عريبة بعياله من دار الملك (27) إلى داره التي هي (5x) على وادي ويسلان بجنان حمرية، فأقام بها، ورتب له العبيد من يحرسه إلى أن يأتي له (6x) المستضيء.

(1x) " أيضا " سقط من (ك)

(2x) ب أبي .

(3x) ك الشامي .

(4x) ما بين قوسين سقط من (أ) (ب) .

(5x)" هي " سقط من (ج) (ك)

(6x) " له " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

وهكذا وقع للسلطان عثمان الثالث (28) المعاصر له، لما بويع حجبوه لما ظهر من جوره وانهماكه (1x)، وآخر الأمر (2x) قتلوه.

[ومثلهما هذا المستضيء في الجور والشؤم والحرمان] (3x) .

(1x) ج وانهماكهم .

(2x) ك ثم وآخر .

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

التعاليق والهوامش

(1) طرة في (ز) : « في هذا من عظم الادب مع هذا النبي الكريم مالا ينكره مسلم . ومن طالع ميزان الشعراني، أيقن بأن نبي الله آدم عليه السلام ما عصى الله، فراجعه ولا بد . وما في القرآن، نقول فيه « للسيد أن يخاطب عبده بما شاء » .

(2) لم أستطع - بعد البحث الكثير - ضبط هذه الشخصية وقد وردت هذه الأبيات باختلاف في اللفظ في «تحفة الإخوان» . ص 65.

(3) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الاصبهاني المعروف بابن الراوندي كان من متكلمي المعتزلة، ثم فارقهم وصار ملحدا . توفي سنة 245هـ أوبعد ذلك حسب اختلاف النصوص . البستاني، دائرة المعارف، بيروت 1876، المجلد 1، مادة ابن الرومي، وروايته :

"... ترك الأفكار حائرة..." . وعن ابن الراوندي، انظر : ابن خلكان، وفيات الاعيان 1: 94- 95. الترجمة 35 .

(4) ديوان علي ص 54 . وروايته " كم من أديب فطن عالم ... " .

(5) لعله يشير إلى " أبي جعفر أحمد الكاتب " الوزير الاديب . اشتهر في بداية القرن السادس للهجرة . له " رسالة الانتصار " في الرد على صاحب المقامة القرطبية .

بروكلمان، تاريخ الادب العربي 5 : 141 - 142 .

(6) انظر هامش 6 (الباب السابع) .

(7) ديوان المتنبي 4 : 318 .

(8) هو أبو اسماعيل الحسين بن علي المشهور بالطغرائي، الأديب الوزير، صاحب " لامية العجم " (453 هـ - 515هـ). له ديوان قام بتحقيقه علي الطاهر ويحيى الجبوري، تم طبعه بالكويت عام 1983 . ولا أثر فيه للأبيات التي نسبها إليه المؤلف. وهي للإمام الشافعي، انظر ديوانه تح البقاعي، وروايته: " .فأثمر في يديه فصدق .."، " ...وإذا سمعت بأن محروما أتى .." .

(9) هو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه المعروف بالحمدوني . انظر عنه "زهر الآداب " 2 : 556 وما بعدها. ويبدو أن البيتين للإمام الشافعي، انظر ديوانه، تح البقاعي، ص 26، وروايته:

".. ولحم الضأن تأكله الكلاب.. " ، " .. وعبد قد ينام على حرير وذو نسب مفارشه التراب". .

(10) هكذا ورد اسم مولاي محمد في كثير من المصادر التاريخية مثل حوليات النشر، وتقييد القادري، والجيش العرموم، والاستقصا، والاتحاف، وفي مصادر أخرى نجد: « عربية ».

(11) انظر التعليق 19 (الباب الثامن) .

(12) هؤلاء المتنعون، ذكرهم ابن زيدان في الاتحاف 3 : 141 - 142 .

(13) تم تجديد البيعة بمكناس في 21 جمادى الثانية 1149 هـ / أكتوبر 1736م .

(14) الصواب " الأهراء "، جمع " هري "، وهو مخزن لجمع بعض المواد الغذائية كالحبوب والمجففات والمرقدات وغيرها .

(15) جمع " مطمورة "، وهي حفيرة كبيرة تحت الأرض تخزن فيها الحبوب والزيتون وبعض الفواكه ونحوها .

(16) انظر تفاصيل هذه الاحداث في نشر 3 : 395 . حوليات النشر ص 43 . التقاط ص 374 . الضعيف 1 : 215 . الاتحاف 3 : 143، هذه الصفحات وما بعدها .

(17) يقصد أهل " مزدغة " وهي بلدة صغيرة في سفح الاطلس المتوسط غربي مدينة صفرو. انظر بيوتات فاس الكبرى ص 8 .

(18) وهي " صنهاجة، والبهاليل، وعزابة، وموجو، وأولاد عباد " .

تكملة من الترجمان المطبوع ص 44 .

(19) أحد احياء مدينة فاس بعدوة الاندلس .

(20) للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر: نشر 3 : 395 . حوليات ص 43 . التقاط ص 375 . الضعيف 1 : 216 . الاتحاف 3 : 143 . و 4 : 414 . هذه الصفحات وما بعدها .

(21) انظر هامش 20 (الباب الثامن).

(22) انظر هامش 21 (البابالثامن).

(23) لا شك أن المقصود هو محمود بن مصطفى الثاني السلطان العثماني الرابع والعشرون، لاما ذكر المؤلف . وقد حكم فيما بين 1143 و 1168 هـ / 1730 - 1754م.

آصاف ص 127 . تاريخ الدولة العلية ص 147 وما بعدها .

(24) وهو السلطان العثماني السادس والعشرون المعروف ب " مصطفى الثالث"(1171 - 1187 هـ / 1757 - 1774م) .

انظر المصدرين السابقين (هامش 23) ما بعد الصفحات .

(25) " ميورقة " "(Majorque-Mallorca) اكبر وأهم جزر البليار مع "منُورقة " و" إيبيزا " ،

تسامتها من القبلة بجاية، ومن الجوف برشلونة، تبلغ مساحتها حوالي 3624 كلم2 .

الروض المعطار، مادة " ميروقة " . النفح 4 : 207 وما بعدها .

la grande encyclopédie du monde . Article " les Baléares "

(26) يقصد (Port Mahon) ، وهي مدينة كانت تحت سيطرة الانجليز منذ سنة 1713م وقد استرجعها الاسبان عام 1783م .

Arch . Mar . T . 2 P . 335 et N 1

(27) تم خلع مولاي محمد بن عريبة على يد القائد " الحوات " وذلك في متم صفر 1151 هـ/ يونيه 1738م .

نشر 4 : 14 . حوليات النشر ص 59 . التقاط 382 . تقييد القادري ص 278 . الضعيف : 224 . الاتحاف 3 : 147 و 4 : 420 .

(28) انظر هامش 21 (الباب الثامن) .

الباب التاسع [أيضا] (1x)
في
الشــؤم والـظـلـم (1)

وما يتعلق بهما، وما وعد الله به الظالم (2x) من تعجيل العذاب في الدنيا وعذاب الآخرة، وسوء الأحدوثة بين الخلق.

قال عليه السلام: « من أثنيتم عليه خيرا، وجبت له الجنة » (3x) (4x).

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(2x) أ، ب للظالم.

(3x) ب والعكس بالعكس.

(4x) ما بين قوسين، زيد في طرة (أ) بتصحيح، وسقط من (ز) (ج) (ك).

دولـة مولانا المستضيء بن إسماعيل

(بيعة مولاي المستضيء)

ولما قبض العبيد سيدي محمد بن عريبة، بايعوا مولاي المستضيء(2)، وكتبوا ببيعته (1x) للآفاق، (ولما بلغ صفرو، لقيه أعيان أهل فاس وعلماؤهم وأشرافهم ببيعتهم) (2x)، وقدموا معه لفاس الجديد . فولى عليهم القائد أحمد الكعيدي، والحال ما حال، والظلم مازال، وولى عليهم الكعيدي خليفته شعشوع اليازغي . وتوجه السلطان لمكناسة، ولما بلغها، بايعه العبيد البيعة العامة، ووردت عليه القبائل بهداياهم .

ثم وجه أمره لفاس الجديد أن يحضر أعيان فاس لقراءة كتابه، ففروا ولم يحضر منهم إلا نحو العشرين، قبضوا وسجنوا بفاس الجديد، ووظف عليهم مالا كثيرا لا يقومون به .

ثم وجه لفاس سيدي محمد بن عريبة مكبلا يتوجه لسجلماسة يسجن بها، ووجه قائده عبد المجيد المشامري، [وصالحه عبد الرحمان الشامي، يسجنان بفاس الجديد، ونهبت دار المشامري] (3x)، فعذب إلى أن مات تحت العذاب، ومثل به .

(السلطان يجمع الأموال من مكناسة)

واحتاج إلى المال للعبيد، فاشتغل بالبحث على ما في المخازن الإسماعيلية التي لم يلتفت إليها أحد من الملوك مثله (4x)، فوقع على خزين من الحديد، فأخرجه وباعه. ووجد الخزين الكبير فيه آلاف من قناطير الكبريت فباعها. ووجد ملح البارود (5x) والشب والبقم (6x) (3)،كان يأتي ذلك من الغنائم فباعه. واقلع شراجيم (7x)(4) الشطرنجية التي كانت من النحاس المذهب والدرابيز التي عن يمينها وشمالها من الحديد من باب الرخام إلى قصر مولاي يوسف، فألزم أهل الذمة (5) بثمنهم، فغرقوا .

(1x) ب بيعته .

(2x) ما بين قوسين سقط من (ب) .

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(4x) ج، ك قبله .

(5x) ك البروض .

(6x) ج البقام .

(7x) " سراجيم " في باقي النسخ المعتمدة .

ثم أنزل المدافع النحاسية التي بالأبراج فكسرها وضربها فلوسا، فما أغنى ذلك (6).

(استطراد: بعض أخبار أحمد بن إبراهيم العثماني)

وهكذا وقع في دولة السلطان أحمد بن ابراهيم العثماني (7)، فإنه لما تولى الخلافة، لم يجد مالا، فكلف وزيره مصطفى باشا بإخراج ما في الخزائن من الدخائروالأمتعة والسلاح المجوهر، والسروج المنبتة، والأواني المذهبة، وكلما في دار (1x) الملك، وأخذ جميع ما عند عبيد الدار والأغوات (8) والجواري، وضرب ذلك كله، وحيث لم يكف ذلك كله (2x)، كسر المدافع النحاسية وصيرها سكة، وروجها رغما على الناس/ 63 د/ وهو أول من ضرب سكة النحاس الأحمر وموهها بالفضة، واستمرت على ذلك إلى الآن، وليس في سكتهم إلا وزن الربع من الفضة، وثلاثة أرباع (3x) نحاس أحمر، ولا يمكن لأحد أن يردها للطابع السلطاني الذي بها . انتهى .

(ايقاع السلطان بالحجاوة من بني حسن)

ثم شرع المستضيء في القتل وسفك الدماء، فقتل كذا وثمانين من بني حسن . (9)

(السلطان يأمر بجمع الأموال من أهل فاس)

وسلط العذاب على مساجين أهل فاس ليدفعوا المال، فدفعوا ما قدروا عليه، ثم أمر بقبض أشراف فاس ليشتروا أصل المساجين (10)، وعذبوا إلى أن دفعوا بعض المال. ثم قبض على العراقي الذي بجرنيز (11) على مال أودعته (4x) عنده خناثة بنت بكار، فضربوه وامتحنوه .

ثم ولى مولاي عمر الامراني، كان معه على فاس، ووجه خليفته ابن زيان الأعور، وكلفه بقبض مال الأشراف وامتحانهم، فقدم واشتغل بالظلم، وضيق على الأشراف وعذبهم. وكان مولاي عمر يأمره بذلك، حيث نهبت داره أيام سيدي محمد بن عريبة، ولم يتكلم أهل فاس عليها، فصار ينتقم منهم لذلك .

ثم أمر المستضيء بقبض ابن زيان، ويطاف به على حمار وهو يقول: « هذا جزاء من يضر بالأشراف» (5x)، ففعل به ذلك وقطع رأسه، وعلق بباب المحروق . وبقي الأشراف في العذاب . ثم أمر بمساجين أهل فاس، فتوجهوا له في السلاسل، فقتلوا بباب القصبة كلهم . وأمر بإخراج ولد مامي من ضريح مولانا إدريس، ولما بلغه، قتله . وأسرف في القتل والظلم، وأراد أن يتشبه بأخيه عبد الله الذي جرد السيف، وبسط الكف، وغطى سخاؤه عيوبه . (12)

(1x) " ذلك " بدل " دار " في (ب) .

(2x) " كله " سقط من (ج) (ك) .

(3x) " الأرباع " في باقي النسخ المعتمدة .

(4x) ب وضعته .

(5x) أ، ز، ج، ك يضر الأشراف .

(استطراد: بعض أخبار المتقي العباسي)

(ومثل ما كان يفعله ابن زيان الأعور صاحب مولاي (1x) عمر الامراني (2x) وزير المستضيء، وقع مثله ببغداد على يد وزير ابراهيم المتقي [الخليفة] (3x) العباسي (13)، فإنه باع اللصوصية لجرير اللص بخمسة وعشرين ألف دينار في الشهر (4x)، فكان يأتي ليلا بالمشعل والشمع في جمع من أصحابه إلى بيوت التجار، ويستخلص منهم الأموال (5x)

وكان أمير الأمراء (6x)، " توزون التركي "، فقام على المتقي (7x)، ففر منه إلى الشام . واجتمع عليه بنو حمدان أمراء الجزيرة، وقدم عليه محمد بن طغج [الاخشيدي] (8x) (14) أمير الشام (9x) ومصر، وطلباه أن يقيم ببلادهما (10x)، فكتب له توزون، وخدعه بالحلف والعهد، فرجع لبغداد، ولما ظفر به توزون قتله .(15)) (11x) (16) .

رجوعا (12x) : وأما المستضيء، فكان بخيلا ظلوما، سفاك الدماء (13x)، مهزوم اللواء حيث ما توجه .

(انهزام محلة السلطان بفازاز)

ثم خرج لحركة فازاز (17)، ومعه العبيد والوداية وأهل فاس، فرجع مهزوما، ومرض، وكتب لأهل فاس أن يزينوا المدينة كأنه غلب، فزينت. و (14x) بعد أيام زينت لصحته.

(مقتل بعض القواد)

ثم قتل القائد غانم الحاجي، والقائد سعدون قائد مكناسة، وستة من أولاد "الزاتمي" أصحاب السجن .

(1x) " هذا على يد مولاه " بدل " الأعور صاحب مولاي " في (أ) (ب)

(2x) ب المدني .

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د) (ز) (ج) (ك) .

(4x) أ، ب ببغداد .

(5x) أ، ب المال .

(6x) أ، ب أمرائه .

(7x) أ، ب عليه

(8x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(9x) " الشام " سقط من (أ) (ب) .

(10x) أ، ب عندهما .

(11x) ما بين قوسين سقط من (ز) (ج) (ك)

(12x) " رجوعا " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(13x) " سفاكا للدماء " في باقي النسخ المعتمدة .

(14x) " ثم " في باقي النسخ المعتمدة .

ثم إن السلطان عبد الله الذي عند البربر، أمرهم بنهب الوداية والطرقات، فمدوا أيديهم لذلك، وانقطعت السبل .

وكان زين العابدين مسجونا عند المستضيء، فأمر بإخراجه، وضربه وامتحنه بين يديه إلى أن أشرف على الموت، وبعث به مقيدا لتافيلالت مع شرفائها . فبعث العبيد من رده، وسرحوه ووجهوا به لبني يازغة للقائد أحمد الكعيدي، وأمروه أن يتركه عند ه مسرحا . وهذا من قلة مروءته، لم يسمع بملك ضرب أخاه بملأ (1x) من الناس، وفضحه . وقانون بيت أهل المملكة، السجن (2x) والقتل، وأما الضرب فليس من أخلاق أهل الهمم العالية .

(إيقاع أحمد بن علي الريفي بأهل تطوان)

وفي هذه الأيام، ورد الخبر أن أحمد بن علي الريفي دخل تطوا ن (18)، ونهبها، وقتل من أعيانها نحو الثمانية، وهدم أسوارها، ووظف على أهلها مالا عظيما بأمر المستضيء، حيث لم يقبلوا ولايته عليهم . وكان حرك لهم في أيام أحمد الذهبي (19)، وهزموه، فوشى بهم للمستضيء، وقال له (3x) : « إنهم شقوا العصا وخالفوا » . فأمره بالمسير / 64 د/ إليهم .

(سبب إيقاع الريفي بأهل تطوان)

والسبب الحقيقي الذي حمل أحمد بن علي على قصدهم، منازعته مع أمير تطوان الفقيه الأديب السيد عمر الوقاش (20)، الذي ولاه السلطان إسماعيل حكومة تطوان، وهو الذي كان كاتبا معه . ولما كبر سنه، ولاه على إخوانه بتطوان . وكان على أدبه طائش العقل . ولما حرك لهم الباشا أيام الذهبي، ودخل تطوان على غرة من أهلها، وتداركوا أمرهم، وحاربوه مع أميرهم الوقاش المذكور إلى أن أخرجوه [من المدينة] (4x)، وقتلوا من إخوانه عددا كثيرا .

فكان أحمد بن علي يتربص بهم الدوائر مع ما أسفه (5x) به عمر الوقاش من ذكره أهل الريف بإدبار أيامهم في قصيدة نظمها، يفتخر فيها (6x) ويتبجح عليهم وعلى أهل فاس وغيرهم، ويصف نفسه بما ليس فيه وما يصل إليه أمره على كبر سنه، فضح نفسه بها، وعرف الناس بحمقه، وأطلعهم على مكنون سره، وهي هذه، نذكر منها ما يليق ذكره ويحتمل:

(1x) ج، ك في ملأ .

(2x) ك " والضرب "، ولا شك أنها جرة قلم من الناسخ .

(3x) ب لهم .

(4x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(5x) ك أسفله .

(6x) " فيها " سقط من (ب) .

(قصيدة الوقاش في الافتخار بنفسه)

بلغتُ من العليـاء مـــا كـنـتُ أرتجـي ... وأيـامنـا طابت وغنّى (1x) بهـا الطيـرُ
ونـادى البشيرُ مفصحاً ومصرحـاً ... هلـم أبـا حـفصٍ فـأنت لها البـدرُ
نهضتُ مجيبا للندا راقصـاً بـهـا ... ومـا راعني إذ ذاك زيدُ ولا عـمـروُ
شـرعتُ بحمـدِ اللـه للمُلك طـالبـاً ... وقلتُ وللمولى المحـامـدُ والشكـرُ
أنـا عـمـرُ المذكورُ إن كنتَ جاهلـي ... فسَلْ تجِد التقـديمَ ليَ ولا فخـرُ
أنا عمرُ الموصوفُ بالجودِ والسَّخا ... أنا عمرُ المذكُور في وَرَدَ الجَفْرُ (21)
ظهرتُ لأحميَ الدينَ بعد اندراسه ... فطوبى لمَنْ أمْسى يُحادي له الأمرُ
ولم يبقَ مُلْك مستقر بغَرْبنا ... وعندي انتهى العلمُ المبرح والسرُّ
أنا عمرُ المذكورُ في كل غـمرةٍ (2x) ... أنا البطَلُ المِقدامُ والعالمُ الحَبرُ
ضبطتُ البلادَ وانتهيتُ لـغيرها ... وعمًّا قريبٍ يعظُم الجاهُ والقدْرُ
فـفَرْطوطُ والرَّحمونُ (3x) والقُوط عصبَتي ... وراغونُ كنزي والطغيرُ (4x) به الظفرُ
أولئك أنصاريٍ وأربابُ دولتي ... وأهلي وأصهاري همُ الأنجمُ الزهرُ
وقد دام بالدِّيمان مجدي وسُؤددي ... وفخريَ باللبادى بـادٍ كما الفجرُ
هلالٌ بدا لما هلالٌ أجابني ... وغيلانُ (5x) إذ لبّى به وفر الوفرُ
ودولةُ أهلِ الريف منا تمزقت ... فلم يبق بالتحقيقِ عندي لها جَبْرُ
أذقْناهم لمَّا انْثَنَوا شرَّ بأسِنا ... فـآبوا سِراعاً والصوارمُ والسمرُ
تقدُّ الأكف والسواعدَ منهمُ ... هنيئاً بخيرٍ للأنام بنا البِشرُ
بخف حُنيْن باء عنا كبيرُهم ... وذكريَ مغمور به البرُّ والبحرُ (22)
وجئت بعدلِ للعمَرَيْن تابعاً ... أنا الثالث المذكورُ بعدهما وترُ
فمنْ ذا يُضاهيني ومالي وافرُ ... وذكريَ مغموربه البرُّ والبحر(23)

(1x) " وغن " في باقي النسخ المعتمدة .
(2x) ج، ك عمدة
(3x) ب والحمون
(4x) ب والصبر
(5x) ك وهيلان .

هذا ما يحتمل أن يذكر منها، وما بعده لا يكتبه فاضل، ولا يسمعه عاقل .

(رد ابن بجة الريفي على قصيدة الوقاش)

وقد أجابه عنها (1x) الفقيه الأديب السيد محمد بن بجة الريفي العرايشي بهذه القصيدة التي أولها :

في صفحةِ (2x) الدهرِ قد خُطَّت لنا عِبَرُ　　منها ادعاءُ الحمارِ أنهُ بشرُ
من فرَّ (3x) عنه الصِّبا وما رأى عجبا　　خبَّره بعُجابِ دهرِه الكِبَرُ
لا تطعمنَّك الدجاجيلُ بِزَرْقَشَةٍ　　ليس الضَّلالُ هُدًى ولا العَمَى بصرُ
/ 65 د / ولا الثَّرى كالثُّريَّا في ترقُّقها　　وإنْ تكنْ كاسمها ولا الدُّجا قَمَر
ولا الذي لم يزل في الغَيِّ مُنْهمكاً　　وإنْ دُعِيَ عمراً أهوَ الرَّضِيِّ عُمرُ
تنضافُ للمجد والهزلُ البشيعُ بِه　　عرف قدرك إذ أوْدى به البصرُ
ماوجهُ كونكَ مثلُ العمريْن وقد　　فرَّ الحديثُ فرارا عنك والسُّوَر(4x)
ليس التشبهُ بالعُمَرَينِ قصدُك بل　　تبغي النبوءةَ لولاَ الصارم الذكَرُ
ولوْ تعَامى الورَى عنكَ بأنْ غفلُوا　　لجاءَنا بالتنبِّي في غدٍ خَبَرُ
لكانَ أولى بأن تُدْعى (5x) مُسَيْلَمَةَ　　أو المسيحَ الكذوبَ لو طرى عورُ
هلْ أنتَ إلا كَصَارٍ حولَهُ ذهبٌ　　فقُلتَ عن سفهٍ كلاهما حَجَرُ
جعلتَ علمَك إذ تهْدي به شركاً　　كيْ مَا يحصُلَ من مرغُوبِكَ الوَطَرُ
وكنتَ تسْعى إلى العلْيا لتدرِكَها　　ثمَّ انسلخْت ككلْبٍ حظُّه القذرُ
إنِّي لبَلْعَام أنْ يرضىَ ببيعَته　　وما درُّ اللؤم أن يخلُوَه الكَدَرُ
وأيُّ فخرٍ وفضلٍ ثمَّ أيُّ ندى　　لراحَ غمر يرى تقبيلَها الخمْرُ
أصبحتَ مثلَ الحما المسْنُون بعد صدًا　　من فوق (6x) صفوته أزلقَها المطرُ
لاغروَ إنْ كنتَ في تطوانَ ذا أُفُقٍ　　في معشرٍ هَمَجٍ جلُّهم بقرُ

(1x) " عنها " سقط من (ب) .
(2x) ك صحفة .
(3x) ب مر.
(4x) ك والصور .
(5x) ب يدعى .
(6x) ك بعد .

أراكَ مثلَ دخَّان الجو يرفعُه — رأيٌ كذوبٌ وفي الأبصار مُحتقَرُ
أنحسْتَ (1x) قومَكَ إذ طَلَعْتَ ذا زُحلٍ — فأمرُهم (2x) مذْ بزغْتَ بَيْنهم زُبَّرُ
هلاَّ لَهاكَ عن الغراءِ أربعةٌ — حوتٌ وكُزبرةٌ والثومُ والخضَرُ
لكنتَ نزَّهت، فاساً أنْ تمْضمضَها (3x) — بذكركَ السوءِ يا مَمْقوتُ يا غَدرُ
من أنتَ حتَّى يراكَ الناسُ مَشورَةً — هلْ أنت إلا كقرِدٍ حولَهُ زُمَرُ
أنستشيرُ ونهدي في مسالكنَا — بأخْيَرَ من كضب رُشْدُه خَطَرُ
تعيبُ فاساً وما حوَتْه من بطلٍ (24) — وفضلُها في الورَى ما ليْسَ ينحصرُ
لم نفتخرْ أبداً على الورَى شمماً — وقد يحقُّ لَنا نعلُو ونفتخرُ
أقرَّ كلُّ هزير (4x) أننا أسُدٌ — ليسَ لغيرِ إلاه (5x) الكونِ نفتقرُ
مَنْ خاضَ بحرَ الوغا منكُم وكافحَهُ — وردٌ جيشاً أتَى كالسيْلِ ينهمرُ
وردٌ عنكمْ خزايا كنتمْ غرَضاً — لسهمها لم تَزَلْ ولو قضى العمرُ
وصدٌ بالبيضِ والسمرِ على رغم — عنَّا جراداً من الأبطالِ ينتشرُ
جالدَنا عن حضرةٍ حتَّى غدَتْ حُرُماً — لكُلٍّ حرِبها ظِلٌّ ومسْتَتَرُ (6x)
ليسَ بأنفُسنا ولا بأسيافنا — لاكنَّا ننتصرُ اللهَ فننتصرُ
والأولياءُ الذين حولَنَا مددٌ — كنزٌ لديْنا من الرحمانِ مُدَّخَرُ
فإن يمدَّ العدى لنا حبالَهُم (7x) — لُذْنا إلى جانب الله فَتَنْبَترُ
وأنتُمْ تبعدُونَ عنهُمْ جُنُفاً — لدَى انكساركُمْ ما لَيْس يَنجبرُ
ما أنصفَ النَّاسُ أهلَ الريفِ وابنَ عليٍّ — لمَّا عفَوا عنكُم حلماً وقد قَدرُوا
لولاَ انثنَوا عنكُم والحِلْمُ شيمَتُهُم — لم يبقَ في الفحْصِ (8x) من خُبثِكم ضررُ

(1x) ب وانحست .
(2x) ك فامرك .
(3x) ك تضمضمها .
(4x) ب هزيز .
(5x) ج الاله .
(6x) هذا البيت سقط من (ك) .
(7x) ج جهالهم .
(8x) : ، ج، ك الحفص .

/66 د/ فــــررتُم أينَ تبْغُون وقـــدْ علقَتْ بكُم بـرَاثـِنُ أسْد فِي الـوغَى صُبـــــــرُ
فَلاَ يقــــيكمْ ذمـــامُ المُشـــركين وَلا بُنيــــانَ فـي ســــبــــتَةَ كَلا ولاَ وزَرُ
أخـــــبثْ بمَنْ يتَّخذ أهلَ الصليبِ لهُ دُونَ الهُدَى أوليـاءِ النصـر لا انتـصـرُ
يا راكـــضـــاً نحـــوَ تطوانَ على مَهلٍ (لا بدَّ يرمي بهـــا اقـــدامك السَّفَرُ
بلّغ إلى عـمـرَ الوقـاشِ دامـغـةً)(1x) أدْهــى مــن الــدهــم لا تُبْقِي ولا تَذَرُ
كـيـمـا تعـرفـه كنهَ حـقـيـقـته وإنـه الغـــــمُ المطروحُ والغــــدرُ
تلكَ الصناديدُ والأفــــراسُ داخلَهـــا لا مَا (2x) افتريتَ من البُهتان يا غدرُ
عليكَ منهــــا سِلامُ صـــائبُ أبداً مَا لألأت فيهَا من أشرافِها زُهــرُ (25)

فانظر الى هذا العجب وهذا الاستخفاف بالملك حتى طمع فيه عمر الوقاش على حمقه وكبر سنه .

(استطراد: فصل من رسالة الشقندي في تفضيل أهل الأندلس على أهل المغرب)

ومثل هذا، وقفت عليه في بعض التقايد بخط الشيخ سيدي محمد المسناوي، رحمه الله قال: « وقفت على فصل من رسالة الإمام الشقندي الذي (3x) عقدها في تفضيل الأندلس وأهلها على عدوة المغرب وأهله، يخاطب من خالفه في ذلك من أهل المغرب، ما نصه:

«وبالله ألا سميت لي بم (4x) تفتخرون (5x)، أبكذا أم بكذا؟ أم بفلان أم بفلان؟ لشخصين سماهما من رؤوس المغرب، أم بيوسف بن تاشفين الذي لولا توسط المعتمد بن عباد (26) لشعراء الأندلس في مدحه، ما أجروا له ذكرا، ولا رفعوا للملكه قدرا؟» . ولما أنشدوه أمداحهم فيه (6x)، قال له المعتمد بن عباد:

- « أيعلم مولانا أمير المومنين (7x) ما قالوه؟

- « قال: لا أعلم، ولكنهم يطلبون الخبز.» ولما انصرف عن المعتمد إلى حضرة ملكه، كتب له المعتمد رسالة، وفيها هذين البيتين:

(1x) ما بين قوسين سقط من (ب) .
(2x) أ، ب لما .
(3x) ب التي .
(4x) " بمن " في باقي النسخ المعتمدة .
(5x) ب يفتخرون . وفي (ز) (ج) (ك) " تفخرون " .
(6x) " فيه " سقط من (ج) .
(7x) " المسلمين " في باقي النسخ المعتمدة

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت (1x) مآقينا
حالتْ لفقدكم أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضا ليالينا (27)

فلما قرأ عليه الكاتب البيتين، قال:

- « يطلب منا المعتمد جواري سودا وبيضا .

- قال : لا يا مولانا، وإنما أراد أن ليله كان بقرب أمير المومنين نهارا، لأن ليالي السرور بيض، فعاد نهاره لبعده ليلا، لأن ليالي(2x) الحزن ليالي سود .

- فقال : مليح والله جيد، اكتب له في جوابه، إن دموعنا تجري عليه، ورؤوسنا توجعنا من بعده . »

فليت شعري لو أن العباس بن الأحنف (28) عاش ليتعلم (3x) من هذا الفاضل رقة الشوق، كما قيل:

ولا تنكرن مهما رأيت مقدما على حمر بغلا فتم تناسُبُ (29) .

انتهى ما نقله المسناوي عن الشقندي .

(رأي المؤلف في رسالة الشقندي)

قال كاتبه هذا الكلام (4x) ركيك بارد، لا طلاوة عليه، ولا رونق له، وتشم منه رائحة الكذب، وخبث السريرة. ولا حجة فيه على تفضيل أهل (5x) الأندلس على أهل المغرب، وهو من التشيعات المطبوع عليها اهل العالم (6x) في تفضيل أجناسهم وبلدانهم وصنائعهم وعوائدهم، سنة الله في خلقه. وإلا فقد كان بالمغرب أيمة وعلماء وصلحاء وأدباء قبل فتح الأندلس وبعده .

وليت شعري لو أن هذا المفتخر اقتصر على تفضيل بلاده وأهلها، ولم يتعرض للقدح والطعن في أمير المومنين المحرمين (7x) شرعا. وكيف وقد وصفه بهذا الوصف القبيح الذي هو الجهل، ويزعم عذا الزعم الكاذب، فأين حضره حتى سمع منه ما قال للمعتمد، وما أجاب به الكاتب؟فهذا كاف في معرفة ركاكة دينه، وقلة يقينه، لأن يوسف بن تاشفين لم تسمح الأيام بمثله .

(1x) ب خفت .
(2x) " أيام " في باقي النسخ المعتمدة .
(3x) "حتى يتعلم " في باقي النسخ المعتمدة .
(4x) ب، ز، ج، ك كلام .
(5x) " أهل " زيد في طرة (ب) (ز) بتصحيح .
(6x) " العالم " سقط من (ك) .
(7x) " المحرمان " في جميع النسخ ا لمعتمدة .

(استطراد: زهد يوسف بن تاشفين وعدله)

وقد تواتر فضله وعدله ودينه وصلاحه وزهده، حتى قال بعض العلماء إنه لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أزهد في الدنيا من يوسف بن تاشفين / 67 د/ ولا أعدل منه. لمنعه أهل بيته من أموال الناس، ورده الأحكام إلى القضاة في الحواضر والبوادي، وبذله مهجته ومهج قبيله في جهاد (1x)أعداء الدين، وغير ذلك من أفعال الخير بما فاق به أهل العلم والأدب.

وقد (2x) ورد في الحديث: «إن الله اختار من بني آدام صنفين، الأنبياء ليبينوا للناس دينهم، والملوك ليحفظوهم ويحموهم من أعدائهم، ويرفعوا ظالمهم عن مظلومهم»

فالسلطان العادل، على كل حال أحسن من العالم العاقل (3x) ، فكيف مع الجاهل؟

(مرتبة يوسف بن تاشفين العلمية)

وهب أنه لم يفهم ما مدح به، فلا ينقص ذلك من جلالته، على أنه ثبت وتواثر أن يوسف بن تاشفين كان حافظا لكتاب الله، كثير تلاوته، معتن بسرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، محبا في العلم وأهله، لا يخلو مجلسه من العلماء والمذاكرة معهم . وكان فصيح اللسان في اللغتين العربية والبربرية، لكنه قصير الباع في الاعراب، إذ لم يقرا العربية والتصريف في صغره، فكان يصارعهما في كبره . وكان ملازما للشيخ عبد الله بن ياسين الجزولي منذ دخل بلادهم إلى أن مات الشيخ .

وكيف لا يفهم مامدح به، ويقول « يطلبون الخبز »؟ حاشاه من هذا الجهل الفظيع . قال الله تعالى: « ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (30) .

وقد كثر تعجبي من الشيخ سيدي محمد المسناوي، حيث ساق كلام الشقندي ولم ينكر عليه، ولعله ساقه كالمضحكة و (4x) استخفافا بشأنه (5x)، وإلا فلا يهمله إلامداهن أومنافق .

(سبب تحامل الشقندي على يوسف بن تاشفين)

والحامل للشقندي على ما وصف به السلطان يوسف من الجهل، أنه كان من صدور دولة المعتمد، وممن تقلدوا نعمها . وكان يتردد إلى باب المعتمد، وأبواب امرائه وحجابه وكتابه، ويرجع مملُو الحقائب . ولما زالت دولة المعتمد، ونكبه يوسف ونكب أهل مناصب (6x) دولته،

(1x) " جهاد " زيد في طرة (أ) بتصحيح .
(2x) " فقد " في باقي النسخ المعتمدة .
(3x) " العاقل " سقط من (ج)
(4x) ب أو .
(5x) ك بأشنه شأنه .
(6x) ب، ز، ج، ك مناصب أهل .

وأزال نعمهم، ورتب بالمناصب أمراءه من قبيله، بقي هذا الشقندي هملا عاطلا، فكان يشفي غليله من فقر الدنيا بفقر الآخرة . نسأل الله السلامة والعافية [من الوقوع] (1x) فيما يكون سببا للخذلان بمنه وكرمه (2x) .

(سبب نكبة المعتمد بن عباد)

وأما نكبة المعتمد بن عباد رحمه الله، فكثير من المؤرخين حملها على غير وجهها . والسبب الحقيقي فيها، أنه لما نزل (3x) يوسف بظاهر إشبيلية بعد وقعة فحص (4x) الزلاقة (31)، طلب منه المعتمد أن يدخل قصره لضيافة صنعها له، فاعتذر له بالصوم . فقال « بعد المغرب» وهيأ المعتمد قصره بأنواع الزينة، والفرش والستر المكللة، وقناديل الذهب والفضة، وأواني الذهب والفضة، والمباخر والمشموعات الذهبي والفضي، والثريات . ونصبت الموائد في صحن بالقصر بأنواع الأطعمة الرقيقة، والفوانيد والفواكه والأشربة . ولما غربت الشمس، جاء يوسف في موكبه وأمرائه وأعيان قبيله، فلقيه المعتمد راجلا فترجل يوسف ومن معه، ودخل القصر والمعتمد أمامه يدور به على قبب القصر كله ليراها السلطان يوسف ويشاهد ما فيها من التحف والترتيب حتى شاهد جميعها، والقصر كله موقود بالشمع .

ولما بلغ يوسف إلى مسجد القصر، أمر خديمه الحامل لسجادته أن يضعها له، وصلى المغرب وأفرش له السجادة بباب المسجد . وقدم له المعتمد الموائد، فأمره أن يفرقها على من معه من الأمراء وأعيان القبيل، فأدخلهم للقبب، وقدم لهم الأطعمة والحلاوي والفوانيد والفواكه والأشربة، والسلطان يوسف أمر خديمه أن يضع له سفرته، ووضع له قدح (5x) فيه زيت وملح ومعه خبزة واحدة، ووضع له ركوة ماء فغسل يده منها، وأكل وشرب من ركوته، وغسل يده، ورفع الخديم ما فضل، فتنحى ناحية وأكله . ولما فرغ القوم من الأكل (6x)، قام يوسف للخروج، فطلبه المعتمد في المبيت، فقال: « لا أبطل وردي من الليل » . وركب وتوجه لمحلته ولما نزل بمضربه، سجد شكرا لله تعالى، وقال:

- « الحمد لله الذي خرجنا سالمين من جهنم .
- فقال له جلساؤه: كيف ذلك يا مولانا ؟

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) و (أ) .

(2x) ك وكرامه .

(3x) ب، ز، ج، ك أنزل .

(4x) ك حفص .

(5x) " قدحا " في باقي النسخ ا لمعتمدة

(6x) " من الاكل " زيد في طرة (ب) بتصحيح .

- قـال: والله إن / 68 د/ المعتمد أوقفنا على شفير جهنم، وإن فرعون الذي قـال: " أنا ربكم الأعلى " (32)، وقال « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي» (33) أعف منه؟ وإن قارون الذي قال «إنما أوتيته على علم عندي» أخف منه ذنبا، لأنه أخفى ما عنده في الكنوز، وهذا باهى به، وأظهره، وافتخر به على عباد الله. وكنت أخاف أن يخسف بي، وأنا في وسط ذلك القصر، أو تنزل علينا صاعقة تحرقنا، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . فالحمد لله الذي سلمنا وأنقذنا . ولو خبرني بذلك مخبر ما صدقته . وكيف ينصر قوم (1x) يبارزون الله بالمعاصي ويباهونه بحطام الدنيا، ويرغبون فيه، فلا تقوم لهم (2x) قائمة فإن تركت الرجل على حاله، فإني شريكه في الإثم، وإن أقدرني الله، قسمت ذلك كله (3x) على الضعفاء والمساكين، فإن لكل فيه حقه» .

وأما (4x) المعتمد فإنه (5x) لما شاهد من يوسف ما شاهد، تكدر عيشه، وندم على عزمه لدخول قصره . وقال بعض مؤرخي الأندلس، إن وزير المعتمد لما رأى من يوسف ما رأى من الانقباض، قال للمعتمد: هذا الرجل إن لم تمكر به الآن وهو في قبضتك، فإنه يمكر بك .

فأبى من ذلك وسفه رأيه في إشارته، وقبض رجله ولم يعد لملاقاته لما (6x) جاز إلى الأندلس الجواز الثاني، ولم يحضر معه في الغزو إلى أن رجع يوسف من جهاده، ووجه أحد أمرائه في العساكر لإشبيلية، وأمره بحرب المعتمد وحصاره، إلى أن غلبه (7x) وطلب الأمان، فأمنه على نفسه وولده .

فخرج إليه وقبضه ومن معه من أولاده، وجمع أمواله ودخائره وباع جميعها، وفرقها، على المجاهدين، وغربه للعدوة، وسجنه بأغمات عام [أربعة وثمانين وأربعمائة، ومات عام] (8x) ثمانية وثمانين وأربعمائة، رحمه الله .

قال الصفدي: « واقعة المعتمد صدعت الأكباد، ودكت لها من القلوب أطواد، فإنه لم يجر على ملك مثل ما جرى عليه، ولا أصيب أحد بمصيبته في ملكه وماله ونفسه وبنيه » .

وقال أبو بكر بن اللبانة (34): « ومن الغريب أنه لما مات بسجن أغمات وأخرج، نادوا عليه الصلاة على جنازة الغريب» (35) .

(1x) ك قوما .

(2x) د له .

(3x) «كله» سقط في باقي النسخ المعتمدة.

(4x) ج وإن .

(5x) «فإنه» سقط في (ك) .

(6x) ك ولما .

(7x) ك غفله .

(8x) ما بين معقوفين سقط في (د) .

ومـن أراد أخباره وأشعاره في السجن، فليطالع « نظم السلوك في وعـظ الملـــوك» (36) لأبي بكر بن اللبانة، فإنه ألفه في قضية المعتمد وأشعاره وأولاده، وما كـــان مـــنــه في سجنه.

(تسمية يوسف بن تاشفين بأمير ا لمسلمين)

ومن مفاخر يوسف ونسكه، أنه لما تم له ملك المغرب وإفريقية والأندلس، قال له أقاربه :

- « لابد أن تتسمى بأمير المسلمين لتمتاز به عن أمراء الأجناد .

- قال: لا يستحق هذا الاسم إلا الخليفة العباسي الذي هو أمير المسلمين، وما أنا إلا واحد من خدامه (1x)، ومن ملوك الأطراف» .

وكتب بيعته للخليفة العباسي المستظهر (37)، وقيل لأبيه المقتفي لأمر الله (38)، وعين للسفارة بها أبا (2x) محمد بن العربي وولده أبا بكر بن العربي (39)، استقدمهما من إشبيلية، ووجههما لبغداد بهديته وبيعته وكتابه، وطلب تقليده على ممالكه . ولما بلغته البيعة، كتب له التقليد ونعته فيه بأمير المسلمين، ووجه له الخلعة والسيف واللواء .

وببغداد اجتمع ابن العربي مع الإمام أبي حامد الغزالي (40)، والإمـــام أبي (2x) بكر الطرطوشي (41)، وكتبا للأمير يوسف يحضانه على الجهاد، ويطلبان منه الدعاء لهما، رحمهم الله أجمعين .

(خلع العبيد للمستضيء ورجوعهم لطاعة مولاي عبد الله)

رجوعا إلى خبر مولانا المستضيء: وفي رابع عشر القعدة عام اثنين وخمسين (3x) ومائة وألف، بلغ المستضيء أن العبيد أرادوا عزله وبيعة السلطان عبد الله، (فخرج من مكناسة بقصد مولاي عبد السلام (42)، فتبعه السلطان عبد الله) (4x) والعبيد، وتحاربوا معه، فهزمهم ورجعوا عنه .وتوجه المستضيء لنواحي طنجة (43)، فأقام بها نحو الشهرين، وتوجه لمراكش لأنهم كانوا بايعوه . وكان أخوه (5x) الناصر خليفة بها، ولما دخلها، وجه للقبائل من أهل (6x) الحوز يستصرخهم على أخيه عبد الله، ويتوجهون معه، فلم يجيبوه لما طلب، لأن عبدة والرحامنة وأهل سوس شيعة السلطان عبد الله، ولم يبق في (7x) حزبه إلا أهل / 69 د/ دكالة

(1x) ك خدامي
(2x) " أبو " في جميع النسخ ا لمعتمدة .
(3x) " وخمسين " سقط من (ب).
(4x) ما بين قوسين سقط من (ج).
(5x) " أخاه " في جميع النسخ ا لمعتمدة .
(6x) " لقبائل أهل " في باقي النسخ ا لمعتمدة
(7x) ب أهل .

أخـواله، وبنو حسن من عـرب اليـمن . فـأقـام بمراكش إلى عـام خـمـسـة وخـمـسين ومـائـة وألـف،والباشا أحـمـد بن علي يفـتـل للعـبـيـد في الذروة والغـارب، إلى أن بايعـوه بعـد زين العابدين، وبعد عزل السلطان عبد الله حسبما يأتي خبره .

ووجهوا له، فلما بلغ عبد الله مسيره لتلك الناحية، اعـترضـه إلى أن بلغ لقصبة المزم (44) ولم يجد له خبرا . فأقام بالمزم يترقب خبره، فـاتفق العبيد على بيعة السلطان عبد الله وهو بالمزم، فـعزلوا المسـتـضيء، وبايعـوا عبـد الله، ووجـهـوا لـه بيـعـتـهم مـع حـصـتـهـم عـام ثـلاثـة وخمسين (1x) ومائة وألف .

(1x) " وعشرين " في باقي النسخ ا لمعتمدة . والصواب ما في (د) .

دولة مولانا عبد الله الثالثة

ولما توجه المستضيء لمراكش، خلعه العبيد وبايعوا السلطان عبد الله (45)، وكتبوا للوداية ولأهل فاس، فبايعوه وخطبوا به، وزينت المدينة . ومن الغد، قدم لفاس زين العابدين الذي كان عند الگعيدي ببني يازغة، وفرح لبيعة أخيه عبد الله وعزل المستضيء وفراره،وتوجه لمكناسة .

وفر وزير المستضيء علي العميري، ودخل الحرم أخوه (1x) بلقاسم العميري قاضيه . ووجه أهل فاس أعيانهم وعلماءهم وأشرافهم للسلطان عبد الله ببيعتهم، وتوجه معهم الحجاج والتجار بهداياهم وهو مقيم بالمزم .

ووجه العبيد لفاس عبد الله الحمري قائدا بها على أمر الديوان، وكثر الفساد في الطرقات واللصوص في المدينة .

(إهانة علماء مكناسة والتنكيل بعامة سكانها)

وفي خامس عشر رجب عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف (46)، قدم السلطان عبد الله من المزم لمكناسة، وقبض على قاضيها بلقاسم العميري، وأحمد الشدادي، والعباس بن رحال، والفقيه المليتي، وأزال عمائمهم وفضحهم، وقال لهم: « كيف تزوجون نسائي من أخي وأنا غائب؟ » . ونكلهم النكال الكبير، وأمر بسجنهم (47) .

وولى على فاس شيخ الركب الحاج عبد الخالق عديل، وعلى قضائها يوسف أبا (2x) عنان، وأمره أن يعزل القضاة والخطباء الذين خطبوا بالمستضيء بالبلدان كلها . وأعطى دار العميري لواحد من العبيد، وقال لهم: «كل من أراد منكم دارا يأخذها». وامتدت أيدي العبيد لأهل مكناسة، حتى صاروا يقفون لهم (3x) بالأبواب، ويقول العبد للرجل « إن سيدي أعطاني دارك، وإن سيدي أعطاني ابنتك»، فيفتدي منه بالمال .

وكانوا في محنة ومشقة لم تلحق غيرهم، ومن شكا منهم، يعاقب ويسجن . والسلطان عبد الله مقيم بباب الريح، لم يدخل للقصبة التي كان بها المستضيء (48).وأما الوداية، فلم يقدم على السلطان منهم أحد ولا بايعوه، وكذلك الباشا أحمد بن علي، وقبائل الجبال . فاغتم السلطان عبد الله لذلك . وشفعت في الوداية أم السلطان خناثة بنت بكار، ووجهت له جماعة منهم، فعفا عنهم.

(1x) " أخاه " في جميع النسخ المعتمدة .
(2x) " أبو " في جميع النسخ المعتمدة
(3x) " لهم " سقط من (ب) .

(تسلط الريفي على أهل القصر والغرب)

وعلى إثر ذلك، بلغ السلطان أن أحمد بن علي توجه للقصر ونواحيه، ونهب أموالا كثيرة لأهل الغرب وشيعتهم ممن ليس في حزبه .

فوجه السلطان عبد الله جيشا من عبيد الرمل ينزل بالقصرلحراسة الرعية. فلما سمع به أحمد بن علي، فرق الراتب وتهيأ للخروج لهم . فورد عليه شرذمة من الوداية وأخرى من العبيد، وأخبروه أن المحلة رجعت، لأن ذلك الوقت لم يجتمع فيه كلمة لأحد من الرعية ولامن الجيش .

(مقتل القائد الگعيدي واختلال الأمن)

وكان السلطان عبد الله وجه عامله القائد أحمد الگعيدي (49) عاملا على جبله وعلى الحياينة وجبال الزبيب يجبي المال، وكان في وسط بلاد الحياينة، فعمدوا إليه وقتلوه، فلما بلغ خبره للسلطان عبد الله، اغتاظ واغتم غما شديداً لأنه كان عمود دولته . فانحل نظام الملك، وفسدت (1x) الطرقات، وكثر النهب في كل موضع . ثم إن السلطان عبد الله أمر المسخرين الذين كانوا معه أن ينهبوا زرع [أهل] (2x) مكناسة، فوقع (3x) من الفتن مالا/ 70د/ يدخل تحت حصر، وذلك عام أربعة وخمسين ومائة وألف . ووظف عليهم وظائف كثيرة من دفع المونة له ولأصحابه، وإعطاء الخدامين لباب الريح للبناء، وتشفعوا له مرارا فلم يقبل شفاعتهم.

(عزل العبيد لمولاي عبد الله وتولية مولاي زين العابدين)

وفي ربيع الأول من العام، هربت أم السلطان خناتة بنت بكار من مكناسة لفاس لما سمعت أن العبيد أرادوا عزل ولدها. ودخلت لفاس الجديد . ومن الغد، تبعها ولدها عبد الله ونزل رأس الماء .فخرج إليه الوداية وأهل فاس، ولما اجتمع معهم، فرح بهم واستعطفهم وقال لهم:

« أنتم جيشي وعدتي، ويميني وشمالي، فنحبكم أن تكونوا على كلمة واحدة »، وعاهدهم ورجعوا. وفي اثناء ذلك، بلغه أن الباشا أحمد وجه لعبيد الرمل، واتفق معهم على خلعه (50) وبيعة زين العابدين كان عنده بطنجة .

فأذنوا له في بيعته، فبايعه بطنجة وتطوان وتلك الجبال، وتوجهت به جريدة من الخيل لمكناسة، فبايعوه في ربيع عام أربعة وخمسين ومائة وألف (51). وكتبوا ببيعته إلى الآفاق .

(1x) ك وفسد .

(2x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(3x) " بمكناسة " في باقي النسخ المعتمدة .

التعاليق والهوامش

(1) يلاحظ أن المؤلف لم يشر إلى هذا الوصف في تصميم كتابه .

(2) تمت بيعة مولاي المستضيء في 3 ربيع الأول 1151 هـ/ يونيه 1738م .

نشر 4 : 14 . التقاط ص 382 . الضعيف 1 : 225 . الإتحاف 4 : 333 .

(3) " البقم " نوع من الخشب يستخدم في صباغة الاثواب باللون الأحمر .

(4) تنطق كذلك " سراجب " و " شراجب " وهو نطق عامي يعني النافذة .

الاكسير ص 24 هامش 2 .

(5) " أهل الذمة " تطلق هذه اللفظة على الفئات اليهودية أو النصرانية المنضوية تحت ذمة المسلمين في بلد إسلامي .

(6) عن هذه الأحداث، انظر كذلك: الجيش 1 : 108 . الاستقصا 7 : 148 .

(7) انظر هامش 127 (الباب الثالث)

(8) جمع " آغا " ، وهو لفظ تركي يطلق على بعض ضباط الجيش، وقد دخل إلى الإدارة المغربية في العصر العلوي .

العز والصولة 1 : 399 .

Ency . de L'ISLAM T. 1, P. 253

(9) هذه الحركة كانت موجهة بالأساس ضد فرقة " الحجاوة " من قبيلة بني حسن، بسبب عيثها بين بعض القبائل المجاورة لها وقد كان ذلك في شوال 1151 هـ/ يناير 1739م .

نشر 4 : 16 . حوليات النشر ص 60 . التقاط ص 383 . الضعيف 1 : 227 . الاتحاف 4 : 336.

(10) أفتى العلماء بأن هذا البيع صحيح وذلك " تقديما لخلاص الأنفس على الاموال " .

الاستقصا 7 : 148 .

(11) " كرنيز " أحد أحياء عدوة القرويين بفاس .

(12) عن هذه الأحداث انظر كذلك الجيش 1 : 109 . الاستقصا 7 : 149 .

(13) الخليفة العباسي الواحد والعشرون، تولى الحكم في ربيع الأول 329 هـ/ يناير 941 م، وتم خلعه على يد وزيره " توزون " في محرم 333 هـ/ غشت 944 م، أما وفاته، فقد تأخرت إلى شعبان 357 هـ/ يونيه 968م .

تاريخ الخلفاء ص 394 . ابن خلدون 3 : 508 وما بعدها .

(14) انظر هامش 93 (الباب الثالث).

(15) هفوة من المؤلف إذ أن " توزون " توفي قبل المتقي وذلك في محرم 334 هـ/ غشت 945م ابن خلدون 3 : 520 . تاريخ الخلفاء ص 396 .

(16) هذا الاستطراد منقول بتصرف عن " تاريخ الخلفاء " للسيوطي . انظر النص المنشور ص 396 .

(17) تم ذلك في جمادى الأولى 1152 هـ/ غشت 1740م.

نشر 4 : 19 . حوليات النشر ص 61 . الضعيف 1 : 228 .

(18) اختلفت الروايات التاريخية حول الصفة التي دخل بها الباشا أحمد بن علي الريفي مدينة تطوان في هذه الفترة. للمزيد من التفاصيل، انظر:

تاريخ تطوان 2 : 209 . الجيش 1 : 109 . الاستقصا 7 : 150 . الاتحاف 4 : 337 .

(19) انظر ص 215 .

(20) وهو " الحاج عمر بن عبد السلام الوقاش أو " لوقش " الأندلسي التطواني، أحد كبار رجال مدينة تطوان، كان متوليا وظيفة الكتابة في عهد مولاي إسماعيل. تولى حكم مدينة تطوان لمدة تزيد عن ست سنوات ثم عزل عنها عام 1145 هـ / 1732م . أقام بمكناس مدة في كنف مولاي عبد الله العلوي، وكانت وفاته بتارودانت عام 1149 هـ/ 1736م .

تاريخ تطوان 2 : 148 و 3 : 18 و ما بعد هذه الصفحات. الاتحاف 5 : 489 – 494 .

(21) " الجفر " يطلق على علم الحروف، واستنادا على هذه الأراجيف والأساطير، اغتر عمر لوقش وفقد اتزانه في نظم قصيدته .

(22) " ومنا أصابته الصواعق والزجر" كذا ورد هذا الشطر في تاريخ تطوان 2 : 173 .

(23) وردت هذه القصيدة في تاريخ تطوان 2 :172 - 173، مع اختلاف في بعض الألفاظ وترتيب في بعض الابيات .

انظر كذلك الجيش 1 : 110 . الاستقصا 7 : 116 – 117 . الاتحاف 5 : 491 – 492 .

(24) لم نجد في قصيدة لوقش التي ذكرها المؤلف هنا ما نستدل به على هذا الرد والغالب على الظن أن في القصيدة بتراً أو أن الزياني تحاشى ذكر ذلك كما أشار في آخر قصيدة لوقش.

(25) وردت هذه القصيدة كذلك في تاريخ تطوان 2 : 174 وفي الاتحاف 5 : 492 .

(26) أحد ملوك الطوائف على إشبيلية بالأندلس، تولى الملك في رجب 461 هـ / مارس 1069م

وخلع في رجب 484 هـ / يوليوز 1091م، وقد كانت وفاته بأغمات في ربيع الأول 488هـ/ فبراير 1095م.

ابن الاثير 8 : 177 . القرطاس ص 144 . المعجب ص 140 . ابن خلدون 4 : 203 . النفح 6 : 4 . الحلل الموشية ص 38 . الاعلام 2 : 312 . (الترجمة 185). أشباخ، تاريخ الاندلس 1 : 54 هذه الصفحات وما بعها .

(27) البيتان لأبي الوليد أحمد بن زيدون الأندلسي المتوفى في رجب 463 هـ/ مارس 1071م انظر ديوانه (تح محمد كيلاني) ط 2 ص 166 .

(28) أحد كبار شعراء الدولة العباسية، أصله من خراسان ومنشؤه ببغداد، سخر شعره للغزل دون المدح أو الهجاء فبلغ فيه شأوا بعيدا . توفي عام 192 هـ/ 808م .

انظر عنه الاغاني 8 : 366 - 391. وفيات الأعيان 3 : 20 - 27 . زهر الآداب 4 :1014 - 1018

(29) ورد هذا الاستطراد في النفح 4 :181 .

(30) سورة آل عمران . الآية 61 .

(31) انظر هامش 95 (الباب الثالث).

(32) سورة النازعات . الآية 24 .

(33) سورة الزخرف . الآية 50 .

(34) وهو " أبو بكر بن عيسى اللخمي الأندلسي " المعروف ب " ابن اللبانة " ، من كبار أدباء وشعراء دولة بني عباد وملوك الطوائف بالأندلس . توفي عام 507 هـ / 1113م.

قلائد العقيان ص 256 . فوات الوفيات 2 : 260 . النفح 5 : 235 . الاعلام 2 : 339، (الترجمة 188) . إ . عباس، تاريخ الادب الاندلسي ص 190 الذخيرة م 3، ق2، ص 666 - 702 . الذهبي، العبر 4 :15. خريدة القصر 2 : 107 - 139 .

(35) انظر النفح 5 : 356 .

(36) هذا الكتاب لابي بكر بن عيسى اللخمي المعروف ب "ابن اللبانة" ، نسبه إليه كثير من المؤرخين، ومنهم الزياني .

(37) الخليفة العباسي الثامن والعشرون، تولى الملك عام 487 هـ/ 1094م، وبقي كذلك إلى تاريخ وفاته في ربيع الثاني 512 هـ/ يونيه 1118م .

تاريخ الخلفاء ص 426 . ابن خلدون 3 : 593 وما بعدها .

(38) عبد الله بن محمد بن القائم، لقبه " المقتدي بالله " وليس " المقتفي " ، الخليفة العباسي السابع والعشرون (467 - 487 هـ / 1074 - 1094م) .

تاريخ الخلفاء ص 423 . ابن خلدون 3 : 593 .

(39) محمد أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي، فقيه أصولي، وأديب كبير. رحل إلى المشرق في مستهل ربيع الأول 485 هـ/ 11 ابريل 1092م، وبعد عودته، ولي القضاء باشبيلية ثم تفرغ للتدريس . توفي في ربيع الاول 543 هـ/ يوليوز 1148م، ودفن بفاس .

العبر في خبر من غبر 4 : 125 . خريدة القصر 2 : 296 . أزهار الرياض 3 : 62. النفح 2: 233 الجذوة 1 : 260 . شرف الطالب ص 62 . فهرس الفهارس 2 : 229 . السلوة 3 : 198 . بيوتات فاس ص 60 . الاعلام 3 : 11 . شجرة النور 1 : 136 . هذه الصفحات وما بعدها .

(40) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، أحد اقطاب الفكر الاسلامي في المشرق والمغرب . توفي عام 505 هـ/ 1111م .

السبكي، طبقات الشافعية 4: 101 . وفيات الأعيان 4 : 216 – 219 . الزركـلي، الإعـلام 7 : 247 – 248 .

(41) أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي الاندلسي المعروف ب " ابن أبي رندقة "، إمام عالم، وزاهد متصوف . كانت له رحلة إلى المشرق عام 476 هـ/ 1054م . توفي بالإسكندرية في شعبان 520 هـ/ يوليوز 1127 م .

أزهار الرياض 3 : 162 – 165 . الاصفهاني، خريدة القصر 2 : 290 – 292 .

(42) يقصد ضريح الشيخ " أبي محمد عبد السلام بن مشيش " العلمي الادريسي الحسني الولي الشهير المتوفى في حدود 625 هـ/ 1227م .وضريحه يوجد بقنة جبل العلم وسط قبائل بني عروس الجبلية بين شفشاون وتطوان .

مرآة المحاسن ص 187 – 188 . الاستقصا 2 : 263 . النبوغ المغربي 1 : 160 – 161 . الدرر البهية 2 : 102 وما بعدها .

Ency de l'islam. T .P . 94

(43) حول هذا الموضوع، انظر تاريخ تطوان 2 : 212 . الاتحاف 4 : 337 وما بعدها .

(44) " المزمة " مدينة مغربية قديمة، تقع على ساحل البحر المتوسط، تعرف كذلك ب "النكور " تعرضت للتخريب عدة مرات، ومع قيام الدولة العلوية لعبت أدواراً جد هامة في تاريخ المغرب الاقتصادي والسياسي .

الاستبصار ص 136 . الوزان 1 : 255 . مارمول 2 : 244 .

S.I.H.M 2e S . France T.1 P. 26 et P . 86 N1 et 2

(45) وهي البيعة الثالثة للسلطان مولاي عبد الله، وقد تمت بشكل رسمي في 15 ذي القعدة 1152 هـ/ 13 فبراير 1740م .

انظر التفاصيل في نشر 4 : 20. حوليات النشر ص 62 . التقاط ص 386 . الضعيف 1: 2 32.
الجيش 1 : 110 – 111 . الاستقصا 7 : 150. الاتحاف 4 : 420 .

(46) 5 اكتوبر 1740م .

(47) كان ذلك في رجب 1153 هـ / اكتوبر 1740م .

(48) عن هذه الاحداث انظر كذلك : نشر 4 : 24 – 25 . حوليات النشر ص 63 – 64 . التقاط ص 386 . الجيش 1 : 111 . الاستقصا 7 : 152 . الاتحاف 4 : 423 – 424 .

(49) يبدو أن هناك قائدين يحملان اسم " الكعيدي " ، أولهما اسمه أحمد، وقد كان مواليا لمولاي المستضيء، والثاني " محمد " وهو المقصود هنا كبير قواد مولاي عبد الله، وقد تعرض للقتل من طرف قبيلة الحياينة بعين مديونة، وذلك في 22 ذي الحجة 1154 هـ/ 23 فبراير1742م.

(50) وهو العزل الثالث لمولاي عبد الله، وذلك في 30 ربيع الأول 1154 هـ/ 15 يونيه 1741م من طرف العبيد، بينما ظل أهل فاس على ولائهم له.

انظر التفاصيل في: التقاط ص 387 . حوليات النشر ص 65 . الضعيف 1 : 238 . الاتحاف 4 : 426 . تاريخ تطوان 2 : 216 .

(51) تمت البيعة العامة لمولاي زين العابدين بن إسماعيل بمدينة مكناسة وذلك في أواخر ربيع الأول 1154 هـ / منتصف يونيه 1741م .

نشر 4 : 29 . حوليات النشر ص 66 . التقاط ص 388 . الضعيف 1 : 238 . الجيش 1 : 112 .

الباب العاشر
في
الصبر والرضى بالقدر

قال تعالى: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» (1).

وقال تعالى:«وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون»(2)
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال : «الصبر والسماحة»

وقال الحسن: «وجدت الدنيا والآخرة في صبر ساعة» .

وقال أبو الفتح البستي (3):

ولم أر مثل الشكر جنة غارس ولم أر مثل الصبر جبة لابس

وقال الأحنف بن قيس : «من لم يصبر على كلمة سمع كلمات» . وقال يونس: «إذا نفذ سهم القضاء عليك بالرضى» . وفي المثل: «من طلب الرياسة، صبر على مضض السياسة» .

وهذا الوصف من أشرف الخلل لمن رزقه. وكان السلطان زين العابدين متخلقا بالصبر والرضى بالقدر والقضاء .

ولما (1x) جره القدر لمكناسة أيام ملك أخيه المستضيء بها (2x)، وبلغه خبره قبل أن يصله، أمر بسجنه، فسجن مدة ثم أمر بخروجه يوما مكبلا مسلسلا، فلما وقف (3x) بين يديه أمر بضربه وامتحانه، فلم ينطق بكلمة إلى أن أشرف على الموت، ورده للسجن. ثم أمر بتوجيهه مكبلا يسجن بسجلماسة مع بعض شرفائها كانوا عنده . ولما سمع بذلك قواد رؤوسهم، بعثوا من رده من صفرو لفاس، ووجهوا (4x) به للقائد أحمد الكعيدي ببني يازغة، وأمروه أن يبقيه عنده مكرما . (4)

(1x) ك ولم .

(2x) " بها " سقط من (ب) .

(3x) " وقف " زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(4x) ك وسرحوه ووجهوا .

ولما فر المستضيء من مكناسة وبايع العبيد السلطان عبد الله، جاء زين العابدين لفاس، وفرح ببيعة أخيه عبد الله وعزل المستضيء وفراره .

(بيعة مولاي زين العابدين بن اسماعيل)

ثم توجه لمكناسة فأقام بها مدة، وتوجه لطنجة، فأكرمه الباشا أحمد وأحسن (1x) وفادته وأقام عنده . فتكلم مع العبيد في شأنه، وتوسط في بيعته، فأذنوا له فيها، (وبايعوه (2x) بطنجة وتطوان والفحص والجبال، ووجهوه لمكناسة مع جماعة من عبيد الديوان) (3x) فدخلها، ولم يظهر منه ظلم ولا جور، ولا امتدت يده لأحد، إلا أنه لقلة ذات يده (4x)، نقص العبيد من راتبهم . فوقع له ما وقع ليزيد بن الوليد (5) بن عبد الملك لما نقص الجند من عطاياهم، لقبوه بالناقص وأسرعوا بعزله على رأس ستة أشهر .

(عزل مولاي زين العابدين بن اسماعيل)

وكذلك زين العابدين لم تطل مدته / 71 د/ ولم يبق إلا ستة أشهر، وحيث لم يكن له مال يعطيه للعبيد، عزلوه (6) لما قدم معهم (5x) من حركة فاس .

(1x) ك وحسن .

(2x) " وبايعه " في باقي النسخ ا لمعتمدة .

(3x) ما بين قوسين زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(4x) ج اليد .

(5x) " معهم " سقط من (ب) .

دولة السلطان (1x)

مولانا (2x) زين العابدين بن (3x) إسماعيل

ولما فر السلطان عبد الله من مكناسة وقدم زين العابدين من طنجة لمكناسة، بايعه العبيد والقبائل البيعة العامة (7)، وقدمت عليه الوفود، ولم يأته الوداية وأهل فاس، وفر السلطان عبد الله من رأس الماء لبلاد البربر .

وفي نصف جمادى الأولى (8)، نزلت محلة العبيد مع زين العابدين بسيدي عميرة بقصد حصار فاس البالي والجديد (9)، ومن الغد، اختلفت كلمة أهل المحلة، ورحلوا بسلطانهم بعد أن أحرقوا نوادر الوداية بالخميس، وكفى الله أمرهم .

ولمابلغت المحلة لمكناسة، نهبوا خريف أجنتها وتوجهوا للرمل .

وفي سادس (4x) عشر جمادى الأخير، دخل السلطان عبد الله لفاس الجديد وتلقاه الوداية وأهل فاس، وخرج (5x) من يومه لدار دبيبغ (10) .

(عزل مولاي زين العابدين وبيعة مولاي عبد الله)

وفي نصف رمضان، ورد عليه كتيبة من الخيل من قواد العبيد، وأخبروه أن (6x) إخوانهم عزلوا زين العابدين وبايعوه (11)، ففرح بذلك، وخرج (7x) الوداية وأهل فاس، ولعبوا البارود (8x)، وزينت المدينة . وجاءه الخبر أن زين العابدين هرب من مكناسة .

(1x) " السلطان " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) ب، ز، ك مولاي . وسقط من (ج) .

(3x) ج مولانا .

(4x) ب خامس .

(5x) ك وأخرج .

(6x) " ان " زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(7x) ك وأخرج .

(8x) ك البروض .

دولـة مولانا عبد الله الرابعة

و (1x) لما بايعه العبيـد بالرمل، جدد بيعته الوداية، وأهل فاس، والقبائل من العرب والبربر، واستمر الحال على ذلك إلى آخر القعدة .

فورد الخبر أن غوغة العبيد رجعوا عن بيعته، وبعثوا لأخيه المستضيء، (ووجهوا له الخيل تأتي به) (2x) من مراكش، فاشتغل السلطان عبد الله يؤلف القبائل من العرب والبربر مع الوداية وأهل فاس، وحالفهم [على] (3x) أنهم يدافعون عنه، ويحاربون من قصده، وأنهم يموتون دونه فتم له ما أراد من ذلك .

(مقتل الحاج احمد السوسي)

وفي تلك الأيام، قدم الحاج أحمد السوسي من مراكش، وقالوا إنه دعا أهل فاس لبيعة المستضيء، فأعلموا السلطان بأمره، فأمرهم بقتله، فقتلوه . (12)

(بيعة مولاي المستضيء الثانية)

وفي المحرم عام خمسة وخمسين ومائة وألف، دخل المستضيء مكناسة في جيش العبيد ومعه وزيره (4x) علي العميري، وقاضيه بلقاسم العميري . (13)

وفي آخر المحرم، ورد كتاب الباشا أحمد بن علي لأهل فاس يدعوهم إلى بيعة مخدومه، والدخول تحت حكمه . فامتنعوا من بيعة المستضيء .

(دخول مولاي المستضيء مدينة فاس)

وفي ربيع الأول من العام، نزلت محلة العبيد مع المستضيء بظهر الزاوية من فاس، فهرب السلطان (5x) عبد الله من دار دبيبغ إلى حلة آيت ادراسن . ومن الغد، وقع الحرب بين العبيد والوداية وأهل فاس والحياينة واشراقة وأولاد جامع مات فيه من الفريقين .

(1x) سقط حرف الواو من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) ما بين قوسين سقط من (ج) .

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د) (أ) .

(4x) " وزيره " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(5x) " السلطان " زيد في طرة (د) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(فرار مولاي المستضيء من فاس ودخول مولاي عبد الله إليها)

وفي رابع (1x) ربيع الثاني، ورد السلطان عبد الله بجموع البربر من ايت امالو وزمور وبني حكم وآيت ادراسن وڤروان بعدد لا يحصيهم إلا خالقهم، (وشارة من (2x) اللباس والسلاح تنكي العدو) (3x)، ونزلوا بدار دبيبغ .

فلما رأى المستضيء ومن معه من العبيد جموع البربر، وعلموا أن لا طاقة لهم بحربهم، ارتحلوا ليلا بعد العشاء، ولم يصبح إلا آثارهم، ففرح الناس بذلك لانفصال تلك الجموع دون قتال (14) .

وفي سادس جمادى الأولى، ماتت أم السلطان خناثة بنت بكار، ودفنت بقبور الأشراف من فاس الجديد . (15)

(السلطان يأمر بالقبض على سيدي الغالي الادريسي وأصحابه)

وفي جمادى الثانية، وقعت فتنة بين الحاج عبد الخالق عديل وسيدي محمد الغالي الادريسي، فاشتكى به عديل للسلطان، فأمر بقبضه .

فهرب لضريح جده، فأمر أهل فاس بإخراجه، فضيقوا عليه إلى أن طلب الأمان، وخرج فوبخه السلطان وضربه وسجنه، وأمر أهل فاس / 72 د/ بقتل أصحابه، فقتلوهم .

(هدية مولاي عبد الله للحرمين الشريفين)

ولما سافر الركب النبوي، وجه معه السلطان عبد الله (4x) ثلاثة وعشرين مصحفا بين كبير وصغير، كلها محلاة بالذهب منبتة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني الذي كان يتوارثه الملوك بعد المصحف العثماني الذي كان عند بني أمية بالأندلس، وانتقل إلى المغرب على يد عبد المومن بن علي ثم إلى بني مرين كذلك، إلى أن غرق في البحر أيام أبي الحسن (16). وهذا مصحف عقبة بن نافع الفهري، نسخه بالقيروان من المصحف العثماني، أحد النسخ الخمس التي كتب عثمان رضي الله عنه، ووجهها للآفاق .

فكان هذا المصحف العقبي وقع بيد الاشراف الزيدانيين كانوا(5x) يتداولونه بينهم (6x) إلى أن بلغ للسلطان عبد الله، فغربه من المغرب، ورجع الدر إلى صدفه، والإبريز إلى معدنه.

(1x) " رابع " سقط من (ج) .

(2x) " من " سقط من (ج) .

(3x) ما بين قوسين سقط من (ك) .

(4x) " عبد الله " زيد في طرة (ز) بتصحيح .

(5x) " كانوا " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(6x) " بينهم ".سقط من باقي النسخ ا لمعتمدة .

قال الشيخ المسناوي: « وقد وقفت عليه حين وجهه السلطان عبد الله [لفاس] (1x) ليتوجه للحجرة النبوية. وظهر لي أن تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر، لبعد ما بينهما. وبعث معه ألفين وسبعمائة حصاة من الياقوت المختلف الألوان [هدية] (1x) للحجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وأزكى السلام».

وفي عام ستة وخمسين ومائة وألف، مات السلطان عثمان، وتولى الملك السلطان محمود ابن أحمد(17).

(نزول أحمد بن علي الريفي بقنطرة سبو)

وفي ثاني عشرين المحرم عام ستة وخمسين ومائة والف، نزل الباشا أحمد الريفي بمجموعه بالعسال (18)، ونزل بعده المستضيء بعبيد البخاري قائدهم الباشا فاتح بن تويني (19) بجواره .

ولما بلغ خبر قدومه، انحاز الحياينة وشراڤة وأولاد جامع كلهم لفاس، ونزلت حللهم داخلها وخارجها وفي أجنتها. ووقعت فتنة كبيرة، ودهش الناس من هول هذا الريفي، وانتهبت المواشي وماتت جوعا، وارتفعت الأسعار بفاس ولحقهم الدهش. وفي كل صباح ومساء، تخرج المدافع وتقرع طبول الباشا وطبول المستضيء .

(السلطان يستعد لحرب مولاي المستضيء وصهره الباشا الريفي)

واستعد الناس للقائه، وركب السلطان عبد الله في عشرة من الخيل، وقصد آيت ادراسن بسهب عشار، ودخل حلة عبد الله ويشو (2x) وقلب سرجه في وسطها، واجتمع (3x) عليه من حضر من البربر، فقال لهم:

- " جئتكم لتنصروني على هذا الجبلي الذي كان خديمنا، وأطغاه ما اكتسب من المال في خدمتنا وأراد أن يفضحنا، وجره إلينا أخونا (4x) المستضيء، وأراد الاستيلاء على بلادنا، وفي الحقيقة إنما هي بلادكم وأنتم أربابها، وما قصده إلا إهانتكم وأنتم أولى من ينصر أهل البيت وعليكم السلام " .

وركب فرسه ولم يبت إلى دار دبيبغ . ومن الغد، ارتحل الباشا إلى نحو بلاد الحياينة ظنا منه أنهم لم يزالوا بها . فلما لم يجد أحدا بها، رجع ونزل بمحله الذي كان به أولا . ومن الغد، وقع حرب خفيف بينه وبين الوداية والحياينة وشراڤة وأولاد جامع .

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(2x) " ويشى " في الترجمان (ص 52).

(3x) " فاجتمع في باقي النسخ المعتمدة .

(4x) " أخانا " في جميع النسخ المعتمدة .

ومن الغد، ركب الباشا ووقف برحاته (20) على كدية تامزايت فوق القنطرة، وقطعت جموعه " لا رورات "، وتبعـه (1x) المستضيء وعساكر العبيد، وتركوا رماتهم ومدافعهم وأثقالهم بالمحلة. وكتب المستضيء كتائبه، وصف صفوفه بذلك البسيط. ووقف الحياينة واشراقة (2x) وأولاد جامع والوداية وأهل فاس فوقهم " بالعين المقبي" إلى " دار ابن عمرو "، وكل فريق منهم يعبي خيله ورجاله (3x) وهم متقابلون ساعة.

(انهزام جموع مولاي المستضيء وأحمد بن علي الريفي)

وهذه جموع البربر، أقبلت مطلة على دار ابن عمرو، فلما شاهدوا جموع المستضيء والريفي بتلك البسائط، صاحوا بهم صيحة واحدة، فلما خالطوهم، انهزموا، ووقع فيهم القتل والسلب، وازدحموا على القنطرة وتراكموا فيها، ومن دخل الوادي أكله، والبربر في آثارهم يقتلون ويسلبون .

وأما الباشا في كتيبته لما رأى الهزيمة مقبلة لناحيته، ركب فرسه وهرب قبل وصولهم إليه . ولم يطرق (4x) أحد (5x) من المنهزمين المحلة حتى بلغها البربر، فتركوا / 73د / المنهزمين، واشتغلوا بسلب من في المحلة وقتلهم، ونهب ما في المحلة من المباني والأثقال والكراع، ولم يتركوا إلا المدافع والمهارز وآلتهم، والكور والبمب وبراميل البارود، وقف على ذلك القائد بو عزة (6x) صاحب الشربيل (21) وحازه . ورجع الناس بالغنائم، فلقيهم طوائف البربر الذين لم يحضروا، فأزالوا لهم الغنائم ولم يتركوا لأحد شيئا . (22)

(حديث سيدي محمد بن عبد الله عن هذه الوقعة)

حدثنا المولى الأجل سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله عن هذه الوقعة لما جر (7x) ذكرها . قال : « وجهني والدي مع أخوالي (8x) الوداية، فلما وقعت هزيمة العدو، وكنت في خمسين خيلا بين أصحابي والوداية . وقصدنا المحلة، فوقفنا على قبة الباشا أحمد بن علي وأحرزتها، وقبضنا الحمارة (23)، فحملوا لنا على عشرين بغلة من الريال (24) في ربائعه، وحملنا على ثلاثين جملا من العلف والكتان، حملها لنا البداوة وأصحاب الابل، وحملوا لنا قبتين، قبة أحمد بن علي وقبة أخرى لعلها للمستضيء، والبربر والعرب والوداية وأهل فاس، كل واحد

(1x) " وتبعها " في باقي النسخ المعتمدة .
(2x) " اشراقة " زيد في طرة (أ) بتصحيح .
(3x) ج ورجله .
(4x) ب يظفر .
(5x) ك أحدا .
(6x) " بن عزة " في (ج)
(7x) ك كما جرى .
(8x) أخوالنا في باقي النسخ .

يحمل في ناحيته (1x) .

ولما خرجنا من المحلة، وقعت علينا طوائف وكتائب من البربر الذين لم يحضروا المعركة. فلما اختلطوا بنا، ما عرفنا أين البغال ولا أين الابل . وصار مع كل بغلة و [كل] (2x) جمل خمسون ستون فارسا من البربر، ولم يجتمع منا اثنان، ورجعنا كما جئنا . وهكذا (3x) وقع لكل من نهب شيئا من حزبنا إلا من دخل مع البربر في الحصة . ولما فرغ الناس من النهب، اشتغل العبيد بجمع الرؤوس، فكان عددهم بين الأحرار والعبيد ثمانمائة ونيف، فيهم رأس الباشا فاتح بن النويني. ووجه السلطان عبد الله بغاله جروا (4x) المدافع والمهارز، وحملوا البارود وعدده ثلاثمائة برميل، قنطار في كل برميل أدخلوه لخزين فاس الجديد، وحملوا الكور والمدافع لدار دبيبغ، وكان فتحا عظيما .

وهذه أول حركة وجهني والدي لها، وأول حرب اقتحمته وأنا إذ ذاك في سن البلوغ . وكان لي ولوع بحرب الرمح وشغف بالرمي إلى أن مهرت فيه». انتهى كلامه رحمه الله .

(استطراد: بيتان في الرمح لأبي بكر بن العربي)

قلت : وقد وقفت على بيتين في الرمح لأبي بكر بن العربي (25) رحمه الله، أنشدهما يوم دخول الأمير إبراهيم بن علي بن يوسف اللمتوني لمدينة إشبيلية، وجهه والده علي بن يوسف للجهاد مع أخيه تاشفين بن علي الأمير بالأندلس . وكان شابا في غاية الحسن . وخرج أهل إشبيلية لملاقاته، أشرافهم وعلماؤهم، يقدمهم الإمام أبو بكر بن العربي تعظيما له، وامتثالا لأمر والده السلطان علي بن يوسف .

ولما وقفت العساكر بالميدان، خرج إبراهيم من موكبه، وجال بين الصفوف في الميدان يمينا وشمالا ورمحه في يده، فبهر الناس بحسنه، وتعجبوا من فروسيته على صغر سنه وإقدامه. فأنشد الإمام أبو بكر بن العربي على البديهة البيتين، وهما :

يهددني بالرمح ظبيٌ مهفهفٌ لَعوبٌ بألبابِ البريّةِ عابثُ
فلو كان رمحٌ واحدٌ لا تقيتُه (5x) ولكنهُ رمحٌ وثانٍ وثالثُ (26)

ولم يكن في ذلك الوقت إلا السيف والرمح والقوس، ولم يظهر المدفع والبارود إلا في أيام السلطان أحمد المنصور في المائة العاشرة .

(1x) ج قبته .
(2x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .
(3x) ج وكذا .
(4x) " جروا " زيد في طرة (ب) بتصحيح
(5x) " للقيته " في باقي النسخ المعتمدة .

رجوعا الى خبر الهزيمة: ولما بلغ المنهزمون جبل حبيب، اعترضهم أهله وحاربوهم، فقتلوا سيدي محمد بن المستضيء حسبوه من أهل الريف .

(حروب بين مولاي عبد الله وأحمد بن علي الريفي)

ولما بلغوا طنجة، اشتغل الباشا بتخليف ما ضاع له من الخيل والسلاح والأبنية لأهل الريف والعبيد، وتجهيز الحركة للرجوع . وأقسم ألا يأكل لحما حتى يدخل فاس وينهبها كما نهبت محلته . ووجه للمستضيء مائتين من الخيل ومائتين من الخباوات / 74 د/ وألف مكحلة، وخمسين ألف مثقال يدفع ذلك للعبيد . وضرب له أجل الحركة، واشتغل بقضاء أمور سفره إلى جمادى عام ستة وخمسين ومائة وألف .

فخرج من طنجة . ولما بلغ خبر خروجه للسلطان عبد الله، لم يمكنه التخلف عن ملاقاته، وكتب لأهل الغرب والحياينة واشراقة وأولاد جامع الذين هم شيعته، وفرق الراتب على العبيد والوداية وزرارة . وعين أهل فاس حركتهم، وبعث لآيت ادراسن وڤراون يخبرهم بحركته ويقول لهم: « إن أردتم المال، فتأهبوا للحركة معنا لطنجة» فأسرعوا للقدوم عليه في ألفين من الخيل وأكثر منها من الرماة .

وخرج السلطان عبد الله من فاس في آخر جمادى، ونزل على وادي سبو، فأقام به إلى أن عرض عساكره وعبى جيوشه ورتبها . فجعل رماة عبيده ورماة أهل فاس في رحاة قائدهم بوعزة صاحب الشربيل، وجعل (1x) الوداية وزرارة وأهل سوس في رحاة خيلهم ورماتهم لنظر ولده سيدي محمد، وجعل ڤراون وآيت ادراسن في رحاة خيلهم ورماتهم لنظر حاجبه القائد عبد الوهاب اليموري، وسار (2x) على هذه التعبية، فلقيه اشراقة وأولاد جامع وأولاد عيسى جعلهم في رحاة، قائدهم الشيخ أحمد بن موسى الشرقي . ولما قطع وادي ورغة وجد أهل الغرب بمحلتهم ينتظرونه، فبات معهم تلك الليلة بعين قرواش . ومن الغد، جعل بني مالك في رحاة قائدهم القائد بوسلهام الحمادي، وسفيان في رحاة قائدهم القائد عبد الله السفياني، وتوجه.

وأما المستضيء مع العبيد وبني حسن، فإنه لما بلغه خروج السلطان عبد الله من فاس، خالفه لدار الملك بمكناسة، فدخلها على غرة من أهلها، واشتغل فيها بالنهب والعيث والفساد، وفعل فيها بنو حسن الأفاعيل من سبي النساء والذرية إلى أن بلغوا وسطها . وتلافى أمرهم أهلها، وقاموا لحربهم في وسط المدينة إلى أن (3x) أخرجوهم عنها، وقتلوا منهم مالا يحصى. ورجعوا منهزمين .

وأما الباشا أحمد، فإنه أقام بالقصر في جموعه من أهل الريف وأهل الفحص وجبالة والبداوة والخلط والطليف وأهل العرائش وأهل القصر، ينتظر المستضيء والعبيد وبني حسن .

(1x) ب وجعلوا .

(2x) " وصار " في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) " ان " زيد في طرة (ب) بتصحيح .

ولما أبطأ عليه وسمع بقدوم السلطان عبد الله، ارتحل من القصر .

وفي ذلك اليوم، اجتمع مع السلطان عبد الله بدار العباس على وادي لكس (27) ولما تراءى الجمعان [وأرادوا] (1x) النزول، (فقال السلطان عبد الله لأصحابه: «لا نزول إلا بالغنيمة أو الهزيمة» . فعبى عساكره وأعجلهم عن النزول) (2x)، وقصدهم في عبيده وأخواله، فحمل على مقدمتهم فهزمها . وكان فيها الخلط والطليق وأهل الفحص والبداوة . وظهرت واسطة أهل الريف التي فيها الباشا أحمد بن علي، فحملوا (3x) عليها حملة ثانية، فانهزمت . وتوجهت العساكر في اثارهم يقتلون ويسلبون، إلى أن جنهم الليل، وبقيت الأثقال بيد السلطان عبد الله.

فنزل هو هناك بمحلته بدار العباس، وبالليل رجعت العساكر بالغنائم، وأتوا معهم برأس احمد بن علي عرفه بعضهم في وسط القتلى، فقطعه وأتى به للسلطان، فبعثه لفاس وعلق بباب المحروق (28) .

(دخول شيعة أحمد بن علي الريفي في طاعة السلطان)

ومن الغد، توجه السلطان لطنجة، فقدم عليه وفود القبائل بها، فأمنهم وعفا عنهم، وخرج لملاقاته أهل طنجة بالمصاحف، وأولادهم بالألواح، ونساؤهم بالصبيان، فعفا عنهم إلا من هو من بطانة أحمد بن علي وله اتصال بخدمته .

ودخل السلطان طنجة، وكلف الخواجة عديل وجماعة من أهل فاس أن يدخلوا دار أحمد بن علي، ويحصون ما فيها (29)، فدخلوها وأخرجوا المال من خزنته، / 75 د/ والكسوة والملف والكتان والسلاح، وغير ذلك من السروج والفراش والنحاس، والاماء والعبيد، والخيل والبغال . وأمر بجمع المواشي من غنم وبقر وإبل وبهائم، فجيء بذلك، فأعطى الماشية كلها للبربر، وأطلق أيدي المحلة على الزرع، ونقله من الأمراس (30) إلى أن استوفى غرضه، واستخلص من عماله وكتابه ما عندهم من الأموال (4x)، وأقام بها أربعين يوما) (5x) ورجع.

وفي هذه السنة، قتل العسكر سلطانهم عثمان بن أحمد، وبايعوا أخاه محمود بن أحمد(31) وفي أيامه استولى الكفار على بلاد البوصنا (32)، واسترجعوا مدنها ورعاياها .

(1x) د وأرا د .

(2x) ما بين قوسين سقط من (ج)

(3x) ج عجلوا .

(4x) " من الأموال " سقط من (ك) .

(5x) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح .

(استطراد: بعض أخبار القائم العباسي)

(ومثل هذا وقع للقائم العباسي مع الأمير أرسلان التركي المعروف بالبساسيري، كان أمير الأمراء مع القائم، فعلا صيته، وخافه الأمراء، وتجبر وخرج للرحبة في أتراكه لما وقع حريق بداره ظن أنه من القائم، وكتب للمستنصر العبيدي سلطان مصر وبايعه، فوجه له المال والعسكر والرايات، وقصد بغداد .

ولما سمع بقدومه القائم، كتب " لمحمد بن ميكايل السلجوقي " صاحب الري، فوجه له العساكر وحاربوا " البساسيري " والترك وعسكر المستنصر بعد أن دخلوا بغداد، وأقاموا بها الخطبة للعبيدي، وزادوا في الآذان " حي على خير العمل " . ولما وقع الحرب، انهزم الترك وعسكر مصر، وقتل البساسيري وقطع رأسه، وأتوا به للقائم ببغداد، فعلقه، ولم يتم للعبيدي ما أراد) (1x) (33) .

(اعتراض مولاي المستضيء للسلطان مولاي عبد الله)

رجوعا (2x): وأما المستضيء لما انهزم من مكناسة بعد دخولها، وبلغه موت أحمد بن علي ونهب محلته، سقط في يده، وأن السلطان عبد الله توجه لطنجة، حرض العبيد وبني حسن على تجديد الحركة واعتراض السلطان (3x) عبد الله للطريق إذا رجع . فتوجه قاسم أبو عريف يأتي بمحلة بني حسن، وتوجه المسضيء مع العبيد للمحلة يجددون الحركة . فقوم العبيد عشرة آلاف من الخيل، وقوم بنو حسن عشرة آلاف من الخيل .

ولما قدم قاسم أبو عريف بمحلته (4x) للرمل، خرج المستضيء بعشرة آلاف من العبيد، وتوجهوا لاعتراض السلطان عبد الله وهو لا علم له بهم . فجاءت المستضيء عيونه أنه بات بدار العباس (34)، فصبحه بها على غرة .

(انهزام مولاي المستضيء ومقتل بني حسن)

فعبى عساكره وترك رماته بالمحلة، ولقاهم، ووقع القتال ساعة، فانهزم بنو حسن في الميمنة، وبقي المستضيء في الميسرة (5x)، فقصده السلطان عبد الله فيمن معه، ووقع القتال،فهب ريح النصر على عبد الله وانهزم المستضيء مع العبيد فوجه السلطان (6x) بوعزة

(1x) الاستطراد المحصور بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) " رجوعا " سقط من باقي النسخ ا لمعتمدة .

(3x) " السلطان " زيد في طرة (د) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(4x) ب، ز من محلته .

(5x) ك المسيرة .

(6x) ك عبد الله .

صاحب الشربيل في آثارهم، وأمره ألا يقتل العبيد، ويقول (1x) لأهل الغرب والبربر يجردوا ويسرحوا (2x)، فكفوا عن قتلهم ولم يقع القتل إلا في بني حسن. وكانت هزيمة عظيمة (35) قتل فيها من بني حسن أزيد من الألف، ونهب لهم أزيد من خمسة آلاف من الخيل والسلاح.

وتوجه المستضيء معهم لحلتهم ينتظر الكرة حيث كانوا في بيعته (36) هم وأهل دكالة وأهل مراكشة، وكان أخوه بناصر خليفة بها.

ولما وصل السلطان عبد الله لفاس الجديد، فرق المال على عبيده وأخواله وأسهم أهل فاس، وأقام بدار دبيبغ إلى ربيع الثاني عام سبعة وخمسين ومائة وألف (37)، فقدم عليه جماعة من قواد العبيد تائبين خاضعين متنصلين، فعاتبهم [وقرعهم] (3x) وعفا عنهم، وسامحهم وقال لهم: « لا كلام بيني وبينكم إلى أن نقطع دابر بني حسن ومن في حلفهم من شيعة المستضيء»، وأعطاهم الراتب وأمرهم بالقدوم عليه لمكناسة بمحلتهم. فتوجهو وتجهزوا (4x) للحركة، (وخرج السلطان عبد الله من فاس) (5x) ومعه العبيد والوداية وأهل فاس والحياينة وشراكة وأولاد جامع وأهل الغرب.

ولما بلغ مكناسة، قدم عليه / 76 د/ العبيد بمحلتهم، فحضر أعيانهم وأهل الحل والعقد منهم، والقاضي والعلماء، وبايعوه (38).

(1x) ب، ز، ج، ك ويقل.

(2x) كذا في جميع النسخ المعتمدة.

(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د).

(4x) " وتجهز هو " في باقي النسخ المعتمدة.

(5x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ المعتمدة.

دولة السلطان عبد الله الخامسة

ولما بويع، خرج على طريق الفج ليحول بين بني حسن والشعاب، فوجدهم على غرة ببسيط زبيدة ومعهم المستضيء، فلم يشعروا حتى لعبت الخيل في حللهم، ووقع النهب في أموالهم وتشتتوا، ولم يفلت المستضيء إلا بعد عضب الريق، وافترقت [العساكر] (1x) على السبي(39).

وجاء وفد بني حسن إلى السلطان يطلبون عفوه (2x) وحلمه، فأمر بالكف عنهم، ورد عليهم سبيهم، وترك لهم خيامهم .

(إخضاع السلطان لقبائل دكالة)

وتوجه لدكالة، فنزل قصبة أبي لعوان (40)، ونزلت عساكره أمامه ببسيط دكالة . وفر أهلها مع المستضيء لناحية الحوز، واشتغلت العساكر بنهب الزرع من الأمراس (41)، واستخراج الدفائن والهمائل، وتخريب القرى وقطع الأشجار، والعساكر تتقلب في بسائط دكالة، كلما فرغت من ناحية زادت للأخرى، والسلطان عبد الله مقيم بقصبة أبي لعوان سنة كاملة، إلى أن فرغت العساكر من أمر دكالة ولم يبق بها ما يأكله الطير أو يتظلل به .

(دخول أهل الحوز في طاعة السلطان)

وانتقل الى بلاد السراغنة (42)، فقدم عليه أهلها، وقدم عليه قبائل تلك الجبال بهداياهم ومؤونتهم، ثم (انتقل الى نواحي دمنات (43)، ففر المستضيء وأهل دكالة إلى جبل) (3x) مسفيوة (44)، وكانوا ممن بايع (4x) المستضيء ومن حزبه .

فنزل السلطان عبد الله وادي الزات، وقدم عليه الرحمانة (45) وزمران وأهل (5x) الحوز متمسكين بطاعته، ونزلوا مع محلته . وامتدت أيدي النهب ببلاد (6x) مسفيوة عيثا وتخريباوتحريقا، والحرب قائمة كل يوم مع المستضيء وحزبه، إلى أن أتى التخريب والتحريق على وادي الزات كله، ولم يبق به محل ينتفع به .

(1x) ما بين معقوفين سقط من (د) .

(2x) ج العفو .

(3x) ما بين قوسين زيد في طرة (د) بتصحيح .

(4x) " بايعوا " في باقي النسخ المعتمدة .

(5x) " وأهل " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(6x) ب أهل .

ثم انتقلت المحلة إلى وادي كجي وعاثت فيه العساكر، وعجز أهله عن الحرب، واحترقت قراهم وهدمت حصونهم وقطعت أشجارهم، وصار واديهم كأمس الدابر . فطلبوا (1x) الأمان، ونادوا بالطاعة، وجاؤوا بأولادهم متشفعين، فقال لهم:

- « تأتوا بالمستضيء .

- قالوا: إنه هرب بالأمس، ولو كان هناك لأتيناك به » .

فعفا عنهم وسامحهم . ثم أتاه أهل دكالة بنسائهم وأولادهم (2x)، وقالوا:

- «هذه نساؤنا وأولادنا، وأما المال فقد تلف وما عندنا ما نقتات به، فافعل بنا ما ظهر لك» .

فعفا عنهم، وأمرهم بالرجوع لبلادهم .

وأما المستضيء فإنه لما هرب، قصد مراكش، فمنعه أهلها من دخولها (3x)، ووجد أخاه (46) الذي كان بها مات، فأخرجوا له قشه دافعوه به وأعلنوا بنصر السلطان عبد الله بمرأى منه ومسمع وتوجه لحال سبيله (47) .

ووجهوا وفدهم للسلطان عبد الله علموه بمنعهم له من الدخول، ودفعوا له بيعتهم فقبلها منهم، وسامحهم بعد التقريع والعتب . وطلبوا منه هم وأهل الحوز يتوجه لبلادهم، فواعدهم بذلك، وأقام إلى أن وفدت عليه قبائل الدير كله .

وتفقد أهل المحلة التي معه، فوجد (4x) أكثرها هرب ولم يبق معه إلا النصف من المخزن، وأما القبائل فلم يبق إلا أعيانهم في القياطين لطول الغيبة، وكثرة الحروب، وقلة الزاد ، والخوف، لا يتعيشون إلا بالنهب (5x) لمن حصل له، فلم يمكنه الزيادة لمراكش . ورجع للغرب، ودافع أهل الحوز بولده سيدي محمد وجهه خليفة بمراكش (48)، ووجه أخاه مولاي أحمد خليفة برباط الفتح على قبائل الشاوية وبني حسن، وأقام بهذه الحركة سنتين .

(مقتل أهل الريف وبني حسن)

وفي ربيع الثاني عام تسعة وخمسين ومائة وألف (49)، بلغ مكناسة ولم يدخل القصبة ونزل بأبي فكران (50)، وهناك قدم عليه جماعة من المجاهدين أهل (6x) الريف من طنجة فوق

(1x) ك يطلبون .

(2x) ك وأولاده .

(3x) ج بدخولها .

(4x) ب فوجدوا .

(5x) " من النهب " في باقي النسخ ا لمعتمدة .

(6x) ب من أهل .

المائـة ومعهم زوجة الباشا أحمد بن علي وولداها منه بهدية عظيمة، / 77 د/ فقبض الهدية، وقتل الولدين ومن معهما من أهل الريف،[وسجن المرأة] (1x)، ثم قتل معهم (2x) من بني حسن ثلاثمائة قدموا عليه للتهنية، فكان ذلك سبب نفور الناس منه (3x)، وكثر القيل والقال في الجيش والرعية، وانقبض الناس عنه، ولم يأته أحد من البربر، وكانوا حرثوا بحوز مكناسة.

(مكر السلطان بأعيان البربر ثم إطلاق سراحهم)

فلما أدرك الزرع، أمر عبيده أن ينهبوا ذلك الزرع ويحصدوه (4x)، ففسدت نية البربر فيه ثم إنه كتب لكبيرهم محمد وعزيز (51) - وكان له معه خلة ومصافاة (5x)، وكان يقول له "أَبَت" مرارا - يلومه على انقباضه عنه، وتخلف قبائله عن الحضور لبابه، لأنهم شيعته ومواليه . فلما ورد عليه الكتاب، لم يمكنه التخلف عن مقابلته، فاستشار إخوانه في القدوم عليه، فلم يوافقوه، فحتم عليهم في تعيين الوفد وجمع الهدية.

- " فقالوا له: أما ترى ما وقع لمن قدم عليه؟

- فقال: لا ترون إلا الخير " .

وأزال خوفهم . فتوجهوا لتعيين الوفد والهدية، وقدموا عليه وأعادوا عليه القول، وحذروه مكره وغدره، فقال: " لا يكون هذا، ولستم مثل أولئك " .فما وسعهم إلا إجابته، وتوجهوا معه لقصبة أبي فكران، واجتمعوا بالحاجب (52) عبد الوهاب اليموري . فلما رآهم بهث، لكنه لم يمكنه ردهم بعد أن بلغوا، وكانوا نحو المائة، (فاستأذنه عليهم، فأمره بدخولهم عليه للقصبة) (6x)، فتركوا خيلهم وسلاحهم ودخل بهم، فوجدوا السلطان على كرسيه بوسط القلعة، فأدوا واجب التحية، وأشار لهم بالجلوس، فجلسوا أمامه .

ودخل الحرس والزبانية الذين هم المشاورية (53) في أثرهم، ووقفوا على رؤوسهم . فعاتبهم على ما يرتكبونه من العيث في الطرقات، والغارة على المستضعفين من العرب ورفاق التجار، وما وقع منهم في عساكر الملوك من النهب، ووبخهم على أفعالهم الذميمة، ومذاهبهم السقيمة، وأمر بقبضهم . فانقض عليهم الحرس انقضاض (7x) العقبان على الفريسة، وأوثقوهم في الحبال، ولم يقبض محمد وعزيز .

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(2x) " بعدهم " في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) د عنه .

(4x) ب ويحصدونه .

(5x) ك ووضافات .

(6x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ ا لمعتمدة .

(7x) ك فانقبض ... انقباض .

- " فقال له: يا مولانا، أغدرا بعد عهد ولست من أهله؟!

- فقال له: هؤلاء القوم حادوا عن شرائع الدين، وحل مالهم ودمهم لخروجهم عن الطاعة وبعدهم عن الاستقامة . وقد أعياني أمرهم، وما جئت لهذا الأمر بعد خروجي منه إلا بسببهم، وأردت أن أقابل هذا التيس الأسود مع هذا الكبش الأبيض، وأستريح من غصة من تلف منهما وأتمسك بالآخر . ولولا أنك بمنزلة والدي، ما أطلعتك على ما في ضميري . فقم في حفظ الله .

- فقال: والله لا أقوم ولا أتوجه إلا مع إخواني، إن ماتوا مت معهم ويبقى لك غدرك، ولا يتحدث الناس أني دفعتهم للذبح ورجعت، فبأي وجه أسير؟ وإلى أين أقصد؟ وأي أرض تمنعني من عشائرهم؟ ولا بد لي من القتل، فقتلك لي من جملتهم، أوفق لي وأجمل لي، ولا إثم عليك في ذلك، لأني أنا الذي قدتهم لك (1x)، وأتيت بهم إليك بعد عرضهم علي هذا كله". فجعل السلطان يتدبر في كلامه، والتفت إلى عبد الوهاب، وقال:

- ياعبد الوهاب، لا خير في رجل يقول لرجل" أبت "، ولا يشفعه في قبيلته (2x) خلوا عنهم" .

فسرحوهم وأخرجوهم، فركبوا خيلهم وتوجهوا لحلتهم . وتحدثوا مع محمد وعزيز، وعاتبوه على ما حملهم عليه من ملاقاته ومعرفته، وقالوا له:

- " نحن متنا وبعثنا، ولا بد لنا من الأخذ بالثأر .

- فقال (3x): شأنكم وما تريدون " .

فتنحوا عنه، وتكلموا إلى أن اتفق رأيهم على الحركة إليه لثلاثة أيام، ومن تخلف عنها، تحرق خيمته . وأخبروا محمد وعزيزيما وقع عليه الاتفاق (4x)، فقال لهم: " أوصوا إخوانكم على الطرقات، وتفرقوا لحللهم " . وقوموا حركتهم .

(وقعة أبي فكران بين جموع البربر ومولاي عبد الله)

فلم يشعر السلطان عبد الله إلا وكتائب البربر مطلة عليه من الحاجب (54)، فلم يسعه إلا حمل أثقاله (5x)، وركوب عياله وجواريه، وجعلهم أمامه مع رحاة من رماة المسخرين، وأردفهم رحاة من الخيل، وركب هو في / 78 د/ موكبه خلفهم، واردفته رحاة من خيل العبيد، وانحدروا مع بطن الوادي، وبقيت خزائن العبيد في أيدي العدو، وتفرق البربر عليه من يمين الوادي ويساره، وكلما دفعت طائفة منهم على المسخرين، يخرجون فيها ساروتا من الرصـــاص، وإذا

(1x) " لك " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) د قبيله .

(3x) " لهم " في باقي النسخ المعتمدة .

(4x) ك في الاتفاق .

(5x) " اثقاله" سقط من (ك) .

دفعت على الخيل كذلك، فيسقط منهم الأربعون والخمسون، وإذا دفعوا عليه هو، يخرج فيهم حاضرونا (55) من الرصاص، فيسقط منهم الخمسون والستون، وهو سائر على هذه التعبية، وهم يحملون عليه من كل ناحية فيردهم إلى أن دخل على باب القزدير . فمات من العبيد نحو الثلاثمائة، ومات من البربر على ما قيل نحو الخمسمائة، ورجعوا عنه بخفي حنين، وجمعوا أمواتهم (1x) وكفنوهم في الخباوات . وكانت هذه الوقعة (56) عام تسعة وخمسين ومائة وألف .

(خروج عبيد الديوان عن طاعة مولاي عبد الله)

ولما دخل العبيد لمكناسة واجتمعوا مع إخوانهم، تكلموا، بما في نفوسهم، وأظهروا ما (2x) في قلوبهم، وقالوا: " إنه قال لمحمد وعزيز: أردت أن أقابل هذا الكبش الأبيض مع التيس الأسود " . ودارت بينهم هذه الكلمة وحملوا منها أمرا عظيما، وقالوا: " لم يبق لنا شك أن هذا الرجل ماله غرض إلا في (تلفنا وفي هلاكنا) (3x)، فانظروا لأنفسكم أودعوا " . وكتبوا للديوان يخبرونهم بالواقع، ويستشيرونهم (4x) في أمره .

فأخبر السلطان عبد الله (5x) بعض عيونه من العبيد بما دار بينهم من الكلام، وببعثهم للديوان . فكتب السلطان عبد الله للوداية يقول لهم: « إن كان لكم حاجة بابن اختكم عبد الله، فاقدموا عليه الساعة» .

(انتقال السلطان مولاي عبد الله لفاس)

واشتغل هو بشد قشه وحمل ماله، و (6x) أسرج خيله، وقال لأصحابه: « غداً إن شاء الله نرجع لأبي فكران » . وبعد العشاء بلغته خيل الوداية في أربعمائة [فارس] (7x) لباب القزدير، فركب وأخرج عياله وقشه، وحمل ماله وسار معهم طول ليلته، فأصبح على فاس، فدخل داره وأمن على نفسه .

(استطراد : عزل السلطان العثماني مصطفى الثاني)

وهكذا وقع للسلطان مصطفى بن محمد بن ابراهيم العثماني (57) لما اتفق عسكر الاسطنبول على قتله، وقتلوا شيخ الاسلام والوزير وأهل المناصب . ففر السلطان من الاسطنبول لأدرنة، وكان العسكر مفرقا، نصفه مع السلطان ونصفه أراد قتله وهما متقابلان . فلما هرب

(1x) " موتاهم " في باقي النسخ المعتمدة .

(2x) ج بما .

(3x) " إهلاكنا " في باقي النسخ المعتمدة

(4x) ك ويستشرونه .

(5x) " عبد الله " زيد في طرة (ز) بتصحيح .

(6x) ك " وسار معهم طول ليلته، فأصبح على فاس فدخل داره وأمن على نفسه بعد أن "

(7x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

السلطان، توسط بينهما العلماء في الصلح، وعزلوا السلطان مصطفى، وولوا أخاه السلطان أحمد بن محمد بن إبراهيم (58) وذلك عام (1x) أحد (2x) عشر ومائة وألف (59).

ولما بلغ كتاب العبيد للديوان وقرؤوه، قالوا: " لا ينفعنا المقام هنا في وسط بني حسن لا ننفع إخواننا ولا ينفعوننا " (3x)، واتفقوا على الرحيل لمكناسة لثلاث (4x)، وتوجهوا لها فنزلوا بالقصبة وبالمدينة وبالاسطبل وبيريمة وبهدراش وبالرحاب المتسعة، واجتمعوا بها. وفي العيد، توجه جماعة من قواد العبيد والقاضي والفقهاء والاشراف (5x) من مكناسة (لفاس لحضور العيد مع السلطان عبد الله، ويطلبونه في الرجوع لمكناسة) (6x)، واعتذروا عما بلغه عنهم، فأعطاهم مالا ووعدهم بالقدوم إليها.

ولما رجعوا من عنده، اعترضهم البربر بالجديدة وجردوهم وأخذوا ما معهم، ولم يتركوا إلا القاضي أبا القاسم العميري على بغلته، وأصبحوا بباب مكناسة مجردين.

(خروج أهل فاس وقبائل البربر والعرب عن طاعة السلطان)

وأما البربر، فإنهم لما رجعوا من وقعة أبي فكران، كتب محمد وعزيز لأهل فاس وأعلمهم بما وقع منهم، فدخلوا في حزبهم، وكتب للحبيب (60) وأهل الغرب، فقالوا: «نحن تبع لكم ومن حزبكم». وخالفوا على السلطان، واستمر الحرب بين الوداية وأهل فاس إلى أن بلغ ركب الحجاج لتازة، فاستغاث أهل فاس بالبربر يأتونهم بالحجاج، فتوجهوا في خمسمائة من الخيل، واجتمعوا بالحياينة.

فدخلوا في حزبهم، وتوجهوا معهم لتازة، ورجعوا معهم إلى أن دخل الحجاج على باب الفتح، ونزل الحياينة والبربر بالزيتون، ودخل / 79د / من دخل منهم لقضاء غرضه بفاس، فأغار عليهم الوداية وتحاربوا معهم، فهزمهم (7x) الوداية، وقتلوا منهم كثيرا، فأمرهم السلطان عبد الله أن يعلقوا رؤوسهم بقصبة شراكة، فعلقوها.

وبعد هذا، اتفق رأي أهل فاس على بيعة السلطان عبد الله ووجهوا له، فأمرهم بالوصول إليه. فخرج أعيانهم وعلماؤهم وأشرافهم، فلما وقفوا بين يديه، وبخهم وعنفهم وهددهم، وعدد عليهم أفعالهم، وشرط عليهم شروطا من جملتها أن يعطوه زرع العرب المخزون ببلادهم

(1x) " عام " سقط من (ك)

(2x) ك إحدى.

(3x) " ولا ينفعونا " في جميع النسخ المعتمدة.

(4x) " لثلاثة " في باقي النسخ المعتمدة.

(5x) " والأشراف " سقط من (ب).

(6x) ما بين قوسين سقط من (ب).

(7x) ب فهزموهم.

ويهدموا دورهم ويبنو بأنقاضها (1x) دار دبيبغ، ويختاروا [واحدة من مسألتين] (2x)، إما أن يكونوا جيشا أو نائبة . فقالوا: «نجتمع على هذا الأمر مع إخواننا ويقع (3x) الجواب» .

ولما رجعوا من عنده، اغلقوا أبواب المدينة، وقالوا: « لا نفعل شيئا من هذا كله» . ورجع الحرب لحاله الأول، وارتفعت الأسعار . وفي سابع الحجة، نهبوا القفاطين (4x)، كانوا بفندق النجارين، كانوا (5x) على يد عديل وهي ثلاثة آلاف، فرقوها على الرماة عيدوا بها، وقبضوا على الحاج الخياط عديل ليدفع لهم مال المخزن الذي عنده، فافتدى منهم بثلاثة آلاف مثقال .

وفي أول جمادى الأولى عام ستين ومائة (6x) وألف، قدم قبائل البربر وقبائل العرب لإعانة أهل فاس وحرب (7x) السلطان عبد الله . فنزل القائد الحبيب بأهل الغرب والخلط وطليق بدار الأضياف (8x)، ونزل محمد وعزيز بالبربر بتغط، وانحجر الوداية (9x) بفاس الجديد، والعبيد بقصبة شراقة، والسلطان عبد الله بدار دبيبغ .

ومن الغد، ركب الحبيب وجموعه، وقصدوا دار دبيبغ والبربر على آثارهم، فلما بلغوا حريم دار دبيبغ، بلغهم أن البربر نهبوا محلتهم، فرجعوا منهزمين وقطعوا الوادي وتوجهوا لغربهم والبربر لما نهبوا المحلة توجهوا لسايسهم .

قيل: إن السلطان عبد الله وجه بالليل مالا لمحمد وعزيز فرقه في البربر على أن يفرقوا عنه ذلك الجمع، ففرقوه بنهب محلة العرب، ولم يبق غير أهل فاس في محلتهم، فبعثوا رسلهم(10x) للمستضيء يأتيهم ليبايعوه وهو بحوز طنجة، فرد رسلهم بالوعد.

(إغارة عبيد السلطان على أهل الغرب)

وفي أثناء هذا، قدم بنو حسن على السلطان شاكين بأهل الغرب أنهم لما رجعوا بمحلتهمنهبوا مالهم وغاروا عليهم ببلادهم، فوجه معهم المحلة من العبيد والوداية يأكلوا أهل

(1x) ج بانفضاضها .

(2x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(3x) ك من يقع .

(4x) ب التي .

(5x) " كانوا " سقط من (ج) (ك) .

(6x) أ، ب، ز، ومائتين .

(7x) ب وهرب .

(8x) ج الضيافة .

(9x) " الوداية " زيد في طرة (د) بتصحيح .

(10x) د رسولهم

الغرب، فهربوا من بلادهم هم (1x) والخلط وطليف، وتوجهوا للعرايش، فتحصنوا بها فلما بلغتهم المحلة، انحصروا بها وضاعت أموالهم جوعا، وطال بهم الحصار ثلاثة أشهر . ثم جاءهم الوداية من عند السلطان بالأمان، وجه لهم المصحف والسبحة، وعاهدوهم . فارتحلت المحلة عنهم، وتوجهوا للسلطان بهديتهم، فسامحهم وولى القائد الحبيب على قبائل الجبل كلهم، وأما أهل (2x) المحلة، فإنهم لما ارتحلوا من العرايش، باتوا بالقصر، وضيفهم أهله بما قدروا عليه من العلف والطعام.

ومن الغد، دخلوا القصر واستباحوه، ونهبوا وقتلوا وسبوا وفعلوا الأفاعيل القبيحة، واستمر ذلك عليهم ستة أيام . وتأسف المسلمون على ذلك . وكان ذلك في محرم واحد وستين ومائة وألف .

وفي جمادى الثانية، خرج السلطان عبد الله للحركة، ونزل أبو فكران بقصد البربر ظنا منه أن المحلة تقدم عليه على عادتها، فلم يأته أحد . فبعث إلى العبيد يأتونه بالمحلة بقصد البربر، فقالوا له: « حتى يأتي الوداية والقبائل ونتوجه (3x) جميعا » . وحيث لم يأتوه رجع لمكناسة .

فاتفق البربر على الحركة إليه، فقال لهم محمد وعزيز: « الرأي هو أن تنزلوا بسايس وتحولوا بينه وبين العبيد، لا يصلهم ولا يصلونه » . فنزلوا ثم قدمت (4x) / 80 د / جموع (5x) البربر لفاس (6x)، ونهبوا مواشي الوداية وزرعهم وضيقوا بهم المتسع، وتسوقوا فاسا وباعوا بها واشتروا عشرة أيام وتوجهوا .

وفي أول رجب، بلغ الخبر أن أهل الريف قبضوا على المستضيء ونهبوا خيله وماله ومن معه وسجنوه إلى أن يدفعوه لأخيه عبد الله لأنه اشتغل بظلم الناس بالفحص وطنجة (61) وأما أهل تطوان لم يبايعوه ولا عرفوه، وقبض على القائد عبد الكريم أخو الباشا أحمد فأخذ ماله وسمل (7x) عينيه، فامتحنوه على فعله) (8x).

(1x) " هم " سقط من (ب) .
(2x) " اهل " سقط من (ب) .
(3x) ك ونتوجهوا .
(4x) ب نزلت .
(5x) ك جيوش .
(6x) ك جميعا .
(7x) ب وكحل . ك وسيل
(8x) ما بين قوسين سقط من (ب) .

وفي شوال (1x)، أحرق الوداية باب المحروق ليلا، ففطن بهم العساسون ودفعوهم (2x) عنها. ومن الغد ركبوا لها أبوابا جددا .

(رجوع أهل فاس لطاعة مولاي عبد الله ووقوع الصلح مع الوداية)

وفي ذي القعدة، وقع الصلح بين السلطان وأهل فاس على يد واحد (62) من أشراف أهل (3x) تافيلالت، وجهوا له معه (4x) كتابا بالعذر والتوبة، فأجابهم عنه بآخر (5x) وحلف لهم أنه لم يأمر بحربهم وضررهم، وما فعل ذلك إلا الوداية الذين يغيرون (6x) عليهم . وبعد هذا الكتاب، توجه أعيانهم وفقهاؤهم وأشرافهم والحجاج إلى حضرته بمكناسة بالزطاط (63)، ففرح بهم وسامحهم ورجعوا (64) .

ووقع الصلح مع الوداية بضريح مولانا إدريس، وفتحت المدينة بعد حصار سنتين وثلاثة أشهر. وفي العيد، توجهوا له من فاس بالزطاط، ورجعوا به (65) .

(خروج العبيد على السلطان ومبايعتهم ابنه سيدي محمد)

ولما سمع البربر صلح أهل فاس مع السلطان، وأنه طلب الحركة لهم من العبيد، شنوا عليهم الغارة (7x)، وقطعوا عنهم المرافق، وضيقوا بهم المتسع بخطف أولادهم من الأجنة والبحائر . ولما وجهوا لهم في الصلح، قالوا لهم: « إن السلطان أمرهم بهذا » .

فلما سمع العبيد هذا من البربر، لم يشكوا حيث أمرهم بالحركة إليهم، فامتنعوا، وقالوا: «حتى يأتي الوداية والقبائل ونتوجه معهم »، وحيث لم يأته أحد، أبطل الحركة . فاتفق رأيهم على قبضه وقتله .

وفي المحرم عام اثنين وستين ومائة وألف (66)، هرب السلطان عبد الله من مكناسة، ونزل دار دبيبغ، لأنه بلغه أن العبيد اتفقوا على قبضه وقتله، فهرب .وفي صفر العام، قدمت الهدية للسلطان من ولده سيدي محمد من مراكشة، قيل إن بها نحو الثلاثين ألف مثقال (67) .

وبلغ الخبر أن العبيد تصالحوا (8x) مع البربر، لأنهم كانوا ضيقوا بهم بمكناسة بـالقـطـع

(1x) بياض في (ب) .

(2x) ب ودفعهم .

(3x) " اهل " سقط من (ب) .

(4x) " معه " سقط من (ب) .

(5x) ز باخرى .

(6x) ك يغيروا .

(7x) " الغارة " سقط من (ب) .

(8x) " اصطلحوا " في باقي النسخ ا لمعتمدة .

والنهب وقطع الميرة، وسبي من يخرج من أولادهم من البحائر (1x) والأجنة على أنهم يبايعون سيدي محمد بن عبد الله، فبايعوه (2x) بمكناسة، ووجهوا له (3x) البيعة مع أعيانهم لمراكش وخطبوا به بمكناسة وزرهون . ولما بلغوا، دفعوا له البيعة، فلم يقبلها، وردها لهم، وأعطاهم مالا، وأعرض عن الكلام في ذلك . فرجعوا من عنده، واستمروا على الخطبة به بمكناسة وزرهون . وهذا الخلع هو السادس للسلطان عبد الله (68)

ولم يتفق هذا لملك من ملوك المشرق والمغرب، غيره وغير المتوكل العباسي (69) من خلفاء مصر، فإنه خلع ثلاث مرات، وخلف نحو المائة ولد، ملك منهم خمسة (70) .

وكذلك السلطان إسماعيل ملك (4x) المغرب، ملك من أولاده سبعة .

(وكذلك سلطان مصر محمد بن قلاوون ملك من أولاده ثمانية) (5x) .

وفي شعبان، أمر السلطان من ينادي بأسواق فاس على العبيد الذين بها، من لم يحضر إلى دار دبيبغ، فلا يلوم إلا نفسه . فتوجهوا له، فأعطاهم خمسة (6x) دنانير للواحد، وقال لهم: « ابعثوا لإخوانكم الذين بمكناسة، من أتى منهم، يقبض ما قبضتم». فلما بلغهم ذلك، لم يزدادوا إلا بغضا، وبعثوا للبربر الذين بسايس، يقولون لهم: « كل من قبضتموه من العبيد متوجها لفاس، فاقتلوه» . ونادوا بخلعه.

(مراجعة البربر والوداية والعبيد طاعة السلطان)

/ 81 د/ وفي رمضان، قدم محمد وعزيز على السلطان مع إخوانه، فأعطاهم عشرة آلاف دينار وفي العيد، قدموا عليه. فأعطاهم عشرة آلاف دينار (7x) أخرى، وللوداية عشرة آلاف دينار(7x) أخرى، ولأهل فاس عشرة آلاف .

وفي عام ثلاثة وستين ومائة وألف، لم ينزل المطر، ووقع الوباء (71) .

وفيه قدم سيدي محمد من مراكش، وتخاصم مع العبيد حيث وجدهم يخطبون به، وقال لهم: « إني بريء منكم ومن فعلكم، إنما أنا خديم والدي» . فتركوا الخطبة، وجددوا بيعتهم للسلطان عبد الله .

(وفي هذا العام، مات مولاي أحمد بن عبد الله (72) بفاس، ودفن بقبور الأشراف) (8x) .

(1x) " للبحائر " في باقي النسخ المعتمدة .

(2x) " فبايعوه " سقط من (ب) .

(3x) " له " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(4x) " صاحب " بدل " ملك " في باقي النسخ المعتمدة .

(5x) زيادة من (ك) .

(6x) " خمسة " سقط من (ب) .

(7x) " دينار " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(8x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح، وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

دولة السلطان عبد الله السادسة (73)

ولما بايعه (1x) العبيد بمكناسة، وتوجهوا مع ولده سيدي محمد، وجرى في الصلح بينهم وبين والده، وتوجه أعيانهم معه في محلته التي أتى بها من (2x) الحوز نحو الأربعة آلاف . وخرج الوداية وأهل فاس لملاقاته، ولما اجتمع مع والده، شفع فيهم، فشفعه وقال له: « لا تبت هنا » . فما بات إلا برأس الماء (74) .

ثم قدم على السلطان جماعة من ڤروان وبني مطير للعيد، فأعطاهم عشرين ألف مثقال، ثم قدم عليه قواد العبيد من مكناسة، فلم يعطهم شيئا .

وفي عام أربعة وستين ومائة وألف، وجه سيدي محمد من مراكش مع أصحابه هدية لوالده، فأثنى عليه خيرا ودعا له به .

(توسط سيدي محمد في الصلح بين العبيد ووالده السلطان)

وفي ذي القعدة، أعطى السلطان للوداية عشرة آلاف ريال وللعبيد الذين معه ثلاثة آلاف ريال، وذلك لما سمع أن عبيد مكناسة توجهوا لولده سيدي محمد، وقالوا له: « إما أن تكون سلطاننا أو نبايع عمك المستضيء » . وشكوا له إهمال والده لهم، لما توجهوا له في العيد وأعطى البربر أعداء الدولة وحرمنا ، فأعطاهم مالا من عنده، طيب خواطرهم به، وكتب لوالده بذلك .

فتوجهوا بكتابه لوالده، فسامحهم وأعطاهم عشرين ألف ريال، وتم الصلح بينهم وبينه . ورجعوا لمكناسة، واستكانوا .

(تولية محمد الوقاش على تطوان)

وفيه بلغ الخبر أن أهل تطوان قتلوا قائدهم الحاج محمد تميم (75)، وجاؤوا للسلطان، فقال لهم: « أنتم قيدتموه، وأنتم قتلتموه، فاختاروا لأنفسكم من ترضونه» . فاتفقوا على محمد بن الحاج عمر الوقاش (76)، فولاه عليهم، وانصرفوا .

(سفارة إسبانية لدى السلطان مولاي عبد الله)

وفي ربيع الأول من عام خمسة وستين ومائة وألف (77)، قدم باشدور الاسبنيول بمائة ألـــف

(1x) ج بايعوه .

(2x) " اهل " في (ج) (ك) .

ريال دورو، وما يناسبها من الحرير والملف (78) والكتان، وغير ذلك، بقصد فكاك أسرى جنسه، وقدم معه أهل تطوان بهدية فيها ثلاثون ألف مثقال، فقبض المال وقال للباشدور: «حتى يأتي أسرى المسلمين» . وأعطى للعبيد من ذلك المال ريالتين للواحد ولنسائهم كذلك، وكانوا ألفين ومائتين . (79)

وفي عام (1x) ستة وستين ومائة وألف، قام أهل فاس لشراء الخيل وأكثروا منها . (80) وقدم العبيد على السلطان للعيد، فأعطاهم عشرة آلاف ريال .

وفيه مات السلطان محمود (81)، وتولى الملك السلطان عثمان الرابع (82)، ولم تطل مدته.

(زلزلة عظيمة بمكناسة)

وفي عام سبعة وستين ومائة والف، كانت الزلزلة العظيمة التي هدمت مكناسة وزرهون (83) ومات فيها (2x) خلق كثير (3x) .

(فتنة بين آيت ادراسن وگروان)

وفي عام ثمانية وستين ومائة وألف، مات محمد وعزيز كبير آيت ادراسن، وقاموا بالحركة لڤروان، ففروا منهم (4x)، واستحرموا بدار دبيبغ، واشتغلوا ببيع مواشيهم، فبلغت الشاة أوقية(84)، والبقرة خمس أواق بسوق فاس / 82 د/، فأمر السلطان عبد الله الوداية بإعانتهم، وآخى بينهم فقاموا لنصرتهم وإعانتهم .

ووقع القتال، فكانت الهزيمة على آيت ادراسن، وانتهبت حلتهم وفرت خيلهم ومن سلم منهم لبلاد شراڤة، فنزلوا بها . فكان عدد من قتل منهم بتلك الوقعة نحو الخمسمائة . وهذا سبب حلف الوداية مع ڤراون .

(مقتل بعض قواد عبيد الديوان)

وفي عام تسعة وستين ومائة وألف، قدم على السلطان عبد الله عبيد مكناسة بقصد أن يتوجه معهم لدار الملك، فقال لهم: «كيف أسير معكم وفي وسطكم فلان وفلان؟» لجماعة سماهم لهم . فلما رجعوا للمحلة وجن الليل، قاموا لقتل من سمى لهم وأمثالهم . فقتلوا جماعة من قوادهم ممن سمى لهم، فيهم القائد محمد السلاوي، والقائد زعبول، والقائد سليمان بن العسري في آخرين، تطييبا لخاطره .

فلما بلغه ذلك، وجه لهم أربعين ألف مثقال راتبا، وقال لهم: «إذا فرغت من عملي، أقدم

(1x) " عام " سقط من (ك) .

(2x) ز فيهما .

(3x) ك خلقا كثيرا .

(4x) ز منه.

عليكم» . ووجههم لمكناسة .

وفي العام، قدم عليه القائد محمد الوقاش من تطوان بهدية فيها مائة ألف ريال دورو، وسلع ونصارى غنمهم غلائطه، فأكرمه وأعطاه جاريتين، وتوجه .

(انتقال مولاي علي من الأحلاف إلى مكناسة ثم إلى سجلماسة)

وفي العام نفسه، قدم عليه أخوه علي المخلوع (الذي كان قاطنا عند الأحلاف بعد عزله)(1x) لدار دبيغ، فأعطاه مالا وحوائج قومت بعشرة آلاف مثقال، وخيره بين تافيلالت ومكناسة، فاختار مكناسة .

فاعطاه أمكاسها (2x) وأجنة (85) المخزن التي بها وأرضه، وتوجه لها . ولما بلغ فصل الحرث، حرث بها، فقبضه (3x) العبيد فوجهوه إلى السلطان مكبلا، وقالوا له: «إن هذا أفسد علينا بلادنا »، فوجهه لسجلماسة .

وفيه نهب البربر جميع ماشية الوداية، وأفسدوا زرعهم وبحائرهم .

(1x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) ك أمسا كها .

(3x) أ فقبضوه .

التعاليق والهوامش

(1) سورة الزمر . الآية 10

(2) سورة البقرة . الآيتان 155 و 156 .

(3) أبو الفتح علي بن محمد البستي، شاعر شهير وأحد كتاب الدولة السامانية في خراسان . توفي ببخارى سنة 400 هـ أو 401 هـ . أورد له صاحب زهر الآداب أكثر من 100 بيت شعري . والبيت الذي استشهد به المؤلف هنا، وارد في الجزء الأول منه، ص 314، وروايته « .. ولا مثل حسن الصبر جبة لا بس .. » .

انظر كذلك: وفيات الأعيان 3 : 376 - 378 . الذهبي، العبر 3 : 75 . بروكلمان، تاريخ الادب العربي 5 : 23 .

(4) تكرار لما ذكر المؤلف سابقا .

(5) الخليفة الاموي الحادي عشر الملقب ب « الناقص » توفي في 7 ذي الحجة 126 هـ / شتنبر 744م بعد أقل من ستة أشهر من الحكم .

تاريخ الخلفاء ص 252 - 253 . ابن خلدون 3 :132 - 140. فروخ، تاريخ صدر الاسلام ص 190

(6) تم عزل مولاي زيد العابدين بن إسماعيل في رمضان 1154 هـ/ دجنبر 1741م .

حوليات النشر ص 67 . الضعيف 1 : 242 . الجيش 1 : 113 الاتحاف 3 : 76 .

(7) انظر هامش 52 (الباب التاسع أيضا) .

(8) أواخر غشت 1741م

(9) انظر التفاصيل في: نشر 4 : 30 . حوليات النشر ص 66 . التقاط ص 389 . الترجمان ص 50 .

(10) " دار دبيبغ " تطلق على القصبة التي بناها السلطان مولاي عبد الله على بعد نحو كيلومترين من السور الجنوبي لفاس الجديد .

الاتحاف 4 : 425 . لوترنو، فاس قبل الحماية 1 : 129 . الدرر الفاخرة ص 53 .

(11) وهي البيعة الرابعة للسلطان مولاي عبد الله، وقد تمت في منتصف رمضان 1154 هـ/ أواخر دجنبر 1741م .

نشر 4 : 30 . حوليات النشر ص 67 . الضعيف 1 : 243 . الاتحاف 4 : 427 .

(12) كان ذلك في أواخر ذي الحجة 1154 هـ/ أوائل أبريل 1742م .

الضعيف 1 : 244 .

(13) " ... وأحضر العلماء والأشراف وأعيان الديوان، وبايعوه البيعة العامة، وكتبوا بيعته للآفاق . وقدمت عليه الوفود من الثغور والجبال والعرب، وأقام بمكناسة يتجهز للحركة وينتظر قدوم محلة العبيد من الرملة .." . تكملة من الترجمان المطبوع ص 51 .

وقد كانت هذه البيعة الثانية في أواخر ذي القعدة 1154 هـ / أوائل مارس 1742م، وبذلك أصبح حكم البلاد مقتسما بينه وبين أخيه مولاي عبد الله .

نشر 4 : 31 . حوليات النشر ص 68 . التقاط ص 390 . الضعيف 1 : 245 . الاتحاف 4: 427.

(14) للمزيد من التفاصيل، انظر المصادر السابقة (هامش 13) ما بعد الصفحات.

(15) انظر هامش 48 (الباب الثالث).

(16) حول هذا الموضوع، انظر نفح الطيب 2 : 86 – 145 .

(17) سبق التعليق بما يخالف هذا.

(18) « العسال » تطلق على المنطقة الواقعة على ضفاف نهر سبو على مقربة من قنطرته الشهيرة .

(19) أحد القواد الكبار الذين اعتمدهم مولاي المستضيء في أموره، وقد قتل خلال هذه المعركة التي خاضها إلى جانب مخدومه ضد السلطان مولاي عبد الله .

(20) " الرحا " تطلق هذه اللفظة على كتيبة عسكرية تتكون من ألف جندي .

العز والصولة 1 : 407 .

(21) كان صاحب مؤونة الجيش في عهد مولاي عبد الله، وهو الذي تولى قيادة العبيد بعد عزل فاتح بن النويني في أواخر شوال 1152 هـ/ فبراير 1740م .

الضعيف 1 : 229 وهامش 33 .

(22) عن هذه الاحداث، انظر كذلك: نشر 4 : 38 . حوليات النشر ص 70 . الضعيف 1 : 247 الاتحاف 4 : 430 .

(23) جمع « حمّار »، وتطلق هذه اللفظة على المستخدم الذي يقوم بنقل المسافرين أو السلع بين المدن على ظهر الدواب .

العز والصولة 1 : 405 .

(24) كان « الريال » لذلك العهد يساوي أكثر من 2000 سنتم من سكتنا اليوم .

الاكسير ص 48، هامش 1 . العز والصولة 1 : 407 .

(25) انظر هامش 40 (الباب التاسع أيضا) .

(26) انظر أزهار الرياض 3 : 89 .

(27) " نهر اللكوس " ينبع من مرتفعات الريف الغربي، ويصب بالمحيط الأطلسي قرب مدينة العرائش مارا بمدينة القصر الكبير .

(28) تمت هذه المعركة الحاسمة في 14 جمادى الثانية 1156 هـ/ 4 غشت 1743م .

للمزيد من التفاصيل انظر: نشر 4 : 43 . حوليات النشر ص 71 . التقاط ص 396 . الضعيف 1 : 256 . الجيش 1 : 116 . الاستقصا 7 : 164 . تاريخ تطوان 2 : 218 .

(29) انظر كذلك تاريخ تطوان 2 : 230 .

(30) انظر ابن زيدان، العز والصولة ص 409 .

(31) انظر هامش 23 (الباب العاشر).

(32) تعرف كذلك ب " البوشناق " وتقع شمال " الهرسك " وسط يوغوزلافيا .

(33) تكرار لما سبق ذكره سابقا.

(34) وهو مكان على مقربة من « وزان »، ولا يبعد كثيرا عن موقع المعركة التي قتل فيها الباشا أحمد بن علي الريفي .

نشر 4 : 45 . التقاط ص 396 . الترجمان ص 55 .

(35) تم ذلك في رجب 1156 هـ/ غشت 1743م .

الضعيف 1 : 257 . نشر 4 : 45

(36) يشير إلى البيعة الثالثة لمولاي المستضيء، وقد تمت بسلا في رجب 1156 هـ/ أوائل شتنبر 1743م .

الضعيف 1 : 261 . الاتحاف 4: 343 .

(37) ماي - يونيه 1744م .

(38) وهي البيعة الخامسة لمولاي عبد الله، وقد تمت بمكناسة في ربيع الثاني 1157 هـ/ ماي - يونيه 1744م .

الاتحاف 4 : 435 .

(39) كان ذلك في ذي القعدة 1157 هـ/ دجنبر 1744م . وعن هذه الحركة، انظر :

نشر4 : 49 . حوليات النشر ص 72 . الضعيف 1 : 263 . الجيش 1 : 118 . الاستقصا 7 :168.

(40) مدينة صغيرة في منطقة دكالة على ضفة نهر أم الربيع في ملتقى الطرق بين أزمور ومشرع ابن عبو وبين سطات وسيدي بنور .

الوزان 1 : 122 . مارمول 2 :103 .

(41) انظر ابن زيدان، العز والصولة ص 409.

(42) يطلق هذا الاسم على مجموعة من القبائل المستقرة شمال شرق مدينة مراكش وجنوب وادي أو الربيع .

العز والصولة ص 153، هامش 5 .

(43) انظر هامش 14 (مقدمة المؤلف).

(44) " مسفيوة " ، قبيلة بربرية متمركزة في المنطقة المعروفة اليوم ب «وريكة » جنوب شرق مراكش، بين قبيلتي سكتانة غربا وگلاوة شرقا .

التقاط ص 399، هامش 2 . العز والصولة 1 : 153 هامش 3 . الضعيف 1 : 228 هامش 24 .

(45) قبيلة عربية كبيرة مستقرة بالسهل الواقع جنوبي وادي أم الربيع شمال مدينة مراكش . تتألف من عدة عشائر منها ، بربوش ومطاع وأولاد حصين والجعافرة وأولاد عبو والصخور وغيرها . العز والصولة 1 : 153 هامش 1 .

(46) يشير إلى مولاي " بناصر " الذي كان خليفة عليه بها .

(47) « ... مر بتامسنة، فلم يعتبره أحد من أهلها ، ولما بلغ بلاد بني حسن، لم يعرجوا عليه ولا بلغوه، فتوجه للفحص، وأقام بحوز طنجة لأن أهل الريف تحاموا تحامي الحرباء، وأقام هنالك يتسلط على ضعفاء أهل الفحص ...» .

تكملة من الترجمان المعرب ص 58 .

(48) عين مولاي محمد خليفة على مراكش عام 1158 هـ / 1745م .

انظر نشر 4 : 51 . حوليات النشر ص 73 . الضعيف 1 : 265 .

(49) ماي 1746م .

(50) انظر هامش 16 (الباب الثامن).

(51) أحد كبار قواد " آيت ادراسن " لعب دورا أساسيا في الحروب المتقدمة إلى جانب السلطان مولاي عبد الله .

(52) " الحاجب " لقب لموظف سام بالقصر، كان يقوم بدور « الوساطة » بين الملك ووزرائه وكبار موظفيه وعلى يده كانت تصلهم الاوامر والتوجيهات السلطانية.

العز والصولة 1 : 404

(53) " المشاورية " تطلق على أعوان قائد المشور، وهم بمثابة أصحاب الشرطة، بواسطتهم

تبلغ الأوامر المولوية إلى الرعية، وتوزع مكاتيب الولائم وغيرها .

العز والصولة 1 : 133 و ص 410 .

(54) مركز حضري وسط قبائل بني مطير على بعد 32 كلم جنوب شرق مدينة مكناس على الطريق الرئيسية المؤدية إلى أزرو .

(55) لفظة تطلق على دفعة من البارود لعدد من البنادق في آن واحد .

الاستقصا 8 : 11 . إيليغ ص 282 هامش 568 .

(56) وهي المعروفة بوقعة " بوفكران " ، وقد كانت في أواسط عام 1159 هـ/ أواسط 1736م .

الاتحاف 4 : 438 – 439 . الاستقصا 7 : 171 - 174 .

(57) انظر هامش 128 (الباب الثالث) .

(58) انظر هامش 135 (الباب الثالث) .

(59) كان ذلك في 2 ربيع الثاني 1115 هـ / 15 غشت 1703م، وهو غير ما ذكر المؤلف . انظر التفاصيل في: آصاف ص 122 . تاريخ الدولة العلية ص 142 .

(60) يشير إلى القائد " الحبيب المالكي " كبير عرب الغرب من سفيان وبني مالك .

(61) انظر تاريخ تطوان 2 : 234 وما بعدها . الاستقصا 7 : 178 وما بعدها .

(62) يشير إلى " محمد الكبير بن محمد السرغيني" ، الفقيه المتصوف الوقور. توفي في 5 جمادى الثانية 1164 هـ / ماي 1751م .

نشر 4 : 84 – 89 . التقاط ص 420 . الضعيف 1 : 270 .

(63) لفظة عامية مغربية متداولة بصورة كبيرة في الأوساط الشعبة القروية والحضرية على السواء، وتطلق على من يؤمن الطريق للغير ويحميه من أعدائه .

(64) للاشارة فقط فإن هذا الوفد كان يحمل معه بيعة السلطان مولاي عبد الله، وهي البيعة السادسة، وتذكر المصادر التاريخية أنها تمت في شوال عام 1161هـ .

نشر 4 : 66 . التقاط ص 409 . الضعيف 1 : 270 . الاستقصا 7 : 180 . اتحاف 4 : 443 .

(65) كان ذلك في 9 ذي الحجة 1161 هـ/ 30 نونبر 1748م .

(66) يناير 1749م .

(67) انظر حوليات النشر ص 75 . الضعيف 1 : 274 .

(68) للمزيد من التفاصيل، انظر: نشر 4 : 69 . التقاط ص 410 . الاستقصا 7 : 181 . الاتحاف 4 : 446، هذه الصفحات وما بعدها .

(69) سابع خلفاء بني العباس بمصر، حكم مدة 45 سنة (763 – 808 هـ/ 1362 – 1406م) خلع خلالها عدة مرات .

تاريخ الخلفاء ص 501 – 505 . ابن خلدون 3 : 665 .

(70) هذا الاستطراد منقول بتصرف من تاريخ الخلفاء . ص 501 – 502 .

(71) للمزيد من التفاصيل عن هذه الكارثة الطبيعية، انظر:

نشر 4 : 83 . حوليات النشر ص 74 . التقاط ص 411 . الضعيف 1 : 273 . الاتحاف 4: 450، هذه الصفحات وما بعدها .

(72) انظر هامش 55 (الباب السابع) .

(73) الصواب أن يقول " البيعة السابعة " ، وقد تمت بمكناس في أواخر جمادى الأولى 1163 هـ/ ماي 1750م .

التقاط ص 419 . نشر 4 : 82 .

(74) " رأس الماء " موضع يقع جنوب غرب مدينة فاس على واديها المعروف باسمها .

(75) هو الذي حكم تطوان بعد مقتل الباشا أحمد بن علي وذلك عام 1156 هـ/ 1743م، من طرف أهل البلد وموافقة السلطان مولاي عبد الله، إلا انه تعرض للقتل من طرف سكان المدينة بسبب نزاع شخصي بينه وبين بعض الأسر وذلك في ذي القعدة 1163 هـ/ أكتوبر – نونبر 1750م .

تاريخ تطوان 2 : 231 – 235 .

(76) القائد محمد لوقش، أحد كبار رجال تطوان جاها وثروة في ذلك العهد . هو الذي ترأس الوفد الذي مثل أمام السلطان مولاي عبد الله للاعتذار عن قتل القائد الحاج محمد تميم تمت توليته على تطوان عام 1164 هـ/ 1751م، ثم عزل عنها عام 1170 هـ .

توفي في حدود 1190 هـ/ 1776م .

تاريخ تطوان ص 236 وما بعدها .

(77) أواخر دجنبر 1751م .

(78) " الملف " نوع من الثوب مصنوع من الصوف، كان أساس لباس المغاربة رجالا ونساء، تصنع منه القفاطين والجلاليب والبرانيس وغيرها .

الاكسير ص 133 هامش 1 . العز والصولة 1 : 418 .

(79) انظر كذلك الجيش 1 : 125 . الاستقصا 7 : 184 . الاتحاف 4 : 453 .

(80) " ... يرغمون بذلك أنف الوداية الذين يفضلونهم بركوب الخيل ... " .

تكملة من الترجمان ص 66 .

(81) انظر هامش 23 (الباب العاشر) .

(82) هفوة من المؤلف، والصواب عثمان الثالث . انظر هامش 21 (الباب العاشر) .

(83) أخر القادري ومن نقل عنه حدوث هذه الزلزلة إلى عام 1169 هـ/ 1755م .

للمزيد من التفاصيل، انظر: نشر 4 : 113 . حوليات النشر ص 76 . التقاط ص 426 . الضعيف 1 : 281 . الاتحاف 4 : 464 .

(84) وحدة نقدية تساوي درهما واحدا أو عشر المثقال .

العز والصولة 1 : 399 .

(85) " أجنة " أو " جنانات " جمع عامي لكلمة " جنان " وهو البستان .

الخبر عن خلافة
سيدي محمد بن عبد الله بمراكش
في حياة والده، من مبدئها إلى منتهاها.

(انتقال سيدي محمد من مراكش إلى آسفي)

تقدم لنا أن والده وجهه مع الرحامنة خليفة بمراكش لما رجع من بلاد مسفيوة. (1)

ولما بلغ مراكش، نزل قصبتها وهي قفرا فيفا لا عمارة بها إلا قصور الملوك السعدية الخربة، فاستقر بمضاربه، واشتغل بحفر أساس داره في الفضاء بعيدا عن القصور الخربة داخل السور.

فلما رأى ذلك الرحامنة، اتفقوا (1x) على منعه، إذ ألفوا الفساد والنهب في أطراف (2x) مراكشة، فوجهوا من واجه سيدي محمد بالمنع والطرد، وأخرجوه من القصبة بعد شروعه في العمل. فتوجه لناحية آسفي، فاعترضه عبدة (2) واحمر (3)، وقدموا له هدية، وضيفوه ببلادهم، ولعبوا البارود سرورا بقدومه، وساروا معه إلى آسفي، فنزل بقصبته.

وأهدى له أهل آسفي وتجار المسلمين وتجار (3x) النصارى وأهل الذمة، وعمر سوقه عبدة برجالهم وأعيانهم، ودفعوا أولادهم لخدمته، وواصلوه بكل ما قدروا عليه. وسرح (4x) للتجار الوسق بالمرسى، وجاءتها المراكب بأنواع السلع من بر النصارى. وقصدها التجار بالبضائع يبيعون بها ويحملون منها. وكثرت بها الخيرات والمال، فاستركب واستلحق، وعظم أمره (5x)، وعلا صيته.

(1x) أ فاتفقوا.

(2x) " أحواز " بدل " أطراف " في باقي النسخ المعتمدة.

(3x) " تجار" زيد في طرة (ب) بتصحيح

(4x) ك وسرحوا.

(5x) " امره " زيد في طرة (ب) بتصحيح

(دخول قبائل الحوز وغيرها في خدمة الأمير سيدي محمد)

ودخل الشياظمة (4) وأهل حاحة (5) تحت حكمه، فلم تمض عليه ستة أشهر، حتى كان في موكبه إذا ركب / 83د / نحو الألف . فلما سمع بذلك الرحامنة وأهل الحوز، وشاهدوا ما صار إليه عبدة واحمر أعداؤهم من ولاته وظهورهم في خدمته، نفسوا عليهم ذلك، وتدامروا وراجعوا بصائرهم .

واجتمع أعيانهم وقصدوه لآسفي وقدموا بهديتهم . فلما اجتمعوا به، اعتذروا عن ما وقع منهم ونسبوه للسفهاء، وانهم لا علم لهم بذلك ولم يأمروا به، وأقسموا له أن لا يتوجهوا من بابه إلا (في صحبته ولو) (1x) أقاموا سنة، فلم يمكنه إلا إجابتهم والشخوص معهم . وتوجه معه عبدة بألف فارس من أعيانهم، ومع سيدي محمد نحو الخمسمائة من أصحابه بالخيول المسومة والسلاح الفائق .

(عودة الأمير سيدي محمد إلى مراكش)

فلما بلغ مراكش (2x)، نزل بقصبتها، وجاءه أهل مراكشة وحوزها بهداياهم، وقدم عليه (3x) قبائل الدير كلهم بهداياهم . ونافس الرحامنة عبدة، وأتوا بأولادهم دفعوهم لخدمته، وكذلك قبائل الحوز . وقصده (4x) عبيد دكالة الذين كانوا بسلا فنزلوا عليه، ولما سمع (5x) ذلك عبيد مكناسة، تسللوا إليه فرادى وأزواجا، فاستعملهم في خدمة البناء، ورتب لهم مؤونتهم، وبنوا بيوتهم .

واجتهد السلطان في بناء داره إلى أن أكملها، وسكنها . واشتغل ببناء ما تثلم من أسوار القصبة، وركب أبوابها وأفردها عن المدينة . واشتغل بالغرس، والزيادة في القصور، ويستركب الرجال ويستلحق الأبطال إلى أن اجتمع عنده ألف وخمسمائة من العبيد بخيلهم وسلاحهم، ومن عبدة واحمر ألف وخمسمائة (6x) بخيلهم وسلاحهم (7x)، ومن الرحامنة وأهل الحوز، ألف فارس . (6)

(استطراد : بعض أخبار ناصرالدولة بن حمدان)

(ومثل هذا وقع لناصر الدولة بن حمدان (7)، لما وجهه والده خليفة بأرمينية ونزل قلعتها ،

(1x) ما بين قوسين زيد في طرة (ب) بتصحيح .
(2x) " بلغها " في باقي النسخ المعتمدة .
(3x) " عليه " سقط من (ك)
(4x) ك وقصدوه .
(5x) ك سمعوا
(6x) د من العبيد .
(7x) " بخيلها وسلاحها " في باقي النسخ المعتمدة .

وشرع في بناء قصره، قام إليه سفهاء أرمينية وواجهوه بالمنع والطرد، فارتحل منها ونزل قلعة خلاط . فقام بشأنه أهلها وأكرموه، وبنى قصره بها. وأقبل عليه أهل تلك النواحي بالهدايا، فأمر أمره وعظم شأنه .

ولما رأى ذلك أهل أرمينية، خافوا سطوته، فتداركوا أمرهم، وعينوا جماعة من أعيانهم، وقدموا عليه بهديتهم، وقالوا:

- " إنما وقع ما وقع من السفهاء .

- فقال: لا أرجع لبلادكم حتى يأتي القوم الذين قابلوني، فإن كانوا سفهاء تركتهم "، فرجعوا، وأتوه بهم، فقتلهم ورجع .

(تشبه الأمير سيدي محمد بأحمد المنصور السعدي)

رجوعا) (1x): ولما استوطن مراكش، رفع إليه بعض طلبة مراكش تأليف (2x) الفشتالي، فكان يسرد عليه ويحسن سيرة السلطان أحمد المنصور في ترتيبه أمور دولته في الأكل واللباس، والندماء والأطعمة، وطبقات الخدام والكتاب، وأهل الأشغال ووظائفهم، وكل عمل له وقت مخصوص، وعوائد لا تنخرق .

فتبع سيرته في موكبه، ومشوره، وحركاته وسكناته، إلى أن بلغ الغاية القصوى التي ما لحقها أحد من أسلافه رحمه (3x) الله .

(تنقل مولاي المستضيء فيما بين مسفيوة وأحواز طنجة)

وأما المستضيء لما فر من جبل مسفيوة وجاء مراكش، وجد أخاه الخليفة بها بناصر مات، ومنعه أهل مراكش من دخولها، ودافعوه بمتخلف أخيه .

وجاز على دكالة فوجدها مقفرة بسببه، وجاز على تامسنا فلم يعتبره أحد من أهلها، وجاز على بلاد بني حسن فما منهم من قابله ولا عرفه، وتوجه لأحواز طنجة، فنزل (4x) بالفحص .

واشتغل بظلم المساكين وتكليفهم مالا يطيقون (5x)، ونهب أموال الناس، إلى أن قبض يوما على القائد عبد الكريم أخي (6x) الباشا أحمد، فسجنه وأخذ منه مالا (7x) وكحله، فخرج

(1x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح، وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(2x) " تاريخ " بدل " تأليف " في باقي النسخ المعتمدة .

(3x) " رحمهم " في باقي النسخ المعتمدة .

(4x) " نزل " سقط من (ك) .

(5x) ج، ك يطاق .

(6x) " أخو " في جميع النسخ المعتمدة .

(7x) ك فأخذه وسجنه وأخذ أمواله، مالا كثيرا .

نه أهل الريف وقبضوا عليه، ونهبوا خيله وماله ومضاربه وأثاثه، وسلبوا / 84 د/ أصحابه، وسجنوه وامتحنوه إلى أن يدفعوه لأخيه عبد الله، ثم بعد ذلك سرحوه .

(انتقال مولاي المستضيء إلى أصيلا برأي السلطان)

فكتب (1x) لأخيه عبد الله بفاس يعتذر له عما سلف، ويطلبه محلا يستقر به، فأجابه السلطان عبد الله : إنه لم يرتكب ذنبا ولم يفعل ما يعاب (2x)، إنما كان يطلب ملك والده كما كنت أطلبه أنا، « والآن إن أردت الخمول مثلي، فاسكن بأصيلا، واستقر بها، فهي أحسن من دار دبيبغ التي أنا بها، وأرح نفسك كما أرحت نفسي . وإن كنت تطلب الملك فشأنك به، فلا أنازعك عليه، والسلام» .

فلما وصله الكتاب، انتقل لأصيلا، ونزلها وأصلح دار الخضر غيلان (3x) التي بقصبتها، فسكنها عام ستين ومائة وألف .

واجتمع عليه بعض سماسرة الفتن ممن كان معه، فدلوه على وسق الزرع للكفار، وتوسطوا له في الكلام مع بعض تجار النصارى من طنجة وتعاقدوا معه على وسقه . فجاء لأصيلا . ولما جاء المركب، وسق الزرع وأعطى الواجب عليه وهو الصاكة. فظهر للمستضيء الربح، ورغب في شرائه هو، وبيعه لمن يأتي من التجار . وبلغ خبره لبر النصارى، فقصده التجار بمراكبهم، فكان يبيع لهم الزرع ويوسقونه . وعمرت المرسى وقصدها العرب بالزرع، والمراكب تحمله .

(السلطان يأمر بإخراج مولاي المستضيء من أصيلا)

وكثر عليه المال، وكثر تابعوه، واشتغل بشراء العدة لأصحابه من تطوان . فبلغ خبره للسلطان عبد الله، فبعث للقائد عبد الله السفياني، وأمره أن ينزل عليه بأصيلا، وكتب لولده سيدي محمد (4x) بمراكش، وأمره أن يبعث له من يخرجه عنها، ويتوجه معه عبد الله السفياني بخمسمائة من الخيل .

فوجه سيدي محمد ابن عمه إدريس بن المنتصر في مائة من الخيل، وأمره أن يصحب معه عبد الله السفياني في خمسمائة من الخيل إلى أ يخرجوه من أصيلا . [فتوجهوا إليه ونزلوا عليه] (5x) . ولما اجتمع معه ابن أخيه إدريس بن المنتصر، راوده المستضيء على تخلية سبيله، واعتذر له بكون أخيه عبد الله أعطاه تلك المرسة، فلم يقبل عذره (6x)، وأخرجه منها، وحازما

(1x) ك فكتبوا .
(2x) " به " في باقي النسخ ا لمعتمدة .
(3x) " غيلان " زيد في طرة (ب) بتصحيح .
(4x) " محمد بن عبد الله " في (ك) .
(5x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .
(6x) " عنده " بدل " عذره " في (ك) .

وجد عنده بداره من المال والسلاح والبارود والقش وتوجه المستضيء لفاس لأخيه عبد الله، ونزل بضريح أبي بكر بن العربي (8)، ووجه ولده لأخيه عبد الله يشكوه فعل ولده سيدي محمد، فقال له: « قل لأبيك، لا سبيل لي عليه، وهو أعظم مني ومنك، فسر إلى بلاد أبيك وجدك، وأرح نفسك من التعب، فالموت قريب مني ومنك» .

(انتقال مولاي المستضيء إلى سجلماسة ووفاته بها)

فما وسعه إلا التوجه لصفرو، وترك عياله (1x) بدار مولاي التهامي بالجوطية، ودخل هو دار الإمارة بصفرو، ووجه لأعيان آيت يوسي، فقدموا عليه واجتمعوا به . فطلب نصرتهم والقيام بدعوته، فتخاذلوا (2x) عنه، وقالوا له: « سر إلى آيت ادراسن وڤروان، فإن أجابوك فنحن من جملتهم» .

ولما بلغ ادريس بن المنتصر بقش المستضيء وسلاحه والبارود الذي وجد عنده للسلطان عبد الله، أخذ البارود ورد الباقي . وبعث لقائد فاس أن يكتب للمستضيء يوجه وكيله يقبض ماله وقشه . فكتب له لصفرو، ووجه من قبض قشه وماله، ودفعه لعياله بدار مولاي التهامي .

وحيث لم ينجح له عمل بصفرو، وجه من حمل عياله وقشه من فاس، ولما قدموا عليه، توجه لسجلماسة عام ستة وستين ومائة وألف، فاستوطنها إلى أن مات بها (عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف) (3x) (9) .

(حكاية الجنيح الطرابلسي مع مولاي المستضيء)

وكان المستضيء ظلوما غشوما، سفاكا للدماء . نقلت عنه في الظلم حكايات، منها ما حدثني به التاجر الحاج علي الجنيح الطرابلسي بتطوان، لما جر ذكره . قال لي: « لما جئت من طرابلس، نزلت بجبل طارق بقصد التجارة / 85د /، فبلغنا أن الزرع يوسق من أصيلا على يد المستضيء، فشرهت نفسي لذلك . وكانت بين يدي عشرون (4x) ألف ريال دورو . فاكتريت مركبا وحملت بضاعتي، وأخذت معي هدية للمستضيء، وتوجهت لأصيلا . ولما أرسينا بها، جاءتنا الفلوكة (10)، فسألونا، فقلت:

- أتيت بقصد الوسق .

فأمرني صاحب الفلوكة بالنزول، فأخذت الهدية، ونزلت معه . فلما بلغنا القصبة، دخل وتركني، ثم رجع وأخذني معه . ولما واجهنا المستضيء، سألني عن بلادي .

(1x) " ولده " بدل " عياله " في (ك) .

(2x) ك فتجادلوا .

(3x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح، وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

(4x) " عشرين " في جميع النسخ المعتمدة .

- فقلت له: من طرابلس، ولي اتصال بجنابكم . فإني أعرف سيدي محمد بن عبد الله، لما كان عندنا بطرابلس بدار الباشا مع جدته خناتة بنت بكار، ودخل دارنا وكان من أقراني، وتصاحبت معه (11) .

فهش وبش لسماع ذلك، وأنسني وقال: « مرحبا بك »، حتى طمعت في إحسانه.

- وقال لبعض خدامه: سر معه حتى يرى الزرع الذي عندك .

فسار معي إلى مخزن وفتحه، وأراني الزرع . وتكلمت معه في الثمن والصاكة، إلى أن وقع الاتفاق، ورجعت للمركب . ولما أصبح، حملنا الخناشي (12) في الفلوكة، ونزلت للبر، فقدم علينا الرجل، وتوجهنا للمخزن وعبرنا الزرع . وحمله الحمالون إلى الفلوكة، وأفرغوه في المركب ورجعوا . واستمر حالنا في الوسق إلى أن اكملنا وسق المركب، ووقع الحساب، فكان مبلغ الثمن والصاكة أربعة عشر ألف ريال دورو وكذا.

ومن الغد، أنزلت العدد الواجب من المركب إلى البر، وتقدمت به إلى الرجل، فتوجه معي إلى الباب، ودخل . ولما رجع، حمل المال ودخل به، وتوجهت أنا للمركب، فبت به . ولما أصبح، جاءني الرجل للمركب، ومعه أعوان وخدام، فأنزلوني من المركب بمالي وحوائجي، وأمر البحرية أن ينزلوا الزرع من المركب في الفلائك ورده لمحله الذي خرج منه، وأدخلني السجن، وأخذ الحوائج والمال .

وأقمت بالسجن، يأتيني قرص بالغداة وقرص بالعشي، سبعة أشهر، إلى أن أخرجه إدريس ابن المنتصر من أصيلا، فسرحني أهل أصيلا، واكترى لي أحدهم بهيمة لتطوان .

فلما بلغتها (1x)، بعت ساعة ذهب كانت في جيبي سلمها الله، وخلصت الرجل في كراء بهيمته، وركبت لجبل طارق، ودخلت منزلي الذي كنت به، وأنا لا أملك غير ثمن الساعة، وحمدت الله على سلامة نفسي .

فبينما أنا جالس ذات يوم في قهوة على البحر، إذ بان لي مركب على الأفق قادم للمرسى، فناديت رئيس فلوكة، وركبت عنده، فقال:

- أين تريد؟

- قلت: المركب الذي في الأفق . ورأيته إياه .

- فقال: بعيد .

- فقلت: ركب قلعك، وسر ولا عليك .

(1x) ج، ك بلغناها .

فقصدته، ولما بلغته طلعت له، وربط رئيسه الفلوكة بجنبه. وسلمت على الرئيس، فوجدته من جنس الإنجليز، قدم من « نقلا طرة »، وكنت أحسن لسانهم. فسألته عن سلعته، فنزل بي الى القامرة (13)، وأخرج لي الفيتورة (14)، وسردها علي وذكر مبلغ ثمن السلعة. فجاريته في السوم إلى أن وقع بيننا الاتفاق، فدفع لي الفيتورة، وأعطيته خط يدي بالشراء ومبلغ الثمن، وأطعمنا حلاوي (1x)، وسقانا. ولما بلغ المرسى، نزلت في الفلوكة راجعا، فلقيت جماعة من تجار اليهود والنصارى، فقالوا:

- من أين؟

- فقلت: من المركب وصولي، وهذه فيتورته، فمن أراد الشراء فليأتي.

فرجعوا معي، ودخلنا تلك القهوة التي ركبت منها، وقرؤوا الفيتورة حتى عرفوا السلعة كلها وعدد (2x) أنواعها، وتكلموا بينهم، وعملوا الثمن إلى أن وقع الاتفاق على خمسين الف ريال دورو، فدفعت لهم الفيتورة، وقبضت خط أيديهم.

ومن الغد انزلوا سلعتهم، وخلصوا ثمنها، دفعت لربها ثلاثين ألف ريال التي وقع بها البيع، وأخذت العشرين ربحا، وهي التي أخذها المستضيء مني، أخلفها الله علي. ولم أذكر ذلك لأحد، وما شكوت (3x) إلا لله ورسوله» (15)

فانظر الى هذا العجب الذي لا يفعله أحد، وهذا الرجل موثوق به، مات بتطوان رحمه الله. وانظر إلى عاقبة الظلم للمسلمين، كيف صيرت المستضيء لخسران الدنيا والآخرة.

(استطراد: بعض أخبار المستضيء بنور الله العباسي)

وقد / 86د / وصف الذهبي (16) في تاريخه المستضيء بنور الله العباسي (17) نقلا عن ابن الجوزي (18). قال: « لما ولي الخلافة المستضيء، فرق على أرباب الدولة ألفين وثلاثمائة قباء إبريسم، ونادى برفع المكوس ورد المظالم، وأظهر من العدل والكرم ما لم نره في أعمارنا. وفرق مالا عظيما على الهاشميين والعلويين والعلماء، والمدارس والربط (19). وكان دائم البذل للمال، ليس له عنده وقع، ذا حلم وأناءة ورحمة. وخطب له ببغداد ومصر.

وفي أيامه، انقرضت دولة العبيديين، وجاءه البشير بإقامة دعوته بها. فغلقت الأسواق، وعملت القباب والفرجات، وصنف ابن الجوزي كتاب « يتيمة النصر على مصر ».

وقال الذهبي: وفي أيامه، ضعف الرفض ببغداد ووهن أمره، وأمن الناس. ورزق سعادة عظيمة، وخطب له باليمن وأسوان وبرقة وإفريقية، إلى توزر من المغرب. وقد مدحه الحيص بيص (20) بقوله:

(1x) " حلاوي " زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(2x) " وعدد " زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(3x) " به " في باقي النسخ ا لمعتمدة.

يا إمــام الـهــدى عـلــوت على الجـــو د بمـــال وفـــضـــة ونــظـــار
فــوهبت الأعمار والأمــن والــبـلـــدا ن فــي ساعــة مـضــت مــن نــهـــار
فــيــماذا نثني علـيـــك وقــد جـــا وزت فـضـل الـبـحـور والأمـطـــار
إنما أنـت مـعــجــز مســـتـــقـــل خـــارق للـــعـــقـــول والأفـــكـــار
جمعــت نفـســك الشريفـــة بالبـــأ س وبـالجـود بـين مـــاء ونـــار (21) .

رجوعا إلى تمام [خبر] (1x) خلافة سيدي محمد: لما طرده الرحامنة من مراكش وسمع بذلك أهل (2x) العدوتين، سولت لهم أنفسهم مثلها، واتفقوا على طرد مولاي أحمد بن عبد الله من بلادهم . فتقدموا إليه بالحرب، وحاصروه بالقصبة هو وعبيد فلان الذين كانوا بها إدالة (22) من عهد إسماعيل، وقطعوا عنهم الميرة والماء، إلى أن لحقهم الجهد، وطلبوا الأمان ليخرجوا، فأمنوهم .

وتوجه مولاي أحمد لأخيه سيدي محمد بآسفي . وفرق أهل الرباط العبيد بالمدينة حتى لا تبقى (3x) لهم شوكة .

(بناءات الأمير سيدي محمد بمراكش)

ولما رجع سيدي محمد من آسفي لمراكش (4x)، وبنى داره بقصبتها وأكملها، غرس بجوارها بستانا سماه «النيل»، وأسس قصرا آخر بغربيه سماه « القصر الأخضر » . وجعل لهذا البستان أربعة أبواب، كل ركن فيه باب، وباب للقصر الشرقي، وهي الدار الكبرى، وباب للقصر الغربي وهو الأخضر، وجعل لهذا البستان قبة في وسطه لها أربعة أبواب، كل باب أمامه ممشى يتوجه لقبة أمامه .

ثم أصلح مسجد المنصور (23) الذي بالقصبة، كان متهدما . ثم أسس مسجدا آخر جامعا للخطبة بجوار قصره، وبنى مدرستين للطلبة، وحماما ببريمة، وعمر مساجد غيره بالقصبة للأحرار والعبيد . وفرق المال على من معه بالقصبة لبناء دورهم بعد أن كانوا من القصب (24).

(حركة الأمير سيدي محمد للسوس)

وجند الأجناد، وكتب الكتائب . وأول حركته للسوس (25)، إلى أن تخلله ومهده، وجبى ماله، وقرر حاميته بتارودانت .

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .
(2x) " أهل " زيد في طرة (ب) بتصحيح .
(3x) " لم تبق " في باقي النسخ المعتمدة .
(4x) " لمراكش " زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة .

ثم توجه لأكدير، فقبض على الطالب صالح (26) الثائر به، والمستبد بمال مرساه، وأخذ ماله ورتب حاميته. ثم إن صالح الذي كان بسجنه ذبح نفسه. ورجع لمراكش وذلك عام تسعة وستين ومائة وألف.

(حركة الأمير سيدي محمد للشاوية)

وفي هذا العام، حرك للشاوية لما ظهر منهم الفساد في الطرقات، فنهبهم وقتل منهم عددا. وقبض عددا من أعيانهم وجههم في السلاسل لمراكش.

(تنقل الأمير سيدي محمد فيما بين الرباط وسبتة ومراكش)

وتوجه لسلا، فبات برباط الفتح، وخرج له أهل الرباط بهديتهم ومؤونتهم. وصاحب سلا عبد الحق فنيش (27) أغلق أبواب مدينته ولم يخرج له. ومن الغد، أعرض عنهم وقطع على المجاز.

وتوجه للقصر، فقدم عليه العبيد مع كبيرهم الباشا الزياني من مكناسة، ومن الغد رحل. وفي ذلك اليوم، قتل الباشا الزياني (1x)، والقائد يوسف الشلاح كانا يمنعان العبيد من القدوم عليه لمراكش، وقيد على العبيد القائد سعيد بن العياشي.

/ 87 د/ وتوجه لتطوان، فتلقاه أهلها مع قائدهم الوقاش (28)، فقبضه وهدده وسرحه. (29)

وتوجه على طريق سبتة، فغبر (2x) بها، ومنها لطنجة، ومنها للعرائش، ورجع لسلا ثم لمراكش.

(قتال بين آيت ادراسن وكروان)

وفي عام سبعين ومائة وألف، وقع حرب كبير (3x) بين آيت ادراسن وڭروان،أعان فيه الوداية ڭروان، وهزموا آيت ادراسن بوطا نخلة من سايس (30).

وفيه مات السلطان عثمان الرابع (31)، وبويع السلطان مصطفى بن أحمد (32).

(وفاة السلطان مولاي عبد الله)

وفي سابع عشرين (4x) من صفر عام واحد (5x) وسبعين ومائة وألف، مات السلطان مولاي عبد الله رحمه الله (33).

(1x) ك من مكناسة.
(2x) " فعبر " في باقي النسخ المعتمدة.
(3x) كثير
(4x) ز، ج، ك عشر.
(5x) " وا حد " زيد في طرة (ب) بتصحيح.

الخبر عن مصا ئر هذه العساكر من العبيد
التي جمعها مولانا إسماعيل رحمه الله
بمشرع الرمل وبتانوت ووجه عروس من مكناسة
والمتفرقون بقلع المغرب من وجدة إلى شنقيط أقصى القبلة
ومن توات إلى آخر المعمور بالصحراء (1x) بعد موته

اعلم وفقك الله، أنه جمع السلطان إسماعيل من العبيد (مائة وخمسين ألفا . كان بالمحلة بمشرع الرمل سبعون ألفا من العبيد) (2x) بين الخيل والرماة، وكانوا بتانوت ووجه عروس خمسة آلاف، قوادهم رؤوسهم كلها خيلا، وأصحاب الباشا مساهل وهم " الانكشايرية "، خمسة وعشرون ألفا كلها رماة غير قوادهم راكبين، وباقي العدد وهو خمسة وخمسون ألفا، متفرقة في قلع المغرب لعمارتها وحراسة الطرق، وحماية الثغور.

وكانوا على غاية من الكفاية، كل قبيلة تدفع أعشارها في هري قلعتها، لعولة جيشها وعلف خيلها طول أيامه . ولما مات، انقطع عن عسكر القلع المدد، ولم يلتفت إليهم أحد من أولاده الذين ملكوا بعده، ولا وصلهم بإعانة . فخرجوا للمعاش على أنفسهم وأولادهم بالقبائل التي هم بها، وامتدت أيدي النهب للقلع التي تركوها خاوية، فأخذوا أبوابها وخشبها، ولم يبق بها إلا الجدرات . وهكذا وقع للمحلة بمشرع الرمل، لما ارتحل عنها العبيد، أغار عليهم بنو حسن، وكل من وجدوه بها متأخرا نهبوه، وأخذوا جميع ما كان ثقل عليهم حمله، ظنا منهم أنهم يرجعون له .

وامتدت أيديهم لتخريب الدور، وحمل أبوابها وخشب سقفها لسلا يباع بها . وكان بهذه المحلة دور وقصور ليست بالحواضر، كل قائد يفتخر على الآخر ببناء فوق بنائه، وتشييد فوق

(1x) ك بالصحاري

(2x) ما بين قوسين زيد في طرة (ب) بتصحيح .

تشييده . فخربوا ذلك كله، ولم يتركوا به إلا الجدرات قائمة . وتفرق العبيد في القبائل أيام رحيلهم، ولم يبلغ لمكناسة منهم ولا نصفهم، كل من له قبيلة ومد شر، قصده . ورجعوا لأماكنهم التي ألفوها ونشأوا بها. وبعد أن بلغوا مكناسة، لم يستقر بهم قرار لقلة ذات اليد وغلاء الأسعار، وكانت أيام مجاعة، فلم يبق بها إلا القواد أهل اليسار، وأهل الحرف الذين يتعيشون بحرفهم.

وضاق عليهم الحال من غلبة البربر الذين كانوا يغيرون عليهم، ويسبون أولادهم من الأجنة والبحائر المرة بعد المرة، فتسللوا للمعاش بالقبائل والقرى، وتفرق ذلك الجمع، والبقاء لله .

ولما وقعت الزلزلة بمكناسة، مات فيها من العبيد نحو الخمسة آلاف، ولم يدرك منهم السلطان سيدي محمد لما بويع إلا القليل، وهو الذي جمعهم وأحياهم بعد الاندثار، وظهرهم / 88 د/ بعد الخمول، وجمع ما أمكنه منهم من القبائل حتى صاروا جندا بالخيل والسلاح، والألوية والرماح (34) .

التعاليق والهوامش

(1) انظر هامش 48 (الباب العاشر).

(2) " عبدة "، قبيلة تعرف كذلك بدكالة الحمراء أو الجنوبية، وتنضوي تحت هذا الاسم قبائل عامر والبحاترة والربيعة وتمرة المحيطة بآسفي.

العز والصولة ص 134 هامش 2. الضعيف 1 : 228 هامش 26.

(3) اسم يطلق على مجموع قبائل الزرات والزرارات وأولاد يوسف وأولاد سعيد وغيرها.

العز والصولة ص 154 هامش 3.

(4) تنضوي تحت هذا الاسم مجموعة قبائل، منها الحارث، وحمير، والمدارعة، والمخاليف والمناصير.

العز والصولة ص 154 هامش 4.

(5) قبيلة كبرى بين الصويرة وأكادير، تتركب من ثلاث عمائر كبيرة تدخل في عشائرها: كورض وادا، وبني زلطان، وبني عيسى، وايمكراض وغيرها.

العز والصولة ص 154 هامش 5.

(6) عن هذه الأحداث، انظر كذلك: الجيش 1 : 126. الاستقصا 7 : 194. الاتحاف 3 : 151، وما بعد هذه الصفحات.

(7) يراجع عنه ابن خلدون 3 : 504 وما بعدها.

(8) يقع تحت أسوار قصبة الخميس.

انظر لوطورنو، فاس قبل الحماية (النص المعرب) 1 : 162. أنس الفقير ص 42.

(9) عن بقية أخبار مولاي المستضيء إلى تاريخ وفاته عام 1173 هـ/ 1759م، انظر كذلك: الجيش 1 : 127 - 129. الاستقصا 7 : 188 - 191. الاتحاف 4 : 344 - 347.

(10) " الفلوكة " تحريف عامي لكلمة " الفلك " أي " السفينة ". ويطلق هذا الاسم عموما على الزورق الصغير.

(11) يشير إلى حجة سيدي محمد بن عبد الله عام 1143 هـ / 1730م رفقة جدته خناثة بنت بكار، وكان سنهُ آنذاك لا يتعدى السنة التاسعة.

إتحاف 3 : 17.

(12) جمع " خنشة " بمعنى " كيس " ، والأصل عربي فصيح من " خش " أي دخل في الشيء، وقد حل الإدغام في العامية وعوضت الشين الأولى بنون ساكنة.

الاكسير ص 47 هامش 1 .

(13) " القامرة " تعريب حرفي للفظة (Camera) اللاتينية، وتعني حجرة أوقاعة . وفي اصطلاح الملاحة البحرية تعني غرفة فاخرة في السفينة .

(14) تحريف للفظة " فاتورة " .

(15) وردت هذه الحكاية بالحرف في الجيش 1 : 129 – 130 .

(16) هو الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن احمد التركماني الذهبي، صاحب التآليف الشهيرة في مختلف العلوم والفنون، ومنها " تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام " الذي تم طبعه بالقاهرة سنة 1367 هـ . توفي الذهبي بدمشق في 3 ذي القعدة 748 هـ

له ترجمة موسعة في " ذيول العبر" للذهبي والحسيني، تح محمد رشاد، المقدمة ص 3 – 11

(17) الخليفة العباسي الواحد والثلاثون (566 هـ – 575 هـ / 1171 – 1180م) .

تاريخ الخلفاء ص 444 – 448 . ابن خلدون 3 : 648 – 652 .

(18) أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي، علامة عصره وإمام وقته، صاحب التآليف العديدة في مختلف الفنون. توفي في رمضان 597 هـ.

بطرس البستاني، دائرة المعارف ص 302 – 303 . فهرس الفهارس 1 : 226 – 228 والإحالات.

(19) « الرُّبط » تطلق على الخيل إذا ربطت . والمقصود هنا « رباطات » جمع «رباط»، وهي المعاهد المبنية الموقوفة على الفقراء والمساكين .

(20) هو أبو الفوارس شهاب الدين سعد بن محمد الصيفي التميمي، المشهور "بحيص بيص " ، فقيه شافعي، وشاعر مشهور . توفي ببغداد سنة 574 هـ/ 1178م . له ديوان نشر جزء منه بعناية مكي جاسم وشاكر هادي سنة 1974 .

راجع عنه كذلك: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي 5 : 15 والإحالات . البستاني، دائرة المعارف، مادة " حيص بيص " .

(21) هذا الاستطراد منقول بتصرف من تاريخ الخلفاء للسيوطي . انظر ص 445 .

(22) " الادالة" لفظة تطلق على حامية عسكرية يبعثها السلطان من جيشه النظامي، أو من قبائل الجيش إلى مركز من المراكزبقصد الحراسة . وسميت " إدالة " لتداول هذه الحراسة بين مجموعة من الحاميات بالتناوب أو التعاقب .

العز والصولة 1 : 394 .

(23) وهو المعروف اليوم بمسجد " بريمة " بمراكش .

(24) عن هذه الأعمال والاصلاحات العمرانية في عهد خلافة سيدي محمد بمراكش، انظر كذلك : الجيش 1 : 131 . الاستقصا 7 : 195 - 196 .

(25) كانت هذه الحركة عام 1169 هـ/ 1756م .

(26) وهو " صالح بن محمد بن بيهي السوسي الحاحي الزلطني " ، الذي تمرد بايليغ بسوس غير أن ثورته أقبرت في مهدها وذلك عام 1169 هـ/ 1756م، خلافا لما جاء في " الترجمان المعرب " (ص 69) حيث ذكر 1170 هـ/ 1757م .

إيليغ ص 233 وهامش 479 . إيقاظ السريرة 1 : 15 - 16 .

(27) عبد الحق بن عبد العزيز فنيش السلاوي، أصله من الترك . كان ممن بايع المستضيء عام 1156 هـ / 1743م وشايعه ضد مولاي عبد الله في دولته الخامسة .

ظل قائدا على سلا مدة من الزمن إلى أن قتل في عهد سيدي محمد عام 1180 هـ/ 1767م بسبب سوء تصرفه مع سكان المدينة .

(28) انظر هامش 76 (الباب العاشر) .

(29) انظر التفاصيل في تاريخ تطوان 2 : 252 وما بعدها .

(30) للمزيد من التفاصيل، انظر: نشر 4 : 128 . حوليات النشر ص 79 . الضعيف 1 : 291 الاتحاف 4 : 469 .

(31) هفوة من المؤلف، والصواب عثمان الثالث، انظر هامش 21 (الباب الثامن) .

(32) السلطان العثماني السادس والعشرون (1171 - 1187 هـ / 1757 - 1774م) .

(33) كانت وفاة السلطان مولاي عبد الله في 27 صفر 1171 هـ / 10 نونبر 1757م، وقد دفن بفاس الجديد .

نشر 4 : 128 . حوليات النشر ص 81 . الضعيف 1 : 290 . تقييد القادري ص 279 . الشجرة الزكية ص 368 . الدرر البهية 1 : 166 . الاستقصا 7 : 187 . الاتحاف 4 : 482 . سلوة 3 : 228 .

(34) " ... وهو الذي جدد هذه الدولة الإسماعيلية بعد تلاشيها ، وأحياها بعد خمود جمرها وتمزيق حواشيها ، بحسن سيرته، ويمن نقيبته وسياسته . فكان هو إسماعيلها ورشيدها ، وسليمان شمسها وبدرها " .

تكملة من الروضة السليمانية مخ خع ظ و 103 .

(ولما فـــرغت من دول أولاد السلطان إســـمـــاعـــيل رحـــمـــه الله، ذكـــرت هنا:

حكايات من مكارم أهل البيت وفضائل ملوك بني أمية وبني العباس ليحصل العلم بها لمن يطالع الكتاب) (1x)

(مناظرة بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان وبعض جلسائه)

قال في " جواهر الحسان " : " كان معاوية كلما وفد عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما للشام، أو (2x) اجتمع به في المدينة، أعطاه ثلاثمائة ألف درهم ونحوها (3x) من ثياب ومراكب محلاة وغير ذلك . وكان رؤساء بني أمية يكرهون ذلك، وينقصون الحسن عنده، ويعرضون به(4x) أنه لا زال يطمع في الخلافة ويرتقبها، ويغضون الطرف منه . فاجتمع عند معاوية يوما عمرو بن العاصي، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة (1) . والمغيرة بن شعبة (2)، فقالوا:

- يا معاوية، إن الحسن بن علي قد أحيى أباه، وقال فصدق، وأمر فأطيع، وخفقت النعال خلفه، وهذا رافعه إلى ما هو أعلى منه . فلو أرسلت إليه، فأخذنا لك منه .

- قال معاوية: والله ما رأيته قط، إلا كرهت عتابه، وخفت جوابه، ولئن أرسلتم إليه، لأنصفنه منكم .

فأرسلوا إليه، فلما بلغه الرسول، قال له :

- أجب أمير المؤمنين .

(1x) ب، ز، ج، ك « باب: وهذا الباب عقدته هنا لذكر حكايات مستملحة من مكارم أهل البيت وفضائلهم، ومكارم أخلاق معاوية رضي الله عنه، ومعاوية بن اليزيد، وعبد الملك، ومن في معناه، تنشط القارئ» .

(2x) " او " زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(3x) " وتخوتا " بدل " ونحوها " في باقي النسخ .

(4x) " عليه " في باقي النسخ المعتمدة .

- قال: من عنده؟

فسماهم له .

- فقال: اللهم أسقط عليهم السقف من فوقهم، وآتهم بالعذاب من حيث لا يشعرون. اللهم إني (1x) أدرأ بك في نحورهم، وأستعيذ بك من شرهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت من أمرك يا عزيز، يا قوي .

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فقال:

- ياحسن، إن أباك كان شر قريش (2x)، وأقطعهم لأرحامهم، وأسفكهم لدمائهم. وكان طويل اللسان والسيف، يقتل الحي ويعيب الميت، فأما أبوك (3x)، فقد كفاناه الله، وإنك من قتلة عثمان، فنقتلك به . وأما التي ترتقبها، فلست لها بأهل، لضعف رأيك وخبث سريرتك . وإنك كما قال الأول:

/ 89 د/ وكانوا قومنا فبغوا علينا وكان البغي من درك الشقاء .

ثم تكلم الوليد بن عقبة، فقال:

- أما أنتم يا بني هاشم، فنعم ابن الأخت كان لكم عثمان، وبيس الأخوال كنتم له، قتلتموه جرأة له، وقطيعة للرحم . وكيف رأيتم صنع الله بكم (4x)؟، وقد قال الأول:

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه لايذهب العرف بين الله والناس (3)

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فقال:

- ياحسن، آلى الناس أن أباك قتل عثمان، وتصديق ذلك، إيواؤه قتلته . والله لبنو أمية لبني هاشم، خير من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية لك، خير منك لمعاوية، ومعاوية لكم كما قال القائل:

وذي (5x) رحم مني قريب وصلته بمالي ولا يدري على من وصلته .

فتكلم الحسن رضي الله عنه، وقال:

(1x) " اني " سقط من (ج) .

(2x) ك لقريش .

(3x) " اباك " في جميع النسخ ا لمعتمدة .

(4x) ج لكم

(5x) ك وذوي

- يا معاوية، ما شتمني غيرك، ولا أبدأ إلا بك، ولا أقول إلا (1x) ما هو فيك، منها: أنك خرجت بأبيك تقود به، وأخوك عتبة هذا يسوق به (2x)، فلعن النبي صلى الله عليه وسلم الراكب والسائق والقائد (3x) .

ومنها أنك كنت تخط بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه خطك، فأراد أن تكتب بين بني كنانة وبين بني فراس بن غنم، وأتاك الرسول مرتين أو ثلاثا، كل ذلك تقول: «أنا (4x) أطعم» . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا أشبع الله بطنه» فأنشدك الله، هل تعرف ذلك من نهمك وأكلك؟

ومنها أن أباك أراد أن يسلم، فنهيته، وكتبت إليه بشعر لا تحسب أني نسيته وأنت تقول:

يا حرب لا تسلمن طوعا فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا
عمي وجدي وجد الأم يا لهم قوم، وحنظلة أهدى لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر تعيرنا به الحجيج إذا وافوا مني حرقا
فالموت أهون من قول الصباب لقد خلا ابن هند لنا العزى كذا فرقا
وان أبيت تبعنا ما تريد إذن تلوي إلى اللات والعزى لنا عنقا

ثم أقبل على عمرو بن العاص، وقال:

أما أنت يا عمرو، فقد ولدت على فراش مشرك، وادعيت أما مجهولة، فتخاصمت فيك رجال من قريش، منهم أبو جهل بن هشام، وصخر بن حرب، والحارث بن النضر، والعاصي بن وائل، وبعض آل جذعان . فغلب عليك ألأمهم نسبا، وأخبثهم حسبا جزار مكة العاصي بن وائل . ومنها أنك كنت في نادي قريش، فقلت «أنا شانئ محمد»، فأنزل الله على نبيه: «إن شانئك هو الأبتر» (4) .

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، فأردت أن تفسد عليهم ومعك عمارة بن الوليد (5)، فلما أعياك ذلك، احتلت لصاحبك فقتلته . ولا تحسب أني نسيت (5x) شعرك وأنت تقول:

(1x) " دون " في باقي النسخ المعتمدة .
(2x) " به " سقط من (ك) .
(3x) " القائد " زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من باقي النسخ
(4x) " اني " في باقي النسخ المعتمدة .
(5x) " نسيت " زيد في (د) بتصحيح .

وقائلة أين أين الرحيل | وما الشعر عندي بمستنكر
فقلت دعيني فإني امرؤ | أريد النجاشي في جعفر
فأكوه عنده كية | تقوم في خده الأصغر
واني لأشنى قريش له | وأقولهم فيه بالمنكر
وأجرى قريش على شتمه | وان كان كالذهب الأحمر
فان يرني الحق تابعته | والا لويت له مشفر .

/ 90 د/ ثم أقبل على عتبة بن أبي سفيان، فقال:

أما أنت يا عتبة، وقولك في علي إنه كان طويل اللسان والسيف، فما قتل إلا المشرك، ولا عاب إلا الفاجر . وأما قولك إنك تقتلني، فلو كنت قاتلا أحدا ، لقتلت الذي وجدته على فراشك قد أمن مضجعه في ليلة من الليالي أحسبه عاد إلى مثلها ، ولكنك والله ما أشبهت أباك ولا أخاك، ولو كنت مستحييا (1x) من شيء، لاستحييت من قول نصر بن الحجاج السلمي، لما (2x) قال:

يا للرجال لطارق الأحزان | ولغلمة فضحت أبا سفيان
عرس لعتبة خالفته فراشه | لصداقة الهدلي من لحيان
وافاه معها في الفراش ولم يكن | حرا وأمسى كسترة النسوان
لله درك خل عنها طالقا | [ليست وربك عندنا بحصان
واطلب سواها حرة مأمونة] (3x) | لا ترضين بذلة الديثان
لا تتبعن (4x) يا عتبة نفسك حبها | إن النساء حبائل الشيطان

ثم أقبل على الوليد بن عقبة، فقال:

أما أنت يا وليد بن عقبة، فحقيق ببغض علي، لأن الله أنزل كتابا فسماه فيه مومنا وسماك فيه فاسقا ، وجلدك حدا وقتل أباك يوم بدر صبرا . ولست من أحياء قريش، إنما أنت علج من أهل صفورية، ولا تحسب أني نسيت قول صاحبك حيث يقول:

أنزل الله والكتاب عزيز | في علي وفي الوليد قرآنا
فتبوأ الوليد حادث فسق | وعلي مبوأ إيمانا

(1x) " مستحي " في جميع النسخ المعتمدة .
(2x) ك كما .
(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .
(4x) ب لا تبيعن .

ليس من كــان مــومنا بسـواء | لا كــمن (1x) كــان فـاسـقا خـوانا
سـوف يدعى الوليـد عـمـا قليل | وعلي إلى الجـزاء عـيـانـا
رب جـد لعـقـبـة بن أبان | لابس في ثـيـابه تبـانـا
وأبو عـمـرو الذي أنتـجوه | كـان يدعى مـن قبلـه ذكوانـا.

ثم أقبل على المغيرة بن شعبة، فقال:

أما أنت يا مغيرة، وقولك في بني هاشم وبني أمية، إنما ذلك طلب نوال معاوية، والله ما مثلك عندي إلا كمثل البعوضة لما نزلت على النخلة، وقالت لها " استمسكي فإني أردت أن أطير ". فقالت النخلة « والله ما علمت بسقوطك، فكيف يشق علي طيرانك؟ » وأنا والله ما علمت، وانك لله ولرسوله، ولأهل بيته، ولاغمنا ذلك.

ثم نهض ونفض ثيابه . فقال معاوية:

- وأنتم فذوقوا أيضا .

- فقال الوليد بن عقبة: والله ما ذقنا شيئا، إلاوأنت قد ذقت ما هو أشد منه .

- فقال الحسن لمعاوية: إنك أطعت فينا رجلا ليس له بصر يهديه (2x)، ولا حسب يحجزه . فباعدك منا وباعدنا منك، وأغراك بنا وأغرانا بك، وذكرك ما أنساك الدهر وما على ابن سهيم أن يصدع صفاة بني عبد مناف .

أما والله لا رفعك عن عمرو، وإن تطعه فيما يقطع بيننا وبينك، ولعمري إنك باتهامه لجدير، ولو ددت أنك أنشبت أظفارك فيه حتى يخور منك خوار الثور.

فلما بلغ ذلك عمرو بن العاص، أنشأ يقول:

مـعـاوي إني لم أبايعك فلتـة | وما ذاك ما أسررت مني وما (3x) علن (4x)
أيطمع فـيـنا من أراد هلاكنا | ولولاك لم يعـرض لأحسـابنا الحسن
على أنه أجـرى لؤي بن غـالب | على شـتـمنا جـهـرا وأجناه للفتن
وأقـولهم والناس يمشـون حـوله | أنا ابن رسـول الله مـعـتـقـد المنن
/91د/ وأعظم بها من فتنة هاشـمـيـة | يدب بهـا أهل العـراق على اليـمن
وأقـسم بالبـيت الذي نسكت له | قـريش لئن طولت للحـسن الرسن

(1x) من .

(2x) ك تهديه .

(3x) ب، ز، ج كما .

(4x) " وما علن " زيد في طرة (أ) بتصحيح . والبيت ساقط من (ك)

لتنبعثن (1x)يوما عليك عضيدنا يشيب العذارى أو يغصك باللسن
إذا قبل يمشي مستحيلا كأنه شراجيل همدان وسيف بن ذي يزن
والا فاعط المرء ما هو أهله ولا تظلمنه إنه لابن من ومن .

(خطبة لمعاوية الثاني يتنازل فيها عن الملك)

ومما يحكى عن معاوية بن يزيد (6) أنه لما زهد في الخلافة، جمع الناس في المسجد، وصعد المنبر، وجلس طويلا . ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن ما يذكر به، ثم قال:

«أيها الناس، ما أنا براغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، ولعلمي أنكم تكرهوننا أيضا، لأنكم بليتم بنا، وبلينا بكم . إلا أن جدي معاوية نازع هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعظيم فضله وسابقته، أعظم [المهاجرين] (2x) قدرا، وأشجعهم قلبا، وأكثرهم علما، وأولهم إيمانا، وأشرفهم منزلا، وأقدمهم صحبة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصهره وأخوه، زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته، وجعله لها بعلا باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدا شباب أهل الجنة، وأفضل هذه الأمة، تربية الرسول، وأبناء فاطمة البتول، من الشجرة الطيبة الزكية، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم منه مالا تجهلون، حتى انتظمت لجدي الأمور، وجاءه القدر المحتوم، واخترمته أيدي المنون، فبقي مرتهنا بعمله، فريدا في قبره، ووجد ما قدمت يداه، ورأى ما ارتكبه واعتداه .

ثم انتقلت الخلافة إلى [يزيد] (3x) أبي، فتقلد أمركم لهوى كان لأبيه فيه . ولقد كان أبي لسوء فعله، وإسرافه على نفسه، غير خليق بالخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فركب هواه، واستحسن خطاه، وأقدم على ما قدم من جرأته على الله وبغيه، على من استحل حرمته من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت مدته، وانقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته، ورهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتباعته، وحصل على ما قدم، وندم حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه . فليت شعري ماذا قال؟ وماذا قيل له؟ هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله؟ وذلك ظني به . ثم اختنقته العبرة، فبكى طويلا، وعلا نحيبه، ثم قال:

وصرت أنا ثالث القوم، والساخط علي أكثر من الراضي، فما كنت لأتحمل آثامكم، ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم، وألقاه بتباعاتكم، فشأنكم أمركم فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولوه، فقد خلعت بيعتي من أعناقكم . والسلام .

(1x) ب، ك لتبعثن . ج لتبتعن .
(2x) " المجاهدين " بدل " المهاجرين " في (د) .
(3x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

ثم نزل، فدخل عليه أقاربه وأمه، فوجدوه يبكي، فقالت له أمه:

- ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك .

- قال: وددت ذلك . انتهى .

(إكرام عبد الملك بن مروان لمالك بن أبي عمارة)

ومما يحكى من كرم عبد الملك بن مروان (7)، قال مالك بن أبي عمارة:

« كنت أجالس عبد الملك قبل مصير الخلافة إليه بالمسجد الحرام أيام الموسم بمكة، وكان يجلس معه قبيصة بن مالك وعروة بن الزبير، ويتحدثون تارة في الفقه، وتارة في اللغة، وتارة في أيام العرب وأخبارها وأنسابها . فكنت أجد عنده ما لا أجد عند أحد منهم من الاتساع في العلم في كل فن، وحسن المجالسة والحلاوة إذا حدث، (وحسن الاستماع إذا حدث) (1x) . فخلوت به يوما لم يأت فيه أحد منهم، وقلت له:

- إني لمسرور لما أراه منك من الاتساع في العلوم والافتنان فيها .

- فقال: إن تعش قليلا، فسترى العيون لي طامحة / 92 د/، والأكف إلي ممتدة، فإن كان ذلك، فلا عليك أن تعمد علي بركابك .

فلما أفضت الخلافة إليه، أتيته . فأول ما وقعت عيني عليه في مشوره الذي يجتمع فيه أعيان دولته، ولما رآني، عبس في وجهي ولم يلتفت إلي، فقلت: « لعله لم يعرفني، أو عرفني فأنكرني » .

فلما دخل مجلسه، لم ألبث إلا قليلا حتى أتاني حاجبه، وقال:

- أنت ابن أبي عمارة؟

- قلت: نعم .

- قال: طلبك أمير المؤمنين .

فلما دخلت عليه، مد يده، فقبلتها . وقال:

- تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانقباض، والآن مرحبا بك وأهلا، فكيف كنت بعدنا ؟ وكيف مصيرك؟

- فقلت: كما يحب أمير المومنين .

(1x) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح .

- قال أتذكر ما قلت لك؟

- قلت: أجل، وهو الذي أقدمني إليك .

فقال: والله ما هو ميراث ورثناه، ولكن (1x) حدثتك عن شيء يبلغ صاحبه إلى موضعي، فإني ما جادلت ذا ود وذا قرابة قط، ولا شمتت بمصيبة عدو قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي من حديثه، ولا قصدت لكبيرة من محارم الله للذتها. وكنت في عبد مناف في بيتها ومن بيتها في وسط القلادة. وكنت أؤمل أن يرفعني الله بهذه الأحوال، ثم قد فعل . فله الحمد . ثم قال: يا غلام، أنزله بمحل بقربي .

فأخذ الغلام بيدي، وأنزلني أفضل منزل وأوطأ رحل، وأخفض عيش وأحسن حال، بحيث يراني ويسمع كلامي وأسمع كلامه . فإذا حضر غذاؤه، وجلس مع بطانته، جاء رسوله وقال: «أجب (2x) أمير المومنين» . فأقوم دون رداء . فإذا رآني، أقبل علي يحدثني، ويسألني عن الحجاز والعراق . ولم أزل معه كذلك عشرين يوما، وفي آخرها أردت النهوض فقال:

- على رسلك أيها الرجل .

فجلست.

- فقال: أي الأمرين احب اليك ؟ المقام هنا ولك النصفة في المعاشرة، أو الشخوص ولك الحباء والكرامة؟

- فقلت: جئت من عند أهلي على أني زائر أمير المومنين وعائد إليهم، فإن أمرني أمير المومنين بالمقام (3x)، اخترت فناءه على الأهل والولد .

- قال: لا، بل أرى لك الرجوع إليهم، فإنهم يتطلعون (4x) لقدومك، فتجدد بهم عهدك، ويجددون بك مثله، والخيارلك في زيارتنا أو المقام معهم . وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار، وكسوناك وحملناك . أترى أني ملأت يدك يا أبا فهر؟

- فضحكت، وقلت: يا أمير المومنين، تذكرت ما كنت وعدت به؟

- قال: أجل، ولا خير فيمن لا يذكر إذا وعد، ولا يفي إذا عهد . فودع إذا شئت، صحبتك السلامة، وزودك الله التقوى، وغفر ذنبك، وحفظك حيثما توجهت . فودعته، وانصرفت بما أمر لي به (5x) فكان آخر العهد به .

(1x) " ولكني " في باقي النسخ ا لمعتمدة .

(2x) " اجب " زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(3x)" بالمقام" سقط من (ك).

(4x) ب ليطلعون.

(5x) " به " سقط من باقي النسخ المعتمدة.

(حكاية عن كرم سليمان بن عبد الملك الأموي)

ومن المنقول عن سليمان بن عبد الملك (8)، أنه خرج يوما للصيد، وكان شديد التطير . فبكر ليَلاً يرى ما يتطير منه . فأول من لقيه، شيخ أعور . فأمر بقبضه ووثاقه، ومر على بير خربة، فَقال: « أنزلوه لها ، فإن حصل لنا صيد في هذا اليوم، أطلقناه، والا تركناه لتعرضه لنا مع علمه بشدة تطيرنا » .

فلم ير سليمان أكثر صيدا من ذلك اليوم في عمره كله . فلما رجع ومر على البير، أمر بإخراج الشيخ، فلما وقف بين يديه، قال:

- «يا شيخ، ما رأينا أسر ولا أبر من طلعتك علينا !

- فقال (1x) الشيخ: صدقت، ولكني ما رأيت أشأم ولا ألأم ولا أنحس من طلعتك علي» .

فضحك سليمان، وأمره له بجائزة كبيرة، وأحسن اليه .

(حكاية عن جود وكرم عبد الملك بن مروان الأموي)

وذكر في زهر الآداب (9):

إنه ذكر لعبد الملك بن مروان جارية لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال، فسأله ابتياعها، فامتنع وامتنعت . فقيل لها:

- إنك تصيرين إلى الخليفة .

- فقالت: لا أحتاج للخليفة (2x)، ولا أرغب فيه . والذي أنا في ملكه، أحب إلي من الدنيا وما فيها.

فبلغ ذلك عبد الملك، فأغراه ذلك بها، وزاد في ثمنها، وأضعفه لسيدها / 93 د/، وأخذها قهرا، فما أعجب بشيء إعجابه بها لما وصلت إليه وصارت في ملكه . فأمرها بالقيام على رأسه، والجلوس بين يديه .

فبينما هي عنده يوما، إذ دخل عليه (3x) ولداه الوليد (10)، وسليمان (11)،

استقدمهما للمذاكرة معه، فأقبل (4x) عليهما وقال :

(1x)" قال" في باقي النسخ المعتمدة .

(2x) " للخليفة" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(3x)" عليه سقط من باقي النسخ .

(4x) " فاقبل " زيد في طرة (ز) بتصحيح .

- أي بيت في كلام العرب أمدح؟

- فقال الوليد: قول جرير (12) فيك يا أمير المومنين:

أَلَسْتُمْ خيرَ مَـــنْ رَكِـبَ المَـطَـايـــــا وَأَنـــدَى العَالمِينَ بـــُطُـــــونِ رَاحِ (13)

- وقال سليمان: بل قول الأخطل (14)

شمسُ العداوةِ حـتـــى يُستَقَـــادُ لـهـــم وأَعْظَمُ الناسِ أحـــلاماً إذا قــــدروا (15)

- فقالت الجارية: بل أمدح بيت قالته العرب، بيت شاعرنا نحن معاشر الأنصار حسان بن ثابت (16) في آل جفنة:

يُغْشَوْنَ حتى مـــا تـهـرُّ كـلابُـهُـــمْ لا يُسـألُون عـــن الســوادِ المُقْبـــلِ (17)

فأطرق عبد الملك، ثم قال: أي بيت قالته العرب أرق؟

- فقال الوليد: قول جرير:

إنَّ العيـونَ التي فـي طَـرْفِـــهَـــا حَـوَرٌ قَتَلـنَنَا ثُمَّ لَـــمْ يُحْيِينَ قَـتْـلانَـــــا

- وقال سليمان: بل قول عمر بن أبي ربيعة (19):

حَبَّذَا رَجْعُـهَـا [إليـهـــا] (1x) يَـدَيْـهَـا فـي يَـــدَيْ ذِرعِهـــا تحـــلُّ الإزَارَ (20).

- فقالت الجارية: بل بيت نقوله نحن لحسان بن ثابت وهو :

لَـــوْ يَـدِبُّ الحـــوار مـــن ولـــد الــــدر علـيـهـــا لأنـدبتــهـــا الكُلـــوم (21).

فأطرق عبد الملك، ثم قال: أي بيت قالته العرب أشجع؟

- فقال الوليد: قول عنترة (22):

إذْ يَـتَّقُـونَ بِـيَ الأسِـنَّـةَ لـم أخِـــــمْ عنهَا ولَـوْ أنّي تَـضَـايَـقَ مـقـدمـي (23).

- فقال سليمان: بل قوله:

وأنَا المنيَّةُ فِي المَــوَاطِـنِ كُلِّـهَـــــا والطَّعْـنُ مِنِّي سَـابِقُ الآجَـــــالِ (24).

- فقالت الجارية: بل بيت نقوله، لكعب بن مالك (25):

نَـصِلُ السُّيُـوفَ إذَا قَـصُرْنَـا بِخَـطْـوِنَـا قُدُماً، ونَـلحَـقُـهَـــا إذَا لَـمْ تَلْحَـــقِ.

(1x) د إلي .

- فقال عبد الملك لها: أحسنت، وما (1x) أرى شيئا أبلغ في الإحسان إليك من ردك إلى أهلك . فأجمل صلتها، وأحسن كسوتها، وردها إلى دار سيدها دون ثمن .

(قصر المامون بن ذي النون بطلطيلة)

ويحكى أن المامون بن ذي النّون (26) أحد ملوك الطوائف بالأندلس، كان مشغوفا بالبناء، فأمر أن يبنى له قصر بمدينة طلطيلة، وجلب له الصناع وأهل الهندسة من بلاد الروم، ورسمه لهم على شكل غريب يوافق غرضه، فاشتغلوا ببنائه إلى أن فرغوا منه . فأمر أن تجعل في وسطه بركة عظيمة مثل البحيرة، فحفروها . وأمر أن تبنى له قبة من رخام في وسط تلك البحيرة محمولة على سواري من رخام، بحيث تكون أرض القبة فوق الماء بقليل، فأسسوها على ما أمر . وأمرأن يجرى لتلك القبة الماء من أماكن مرتفعة بحيث يبلغ أعلى القبة، فجعلوا ذلك الى أن أكملوه . وجعلوا فوق سقف القبة، خصة بصنعة محكمة وقسمة معتدلة، بحيث إذا امتلأت الخصة، ينحدر منها الماء على جوانب القبة الأربعة، متصلا غلالة واحدة حتى لا يبقى محل دون ماء، وينزل للبركة إلى أن تمتلئ . ويخرج الماء في القنوات إلى محل آخر خارج القصر، وتبقى القبة في وسط الماء، الماء (2x) من فوقها ومن أسفلها، ومحيطا بها كأنه حلة لبستها القبة .

/ 94 د/ ولما فرغوا منها، أجروا لها الماء في القنوات إلى أن بلغ الخصة المربعة التي في أعلى القبة، وانحدر مع جوانبها الأربعة الى البركة حتى امتلأت، وخرج الماء في القنوات . وجعل زورقا مقبوا في البركة يركب فيه من طرف البركة للقبة (3x) ولما بات فيها أول ليلة، وقف عليه رجل في نومه، وأنشده:

أتبني بنـــاء الخـــالـــدين وإنمـــا ... مقـــامـك فيهـــا لـــو علمـت قلـيـــل

لـقـــد كـــان فـــي ظـــل الأراك كـفـايـــة ... لمـــن كـــل يـــوم يعـتريـــه رحـيـــل

فلم يلبث بعدها (4x) إلاأياما، ومات رحمه الله» . (27)

(مفاخرة بين أبي الفرج الهمداني والرويزي)

ومما حكاه الشيخ المقري (28) نقلا عن ابن الخطيب (29)، من مفاخرة قريش والعدنانيين مع عرب اليمن، وذلك أن قريشا استثقلت (5x) وضاقت بما يسمعون من أبي الفرج الهمداني، وكان

(1x) " وقال " بدل " وما " في (ك) .
(2x) " الماء " سقط من (أ) .
(3x) " البركة للقبة " زيد في طرة (ب) بتصحيح .
(4x) ج بها .
(5x) بياض محل " استثقلت " في (ك) .

من أعظم خطباء العرب في الجاهلية والإسلام، خطب على اثنين وسبعين منبرا، وكان لسناله قدم راسخة في أيام العرب وأنسابها ووقائعها، وكان يفضل قومه على قريش وعلى النزارية أجمع، وذلك لفصاحته وبلاغته وعقله وحسن أدبه.

فبلغ قريش من ذلك أمرا عظيما، وقنطوا مما يبلغهم عنه، فاجتمعوا يوما، وأحضروا الرويزي شاعرهم وخطيبهم وفصيحهم ونسابتهم، وقالوا له:

– يا ابن الرويزي، إن أبا الفرج متشايع لقومه، كلف (1x) بهم، يقيم لهم الحجة ويفضلهم على العدنانية، ويعطي قومه أكثر مما وجب لهم، وليسوا بأهله، ولابلغوه عن أب وجد، فهل لنا منك (2x) عوض حتى تفضحه وتقيم عليه الحجة، وتغصه بريقه، وتشجيه؟

– قال: نعم، اجمعوني معه، وانظروا ما أقابله به . والله لأتركنه يعرف الغضب في أنفه .

فانصرفوا، وأعدوا لذلك مجلسا، فلما احتفل مجلسهم، بعثوا إلى أبي الفرج الهمداني وقام الرويزي، فقال:

– يا أبا الفرج، إن مَعدا هي الناس، قال الله تعالى: « وتلك الأيام نداولها بين الناس »(30). والدولة هي الدين، فهم الناس، وهم من ولد إسماعيل، فنحن الناس، والنبي صلى الله عليه وسلم منا .

فقام (3x) أبو الفرج، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال:

– مالك ولهذا يا رويزي؟ أما والله إنه لخاتم النبيئين، وسراج المتقين، ورسول رب العالمين . ولكن الله تعالى يقول، وقوله الحق: « وكذب به قومك وهو الحق » (31) . ثم قال:

«ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون» (32) . وقال تعالى: «وقال الرسول، يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » (33) فأنتم أولئك، فما تقول يا رويزي؟ . أما تعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأحمر والأسود، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، والجن والإنس إليهم كافة؟ فكان أحب الناس إليه من أجاب وأناب، وسمع وأطاع، فدعانا ودعاكم، فأجبنا وأبيتم، وأسلمنا وكفرتم، ونصرنا وحاربتم، كل ذلك نحن في حزبه (وأنتم في حربه) (4x) . فالله أصدق قولا، إنه لا يستحيي من الحق، فقد صدقنا بما قلنا، وكذبكم (5x) بما قلتم، ووصفنا ووصفكم، فنحن أولى بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن

(1x) " كلفا " في جميع النسخ المعتمدة .

(2x) أ فيك .

(3x) ج فقال .

(4x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح

(5x) ب وكذبتم .

الله تعالى يقول: « إ ن أولى الناس بإبراهيم (1x) للذين اتبعوه، وهذا النبيء والذين آمنوا والله ولي المومنين» (34)، لم يختص أحد بمحمد (2x) من الكفار ولا من عبدة الأصنام، بل نحن ومن آمن به من الأحمر والأسود المخصوصين به وأولاهم . نحن أنصار الله وأنصار / 95 د/ نبيه أيضا، بل نحن نصرناه وآويناه، وقربنا وواليناه، إذ أبيتم أنتم عن الإيمان به، والاتباع لشريعته، وما جاء به من سننه عن ربه، بل نقمتموه وخذلتموه، وفرطتم فيه، فأعزه الله بنا ونصره .

ولكن بالله يا رويزي، كم من نبيء في الدنيا من العرب إن كنت عالما بذلك؟

- قال له الرويزي: أربعة .

- قال: من هم؟

- قال: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) (3x) .

- قال أبو الفرج: الحمد لله الذي أنطقني بالحكمة على لسانك، وأجراها لي على قلبك، وأدحض حجتك، وردك صاغرا بغيظك، فهؤلاء يا رويزي ثلاثة مني ومن قومي، مخصوص بهم دونك، والرابع أنا أولى به منك، أو أنا وأنت فيه سواء .

فأما صالح، فرجل من هوازن إخوة حضرموت، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه، فقال تعالى: «وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » (35)، نقبوا صخرة فيها أربعون ذراعا ليلقوها على الجيش كي لا يسلم منهم أحد.

وأما شعيب، فرجل من جذام، وقد قال صلى الله عليه وسلم: « نعم الحي جذام قوم شعيب وأصهار موسى وأختان عيسى بن مريم» . فقيل له: «أختان عيسى يا رسول الله؟ ». قال: « نعم، إنه لينزل من السماء ويتزوج إلى الحي من جذام في الحي الذي يقال له بنو سعد الجارية التي يقال لها سعيدة » .

وأما هود، فرجل من سبإ . وهم أفصح العرب وأجملها، وأختان سليمان بن داوود وخليفته

وأما ما ذكرت من محمد صلى الله عليه وسلم، فرجل من قريش، وما خص الله [به](4x) أحدا من الناس إلا نحن، لنصرتنا له، وولايتنا له، ونصرنا إياه .

- قال الرويزي: يا أبا الفرج، إن قريشا خلفاء الله في الأرض .

(1x) " بابراهيم " زيد في طرة (ز) بتصحيح .

(2x) " بمحمد " زيد في طرة (ز) بتصحيح .

(3x) ما بين قوسين سقط من باقي النسخ ا لمعتمدة .

(4x) " به " سقط من (د) .

– فقال له أبو الفرج: ويحك يا رويزي، لم تفتري أن (1x) خلفاء الله اثنان، آدم وداوود عليهما السلام، لقوله تعالى: « إني جاعل في الأرض خليفة »(36)، هو آدام. وقوله تعالى: «ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض»(37). فهذان اللذان نطق التنزيل بهما، وأما غيرهما، فهم أولياء ما أتى به نبي مرسل، فلا يعدون من الخلائف.

– قال الرويزي: يا أبا الفرج، أرأيت أبا بكر الصديق، أكان منه عوض في اليمن؟

– قال: نعم، في قومي ممن بورك عليه، أبو هريرة الدوستني .

– قال له: أرأيت عمر بن الخطاب، أفي اليمن عنه عوض؟

– قال: نعم، في قومي ممن بورك عليه، أويس القرني (38)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليدخلن في شفاعته أكثر من ربيعة ومضر» .

– قال الرويزي: أرأيت خالدا بن الوليد سيف الله في الأرض، أفي اليمن عنه عوض؟

– قال: نعم، في قومي ممن بورك عليه، حماد بن فياض الخشني، أول من ضرب بسيفه على باب الرحمة ببيت المقدس، وافتتح الأردن وفلسطين .

– قال الرويزي: أرأيت عبيدة بن الجراح أمين (2x) هذه الأمة، أفي اليمن عنه عوض؟

– قال: نعم، في قومي ممن بورك عليه، أبو موسى الأشعري أحد الحكمين الذي ما قضى مضى .

(– قال: أرأيت عثمان بن عفان الذي استحيت منه ملائكة الرحمان، أفي اليمن عنه عوض؟) (3x)

– قال : نعم، دحية بن خليفة الكلبي، وقد كان جبريل عليه السلام ينزل في صورته(39) فقد تمثل جبريل عليه السلام في صورتنا (4x)، وتمثل ابليس لعنه الله في صورتكم في صورة سراقة بن مالك بن جعشوم الكناني يوم أحد، وهو منكم، فقال « قد قتل محمد »، وصاح محمد « هأنذا لم نمت ولم نقتل»، ونزع البيضة عن رأسه لكي يعرفه الناس . فوجم الرويزي، وسكت .

– فقال أبو الفرج: يا رويزي، أرأيت حنظلة بن عامر الذي غسلته الملائكة، أفي مضر عنه عوض؟

(1x) ك انما .

(2x) " من " بدل " امين " في (ك) .

(3x) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح

(4x) ج صورته .

فلم يرد عليه .

- فقال : أرأيت خارجة بن زيد (1x) الذي مات شهيدا ، وتكلم / 96 د/ بعد الموت، وأوصى وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيته، أفي مضر عنه عوض؟

فلم يرد عليه .

- فقال: يا رويزي، أرأيت سعد بن معاذ (40) الذي اهتز عرش رب العالمين لموته (41)، ولم يهتز لموت نبيء ولا صديق، أفي مضر عنه عوض؟

فلم يرد عليه جوابا ، وبهت .

واستهزأ به أبو الفرج، ثم قال:

- يا رويزي، أرأيت سعد بن عبادة الذي ناحت عليه الجن والإنس حتى سمع بعضهم بعضا إذ قتل شهيدا ، (أفي مضر عنه عوض؟) (2x)

فلم يرد عليه جوابا .

- ثم قال: يا رويزي، أرأيت ثابت بن النعمان الذي رحم الله صيامه، وما نزل بنفسه في رضى الله، فأنزل الله عليه دوحة من الجنة برطب وتمر، وناداه: « أنا الذي ألقاها (3x)إليك، كل يا ولي الله، فقد رحمك رب العالمين وكل من في السماوت العلى»، أفي مضر عنه عوض؟

فلم يرد عليه جوابا .

- فقال: أرأيت معاذ بن جبل، أعلم أمة محمد بالحلال والحرام، أفي مضر عنه عوض؟

ثم قال: أرأيت عمر بن الدحداح الذي كان حيا في الدنيا ، وكان يأكل من ثمر جنته في الدنيا (4x)، لأنه كفاه رب العالمين بحدائقه التي حبسها لكل من آمن به، وأحب محمدا صلى الله عليه وسلم. وكان الناس يأتونه يهنونه بمكانه من رضوان (5x) الله، أفي مضر عنه عوض؟

ثم قال: أرأيت المقداد بن الأسود الكندي، أول من ارتبط فرسا في سبيل الله، وقد زوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنة عمه الزبير بن عبد المطلب، أفي مضر عنه عوض؟

(1x) ك يزيد

(2x) ما بين قوسين سقط من ب، ز، ج، ك .

(3x) ب ألقيها

(4x) "الجنة" بدل "الدنيا" في باقي النسخ المعتمدة .

(5x) " رضى " في باقي النسخ ا لمعتمدة .

ثم قال: يا رويزي، أرأيت أصحاب الأخدود، أفي مضر عنهم عوض؟. آمنوا بالله، وذكرهم الله في كتابه . (42)

ثم قال: أرأيت ملكة سبإ التي ملكت ثلاثمائة وثلاثة عشر ملكا، مع كل ملك (ألفا [من الجند] (1x)، وتزوجها نبي الله وابن خليفته، أفي مضر عنها عوض؟ أم هل ملك) (2x) منكم رجل أو امرأة ثلاثمائة شاة فضلا عن ثلاثمائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الجيش؟

ثم قال: أرأيت حذافة بن زيد الذي سلم عليه جبريل، أفي مضر عنه عوض؟ أم هل سلم جبريل على واحد منكم غير النبي صلى الله عليه وسلم؟

(ثم قال: أرأيت أبا بريدة الأسلمي الذي رخص [له] (1x) رسول الله صلى الله عليه وسلم) (3x) في ذبح جذع من المعزفي الأضحى، وهو الذي قتل كعب بن يهود شريف بني قريضة، أفي مضر عنه عوض؟ أم هل رخص لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء؟

فلما فتر أبو الفرج، قال [له] (4x) الرويزي:

- إن لنا جاهلية لن تجهل - والقوم قعود، سكوت، لا ينطق منهم - .

- قال [له] (4x) أبو الفرج: ويحك يا رويزي، ما دعاك لهذا؟ فوالله ما نعرف جاهليتك في قديم ولا حديث، ونحن المأثورون بها أهل اليمن .

أليس منا المعمر لقمان ((الذي بنى (السد الأعظم بسبإ، ومنا شداد بن عاد) (5x) الذي بنى)) (6x) إرم ذات العماد؟ ومنا ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، ذوي الأيدي الطوال الشداد؟ ومنا التبابعة المتوجون والأقيال من الجبابرة مثل أبرهة ذو المنار، وعمرو ذو الأذعار، والرائش الفتاح، وجذيمة الوضاح، وشمر السياح، والصعب ذو القرنين، وإفريقش الجوال، والأشراف من أولاد حمير، والنعمان بن المنذر، وسيف بن ذي يزن، والعظيم الشأن ذو جدن، وعظماء الحيرة واليمن؟

فلما سمع الرويزي كلامه (7x)، ومدحه وإسهابه، وفي ذلك يقول الحق، وينطق بالصدق قال له:

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) .

(2x) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح .

(3x) ما بين قوسين زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(4x) " له " سقط من (د) .

(5x) زيد في طرة (ز) بتصحيح .

(6x) زيد في طرة (أ) بتصحيح .

(7x) "كلامه" زيد في طرة (ز) بتصحيح .

- يا أبا الفرج ، أنت المداح المسهب، والعراف المطنب، وإن قومك لكما قلت، ولقد سلبتنا النخوة القرشية، والعزة المضرية المعدية.

- فقال له أبو الفرج: أما إذ اقررت بفضل العزة اليمنية، والعصابة الحميرية، فإن الحق أحق أن يتبع، والصدق أولى أن يستمع، حيث منكم سيد المرسلين، وخاتم النبيئين، والخلفاء المهدين(1x)، وأنتم أهل بيت الله وأمناؤه، وفيكم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأولياؤه / 97 د/ ولكم السدانة والسقاية، والأمانة والراية، وبكم يتم الحج الأكبر، والوقوف بعرفة والمشعر، وبكم (2x) يقتدى في المنحر، وفضلكم مشهور في الجاهلية والإسلام، وزادكم الله شرفا على شرف برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما نحن لكم وزراء، وحشم لا أمراء .

فلما سمعه الرويزي، قام له وعانقه . وافترقوا ".

(فضل عرب اليمن)

قلت: ونظير هذا الاحتجاج على فضل عرب اليمن، إذ الشيء بالشيء يذكر، ما حكاه الأصمعي . قال:

« دخل المسجد يوما معاوية رضي الله عنه، وصعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

- أيها الناس، ليقم إليّ أعلمكم بالناس، وبما أريد أن أسأله عنه .

فقام إليه عدي بن حاتم (43)، وقال:

- أنا يا أمير المومنين .

- قال: أخبرني عن أسخى الناس .

- قال: نحن معشر اليمن .

- قال: وبم؟

- قال: لأن الله تعالى يقول: « والذين تبوؤوا الدار والإيمان » (44) إلى آخر الآية.

- قال له معاوية: اجلس. ثم قال:

- أيها الناس، ليقم إليّ أعلمكم بالناس، وبما أريد أن أسأل عنه .

فقام عدي وقال:

(1x) ج، ك ا لمهتدين .

(2x) ج ولكم .

- أنا يا أمير المومنين .

- قال: أخبرني عن أشجع الناس .

- قال عدي: نحن معشر اليمن .

- قال: ويم؟

- قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (1x): « إن الله اختار الأوس والخزرج لنصر نبيه مع ما كان من عمرو بن معد يكرب (45) في جاهليته » .

- قال: اجلس . فجلس .

- ثم قال: أيها الناس، ليقم إليّ أعلمكم بالناس، وبما أريد أن أسأل عنه .

فقام عدي بن حاتم، وقال:

- أنا يا أمير المومنين .

- قال: أخبرني عن أجمل الناس .

- قال عدي: نحن معشر اليمن .

- قال: ويم؟

- قال لأن الله تعالى بعث جبريل على صورة دحية الكلبي، ولو كان في الناس أجمل منه، لبعثه على صورته .

- فقال له معاوية: اجلس . فجلس .

- ثم قال: أيها الناس، ليقم إليّ أعلمكم بالناس، وبما أريد أن أسأل عنه .

فقام عدي وقال: أنا يا أمير المومنين .

- فقل له: أخبرني عن أشعر (2x) الناس .

- فقال له عدي: نحن معشر اليمن .

- قال: ويم؟

- قال: لأن حسان بن ثابت منا، وقد حكم له النبي (3x) صلى الله عليه وسلم في ثـلاثـين

(1x) " قال " زيد في طرة (ب) بتصحيح .
(2x) " اشعر" زيد في طرة (د) بتصحيح .
(3x) " رسول الله " في باقي النسخ ا لمعتمدة .

بيتا من شعر على سائر الشعراء، مع ما كان من آمرئ القيس (46)، في الجاهلية، وكان منا .

- فقال له معاوية: اجلس يا عجوز اليمن .

- فقال له عدي بن حاتم: عجوز اليمن خير من عجوز مضر، لأن عجوز اليمن بلقيس ملكة اليمن، أسلمت مع سليمان لله رب العالمين] (1x)، وعجوز مضر، عمتك «حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد» .

- ثم قال معاوية: يا معشر قريش، إن الله فضلكم في ثلاث آيات من كتابه، وأنزل فيكم سورة . فقال تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» (47). وقال تعالى:«وإنه لذكر لك ولقومك». (48)

وقال تعالى: « لقد منّ الله على المومنين، إذ بعث فيهم رسولا ». الاية. (49) وأنزل فيكم سورة لم يشارك فيها أحدا معكم . « لإيلا ف قريش» (50) . الخ .

فقام عدي بن حاتم وقال:

- إن الله كذبكم في ثلاث آيات من كتابه، وأنزل فيكم سورة كاملة، فقال:« وكذب به قومك وهو الحق» (51) وقال تعالى: « وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » (52) وقال تعالى:« ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون» (53) .

وأنزل فيكم سورة خاصة، « تبت يدا أبي لهب وتب» . (54) الخ، وسمى عمتك، ولم يشارك أحدا معكم .

- فقال معاوية: أقم الصلاة، وأرحنا منه .

- فقال له عدي: «والله لو زدت، لزدناك» .

هاتان (2x) الحكايتان مناسبتان لما قدمناه من جمهرة العرب العدنانية والقحطانية، ما أحسنهما وألطفهما!

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د) وبدله " سبا " .

(2x) ج هذان .

التعاليق والهوامش:

(1) " الوليد بن عقبة بن أبي معيط "، أخو عثمان بن عفان لأمه . وهو أحد فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم. ولاه عمر بن الخطاب صدقات بني تغلب، ثم عزله عنها، بعد ذلك ولي الكوفة في عهد عثمان بن عفان ثم عزل عنها . توفي سنة 61 هـ/ 680م .

الاغاني 5 : 134 - 168 .

(2) «المغيرة بن شعبة»، من دهاة العرب وذوي الرأي منها حتى كان يعرف ب «مغيرة الرأي» . شهد مع الرسول عليه السلام «الحديبية» وما بعدها، كما شهد فتح اليمامة وفتوح الشام وغيرها . ولاه عمر بن الخطاب عدة ولايات منها البصرة، والكوفة التي ولاه عليها معاوية كذلك . توفي سنة 50 هـ/ 670 م.

الطبري 6 : 131 . شمس الدين الذهبي، تاريخ الاسلام 2 : 247 - 251 . الأغاني 16 : 87 - 111 .

(3) هذا البيت للحطيئة، وروايته في « زهر الآداب » : « .. لا يعدم جوازيه ..» .

الحصري، زهر الاداب 4 : 1164 .

(4) سورة الكوثر . الاية 3 .

(5) هو عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي . انظر بعض أخباره في كتاب «الأغاني» 9 : 69 - 73 . 18: 127 - 131 .

(6) هو معاوية بن يزيد بن معاوية المعروف ب « معاوية الثاني» . تولى الملك سنة 64 هـ، ولم يتعد حكمه 40 يوما .

تاريخ الخلفاء ص 210 - 211 . ابن قتيبة، المعارف ص 157 . إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام 1 : 287 .

(7) يعتبره المؤرخون المؤسس الثاني للدولة الأموية بالمشرق، حكم فيما بين 65 هـ و 86 هـ/ 685 و 705م .

ابن الأثير 4 : 102 - 103 . ابن خلدون 3 : 32 - 73 . تاريخ الخلفاء ص 214 - 222. إ. حسن، تاريخ الاسلام 1 : 291 - 299 .

(8) سادس خلفاء بني أمية (96 - 99 هـ / 715 - 717م) .

ابن الاثير 4 : 138 - 151 . الذهبي تاريخ الاسلام 4 : 8 - 11 .وفيات الأعيان 2 :420-427. تاريخ الخلفاء ص 225 . ابن خلدون 3 : 86 - 93 .

(9) اسمه الكامل « زهر الآداب وثمر الألباب » لابراهيم بن علي الحصري القيرواني، تم طبعه في 4 أجزاء ببيروت بعناية زكي مبارك، ووفقا لهذا النص فما نقله المؤلف وارد في الجزء الرابع ص ص 1157 - 1159 باختلاف يسير .

(10) « الوليد بن عبد الملك بن مروان »، خامس خلفاء بني أمية . عرفت الامبراطورية الاسلامية في عهده اتساعا كبيرا ، وقد حكم فيما بين 86 هـ و 96 / 705م و 715م .

ابن الأثير 4 : 104 - 138 . ابن خلدون 3 : 73 - 86 . تاريخ الخلفاء ص 223 - 225 . الذهبي، تاريخ الاسلام 4 : 165 - 67 . فوات الوفيات 4 : 254 - 255 .

(11) انظر هامش 10 قبله.

(12) « جرير بن عطية الخطفي »، أحد فحول شعراء الاسلام . اشتهر خاصة بالهجاء . توفي عام 110 هـ أو 116 هـ / 728م أو 734 حسب اختلاف المصادر .

انظر ترجمته في مقدمة ديوانه (تح محمد الصاوي) . طبقات الشعراء ص 122 وما بعدها . الأغاني 8 : 5- 94 . الشعر والشعراء 1 : 374 وهامش الإحالات .

(13) انظر ديوانه (تح محمد الصاوي) ص 98 . و كذلك طبقات الشعراء ص 123 . الأغاني 8 : 9 - 46 - 72 . الشعر والشعراء 1 : 378 .

(14) وهو غياث بن غوث من بني تغلب، كنيته « أبو مالك » وغلب عليه لقب «الأخطل»، أحد كبار شعراء الاسلام، اشتهر بمدحه لبني امية، وملوكهم معاوية ويزيد، ومن بعدهما من خلفاء الفرع المرواني إلى أن هلك عام 90 هـ/ 708م .

راجع عنه: طبقات الشعراء 44 وما بعدها . الاغاني 8 : 290 - 332 . ابن قتيبة، الشعر والشعراء 1 : 393 - 404 .

(15) ورد هذا البيت عند الأصفهاني في الأغاني 8 : 312 - 316 - 318 . وعند ابن قتيبة في الشعر والشعراء 1 : 403 . وعند الحصري في زهر الآداب 2 : 595 .

(16) يكنى « أبا الوليد » و « أبا الحسام »، من فحول الشعراء المخضرمين . كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الاسلام.

توفي سنة 54 هـ / 674 م.

يراجع عنه الجمحي، طبقات الشعراء ص 87 وما بعدها . الأصفهاني، الأغاني 44 : 141 - 175 ابن قتيبة، الشعر والشعراء 1 : 223 - 226 .

(17) انظر ديوانه (شرح البرقوقي) ص 415 . وكذلك طبقات الشعراء ص 88 .

(18) انظر ديوانه (شرح محمد الصاوي) ص 595، وروايته " ... في طرفها مرض.. »، انظر كذلك طبقات الشعراء ص 124 . الاغاني 8 : 9 - 43 - 46 .

(19) « عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة »، يكنى « أبا الخطاب » لأنه ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهو أحد كبار الشعراء في صدر الاسلام، اشتهر خاصة بالغزل . توفي عام 93 هـ/ 712م.

يراجع عنه الأغاني 1 : 70 - 242 و 11 : 172 - 179 . الشعر والشعراء 2 : 457 وهامش الإحالات .

(20) انظر ديوانه (شرح وتصحيح بشير يموت) ص 117 .

(21) قاله الحمدوني في « طيلسان بن حرب ». انظر زهر الآداب 4 : 1118 .

(22) « عنترة بن شداد العبسي »، أحد كبار فرسان العرب وشجعانهم، وفحل من فحول شعرائهم . توفي عام 22 ق هـ/ 600م .

انظر عنه مقدمة تحقيق ديوانه بقلم إبراهيم الابياري . طبقات الشعراء ص 64 . الأغاني 8 : 244 - 254 . الشعر والشعراء 1 : 171 وهامش الإحالات .

(23) انظر ديوانه تح عبد المنعم شلبي، ص 153 .

(24) انظر ديوانه ص 129، وروايته « وأنا المنية حين تشتجر القنا » . وما ذكر المؤلف هنا مطابق لما عند ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » 1 : 175 .

(25) « كعب بن مالك الأنصاري بن أبي كعب »، من قبيلة بني سلمة، ينتمي إلى أسرة عريقة في الشعر . وهو أحد شعراء الاسلام الفحول، وواحد من أصحاب الرسول عليه السلام المعدودين . توفي عام 50 هـ / 670م .

طبقات الشعراء ص 87 - 89 . زهر الآداب 3 : 821 . الأغاني 16 : 240 - 255 .

(26) وهو يحيى بن اسماعيل بن ذي النون، الملقب بالمامون . أحد ملوك الطوائف بالأندلس على طليطلة وأعمالها .

ابن بسام، الذخيرة، م 1 ق 4 ص 147 - 149 . نفح الطيب 6 : 85 . المعجب ص 108 . البيان المغرب 3 : 277 - 285 . إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ص 14 وما بعدها .

(27) هذه الحكاية منقولة بتصرف من نفح الطيب . انظر 6 : 85 . 2 : 69 .

(28) انظر هامش 41 (مقدمة المؤلف) .

(29) هو لسان الدين بن الخطيب السلماني الوزير، فخر الاسلام بالأندلس في عصره كان يجمع بين السياسة والأدب، ويضرب به المثل في الكتابة والشعر والمعرفة بمختلف العلوم . توفي قتيلا سنة 776 هـ/ 1375م، وتم دفنه قرب باب الشريعة من فاس بعد أن أحرقت جثته .

يراجع عنه نفح الطيب للمقري . محمد عبد الله عنان، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري .

(30) سورة آل عمران . الآية 140 .

(31) سورة الأنعام . الآية 66 .

(32) سورة الزخرف . الآية 57 .

(33) سورة الفرقان . الآية 30 .

(34) سورة آل عمران الآية 68 .

(35) سورة الفجر . الآية 9.

(36) سورة البقرة . الآية 30 .

(37) سورة ص . الآية 26 .

(38) أحد النساك العباد، من السادات التابعين . توفي سنة: 37 هـ / 657م .

الذهبي، تاريخ الاسلام 2 : 173 - 175 . أزهار الرياض 4 : 195 وهامش 638 .

(39) رواية مسلم في الاعراج، قال عليه السلام « ... ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب ما رأيت به شبها دحية بن خليفة... » .

انظر التاج الجامع 3 : 296 .

(40) انظر أزهار الرياض 5 : 229 هامش 464 .

(41) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « اهتز عرش الرحمان لموت سعد بن معاذ » . وفي رواية أخرى « وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم اهتز لها عرش الرحمان » . رواهما الائمة الخمسة إلا أبا داود .

انظر التاج الجامع 3 : 390 .

(42) سورة البروج الآية 4 .

(43) « عدي بن حاتم الطائي »، كان رئيس طيء في الجاهلية والاسلام، وهو صحابي من الأجواد العقلاء . توفي سنة 68 هـ/ 687م .

الأغاني 17 : 374 هامش4 . ابن قتيبة، المعارف ص 136 .

(44) سورة الحشر . الآية 9 .

(45) « عمرو بن معد يكرب »، من قبيلة مذحج اليمنية . أحد فحول الشعراء والفرسان العرب المشهورين في الجاهلية والإسلام، يكنى « أبا ثور» . شهد فتح القادسية واليرموك

ونهاوند . توفي سنة 21 هـ / 642 م .

الشعر والشعراء 1 : 289 وهامش الإحالات . الأغاني 15 : 200 وهامش 1 .

(46) اسمه « حندج بن حجر بن الحارث الكندي، يكنى « أبا وهب»، و«أبا زيد»، ويلقب ب « امرئ القيس » وب « الملك الضليل » . يعتبر أمير شعراء الجاهلية، ورأس الطبقة الأولى منهم. توفي سنة 565م. له ديوان قام بتحقيقه محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع بالقاهرة سنة 1964 .

يراجع عنه: الطاهر مكي « امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية » القاهرة 1970 . محمد سمك، «أمير الشعر القديم امرؤ القيس »، القاهرة 1974 .

(47) سورة الشعراء . الآية 214 .

(48) سورة الزخرف . الآية 44 .

(49) سورة آل عمران . الآية 164 .

(50) سورة قريش . الآية 1 .

(51) سورة الأنعام . الآية 66 .

(52) سورة الفرقان . الآية 30 .

(53) سورة الزخرف . الآية 57 .

(54) سورة المسد . الآية 1 .

الباب الحادي عشر
في
حسن الخلق

وهو يشمل الأوصاف التي تقدمت، من الجود، والصبر، والحلم، [والعلم] (1x)، والوفاء والتواضع، وعلو الهمة، والسياسة، وهو أشرف الخصال.

قال عليه السلام: " إذا أحب الله عبدا حسن خلقه وخلقه".

قال / 98د / بعض المشائخ [رضي الله عنهم] (1x): " من لم يكن عارفا بأهل زمانه فهو جاهل".

وقال لقمان (1) " من عاداه قومه، طال يومه، وطار نومه (2x) ".

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «أفضل الناس عندالله من عزبه الحق، وذل به الباطل، وانتشر به الصدق، ورتق برأيه الفتق".

وقال الحكماء: " إذا غلب العقل الهوى، صرف المساوئ إلى المحاسن، فجعل البلادة صمتا، والحدة ذكاء، والمكرفطنة، والهدر بلاغة، والعي صمتا، والعقوبة أدبا، والجبن حذرا، والإسراف جودا".

وقال ابن المقفع (2): " ما رأيت حكيما إلا وتغافله أكثر من فطنته".

وقيل لبزر جمهر: "من أكمل الناس؟

- قال: من لم يجعل سمعه عرضا للفحشاء، وكان الأغلب عليه التغافل".

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

(2x) " وطار نومه" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

وقال بعض الحكماء: " التواضع أمان من التقاطع، والتملق أمان من التفرق، والتغافل عن بعض الأمور تعاقل، والتناعس عن بعضها تكايس». وفي المثل: "تغافل كأنك واسطي".

وهذا القدر كاف في هذا الباب، وهذه الأوصاف الحميدة، كان عليها السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله، وصارت خلقا له،وبها بلغ من علو الهمة وبعد الصيت والهيبة، ما لم يكن لملك من أهل بيته.

وكان رحمه الله متوقفا عن سفك الدماء إلا في الحدود الشرعية.

دولة السلطان
سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل

(بيعته بمراكش)

وفي ربيع الأول عام واحد وسبعين ومائة وألف، بلغ خبر موت السلطان عبد الله لولده سيدي محمد بمراكش، فعمل عزاءه.

وبايعه أهل مراكش (3x) وقبائل الحوز والدير، وقدم عليه وفود أهل السوس وأهل حاحة بهداياهم، فأجاز الوفود. ثم قدم عليه الوداية، وأهل فاس، والعبيد، والعلماء والأشراف، وقبائل العرب والبربر والجبال وأهل الثغور ببيعاتهم وهداياهم لمراكش. ولم يتخلف عن بيعته أحد من أهل المغرب.

فجلس للوفود إلى أن فرغ من شأنهم، وأجازهم، وأعطى للعبيد خيلا كثيرة، وسلاحا كثيرا. وجهز الحركة (1x) للغرب، فقدم عليه عسكر أهل الحوز ووجوه (2x) القبائل.

(قدوم السلطان إلى مكناس)

ولما بلغ مكناسة، دخل دار الملك، وفرق الأموال والخيل والسلاح على العبيد، وكانوا على غاية من سوء الحال، إذ كانوا مغلبين لصولة البربر، وكانوا يملكون أولادهم وبناتهم يغيرون عليهم في الأجنة والبحائر، فجبر الله صدعهم بولايته.

(دخوله مدينة فاس)

ثم ارتحل لفاس، ونزلت عساكره بالصفصافة وهو بمحلته في جملتها. وخرج لملاقاته عامة أهل فاس، والوداية (4). واختلط بالناس، فكانوا يقبلون أطرافه و لايمنعهم أحد.

وفرق المال والسلاح والكسوة في الوداية وعبيد السلوقية، وأعطى العلماء والأشراف وطلبة العلم وطلبة المدارس، والمكاتب والمؤذنين، والفقراء والمساكين، ولم يحرم أحداً.

(1x) " وتجهز للحركة" في باقي النسخ المعتمدة.

(2x) ج ووجهوا

(3x) ب منه.

ويوم الجمعة، جاء من المحلة في ترتيب عجيب، وخرج أهل المدينة كلهم لرؤيته، وامتلات الأرض بالعساكر، ودخل لفاس الجديد لصلاة الجمعة، فصلاها. وجلس مع الفقهاء، وسأل عنهم واحدا واحدا إلى أن عرفهم.

وخرج إلى ضريح والده، فزاره ورتب عليه القراء، وأخرج الصدقات.

ودخل لدار الملك، فوقف على من بها من أخواته، وعزاهن.

(تركة السلطان مولاي عبد الله)

وخرج عشية النهار لمحلته، ومن الغد ركب لدار دبيبغ، فدخلها ووقف على متخلف والده، من مال وخيل وسلاح وأثاث، إلى أن شاهده وأحصاه. وكلف كل واحد / 99د/ من أصحاب والده بما كان على يده، والجميع إلى نظر الحاجب عبد الوهاب اليموري وباشر أصحاب والده بالإحسان، وواعدهم بالجميل، وأعطاهم مالااقتسموه.

ثم بعد ذلك، حاز مال والده، وجد أكثره ذهبا، وذلك:

- ألف سماط من الجلد الفيلالي تكون على السروج بأقفالها، في كل واحد ألفا دينار من ضربه، تكون على سروج خيله في السفر، فإذا نزل في المحلة يدفعونها في القبة كل يوم فلان باسمه. ويوم الرحيل، تدفع لهم كذلك بالزمام.

-ووجد مائة رحاة من الذهب كقرص الشمع، كل رحاة فيها وزن أربعة آلاف دينار، تكون على البغال، أربعة في الشواري (5) مغطاة بالحنابل، مضروب عليها بالحبال، تكون عل خمسة وعشرين بغلة تسير (1x) أمامه، فإذا وصل المنزل، تدفع بالقبة. وهذا من الحزم والحذر، يحمل ماله معه أينما سار، ربما يفجأه العدو، ويأتيه الفرار بغتة، فيبقى المال للعدو.

- ووجد ثلاثمائة ألف ريال إلا خمسة عشر ألفا من الريال، ونحو العشرين ألفا من الموزونة (6) الرقيقة من ضربه. (7)

هذا ما ترك السلطان عبد الله من المال لولده سيدي محمد، وكان على يد القائد علال بن سعود من وصفانه. ونقل متروكه لمحلته، وكلف به أهل خدمته، وأوصى بأصحاب والده أصحابه بالتوقير والاحترام، ونظمهم في خدمته، فمن ظهرت نجابته، قربه وأدناه، ومن لا عبرة له (2x)، اهمله وأقصاه.

وورد عليه بفاس عامة قبائل المغرب بالهدايا، فأكرمهم كل بما يناسبه.

(1x) د تصير.

(2x) "به" بدل " له" في باقي النسخ المعتمدة.

(تولية عبد الكريم بن زاكور على تطوان)

وكان في ابتداء أمره رقيق الحجاب، ولم يعزل أحدا من عمال القبائل وقواد الحواضر، وترك ما كان على ما كان، إلا بعد الامتحان، غير أهل تطوان لم يأت قائدهم الوقاش، وفر لضريح الشيخ عبد السلام [بن مشيش] (1x) بماله وأولاده، واستقر به خوفا على نفسه لسوء ما قدم، فإنه كان أيام ولايته بتطوان إذا كتب له في أمر، لا يفعله، ويقول لمن يأتيه: "أنا متزوج برجل لا يملك بضعي غيره".

فلما فر، قدم أهل تطوان، وأخبروا السلطان بفراره، فولى عليهم عبد الكريم بن زاكور(8)، أحد كتابه، كان وجهه من مراكش لولاية العرائش. فلما وفد عليه أهل تطوان ولاه عليهم لكونه حضريا مثلهم.

وأقام السلطان بفاس شهرين، ورجع لمكناسة.

(مقتل أبي الصخور الخمسي)

ومنها توجه لناحية غمارة بسبب المرابط العربي أبي الصخور الخمسي، كان له صيت كبير بتلك القبائل، وكان يقول لهم: " لا يطول ملك هذا السلطان".

فقتله، ووجه رأسه لفاس (9)، وولى على قبائل غمارة والأخماس وتلك النواحي الباشا العياشي، وأنزله بشفشاون.

وفي أول المحرم عام اثنين (2x) وسبعين ومائة وألف، قدم من حركته لمكناسة مريضا، ثم عافاه الله.

(رجوع السلطان سيدي محمد لمراكش)

وفي صفر، توجه لمراكش بعد أن أمر بنقل عبيد السلوقية لمكناسة مع إخوانهم، وصحب معه لمراكش ألفا من العبيد رجلي، ليدفع لهم الخيل والسلاح والكسوة. فلما دفع لهم ذلك، رجعوا لمكناسة، ووجهوا ألفا آخر.

واستمر حاله معهم على هذا إلى أن أكمل لهم العدد واستوفوا خيلهم وسلاحهم وكسوتهم، ولم يسأل عما كان عندهم (في أيام والده) (3x) وفي عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف، تجهز للحركة، وقدم لمكناسة، وفرق الراتب على العبيد. ووجه للوداية راتبهم، وأمرهم بالحركة معه للمراسي.

(1x) سقط من (د).

(2x) د، أ. اثنان

(3x) سقط من (ك)

(ما دار بين السلطان وعلماء فاس حول مسألة مصرف الزكاة)

[وقدم عليه أمراء فاس، وعلماؤهم وشرفاؤهم بهديتهم، وبمال الموازين الذي كانوا يدفعون لوالده في كل شهر وهو ثلاثمائة مائة مثقال في الشهر. ويوم الجمعة، أحضر الفقهاء عنده، وهم السيد محمد جسوس (10)، والقاضي السيد عبد القادر أبو خريص(11)، والشريف مولاي عبد الرحمن المنجرة (12) والسيد عمر الفاسي (13) والسيد محمد بن عبد الصادق (14)، والسيد التاودي بن سودة (15)، وكان أصغرهم سنا، قال رحمه الله:

" فجلست خلفهم حياء منه، إذ كنت لم أكتب في بيعته لمانع حصل".

ولما فتح الكلام معهم، قال:

- إني أردت أن أسير إن شاء الله بسيرة الخلفاء الراشدين، وأردتكم أن تكتبوا لنا في شأن الزكاة نصوصا أعتمد عليها في إعانة عساكر المسلمين، من أين تكون مآتي الزكاة أو غيرها.

- فقال له شيخ الجماعة السيد محمد جسوس: لا مدخل للجيش في الزكاة وليسوا من مصرفها. وتبعه على مقالته الشريف مولاي عبد الرحمان المنجرة.

فتكلم السيد التاودي من خلفهم، وقال:

- إعانة الجيش من بيت المال، ومتعلقاته.

- فقال له أمير المؤمنين: تقدم.

ففتحوا له، ودخل بينهم، وقال:

- من هذا ؟

- فقالوا: فلان.

- فقال له: كيف قلت ؟

- قال: قلت إعانة الجيش من بيت المال، فإذا لم يكن به مال، فالإعانة للجيش من المسلمين.

- قال: أحسنت، واذا رجعتم لفاس، كل واحد منكم يكتب ما عنده، واجتمعوا عليه، وقيدوه في دفتر ووجهوه لنا.

وقام، ولما خرجوا من عنده، رجعوا على الشيخ التاودي باللوم والعتب، وقالوا له:

- ما حملك على هذا ؟ فإن الرجل أراد ما أراد، فلا تكون سببا فيه، وتتحمله. ولما رجعوا

لفاس، وجه لهم القاضي، واجتمعوا بالزاوية الفاسية (16)، وأتوا بما قيدوه وتذاكروا فيه، فأبرز السيد محمد جسوس ما كتب في الزكاة ومصرفها، وبيت المال ومصرفه، وكذلك مولاي عبد الرحمان وافقه في البائن، وكذلك ابن عبد الصادق.

ولما أبرز السيد عمر والسيد التاودي، وتحقق ما كتبا في بيت المال والزكاة، استحسنه القاضي، وقال: " هذا هو الصواب".

فغضب مولاي عبد الرحمان، والشيخ جسوس، وابن عبد الصادق الذين كتبوا بالمنع، وخرجوا حالا بما معهم، فسقط في يد الباقين، وقال لهم القاضي أبو خريص:

" هذا فصل الزكاة الذي كتب سيدي عمر نثبته، وفصل بيت المال نثبته، وهذه الإعانة نجعلها فصلا ثالثا على ما كتب به للقاضي " الفرا المالقي" لما خاطب السلطان يوسف بن تاشفين علماء الأندلس بأن يكتبوا له ما يكون إعانة لعساكر المسلمين، ونتخلص من هذا الأمر بهذا الوجه".

فكتبوا ذلك في دفتر، ووجهوه للأمير. فكان عمدته في ترتيب تلك الإعانة للجيش على الغلل والأبواب والموازين والأسواق.

ففرضت خفيفة صغيرة، ومع الأيام كبرت وعظمت، إلى أن بلغت مبلغا عظيما في كل حاضرة ومدينة، وبلغ مقدارها خمسمائة ألف مثقال وكذا في كل سنة مشهورة مبيعة لعمال المدن وقواد القبائل، ومنها كان صائر الدولة في مصارفها إلى أن مات أمير المومنين وبويع ولده اليزيد.

واستمر حالها إلى موته، وبيعة أمير المومنين مولانا سليمان، فأبطلها، وترك ذلك المكس، فعوضه الله اكثر منه من الحلال المحض] (1x)

(دخول السلطان سيدي محمد مدينة تطوان)

ثم خرج (2X) من مكناسة، فنزل تطوان، وأمر ببناء البرج بمرتيل (17)، وفرق المال [على] (3x) (العبيد الذين بمرتيل وهم بقية عبيد سبتة، لأنه لما انحل نظام الملك، وفر العبيد من سبتة لقبائلهم بالجبال، بقي هذا الألف الذي لا قبيل له هناك، فانقلهم الوقاش لمرتيل وأحسن لهم، وكان يدافع بهم (4x) القبائل عن بلاده (5x).

(1x) هذا الحوار الذي دار بين مولاي محمد بن عبد الله وعلماء مدينة فاس حول مسألة مصرف الزكاة وقضية الأمكاس (المحصور بين معقوفتين) زيد في طرة (د) وسقط من باقي النسخ. وسقط كذلك من الروضة السليمانية (مخ خع) ومن الترجمان المعرب (النص المطبوع).

(2x) " وخرج" في باقي النسخ المعتمدة.

(3x) د في.

(4x) " بهم" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(5x) " عن بلاده" سقط من (ك).

(نزول السلطان على مدينة سبتة)

ثم انتقل السلطان من تطوان، وجعل طريقه على سبتة، فوقف عليها، وتأملها ،/ 100د/ وتحقق منعتها وحصانتها، وأن لا مطمع لعاقل في قصدها، وأمر العساكر بإخراج حاضرون من البارود، فرد عليهم الكفار حاضرونا من المدافع بالكور، اهتزت له الجبال.

فتعجب السلطان من ذلك، وما كان قصده بتلك الحركة إلا الوقوف على سبتة، واختبار حالها والتأمل في أمرها، لأنه لم ينظرها بعين التأمل في المرة السابقة. فقطع نظره عنها، وأوصى أهل أنجرة (18) بتعيين حصة من الرماة لحراستها، والوقوف على حدودها، وأعطاهم إعانة على ذلك.

(السلطان يتفقد أحوال طنجة والعرائش)

وتوجه لطنجة. فنزل قريبا منها، ولقيه أهل الريف بقضهم وقضيضهم، وكان قيد عليهم عبد الصادق بن الباشا أحمد بن علي قدم عليه لمراكش قبل وفاة والده السلطان عبد الله، فأكرمهم، وفرق فيهم المال والكسوة، وأمر عبد الصادق أن يوجه أخاه عبد الهادي يقف على انشاء الغلائط بتطوان.

وتوجه للعرائش فوجدها خالية ليس بها إلا نحو المائتين من أهل الريف تحت كنف أهل الغرب، فقيد بها عبد السلام ولد علي وعدي، وأمر أن تأتيها مائة من عبيد مكناسة.

(مجيئ السلطان للرباط واهتمامه بشؤونها البحرية)

وتوجه لرباط الفتح، فأقام به. وأمر علي مرسيل (19) أن يبني صقالة (20) على البحر، وقائد سلا عبد الحق فنيش أن يبني أخرى بسلا تقابلها على البحر. وأمر بإنشاء سفينتين، واحدة بالرباط وأخرى بسلا، وكان عندهم سفينة مشتركة بين أهل العدوتين أنشؤوها أيام الفترة، وتوجهوا بها لأگدير، ومنه وجهوا رسلهم لسيدي محمد وهو خليفة بمراكش، فأكرم الرسل، ووجه معهم مالاً للمجاهدين. ومن الرباط، وجه محلة العبيد والوداية لبلادهم.

(السلطان يأمر تجار النصارى أن يأتوه بتجهيزات المراكب)

وتوجه لمراكش، وكتب لتجار النصارى بآسفي يأتوه بإقامة (21) المراكب القرصانية، صواري (22)، وانطنات، وگمن (23)، ومخاطيف (24) وحبال، وقلاع (25)، وبتاتي (26)، فتنافسوا في ذلك.

(نقل حراطين الرتب إلى مكناسة والسبب في ذلك)

وفي هذا العام أيضا، أمر نصره الله بقدوم حراطين الصحراء الذين بالرتب (27) وتافيلالت، وهم الجبابرة والمعاركة وأولاد أبي حمو، بلغه عنهم أنهم يعينون عمه مولاي لحسن (28) على

محاربة الشرفاء، فانقلهم لمكناسة، وأعطاهم الكسوة والسلاح، وكتبهم في ديوان الجيش.

(وفاة مولاي المستضيء)

وفي عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف، بلغه موت عمه المستضيء بتافيلالت.

(إيقاع السلطان سيدي محمد بالودايا والسبب في ذلك)

وبلغه عن الوداية أنهم لا زالوا على فسادهم القديم، ويدخلون بين البربر بالزبون، لأنه لما مات محمد وعزيز، افترق آيت ادراسن وڨروان، ووقع الحرب بينهم مرتين، أعان الوداية فيهما(1X) ڨروان، ونهبوا آيت ادراسن، وأخرجوهم عن البلاد.

ولما بويع سيدي محمد، انحاز له آيت ادراسن إذ هم شيعة والده، وقيد عليهم ولد محمد وعزيز، وأنزلهم بحوز مكناسة، إذ سمع ما وقع لهم مع ڨروان، ومنافسة الوداية لهم، واشتغالهم بفساد السابلة، وقبض الخفارة هم والوداية. وكان رئيسيهم لذلك العهد، جبورلص مبيد.

فآخى السلطان بين آيت ادراسن وآيت يمور، وعاهدهم، وأوصى عامله على مكناسة بهم، وأمر ڨروان أن يكفوا عنهم ويخلوا سبيلهم. فلم يرجعوا، وتمادوا على حرب آيت ادراسن، فأمر السلطان قائد العبيد، وقائد آيت يمور أن يشدا (2X) عضد آيت ادراسن، ويخرجا لنصرتهم على ڨروان حيث انتصر لهم الوداية.

وخرج الوداية بمحلتهم لوادي فاس في أول يوم من رمضان، وأقاموا به مفطرين قبل سفرهم، وقصدوا مكناسة هم وڨروان، وتقدموا لآيت ادراسن، فكان اللقاء على وادي ويسلان، ووقع الحرب، فنصر الله آيت ادراسن عليهم، وهزموهم، ونهبوا محلة الوداية وحلة ڨروان باحبوقن، وقتلوا منهم نحو الخمسمائة / 101د/، وقطعوا رؤوس أعيان الوداية، وعلقت بباب الجديد من مكناسة، ورجع الوداية منهزمين لفاس

فلما بلغ ذلك للسلطان، غضب على الوداية، وأضمر المكر بهم. (29) وفي عام أربعة وسبعين ومائة وألف، قدم نصره الله يقصدهم، ولما بلغ مكناسة، وجه الوداية عجائزهم للشفاعة والعذر، فاجتمعن به في الطريق، وتشفعن له بالرحم، فطيب قلوبهن، وأعطاهن كسوة ودراهم، وجئن في صحبته لفاس. فنزل بالصفصافة، وخيمت عساكره بها، وخرج الوداية وأهل فاس لملاقاته، ففرح بهم، وأظهر لهم البشر.

ومن الغد، أمر بعمارة المشور بدار دبيبغ، وأخرج أهل فاس طعام الضيافة على عادتهم، فأمر أن يدخل لدار دبيبغ، وعند العصر خرج للمشور، فوقف به، ودفع القبائل هداياهم.

(1X) « فيها » في باقي النسخ المعتمدة.

(2X) د . يشدوا.

ولما فرغ، أمر العبيد والوداية أن يدخلوا لأكل الطعام بدار دبيبغ، وكان رتب بها ألفا من المسخرين لقبض الوداية في ناحية أفردها لهم. فلما دخلوا وغلقت الأبواب، أمر بالقبض عليهم، وجردوهم من سلاحهم، وكتفوا أيديهم من خلفهم، وأضجعوهم على ظهورهم وهو واقف على رؤوسهم.

ولما أكل الناس الطعام، أمرهم (1x) بالركوب لحلة الوداية والمغافرة بلمطة، فركبت العساكر وغارت لها. وتوجه السلطان في موكبه خلفهم، فلما واجه فاسا الجديدة، أخرجوا عليه مدافع من البرج لم تغن شيئا.

ووقف السلطان بموكبه بدار الرخا ساعة، والعساكر مقبلة بالغنائم والسبي والخيام، كأنهم لم يكونوا. وفي الليل، هرب من بقي من أعيانهم بفاس الجديد، بعضهم لضريح سيدي أحمد الشاوي (30)، وبعضهم لزاوية اليوسي. وبقي العامة فوق الأسوار يطلبون الأمان ليخرجوا، فأمنهم السلطان، وخرجوا لفاس القديم، فتفرقوا به.

(السلطان يأمر بنقل ألف من عبيد مكناسة إلى فاس)

ثم أمر السلطان العبيد أن يعينوا ألفا منهم يسكنون به، فعينوه، وحملوا أولادهم من مكناسة، وسكنوا بفاس الجديد.

وأمر بتسريح أربعة من الوداية منهم قدور بن الخضر (31)، وأمرهم أن يقفوا على المساجين، حتى يعينوا أهل الفساد منهم المشهورين به، ويأتوه بزمامهم، فعينوا خمسين من العتاة أهل الزيغ والفساد، فأمر أن تجعل لهم أكبالا واثنين في سلسلة. ووجههم لمراكش، اثنين على الجمل، فسجنوا بها.

(السلطان يأمر بنقل ألف من الوداية إلى مكناسة)

وأمر قدور بن الخضر أن يسرح الباقين، ويكمل عليهم ألفا من الوداية والمغافرة، ويطرد الباقين لقبائلهم، ويحملون أولادهم لمكناسة يسكنون بها مع (2x) العبيد. وعين لهم الاسطبل ينزلون به كأنه قصبة مستقلة، وأمره بتأديبهم، وتجرية الأحكام عليهم.

فتوجه بهم قدور بن الخضر، وقيده عليهم وهو أصغرهم سنا،وأكملهم عقلا وعدلا. واشتغل السلطان يدفع لهم الخيل والسلاح والكسوة، إلى أن أكمل لهم الألف، ولم يسأل عما كان عندهم قديما. فصلحت أحوالهم. (32)

(سجن الحبيب المالكي صاحب الغرب ووفاته)

ثم فرق سهامه للأمراء الذين كانوا أيام والده في مراتب الاستقلال، والمملكة عندهم في

(1x) د أمر.

(2x) "من" بدل "مع" في (ج).

حيز الاهمال، حيث استمروا على ضلالهم ولم يقلعوا، وأقاموا على ظلمهم ولم يرجعوا. فقبض على والي أهل الغرب الذي هو رأس أمراء أيام الفتنة، الباشا الحبيب المالكي، وأودعه في المطبق، وأمر بنهب أمواله ومواشيه، وجميع ما إليه (1x)، وهدم قصره، وأمر بحمل أنقاضه لثغر العرائش، وأقام بالمطبق، فمنع نفسه من الأكل والشراب إلى أن مات ميتة جاهلية. نسأل الله السلامة.

(مقتل عبد الحق فنيش صاحب سلا)

ثم قبض على صاحب سلا عبد الحق فنيش الذي أعرض عن سوء فعله معه أيام خلافته حيث أغلق أبواب سلا في وجهه، ولم يقابله ذهابا وايابا. ولما ولاه الله أمر / 102د/ المسلمين، صفح عنه وأبقاه على رياسته، فاستمر على جوره وظلمه. وقتل رجلا من أهل سلا ظلما، ولما رفع إليه خبره، وقام بين يديه أولياؤه، قبض عليه ودفعه لهم ليقتلوه.

ولما عجزوا عن قتله، أمر الأعوان بقتله بمرأى منهم، فقتلوه بأيدي الفؤوس. ووجه من حاز أمواله، وباع أصوله وأصول إخوانه وقرابته لبني حسن. وانقلهم من سلا للعرائش، فسجنوا بها.

ثم بعد مدة، عطف عليهم وسرحهم، وفرقهم في ثغور السواحل، وولاهم رياسة الطبجية، وآلة الحرب من مدافع ومهارز، بعضهم بالعرائش، وبعضهم بطنجة، وبعضهم بالرباط، وبعضهم بمراكش، وبعضهم بالسويرة، وأعطاهم الدور المعتبرة، والرباع المستقلة، ورتب لهم الرواتب العظيمة، وبلغوا في الثروة والعز والجاه، ما لم يبلغ أحد في دولته من سلفهم، ولا غيرهم.

(عزل السلطان لبعض عماله)

ثم عزل قائد بني حسن أبا (2x) عريف، وولى عليهم القائد محمد القسطالي. وعزل قائد تامسنا ولد المجاطية، وقائد تادلا الراضي الورديغي. وولى على تامسنا وتادلة وزيره السيد محمد بن حدو الدكالي الذي ولاه على دكالة لما قبض عاملها ابن العروسي قائد المستضيء، وأودعه المطبق مدة أعوام، ولما سرحه، ولاه مدينة شفشاون وأعمالها.

وأرهف حده للعمال، الذين أفسدهم المال، فصلحت بذلك أحوال الرعايا والجند، لما تولى المناصب أهل الكفاءة والجد.

ولما فرغ من هذه الأشغال، وقرر أولياءه على الأعمال، ورتب الحامية في الثغور من الأبطال، رجع) (3x) (4x) .

(1x) ك . ماله .

(2x) « أبو » في جميع النسخ المعتمدة .

(3x) « رجع » زيد في طرة (ب) بتصحيح .

(4x) الفقرة المحصورة بين قوسين زيدت في طرة (ز) بتصحيح .

(الحاج محمد الصفار يشتري أمكاس فاس)

وفي هذا العام، اشترى الصفار (33) أمكاس فاس باثني عشر ألف مثقال في السنة، لأنه لما بويع سيدي محمد وقدم لفاس، دفع (1x) له أهل فاس ما كانوا يدفعونه لوالده السلطان عبد الله من ثمن الموازين، وهو ثلاثمائة مثقال في الشهر، ولما حضر فقهاء الوقت، تكلم معهم في شأنها ليسند أمرها عليهم، فقالوا:

" إذا لم يكن للسلطان مال، يجوز له أن يقبض من الرعايا ما يقوم به العسكر".

فأمرهم أن يكتبوا له في ذلك، فكتبوا له تأليفا اعتمده السلطان، ووظف على الأبواب، والسلع، والغلل.

وممن كتب له فيه، الفقيه السيد التاودي، والسيد محمد جسوس، والسيد عمر الفاسي، والشريف سيدي عبد الرحمان المنجرة، والسيد محمد بن عبد الصادق، والسيد أويس (34)، والسيد عبد القادر بوخريص، وعلى فتواهم اعتمد.

(رأي المؤلف في ترتيب أمور المكس)

وأما أهل (2x) القوانين من الأتراك والروم، فإنهم يسوون بين العدل النبوي والعدل السياسي، ويقيمون العدل الاصطلاحي مقام العدل الإلاهي، وعندهم الجور المرتب، أحسن من العدل المهمل.

ولا شيء أصلح للسلطان من ترتيب الامور، ولا شيء أفسد له من إهمالها. وان درهما يوخذ من الرعية على وجه الاهمال وان كان عدلا، أفسد لقلوبها من عشرة توخذ منها (3x) بسياسة على زمن معلوم، أو شيء معلوم مألوف، وإن كان جورا كالمكس المرتب.

وتوجه السلطان لمراكش.

(إغارة السلطان على الشاوية ونواحي تادلة)

وفي عام خمسة وسبعين ومائة وألف، حرك السلطان للشاوية، فأكلهم ونهب أموالهم وقتل منهم، وقبض عددا وجههم في السلاسل لمراكش.

وفي طريقه، أغار على اشقرن من آيت امالو بنواحي تادلة، فنهب أموالهم، وقتل من ظفر به منهم.

(1x) د . دفعوا

(2x) « أهل » زيد في طرة (أ) بتصحيح .

(3x) د فيها

(حركة السلطان سيدي محمد للحياينة)

وتوجه للغرب بقصد الحيانية لفسادهم، فابتدأ بنهب آيت اسكاتو، وثنى ببني سادن، وثلث بالحياينة، ففروا لجبال غياثة، فتحصنوا بها، فترك العساكر ببلادهم تأكل الزرع، وتوجه هو لتازة، ودخل عليهم لبلاد غياثة، فأبادهم بها، والعساكر ببلادهم تستخرج الزرع والدفائن، وتحرق العمائر إلى أن عيدت ببلادهم.

(امتحان الشيخ محمود الشنگيطي وموته)

ورجع لمكناسة، وفي مقامه بمكناسة، أمر بقبض الشيخ / 103د/ محمود الشنقيطي الصوفي من فاس، قدم من بلاده، ونزل بمستودع القرويين. وكان يجتمع عليه الأعيان والتجار، وكانو يعتقدونه، فلم يقتصر على ما هو من شأنه من إقبال الخلق عليه، بل صار يتكلم في أمر المملكة، ويكاتب البربر، ويزعم أن سلطان الوقت جائر متعد، ولم يوافق عليه أحد من الأولياء.

فبلغ قوله للسلطان، فأمر بقبضه، ووجهه لمراكش فسجن بها، وامتحنه إلى أن مات في سجنه، ولم تبكه أرض ولا سماء. (35) .

(استطراد: حكاية عن حسن سياسة المامون العباسي)

ومثل هذا وقع في أيام المامون العباسي(36)، فإنه كان يجمع العلماء للمناظرة يوم الثلاثاء، فدخل عليه رجل متقشف ونعله في يده. [ووقف على طرف البساط] (1x)

وقال:

- السلام عليكم ورحمة الله.

- فقال له المامون: وعليك السلام.

- فقال الرجل للمامون: أخبرني عن هذا المجلس الذي جلست فيه، هو باتفاق من المسلمين، أم بالغلبة والقهر ؟

- فقال المامون " لا بهذا ولا بهذا، كان أمير المومنين (2x) عقد لأخي، ولي بعده ولما مات أخي، جلست بعده، وعلمت أن لا بد لي من اتفاق المسلمين. فأردت أن أترك لهم أمرهم حتى يجتمعوا (3x) على تقديمي، وبعد عزمي على ذلك، خفت (4x) أن يبقى الأمر فوضى، فتضيع

(1x) ما بين معقوفتين سقط من (د)

(2x) أ.ز.ج.ك المسلمين

(3x) "يجتمعون" في جميع النسخ المعتمدة

(4x) "خفت" سقط من (ك)

الحقوق، وتتعطل السبل، وينقطع الحج، ويبطل الجهاد، ويقع الهرج، فيكون إثم ذلك علي. فلم يسعني إلا حفظ هذه المرتبة حتى يجتمع الناس، ويتفقوا (1x) على تقديم من احبوا، وأسلم له الأمر، ولا أنازعه.

- فقال له الرجل: " السلام عليكم"

وسار، فأمر المامون من تبعه إلى أن يعرف محله، فتبع شخصه (2x) إلى أن دخل مسجدا بطرف المدينة، فيه جماعة على شكله كلهم متقشف، فقالوا له:

- هل لقيت الرجل ؟

- قال: نعم. وقص عليهم كلام المامون.

فقالوا: «كلامه صواب، وما قال إلا حقا». (37)

فانظر رحمك الله إلى جواب هذا السلطان، ولطيف مقالته، وحسن سياسيته، كيف تخلص من هذا الوارد بالرفق واللين، والقانون الشرعي الذي دفع به عن نفسه، ولم يحصل للرجل منه ضرر، ولا قابله بمكروه، ولم يقع في محذور.

(بعض أقوال مأثوة للمامون العباسي)

ومن كلام المامون: "الناس على ثلاثة أنواع: نوع كالغذاء يحتاج إليه في كل وقت، ونوع كالدواء يحتاج إليه في المرض، ونوع كالداء يكره على كل حال".

وقال: "لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال".

وقال: " أعيت الحيلة في الأمر إذا أقبل أن يدبر، وفي الأمر إذا أدبر أن يقبل".

وقال: "عين الشام دمشق، وعين مصر القاهرة، وعين العراق بغداد، وعين الروم القسطنطينية، وعين خراسان نيسابور، وعين ما وراء النهر سمرقند". (38) رحمه الله، ورضي عنه.

(ولاية مولاي إدريس بن المنتصر على فاس)

رجوعا إلى خبر السلطان: ثم خلف بفاس، ابن عمه إدريس بن المنتصر، وولاه قبائل الجبال (3x) كلها.

(1x) " ويتفقون" في جميع النسخ المعتمدة

(2x) "آثاره" بدل "شخصه" في باقي النسخ المعتمدة.

(3x) " الجبل" في باقي النسخ المعتمدة.

ولما بلغ مكناسة، قبض على الحاج الخياط عديل، وإخوانه، فسجنهم في مال كان لوالده عليهم، وبعضه أعطاه لهم هو نفسه.

(سفارة الخياط عديل والطاهر بناني إلى تركيا)

وفي تمام العام، وجه الحاج الخياط عديل، والسيد الطاهر بناني سفيرين (1X) إلى الإسطنبول (39) (للسلطان مصطفى العثماني) (2x)

(بيع الأمكاس بفاس)

وفي عام ستة (3x) وسبعين ومائة وألف، تولى الحاج محمد الصفار أمكاس (4X) فاس باثنين وعشرين ألف مثقال في السنة.

(السلطان سيدي محمد يأمر بتحبيس الكتب الإسماعيلية على مساجد المغرب)

وأمر السلطان بتحبيس الكتب الاسماعيلية التي بدويرة (5X) الكتب من مكناسة، وعددها اثنا عشر ألف مجلد وكذا على مساجد المغرب كله.

(إيقاع السلطان سيدي محمد بقبيلة مسفيوة)

وتوجه لمراكش، ولما بلغها، قدم عليه أعيان مسفيوة بمائة وخمسين رجلا، فقتلهم كلهم غير القاضي. وأمر المحلة بنهب بلادهم والعيث فيها، فتوجهوا لها.

وكان هؤلاء مسفيوة من الطغيان والضلال والاستخفاف بالمملكة، على غاية لم تكن لأحد. ومن يوم نزل السلطان مراكش، وهو يعالج داءهم، فما نفع فيه ترياق، إلى أن حصلوا عنده بهذا العدد، فانتهز فيهم الفرصة، وبذلك / 104د / صلحت أحوالهم في المستقبل.

وفي عام ستة وسبعين ومائة وألف، حرك السلطان للغرب، فنهب في طريقه آيت سبير من زمور، وبدد شملهم.

(السلطان يأمر القبائل بدفع الزكاة والعشر)

ولما بلغ مكناسة، أمر القبائل بدفع الزكاة والعشر، الحياينة وشراقة والحوزية يدفعون بهري فاس، وأهل الغرب وبني حسن والبربر يدفعون بهري مكناسة.

(1X) ك مسافرين

(2X) ما بين قوسين زيد في طرة (د) بتصحيح. وسقط من باقي النسخ المعتمدة.

(3X) "خمسة" في باقي النسخ المعتمدة.

(4X) ك أنكاس.

(5X) أ،ز،ج،ك بدويرية.

(حركة السلطان سيدي محمد لمرموشة)

وخرج لحركة مرموشة فهزمهم، ونهب أموالهم، واستولى على معاقلهم، وقتل منهم عددا. وبعد ظهورهم على العساكر، تقدم لهم بنفسه وعبيده المسخرين، فهزمهم، وتوجه لتازة، فأصلح نواحيها، ورجع.

وفيه مات قائد القواد، السيد محمد بن حد الدكالي، وكان عمود مملكته رحمه الله، فولى مكانه ابن عمه السيد محمد بن أحمد.

وفي عام سبعة وسبعين ومائة وألف، أمر السلطان ببناء قبة سيدي علي بن حرزهم.

(قيام أحمد الخضر بنواحي فگيك ومقتله)

وفيه قام أحمد الخضر في الصحراء من نواحي فقيف، وكان يزعم أنه مولاي عبد المالك، ثم صار يدعي أنه داعيته، وفتن الناس بكثرة حروبه.

فوجه السلطان لعرب تلك الناحية، فقتلوه، ووجهوا برأسه للسلطان لمكناسة، وكان مريضا. ولما عافاه الله، توجه لمراكش. (40)

(سفارة للدانمارك وأخرى للسويد)

ولما بلغ للرباط، وجه الحاج التهامي مدون باشدورا لبلاد دنامرك ليأتيه بإقامة المراكب. ووجه الحاج عبد الوهاب شكلنط باشدورا لبلاد السويد ليأتيه بإقامة المراكب والبارود (41).

(سفارة العربي المستيري إلى انجلترا)

ووجه القائد العربي المستيري في مركبه باشدورا لبلاد الانجليز (42)، يصلح مركبه ويجعل له إقامة جديدة، [فتوجه لها، وجدد مركبه، وجعلوا له إقامتين] (1x) ومدافع نحاسية. ورجع لتمام العام.

(عرس الأميرين مولاي علي ابن السلطان وابن عمه سيدي محمد بن أحمد)

وفي عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، كان عرس ابن السلطان مولاي علي بمراكش على ابنة عمه مولاي أحمد، وعرس ابن أخيه سيدي محمد بن أحمد على ابنة السلطان، وكان عرسا عظيما حضره عامة أهل المغرب بهداياهم.

(بناء مدينة الصويرة)

ولما فرغ منه، توجه للسويرة بقصد عمارتها، فأسسها (43)، وترك الخدمة بها، وأمر عماله

(1x) ما بين معقوفتين سقط من(د).

وقواده ببناء دورهم بها، ورجع.

(استطراد: إكراه طغرلبك السلجوقي الخليفة القائم على نكاح ابنته)

قلت: وقد وقفت على ما وقع في دولة بني العباس من إكراه السلطان طغرلبك السلجوقي التركي، الخليفة عبد الله القائم بن القادر على نكاح ابنته، بعد امتناعه من ذلك بكل وجه، فلم ينفع وأجابه على رغم أنفه.

وهذا أمر لم يقع في دولة من دول الاسلام. قاله الذهبي في تاريخه. ساق هذه النادرة الاسيوطي لغرابتها، ثم قال:

وأعظم من هذا، ما وقع في وقتنا من تزويج الخليفة ابنته لواحد من مماليك السلطان بمصر. فلا حول ولا قوة إلا بالله. (44)

فانظر هذا (1x) القهر الفظيع الذي وقع للخلفاء من بني هاشم مع هؤلاء الظلمة في صدر الاسلام. فالحمد لله الذي أنقذ أهل بيت نبينا ملوك المغرب من مثل هذا.

(حفظ السلاطين العلويين لأنسابهم)

فإن عامة ملوك المغرب العلويين، لا يمكن لأحد من أعيان أهل المغرب وأهل اليسار منهم أن يطمع في نكاح شريفة، أو تحدثه نفسه بذلك، ولو كان من أهل الشوكة والعصبية القوية، بل ولو كان ملكا قرشيا. ولا تتزوج الشريفة منهم إلا من شريف علوي، ولا يتزوجها شريف غير علوي احتياطا لهذه النسبة الشريفة رضي الله عنهم. وذلك من علو همهم وحفظ انسابهم، أبقى الله وجودهم.

ولما تزوج طغرلبك ابنة الخليفة القائم ضمن أهل بغداد ألف ألف وخمسمائة ألف دينار في السنة مكسا.

(هجوم الفرنسيين على مدينتي سلا والعرائش ورجوعهم بالخيبة)

وفي قعدة العام المذكور، أرسى مراكب الفرنسيس على مدينة سلا، ورموها بالكور والبمب ثلاثة أيام إلى أن خرج أهلها للأجنة، وتوجه مراكب النصارى. (45).

وفي المحرم من عام تسعة وسبعين ومائة وألف، أرسى مراكب الفرنسيس على مرسى العرائش، ورموها بالكور والبمب إلى أن هدموها. وفر أهلها للأجنة، وعمر / 105د / النصارى فلائكهم، وملؤوها بألف من (2x) العسكر، ودخلوا للوادي الذي فيه مراكب السلطان

(1x) " لهذا" في باقي النسخ المعتمدة.

(2x) "بالعسكر" بدل " " بألف من" في باقي النسخ المعتمدة.

فأحرقوها، وطلعوا مع الوادي لمركب بقي منها، فتحاربوا عليه مع أهل الساحل وبني جرفط، فهزموهم عنه، ورجعوا. (46)

فوجدوا أهل الغرب مع القائد الحبيب، اعترضوهم بباب المرسى بتلك الحجارة، ومنعوهم من الخروج، وأعانهم الله بريح شديدة بحرية، عظم بها أمواج البحر، فإذا توسطوا للخروج في وسط الوادي ردهم الريح، وإذا انحازوا للشطين، رماهم المسلمون بالرصاص إلى أن استأصلوهم، وخالطوهم في الفلائك عوما.

وكانوا خمسة عشر فلوكة، فيها ألف (1x) من العسكر أخذوا بين قتيل وجريح وأسير، واختطفهم القبائل، وكل من أخذ أسيرا، توجه به للسطان، فأعطاهم وكساهم.

وأقام النصارى في أسر السلطان، إلى أن توسط في فدائهم طاغية الإسبنيول بعد صلحه ففداهم بأموال معتبرة.

وفي هذا العام، توجه السلطان للعرائش بقصد عمارتها، وبناء الصقائل والأبراج بها فأقام بها شهرا.

(سفارة خالي السلطان والكاتب الغزال إلى إسبانيا)

ووجه خاليه (2x) عمارة بن موسى، ومحمد بن ناصر باشدورين (3x) لطاغية الاسبنيول، وكاتبه أحمد الغزال كاتبا معهما. (47)

فلما بلغوا جبل طارق، كتب أحمد الغزال كتابا لأحد كتاب (4x) السلطان، يقول له: "أريد منك أن تعرف أمير المومنين بأن هذين الرجلين لا معرفة لهما بقوانين الروم، وخفت عاقبة الأمر، فلا يواخذني (5x) سيدي بما ينشأ عنهما، واني بريء من ذلك".

فأخبر السلطان بكلامه، فقال له: " والله ما قال إلا الحق، فقد ندمت على تقديمهما عليه، وما راعيت إلا ذاتهما وأغفلت الأذوات. اكتب كتابا لطاغية الاسبنيول، وقل له: إني وجهت لك كاتبي أحمد الغزال (48) باشدورا، ووجه له الكتاب، فإذا بلغه يقبض الكتاب الذي عندهما".

فلما بلغه الكتاب، قبض الذي عندهما، وتولى الأمر، فقضى الغرض المطلوب، وأبقى ذكرا جميلا، رحمه الله.

(1x) "ألفا" في جميع النسخ المعتمدة.
(2x) "خالاه" في جميع النسخ المعتمدة.
(3x) "باشدوران" في جميع النسخ المعتمدة.
(4x) " لأحد كتاب" زيد في طرة(د) بتصحيح.
(5x) "يعاقبني" بدل "يواخذني" في (ك).

(السلطان يأمر أهل فاس بتقويم الادالة للصويرة)

وفي هذا العام، كلف السلطان أهل فاس بتقويم الادالة للسويرة، خمسين راميا بقائدها، وفقيها مدرسا، وموقتا، ومؤذنا، وشاهدين. وأسقط عنهم الحركة التي كانوا يعطون للملوك، وهي خمسمائة رام، فقوموها بمشقة، وتوجهوا إليه لمراكش. فوجههم للسويرة، ورتب لهم المونة، وكانوا يحرسون المرسى، وينزل مالها بدارهم عند قائدهم. فانتفعوا فيها، إلى أن صاروا يتهافتون على التوجه لها (1x) لما يحصل لهم من النفع بها. واستمر الحال على ذلك.

(سفارة علي مرسيل لفرنسا)

وفيه، وجه السلطان علي مرسيل لبلاد الفرنسيس لتقرير الصلح، وقبض مال الأسارى وشراء الإقامة منه. فأعطوا الإقامة والمال.

(سفارة الطاهر السلاوي والطاهر بناني لتركيا)

وفيه وجه السلطان الفقيهين، السيد الطاهر السلوي، والسيد الطاهر الرباطي، باشدورين (2x) للاسطنبول (49) للسلطان مصطفى العثماني بهدية فيها خيل بسروج ذهب منبتة بالجواهر واليواقيت والزمرد، وأسياف محلاة بالذهب، منبتة بأحجار الياقوت المختلف الألوان، وحلي من عمل المغرب.

ولما رجعا، أصحبهما مركبا موسوقا بآلة الحرب من المدافع والمهارز، وإقامتهم، والبارود، وإقامة المراكب القرصانية من كل ما يحتاج إليه.

(تمهيد الريف ونواحيه)

وفي هذا العام، حرك السلطان للريف، جاز على تطوان، وعلى بلاد غمارة والريف وگارث، فمهد تلك النواحي كلها، ورجع على تازة.

وفيه قدم على السلطان مولاي علي خليفة بفاس الجديد، وولاه قبائل الجبل والريف.

(زيارة الشريفة فاطمة بنت مولانا سليمان عم السلطان لبعض الأضرحة)

وفيه قدمت ربة الدار العالية، لالاّ فاطمة بنت سليمان لفاس، لزيارة مولانا إدريس، وسيدي علي بن حرزهم، وسيدي عبد الله التاودي، فزارت ليلا، وذبحت (أزيد من مائة ثور، وفرقت صدقات.

وتوجهت لصفرو / 106د / لزيارة سيدي أبي صرغين، وسيدي أبي علي، فزارت

(1x) "لها" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(2x) "باشدوران" في جميع النسخ المعتمدة.

وذبحت) (1x) وتصدقت، ورجعت لفاس.

ثم توجهت لزيارة الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش، فتوجه معها أعيان أهل فاس، وعلماؤهم وأشرافهم،واعترضها قواد أهل الغرب بهداياهم.

(المؤلف يرافق الشريفة بنت مولاي سليمان إلى العرائش)

وقدم عليها قواد المراسي لضريح الشيخ عبد السلام بخيلهم بأمر السلطان، وكنت واليا بالعرائش تلك السنة، فتوجهت من جملتهم. ولما قضت زيارتها، وفرقت المال على الأشراف رجعت للقصر، ومنها (2x) توجهنا بها للعرائش.

فأقامت بهاثلاثة أيام، ومنها تفرق القواد، كل واحد رجع لبلده، وتوجهت لمراكش في ألف من الخيل الذي قدم معها من العبيد من مراكش مع القائد مصباح.

(السلطان يكلف مولاي اليزيد بنقل آلة الحرب من فاس ومكناس للعرائش)

وفيه قدم لفاس، ابن السلطان مولاي اليزيد، ومعه الرؤساء والبحرية والطبجية، ليجروا المدافع والمهارز النحاسية التي بفاس الجديد والتي بمكناسة للعرائش، وكل قبيلة تبلغ للأخرى، إلى أن أبلغوهم لمشرع مسعيدة (3x).

وورد علينا أمر السلطان للعرائش نلقاهم بالعسكر وقبائل الحوز، فوجدناهم على وادي سبو. فجرهم أهل الغرب إلى وادي الدرادر، ثم جرهم أهل العرائش والحوز إلى المدينة، وكان يوم وصولهم مهرجانا عظيما، أخرجنا المدافع والمهارز، ولعبت الخيل إلى المساء. ورجع الرؤساء والبحرية والطبجية مع اليزيد لحضرة السلطان بمكناسة.

(حركة السلطان سيدي محمد لآيت يمور)

ومنها خرج لحركة آيت يمور بتادلة، فلما بلغها، أمر آيت يمور أن يقدموا عليه بخيلهم ورجالهم ليتوجهوا (4x) معه لسرية آيت امالو، فلما قدموا عليه، أمر بعرض العساكر، فركبت كلها.

ووقف بقرب القصبة، وقدمت عليه العساكر، فكلما مرت به قبيلة أوقفها ناحية، وكلما مر به عسكر أوقفه ناحية، إلى أن لم يبق إلا آيت يمور، فلما وقفوا بين يديه، أمر أهل رحاته، فأخرجوا فيهم حاضرونا من الرصاص (5x)، وأمر العساكر المستديرة بهم بقتل من جاءهم منهم، فكلما توجهوا لناحية، رموهم، ففروا من ناحية أهل دكالة.

(1x) سقط من (ك).
(2x) " ومنه" في باقي النسخ المعتمدة.
(3x) ب، ز، ك مسيعدة.
(4x) ليتوجهوا" سقط من (ج).
(5x) " من الرصاص" سقط من (ج).

فكان عدد من مات منهم ثمانمائة وكذا قطعت رؤوسهم ووجهها لفاس، فعلقت بأسوارها، وأمر العساكر بقصد حللهم، فنهبت، وسيقت مواشيهم وخيامهم، وفر من أفلت منهم إلى جبال آيت يسري.

وتوجه السلطان لمراكش، فقدموا عليه تائبين، فعفا عنهم، وانقلهم من تادلة إلى حوز مكناسة.

(وفاة القائد الصفار وتولية ابنه مكانه على فاس)

وفي هذا العام، مات قائد فاس الحاج محمد الصفار، فولى السلطان ولده العربي حكومة فاس.

(إيقاع جند السلطان بآيت ادراسن)

وفيه، أمر السلطان العبيد والوداية وڤروان أن يتوجهوا لحرب آيت ادراسن لما زاغوا فتوجهوا لهم، ووقع بينهم حرب عظيمة إلى أن هزموهم، ونهبوا حللهم، وقتلوا منهم عددا كثيرا، وقبضوا عددا آخر، فوجهوهم له في السلاسل لمراكش.

وفيه أمر السلطان بجمع الڤشايرية من قبائل (1x) الحوز، كلف القائد عبد النبي المنبهي بكتبهم في ديوان العسكر، كل من هو عازب وأراد الجندية، يكتبه، فاجتمع له منهم أربعة آلاف وخمسمائة، فأعطاهم الكسوة والسلاح.

(هدية السلطان سيدي محمد للسلطان مصطفى العثماني)

وفي عام ثمانين ومائة وألف،] وجه الحاج عبد الكريم راغون بهدية عظيمة للسلطان مصطفى العثماني، وهي خيل عربية بسروج ذهب منبتة بالأحجار الثمينة، وسلاح ذهب منبت باليواقيت والزمرد، وأشياء غيرها.

(عزل القائد عبد الصادق عن الريف وتولية محمد بن عبد الملك)

وفيه] (2x) قبض السلطان لما قدم لمكناسة القائد عبد الصادق بن الباشا، ومائة من أهل الريف من قرابته، وممن سعى (3x) سعيه، وأودعهم السجن.

وتوجه لطنجة، فنهب داره، وانقل إخوانه بأولادهم للمهدية، وقيد عليهم محمد بن عبد الملك، ولم يترك بطنجة من أهل الريف إلاأهل الصلاح والسداد، وأنزل معهم ألفا وخمسمائة من العبيد بعددهم بحيث لا يطمعون في قيام، ولا ثورة.

(1x) "قبائل" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(2x) سقط من (د) (أ) (ج)، وزيد في طرة (ز) بتصحيح.

(3x) "يسعى" في باقي النسخ المعتمدة.

(ثورة المرابط: كلخ ومقتله)

وفي عام واحد وثمانين ومائة وألف، كانت وقعة الدعي "كلخ" الذي ينتسب لسيدي رحال، كان يظهر للعامة الكرامات الكاذبة، وتبعه الجهلة من أهل البادية / 107 د/، ودخل مراكش في عالم من الأوباش يقولون " كلخ سلم" رافعين (1x) أصواتهم بذلك، وهم كالسيل، فافتتن الناس بذلك، ووقع الهرج في المدينة، وغلقت الأسواق.

فبلغ ذلك للسلطان، فوجه أعوانه وخدامه، فاعترضوه قبل أن يصل للقصبة، لأنه كان وعدهم أن يفتح لهم بيت المال، ولا يمنعه مانع فقبضه الوزعة، وفر من كان معه، وأبلغوه للسلطان، فأمر بقتله. وسكن الناس. (50).

(استطراد: مقتل الراوندية)

قال كاتبه: "ومثل هذا، وقع للمنصور (51) مع الراوندية، كان قبض على طائفة منهم وسجنهم، فاجتمعوا يوما، وحملوا نعشا على رؤوسهم كأنه ميت، وهم أمامه بأسلحتهم، إلى أن بلغوا إلى السجن، فرموا النعش وقتلوا السجان والحرس، وأخرجوا أصحابهم وقصدوا المنصور لدار الامارة، فخرج لهم فيمن حضر عنده وحاربهم، واجتمع عليه أهل المدينة من كل ناحية، إلى أن قتلوهم عن آخرهم." (52)

وفي هذا العام، مات مولاي الطيب صاحب وزان .

(ورود هدية السلطان مصطفى العثماني على السلطان سيدي محمد)

وفيه، وردت هدية السلطان مصطفى العثماني مع الحاج عبد الكريم راغون، كان توجه بالهدية عام ثمانين ومائة وألف، وهي مركب موسوق بالمدافع والمهارز النحاسية، وإقامتها، وإقامة المراكب القرصانية من صواري، ومخاطيف، وقمن، وحبال، وقلاع، وبراميل، وفيها ثلاثون من المعلمين الذين يفرغون المدافع والمهارز والكور والبمب، ويصنعون المراكب، ومعلم رمي البمب، ونزلوا بالعرائش، وكنت واليا بها.

فأمر السلطان بتوجيه المعلمين لفاس يقيمون بها، إلى أن يأتي السلطان لمكناسة ويقدمون إليه. (2x)

ولما قدموا عليه لمكناسة وتكلم معهم في أمر الخدمة، قالوا: " تحتاج أن تبني لنا دار الصنعة"، ووصفوها، ورسموا له كيفيتها، فرأى أن ذلك لا يتم في عشرة أعوام، ولا يكفي في بنائه مال(3x) ، فأعرض عن ذلك. ووجه معلمي (4x) المراكب لسلا، فأنشأوا فيها ثلاث

(1x) " رافعون" في جميع النسخ المعتمدة.

(2x) "عليه" في باقي النسخ المعتمدة.

(3x) "مال" سقط من (ك)

(4x) " معلمين" في جميع النسخ المعتمدة

شكطريات، ووجه معلم البمبة (1x) لتطوان، فكان يفرغ فيها البمبة من قنطارين. ووجه معلم الرمي للرباط، فكان يعلم به البمبجية من أهل الرباط وسلا.

ورد أصحاب المدافع والمهارز لفاس، فأقاموا بها إلى أن ماتوا هنالك رحمهم الله.

(هدية السلطان للحرمين وانعقاد المصاهرة بينه وبين سلطان مكة)

وفي عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وجه السلطان ولده الكبير مولاي علي، وأخاه عبد السلام صغيراً للحج، وأصحبه هدية عظيمة لأهل الحرمين الشريفين، ولأمير مصر والشام وطرابلس، ومالا كثيرا يفرق على أشراف الحجاز واليمن، وجوائز للعلماء، والنقباء، وأهل الوظائف بمكة و المدينة، ووجه معه من وجوه أهل المغرب، وأولاد أمراء القبائل وأشياخهم، وجملة من خدامه، وأصحاب أشغاله بالخيول المسومة، والسلاح الشاك، ما تحدث به أهل المشرق دهرا.

ومعهم كان زفاف ابنة السلطان مع أخيها لسلطان مكة الشريف سرور مع الركب النبوي، وكان في جهازها ما يزيد على المائة ألف دينار من الذهب والياقوت والجوهر. وكان يوم دخولها لمكة المشرفة مهرجانا عظيما، حضره عامة أهل الموسم. (53)

(استطراد : كارثة الأسطول العثماني)

وفي هذه السنة، حرق عدو الله الموسكو عمارة السلطان مصطفى العثماني (54) بمرسى الشيشمة، واستولى على الجزر البحرية، وكان خطبا عظيما (2x) على الدولة.

(السلطان يأمر بجمع عبيد السوس والصحراء)

وفي هذا العام، وجه السلطان ابن عمه مولاي علي بن الفضيل، وكاتبه سعيد الشليح الجزولي للسوس بقصد جمع عبيد المخزن الذين به، ووجه وصيفه القائد المحجوب ولد قائد رأسه لاقليم (3x) طاطا / 108د/ وآقة وتسنت بالقبلة، ليأتي بالعبيد من هنالك، فأتوا بألفين من عبيد السوس بأولادهم، وألفين من طاطا وأقا وتسنت، فأنزلهم بظاهر مراكش إلى أن دفع لهم السلاح والكسوة، وقيد عليهم المحجوب المذكور.

(السلطان يأمر باسكان جيش العبيد والقبائل بالرباط)

ولما توجه السلطان للرباط، أمر بقطع الأجنة التي بأگدال (55) الرباط، وأنزل العبيد به، وبنى لهم الدور والمساجد والمدارس والحمام والسوق، وزاد عليهم من عبيد مكناسة، الألف

(1x) د البمب.

(2x) "خطب عظيم" في جميع النسخ المعتمدة.

(3x) " لأقاليم" في باقي النسخ المعتمدة.

الذي كان بفاس الجديد من الجبابرة، والمعاركة، وأولاد أبي (1x) حمو، وانزل معهم ألفين وخمسمائة مجتمعة من القبائل، كتبهم في الديوان وسماهم "الوداية" ضد عبيد مكناسة والوداية الذين بها، وأفاض فيهم العطاء الكثير لسكناهم بثغر الاسلام.

(فتح مدينة البريجة)

وفي هذا العام، نزل السلطان على مدينة البريجة بالعساكر، وحاربها ،ونصب عليها المدافع والمهارز، وحضر حربها الحاج سليمان التركي المعلم في الرمي، وأبدى فيها وأعاد، إلى أن فتحها الله على المسلمين. (56) وعمرها السلطان (2x) بأهل دكالة إذ هي في وسط بلادهم، وأضاف لهم حصة من عسكره، وغنم [فيها] (3x) المسلمون من الأمتعة ما أغنى بعضهم.

(توسط السلطان سيدي محمد في فكاك الأسرى بين الإسبان والترك)

وفي هذا العام، كتب طاغية الإسبنيول للسلطان أنه لم يبق ببلادهم أحد من [أسرى] (3x) المسلمين أهل المغرب، وما بقي عندهم إلا أسارى أهل الجزائر، (وعند أهل الجزائر) (4x). الاسبنيول. ويطلب منه أن يتوسط لهم في فداء أسراهم من الجزائر، ويدفعون لأهل الجزائر أسراهم، وتكون هذه المفاداة على يده: الرئيس بالرئيس، والبلوط بالبلوط، والياكنجي بالياكنجي، والجندي بالجندي، والبحري بالبحري، ومن فضل عنده [فضل] (3x) من البحرية، فخمسمائة ريال للرأس، والرئيس ألف ريال.

فلم يسع السلطان إلا إجابتهم لما طلبوا، وما أمكنه إلا السعي في إنقاذ المسلمين من أيدي الكافرين، ابتغاء مرضاة الله وثوابه.

وكان قبل ذلك، كتب لهم فيمن تحت يدهم من أسارى المسلمين، فوجهوا له أهل المغرب، واعتذروا بأن أسارى أهل الجزائر يفكون بهم أسراهم الذين بالجزائر، فامتنع أهل الجزائر من الفداء، ولم يبالوا بمن عند الكفار من إخوانهم.

فكتب السلطان لدولاتني (57) الجزائر، فامتنع من الفداء، ثم أعاد له الكتب، وحضهم على فكاك أسارى المسلمين، وخوفهم مكر الله،وذكرهم وعرفهم بما يحصل لهم من الثواب. فما أمكنهم (5x) إلا إجابته، وامتثال أمره، وجبرا لخاطره، وكتبوا له أن يوجه أحدا من أطرافه ليحضر على الفداء، حتى يدفعوا (6x) له الأسارى بيده، وهو يدفعهم للاسبنيول، ويدفع لهم عددهم من عندهم.

(1x) "أبا" في جميع النسخ المعتمدة.
(2x) "السلطان" سقط من (ب).
(3x) سقط من (د)
(4x) زيد في طرة (ز) بتصحيح.
(5x) ج أمكنه
(6x) "يدفعون" في جميع النسخ المعتمدة.

ولما ورد عليه الجواب، كتب لطاغية الاسبنيول أن يوجه المسلمين في مركب للجزائر، وينتظرون الباشادور الذي يوجه السلطان من حضرته حتى يدفعوا له المسلمين، ويدفع لهم الكفار.

فوجه لهذا الغرض، كاتبه أحمد الغزال ورفيقيه (1x) عمارة بن موسى ومحمد بن ناصر الوديين. وبوصولهم للجزائر، رسا مركب الاسبنيول بمرساها، وأنزل من المركب ألف مسلم وستمائة وكذا، ودفع أهل الجزائر ألف كافر وستمائة كافر وكذا. ودفع الاسبنيول ما فضل عندهم مالا، وانفصلوا.

ورجع الباشدور ومن معه لحضرة السلطان، وكتب الله له أجر ذلك، وجعله (2x) في صحيفته.

(حركة السلطان سيدي محمد لتادلة)

وفي عام ثلاثة وثمانين ومائة وألف، حرك السلطان لتادلة لفساد أهلها، واشتغالهم بالحروب بينهم. فنهب أموالهم، وبدد شملهم، وولى عليهم صالح ولد الرضي، فاستصفى أموالهم، وتركهم عيالا لا يقدرون على / (0)ا د/ الانتقال من محل لآخر من قلة الظهر والكراع.

(حركة السلطان لگروان)

وفي عام أربعة وثمانين، حرك السلطان لگروان، فاوقع بهم بوادي گريگرة، ونهب أموالهم، وقتل منهم نحو الخمسمائة، وتركهم عراة يتكففون بفاس، وانقلهم لأزغار في وسط العرب.

(حصار السلطان سيدي محمد مدينة مليلية)

وفي هذا العام، نزل السلطان على مدينة مليلية (58) بالعساكر وآلة الحرب. ونصب عليها المدافع والمهارز. وابتدأ الرمي عليها في أول المحرم عام خمسة وثمانين ومائة وألف، وحاربها أياما.

فكتب له طاغية الاسبنيول يعاتبه على حصارها، ويذكره الصلح والمهادنة التي عقد معه في البر والبحر، ويقول له: - « هذا خط يد كاتبك الغزال الذي كان واسطة بيننا وبينك في عقد الصلح ».

فقال نصره الله:

(1x) "ورفيقاه" في جميع النسخ المعتمدة.

(2x) "وكتبه" بدل "وجعله" في (ب)

"- إنما جعلت معك المهادنة (في البحر، وأما المدن التي في بلادنا، لا مهادنة فيها. ولو كان فيها المهادنة، لخرجتم لنا ودخلنا لكم، فكيف هي هذه المهادنة؟".)(1x)

فوجه الطاغية عقد (2x) الصلح بعينه عاما في البر والبحر، فكف عن حربها ورجع عنها، وترك آلة الحرب من مدافع، ومهارز، وكراريط، وكور، وبمب وبارود بها. شرط على طاغية الاسبنيول حملها في البحر، لما في جرها في البر من المشقة على المسلمين.

فأنعم بذلك، ووجه مراكبه، فحمل (3x) بعضها لتطوان، وبعضها للسويرة لمحلها الذي جاءت منه، وكان ذلك السبب في تأخيره للغزال عن كتابته، وبقي عاطلا إلى أن كف بصره ومات رحمه الله.

(نهوض السلطان سيدي محمد إلى برابرة آيت امالو)

وفي عام ستة وثمانين ومائة وألف، حرك نصره الله لجبل آيت امالو برأي بلقاسم الزموري. وكان ولاه عليهم، فلم يقبلوه.

فطلب من السلطان المحلة، فأعطاه ثلاثة آلاف من الخيل مع إخوانه زمور وبني حكم، وتوجه لهم. ولما نزل على وادي أم الربيع، حاربوه وهزموه، ورجع عنهم. ولما بلغ خبر الهزيمة للسلطان، غضب (4x) عليهم، وأمر بخروج العساكر، وبعث لأمراء القبائل من العرب والبربر، فلما قدموا عليه، خرج من مكناسة. وكنت معه في تلك الحركة وأنا في حيز الإهمال، أتوقع الموت كل يوم بسبب ما كتب له بلقاسم الزموري في شأني، وأني أنا الذي أفسدت عليه القبائل.

ولما بلغ السلطان محلة بلقاسم، واجتمع به، ونزلت تلك العساكر كلها في بسيط واحد بمريرت (59)، أشار على السلطان أن يقسم تلك العساكر على ثلاثة، ثلث ينزل بتاسماكت من ورائهم، وثلث ينزل بزاوية محمد الحاج بطرف بلادهم، وثلث يتوجه معه هو (5x) على طريق "تقط"، والسلطان في عساكره ينزل قصبة أدخسان، وتقصدهم العساكر من كل ناحية، وقرب للسلطان البعيد، وكان هو لا يعرف البلاد.

(السلطان يستشير المؤلف ويعتمده في إخضاع قبائل آيت امالو)

ومن الغد، افترقت العساكر، فتوجه كل لناحيته المعينة له، ونحن توجهنا مع السلطان لأدخسان. ولما قطعنا وادي أم الربيع، وجه السلطان كروان للغارة أمامه ونحن على اثرهم إلى

(1x) سقط من (ك)

(2x) "عقد" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(3x) "فحملوا" في باقي النسخ المعتمدة.

(4x) "غضب" زيد في طرة (ز) بتصحيح.

(5x) " هو" سقط من باقي النسخ المعتمدة.

أن بلغوا قصبة أدخسان، فلم يجدوا احداً، ووقفوا إلى أن وصلهم السلطان، فقال:

"- أين هؤلاء القوم؟

- فقالوا: ما رأينا أحدا، ولا وجدنا أثرا، وهذه قصبة أدخسان.

فأمر بنزول العساكر، وبقي متحيرا، فقال:

- نادوا فلانا. - يعنيني-

فتوجهت إليه (1x) وهو إلى الآن لم ينزل عن فرسه، فقال لي:

- أتعرف هذه البلاد؟

- قلت: نعم، أعرفها.

- فقال: وأين أهلها؟

- قلت: في جبلهم.

-قال: أو ليس هذا جبلهم هو أدخسان ؟

-قلت " لا، هذه هي (2x) قصبة المخزن، والجبل هو من تلك الثنايا السود، فأمام، وأريته الثنايا.

- فقال: وأين الزاوية التي توجهت لها العساكر مع قدور بن / 110 د/ الخضر ومسرور؟

- قلت: هي عن يمين تلك الثنايا في البسيط.

- قال: وأين تاسماكت التي توجهت لها أمم البربر مع محمد وعزيز؟

- قلت: بيننا وبينها مرحلتان (3x) من وراء تلك الثنايا.

- قال: ومن أين يأتي بلقاسم؟

فأريته الثنية التي يأتي منها ،وقلت: لا يصلنا إلا غدا إن سلم.

- فقال: وما عملنا؟

- قلت: ضرب في حديد بارد، الذي بالزاوية لا ينفع، والذي بتاسماكت لا ينفع، وآيت امالو متحصنون في الجبال، وبلقاسم رجل مشوم، عافى الله مولانا من شؤمه".

(1x) "له" في باقي النسخ المعتمدة.

(2x) "هي" سقط من باقي النسخ المعتمدة.

(3x) "مرحلتين" في جميع النسخ المعتمدة.

فظهر لمولانا نصره الله خلاف ما سمع من بلقاسم، وتحقق بفساد رأيه، وعلم أنه أخطأ فيما ارتكبه من الضرر بالمسلمين، وبينت له السبب الذي نفر به آيت (1x) امالو عن بلقاسم حتى عرفه.

فقال لي: " اكتب لزيان يأتون، فإني سامحتهم".

فكتبت، ووجهت لهم بعض الأشراف من أدخسان مع اثنين من أصحاب السلطان، وساروا لهم ليلا.

ومن الغد، أصبح علينا أربعة منهم بهديتهم، فدخلت بهم للسلطان. ففرح بهم، وقبض هديتهم، وقال لهم: " إني سامحتكم على وجه كاتبي فلان". ووجههم بالبشارة لاخوانهم وباتت تلك الليلة العساكر كلها بلا علف ولا تبن.

ومن الغد، ظهرت محلة بلقاسم، ومعه المختار والعبيد، باتوا في الحرب طول ليلتهم ولما بلغوا، أمرني أن نتوجه إليهم (2x)، ونزل العبيد بجوار السلطان، وبلقاسم ينزل مع إخوانه زمور وبني حكم. وأعرض عنه السلطان، وعن الكلام معه، وأمره أن يوجه إخوانه لبلادهم، ووجه القبائل كلها، وفرق ذلك الجمع.

وارتحل السلطان لتادلة راجعا. وأما الذين نزلوا تاسماكت مع محمد وعزيز، بيتهم آيت امالو، وشتتوا جمعهم، ونهبوا محلتهم، وقتلوا منهم عددا كثيرا، ورجعوا لمكناسة مفلولين ولما بتنا بالزرهونية، ورد علينا أصحاب قدور بن الخضر (الذي بالزاوية) (3x) بكتاب يقول فيه: "إن البرابرا اجتمعوا علينا من كل ناحية، فإن لم يتداركنا سيدنا، هلكنا".

فأمرني بالتوجه إليهم، والاحتيال في خلاصهم بكل ممكن، ووجه معي مائة من الخيل، فرجعت للزاوية، فوجدت القبائل محيطة بهم، فاجتمعت بآيت يسري، ووعدتهم من السلطان بالعطاء الجزيل لتجوز المحلة في (4x) بلادهم، فأنعموا بذلك.

وحملت المحلة مع الفجر، وتركنا بلاد آيت امالو، وقطعنا الوادي لبلاد آيت يسري، وتوجه معنا نحو المائة من أعيانهم إلى أن أخرجونا لتادلة لوادي تاقبالت، ورجعوا عنا.

وتقدمت للسلطان، فأخبرته بقدوم المحلة، وبلوغها لتاقبالت، فسره ذلك، ودعا لي بخير، وقال: "لا بد أن ترجع لها الساعة"، وأعطاني مالا أفرقه عليهم، وأكتب لهم المنازل لمكناسة، وبها ينتظرون السلطان. فرجعت لهم في الحين، ولما أصبح، فرقت [عليهم] (5x) المال، وتوجهوا. ورجعت.

(1x) "آيت" سقط من (ب).
(2x) "لهم" في باقي النسخ المعتمدة
(3x) سقط من باقي النسخ المعتمدة،
(4x) " في" سقط من (ك)
(5x) سقط من (د).

(مرض السلطان سيدي محمد بن عبد الله)

ثم أصابت السلطان حمى، فمرض بتادلة، وكان الطبيب الأديب السيد أحمد أدراق يعالجه. ولا يدخل عليه غيره، وغير صاحب طعامه الحاج عبد الله، وغيري في أمور مكاتب الدولة إلى أن عافاه الله. فأعطى الطبيب ألف دينار في يوم واحد رحمه الله ورضي عنه.

(استطراد: فصل في محاسن المنصور الموحدي)

قال كاتبه: وقد وقفت على فصل في محاسن المنصور الموحدي، " إن الطبيب الاديب أبا (1x) بكر بن زهر الاندلسي الاشبيلي (60)، كان يفد عليه من إشبيلية، ويجلس عنده بمراكش ستة أشهر، فإذا تشوق لأولاده، وجهه. وكان المنصور مشغوفا به لأدبه فوجه المنصور معلما / 111 د/ ماهرا لدار أبي بكر بن زهر بإشبيلية، وأمره أن يدخلها ويرسم شكلها على ما هي عليه. ولما أتاه بصورة شكلها، أمره أن يبني له دارا على مثالها بمراكشة، حتى لايشك رب الدار إذا دخلها أنها داره. فبناها (2x) ، ولما كملت، كتب المنصور لواليه بإشبيلية أن يحمل عيال أبي بكر بن زهر وأولاده، وأسبابه وكل ما عنده بالدار (حتى الهرة) (3x)، ويوجههم للمنصور بمراكش، ويوجه من يأتي معهم، وابن زهر مقيم عنده بمراكش، لاعلم عنده بشيء.

فلما بلغوا، أنزلهم بتلك الدار، ووجه لهم فرشا، وكسوة، وأواني زائدة على ما أتوا به. ولما طلب أبو بكر من المنصور أن يتوجه لأولاده، وجه معه من أبلغه للدار، ولما دخلها، وجد عياله وأولاده يتقلبون على فرش من الحرير في ثياب من الديباج، فعانقهم وعانقوه، وبكوا من كثرة سرورهم باللقاء. فرحم الله المنصور.

(نكبة القائد بلقاسم الزموري ورفع منزلة المؤلف)

ثم توجه السلطان لمكناسة، وببلوغه قبض على بلقاسم الزموري، ونكبه، واستصفى أمواله، وعزله عن زمور وبني حكم، وقيد عليهم محمد وعزيز بإشارتي.

ومن ذلك الوقت، رفع منزلتي على أبناء جنسي، وقدمني على غيري، وكان رحمه الله يوجهني في المسائل العظيمة، ويعتمد قولي، ويقدم رأيي فيما أشير به ويشير غيري. وما قبل كلام أحد في بعد ذلك، ولو كتب له من كتب.

وكلام هذه الحركة موفى في تاريخ الترجمان، مبسوطا بأكثر من هذا.

(1x) " أبو" في جميع النسخ المتعتمدة

(2x) "فبناها" سقط من (ج).

(3x) زيد في طرة (أ) بتصحيح، وسقط من باقي النسخ المعتمدة.

(مآل الگشايرية الذين استخدمهم السلطان من قبائل الحوز)

وأما مآل القشايرية الذين استخدمهم السلطان في الجندية، حصل للرعايا منهم ضرر كثير في الأموال والحريم والغلل، والعيث فيما يمرون عليه وقت سفرهم، وصار ذلك الفساد عندهم عادة، وكل منزل يبيتون به، يكلفون أهله بما لا يطاق، فإذا كلمهم أعيان الرعية في الكف والرفق، يقولون: "هذه عادة لا يمكن تركها، وهي من قوانين المملكة".

فلما بلغ حالهم للسلطان، وما يرتكبونه من الظلم للرعايا، لم يسعه إلا إسقاطهم من الجندية. فانتزع منهم السلاح، وردهم للمغرم من جملة إخوانهم رحمه الله.

(استطراد: ما وقع لعسكر الاصبايحية مع السلطان العثماني مراد بن أحمد)

ومثل هذا وقع في دولة السلطان مراد بن أحمد العثماني، مع عسكر الاصبايحية. فقد اجتمع أعيانهم وقوادهم، وصاروا يكتبون أوراقا لأهل اليسار والتجار، ويرسمون لكل واحد منهم عددا يوجهه لهم. فإذا لم يوجهه، يأتونه ليلا، ويأخذون ماله، جعلوا ذلك عادة. (ثم صاروا في ليلة كل عيد، يوجهون لأهل المناصب شمعا، فيوجهون لهم مكافأة، اتخذوا ذلك عادة) (1x). ثم بلغ بهم مقتهم إلى أن وجهوا للسلطان مراد شمعا. فوجه لهم ألف دينار، فردوه عليه، وقالوا: " نريد أن تقطع لنا أرضين بالرميلي والأنضولي تكون لنا، ويبقى ذكرها لك".

فقال لهم: " حبا وكرامة، يأتينا رؤساؤكم وأعيانكم يعينوها لنا، ونتكلم معهم في أمرها". فسروا بما ذكر لهم، واجتمع قوادهم وأعيانهم بأربعمائة، وتوجهوا له للقلعة. ولما استأذن عليهم الحاجب، أمر بدخولهم، وكان هيأ لهم العسكر. فلما دخلوا، غلقت أبواب القلعة، وقبضوا، وقطعت رؤوسهم، ورمي بهم في البحر، واطرد من بقي من عسكرهم بعد نزع السلاح والخيل، وتشتتوا أيادي سبا، واستراح المسلمون من شرهم وعدوانهم. رحمه الله.

(عزل القائد ابن أحمد الدكالي عن القبائل)

وفي عام ثمانية وثمانين ومائة وألف، عزل السلطان ابن أحمد الدكالي عن القبائل، ولم يترك له إلا إخوانه أهل دكالة. فقيد على السراغنة محمد الصغير، وعلى أهل تادلة ولد الراضي، وعلى أولاد أبي رزڤ صاحب الطابع، وعلى أولاد أبي (2x) عطية عمر بن أبي سلهام، وأمر ابن أحمد أن يقبض من إخوانه الذين كانوا عمالا على القبائل ما أكلوا من المال، فقبض منهم مائة وخمسين ألفا.

(استطراد: السلطان عبد الحميد العثماني يوجه العمارة لاسترجاع بعض الجزر)

وفي ذي الحجة من العام، مات السلطان / 112د / مصطفى العثماني، وبويع أخوه السلطان

(1x) زيد في طرة (د) بتصحيح وسقط من (أ) (ك).

(2x) "أبو" في جميع النسخ المعتمدة

عبد الحميد بن أحمد (61).

ولما تمهد له الملك، وجه العمارة في البحر، والعساكر في البر لاسترجاع جزيرة المورة وما أخذه الموسكو من الجزرات البحرية، فاستولى عليها (1x). وقمع الرعايا التي بها من جنس البنادق الذين أعانوا الموسكو على أخذها، وبدد شملهم، وردهم لجزيتهم ورجعت العمارة.

(خروج العبيد على السلطان ومبايعتهم لابنه مولاي اليزيد)

وفي عام تسعة وثمانين ومائة وألف، كانت الفتنة العظمى، وهي خروج العبيد (2x) على السلطان، وبيعتهم لولده اليزيد.

وكان السبب في ذلك، أمره لهم بتعيين ألف منهم يرحلون لطنجة بأولادهم، ووجه لهم القائد الشاهد رأس الفتنة، وقيده على ذلك الألف. ولما بلغ مكناسة، قال لهم: "لا يتوجه معي إلا الأعيان ومن هو بداره وجنانه وأرضه، ولا يتوجه معي إلا أمثالي". فانحرفوا لما سمعوا ذلك، وركبوا الخلاف.

ولما بلغ السلطان ذلك، وجه لهم ولده اليزيد كان عنده بمراكش بقصد الإصلاح، فأفسد.

(اجتماع المؤلف بمولاي اليزيد)

وكنت بالرباط، ولما رجعت لمراكش، لقيت اليزيد بالسانية، فسألني عن خبر العبيد، فقصصت عليه خبرهم، فسره ذلك، وجد في السير، ففهمت قصده، وعرفت ما يصير إليه الأمر منه.

(اجتماع المؤلف بالسلطان سيدي محمد)

ولما اجتمعت بالسلطان سألني عن خبر العبيد، فقصصت له ما بلغنا عنهم، فقال لي:
-"أين لقيت اليزيد؟

- فقلت له: بالسانية، وحملني ما في القلب على التجاسر عليه، فقلت له: كيف بك يا سيدي، وأين غاب عقلك حتى توجه اليزيد(3x) للعبيد؟ فإنه لا يسعى في صلاحهم، وما يسعى إلا في الفساد.

- فقال لي: اسكت، ولا يسمعها أحد منك، فإنها سقطة من سقطاتي، وما علم بها غيرك وقد سهرت بها (4x) ليلتي من الندم، ولو عرفت إدراكه، لوجهت من يدركه ويرده لكن ما شاء الله كان فاسترح يومك وغدا، وتتوجه".

(1x) "عليها" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(2x) "العبيد" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(3x) "اليزيد" سقط من (ك).
(4x) "بها " سقط من باقي النسخ المعتمدة.

ولما بلغ اليزيد، بايعوه، وفتح بيت المال وفرق عليهم، وفتح خزين السلاح والبارود وفرقه. وبايعه من كان قريبا من قبائل العرب والبربر، غير الوداية وايت ادراسن، وگروان شيعة السلطان، تعصبوا له.

وبعد ثلاث، وجهني لهم بمكاتب، فأقمت عند الوداية والبربر إلى أن جاءهم اليزيد بعساكر العبيد للأروي، فدخل لإعانة الوداية آيت ادراسن وگروان، ووقع الحرب بالمشتهى داخل القصبة، فانهزم العبيد وسلطانهم، ومات منهم نحو الأربعمائة، والمجاريح بلاحساب. ورجعوا (62).

وكتبنا للسلطان بذلك، فخرج من مراكش وقدم، فاعترضته بسلا، وخبرته الخبر، وجئت في صحبته. ففر اليزيد لضريح الشيخ علي بن حمدوش، ووجهني للعبيد، فأتيت بمائة من ذوي أسنانهم، ومعهم الأشراف والمرابطون والنساء.

(عفو السلطان عن ابنه مولاي اليزيد)

ولما رجع من زيارة مولانا إدريس، أتاه الأشراف بولده اليزيد، فعفا عنه، وقدم معه. ولقيته أنا بالعبيد، فعفا عنهم، وسامحهم على الخروج من مكناسة لسكنى الثغور.

(تفريق العبيد في المدن)

وأقام السلطان بمكناسة يدبر أمرهم، إلى أن أخرجهم وفرقهم في المراسي، فوجه منهم رحاة لرباط الفتح، ورحاتين للعرائش،ورحاتين لطنجة. وقصد بتفريقهم دفع غوائلهم، ووهن عصبيتهم، وزجرا لهم.

ثم فرق العبيد الذين كانوا بالرباط، وجه منهم للسوس ألفين، ولمراكش ألفا، وأبقى بالرباط ألفين مع عبيد مكناسة، واستراح من شرهم ومكرهم مدة.

ثم إن العبيد الذين بطنجة، قاموا على قائدهم القائد الشيخ، وقائد أهل الريف القائد محمد بن عبد المالك، وأرادوا قتلهما، فهربا لأصيلا / 113د / والسلطان بمكناسة. فلما بلغه الخبر، وجه لهم، فقبضوا أصحاب الفعلة، ووجهوهم له، وتبرؤوا منهم، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فاستكانوا، ورجع القواد لطنجة.

وتوجه السلطان لمراكشة، فأخذ معه عبيد مكناسة لمراكش، وأنزل أهل القصبة بالمنصورية إذ كانوا هم رؤوس العصاة، وأنزل الباقين لمراكش، وعزل قوادهم الذين حضروا الفعلة، وأبقاهم فرادى، وقيد غيرهم.

ثم إن العبيد الذين بالمراسي، أضروا بأهلها في أموالهم وأعراضهم وأجنتهم، فلما بلغه ذلك، قدم من مراكش بسببهم، وذلك عام تسعين ومائة والف.

(استطراد: السلطان عبد الحميد العثماني يوجه العمارة لسواحل الشام)

وفي هذا العام، وجه السلطان عبد الحميد العمارة لسواحل الشام مع حسن باشا، فنزلوا على عكة، وحاصروا الظاهر بن عمر المتغلب على الشام، المخالف للدولة العثمانية، إلى أن تمكنوا منه، وقطع رأسه، وأخذ ماله ومتخلفه، ورجعت العمارة للاسطنبول (63).

وفي عام واحد (1x) وتسعين ومائة وألف، رجعت العمارة للشام، وأرست بعكة، ونزل العسكر، وقصدوا علي بن الظاهر واخوته المخالفين بصفد، إلى أن هرب منها، وتبعه من احتال عليه إلى أن قطع رأسه وأتى به، وأخذوا ماله وأسبابه، وجميع ما عنده، و رجعت العمارة للاسطنبول.

(تأديب السلطان سيدي محمد للعبيد وتفريقهم في المدن والقبائل)

رجوعا لخبرنا: ولما بلغ السلطان للرباط، كتب للعبيد يقول (2x):

" إني عفوت عنكم، وبررت قسمي برحيلكم من مكناسة، وحتى الآن إني أوجه لكم الابل والبغال، (فليحمل عليها أهل طنجة أولادهم لدار أعربي، وينزلون بها، ويوجهون الابل والبغال) (3x) لأهل العرائش، يحملون أولادهم عليها لدار أعربي، ومنها أوجه لكم بغالي تحملون أولادكم كلكم لمكناسة ".

فلما بلغهم الكتب (4x)، فرحوا بالرجوع لمكناسة. ولما بلغهم الابل والبغال، حملوا أولادهم وقشهم، وارتحلوا من طنجة. ثم وجه السلطان لهم قائدهم سعيد بن العياشي الذي عزلوه أيام الفتنة، وقال له: " انزل بدار أعربي، وأقم بها حتى يردوا (5x) عليك العبيد".

ولما بلغ أهل طنجة، نزلوا عليه بمحلتهم، وردوا البغال والابل لأهل العرائش، فحملوا أولادهم، ونزلوا مع إخوانهم بمحلتهم بدارأعربي.

وقدم السلطان بعساكره من الرباط، فنزل بمسعيدة (6x)، ثم انتقل إلى سوق الأربعاء قريبا منهم، وأمر بني (7x) حسن وأهل الغرب أن ينزلوا على العبيد، ويجعلوهم (8x) في وسط محلتهم، وقال لهم:

(1x) د إحدى
(2x) ب لهم.
(3x) زيد في طرة (د) بتصحيح، وصيغ في باقي النسخ المعتمدة باختلاف يسير.
(4x) ز الكتاب
(5x) "يردون" في جميع النسخ المعتمدة.
(6x) أ،ب،ز،ك بمسيعدة
(7x) "بنو" في جميع النسخ المعتمدة
(8x) "يجعلونهم" في جميع النسخ المعتمدة.

" إنــي (1x) أعطيـتكم العـبـيـد بخـيلهم وسلاحـهم، وأولادهم ومـالـهم، وكل مـا عندهم، فاقتسموهم، وكل واحد منكم يأخذ عبدا وأمة وأولادهما، المرأة تطحن وتسقي، والعبد يحرث ويحصد، والولد يسرح، فاحملوا سلاحهم، واركبوا خيلهم، والبسوا كسوتهم، بارك الله لكم فيهم، فأنتم عسكري".

ورجع للرباط، فـوجـه العـبـيـد الذين بقـوا به لمراكش، وأنزلهم بهـا ،وعـزل قـوادهـم وتركـهم فرادى، وقيد غيرهم، وأدبهم بهذا الأدب اللطيف، فحسنت أحوالهم بعد ذلك.

وبعد أربعة أعوام، عفا عنهم، وردهم من عند العرب، وكساهم وأعطاهم الخيل والسلاح، وردهم للجندية. وعزلهم قبائل : الخلط وطليف أنزلهم بالقصر، وسفيان وبني مالك أنزلهم بمسيعيدة، وبني حسن بسيدي قاسم، والحياينة وجبالة بتامدرت من فاس.

وأقاموا هنالك مدة أعوام، يوجهون واجبهم في الحركة. ثم انقلهم لمراكشة، وأقبل عليهم بالعطاء إلى أن رجعوا أحسن مما كانوا. ثم بدا له رأي فيهم، فوجه عبيد السوس لتارودانت، وعبيد حاحة والشبانات للسويرة، وعبيد السراغنة وتادلة ودمنات لطيط، وعبيد أهل دكالة لأزمور، وعبيد الشاوية لأنفا / 114د/، وعبيد زعير والدغما للمنصورية، وعبيد بني حسن للمهدية، وبقي معه بمراكش عبيد سفيان وبني مالك، والخلط، وطليف، والمسخرين أصحاب العباس.

(حدوث المجاعة بسبب قيام العبيد)

وبسبب قيامهم، انحل نظام الملك، وسرى فسادهم في القبائل كلها عجما وعربا، وارتفع المطر،ووقع القحط، وعظمت المجاعة من عام تسعين ومائة وألف، إلى عام ستة وتسعين ومائة وألف، [كلها مجاعة] (2x) إلى أن أكل الناس الميتة، والدم،والخنزير، والآدمي، وفني أكثر الخلق من الجوع، والسلطان يصرف على هذه العساكر الأموال راتبا بعد راتب إلى أن خلصوا من المجاعة.

(عادة السلطان سيدي محمد مع الرعية في سنين المجاعة)

ورتب الخبز في كل مدينة يفرق على ضعفائها في كل حومة، واسلف للقبائل الأموال الطائلة، فاقتسمها ضعفاؤهم إلى أن يردوها في زمن الخصب. ولما أرادوا ردها، قال: "ما أعطيتها بنية الرد، وانما ذكرت الرد ليلا يستبد بها الأشياخ إذا سمعوا عدم الرد".

وأسقط عن جميع القبائل كلها الوظائف والمغارم في هذه الأعوام الستة إلى أن تمولوا . وكان رحمه الله في سنين المجاعة، يعطي الأموال للتجار ليجلبوا الأقوات من بلاد الروم لبلاد الاسلام في البحر، ويأمرهم ببيعه بثمنه الذي اشتروه به رفقا بالمسلمين.

(1x) أ إذا.
(2x) سقط من (د)

(استطراد: عادة سلاطين آل عثمان مع الرعية أثناء الأزمات)

وهكذا عادة ملوك بني (1x) عثمان في معاملتهم للمسلمين، يخزنون الزرع والادم والغنم والبقر وقت رخصها، ويتركونها إلى فصل الشتاء، وانقطاع الميرة من البر والبحر، ويفتحون الأهرية والمخازن، ويجلبون المواشي من العزبان المعدة لرعيها، وتباع للتجار بثمن مشتراها، ولا يزاد عليه إلا ثمن الحارس والخديم الواقف عليها، وتعمر بها الأسواق، ولا يقع السعر إلا مرة في السنة.

(استطراد: ما وقع من الأحداث عند رأس كل قرن)

"قال ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة، إلا كان فيها أمر واقع. قلت (2x) :

كان عند رأس المائة الأولى من هذه الأمة فتنة الحجاج، وما أدراك ما الحجاج.

وفي المائة الثانية، فتنة المامون، مع أخيه الأمين حتى خربت بغداد، وفني أكثر الخلق بها، وقتل الأمين اشر قتلة. ثم امتحن الناس بالقول بخلق القرآن، وابتداء البدع.

وفي المائة الثالثة، خروج القرمطي، وناهيك به، ثم (3x) فتنة المقتدر لما خلع، وبويع ابن المعتز، وأعيد المقتدر ثاني مرة، وذبح القاضي وجمعا من العلماء، ولم يقتل قاض قبله في ملة الإسلام، ثم تفريق الكلمة، وتغلب المتغلبين على البلاد بكل ناحية، واستيلاء الدولة العبيدية، وناهيك بهم إفسادا وكفرا، وقتلا للعلماء والصلحاء.

وفي المائة الرابعة، كانت فتنة الحاكم بأمر إبليس لا بأمر الله، وناهيك بما فعل.

وفي المائة الخامسة، أخذ الافرنج الشام، وبيت المقدس.

وفي المائة السادسة، كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف عليه السلام. وكان ابتداء أمر التتر.

وفي المائة السابعة، كانت فتنة التتر العظمى.

وفي المائة الثامنة، كانت فتنة تيمور التي استصغرت بالنسبة إليها فتنة التتر على عظمها". هذا كلام الأسيوطي في "تاريخ الخلفاء" له. (64)

قال كاتبه عفا الله عنه تتميما لهذا الاسلوب:

وفي المائة التاسعة، كانت فتنة ملوك العجم المتمسكين بمذهب الرفض، ملكوا خراسان،

(1x) ج، ك آل.

(2x) الضمير يعود على "السيوطي"

(3x) " ثم"سقط من (ج).

والجبال وهمدان، والعراق، وبلاد الروم إلى حلب. وأبطلوا منها الجمعة والجماعات، وبقي أهل السنة / 115د / تحت قهرهم، لا يقيمون جمعة ولا جماعة ولا سنة عيد. وغلب على الممالك سلطان العجم أوزون حسن، ثم بعده إسماعيل شاه، ثم ولده طهماس، وذلك أيام السلطان محمد بن مراد العثماني. وطالت محاربته معهم تارة بتارة، وفني أكثر عساكره، وغلبهم على قاعدة ملكهم "تبريز"، وهرب طهماس لمدينة السلطانية. ولما رجع السلطان، رجع لبلاده وملكها، وقتل عساكر السلطان التي بها، فرجع له السلطان إلى أن حاربه، وهزمه واسترجع البلاد.

وفي المائة العاشرة، كان فتنة "القزلباش" من العجم، وأميرهم طهماس، هجموا على الممالك العثمانية، وأوقدوها نارا وفتنة، وقتلوا ونهبوا وأسروا. فتوجه لهم السلطان سليمان (1x) بن سليم، وحاربهم وقتل وسبا، واسترجع منهم البلاد، ونصر أهل السنة وأبطل مذاهب الرفض.

وفي المائة الحادية عشرة، كانت فتنة الروم في أيام السلطان إبراهيم على المسلمين، اتفقت العساكر على عزله لعدم قيامه بأمور المملكة، وانهماكه في النساء، وإهمال أمر الجهاد، وقصدهم الروم من البحر الأسود والبحر الأخضر، وانقطعت الميرة عن (2x) الاسطنبول، ووقع بها هرج عظيم وغلاء مفرط، وذلك أول فساد وقع في الدولة العثمانية، وظهور الكفرة عليهم، وصاروا يستخلصون منهم البلدان شيئا بعد شيء إلى الآن.

وفي المائة الثانية عشرة، كانت فتنة الموسكو، ودخوله لبلاد العثماني من بوغاز طنجة، وأعانه الإنجليز والبنادق، واستولى على الجزرات البحرية، وملكها، وأحرق عمارة السلطان مصطفى بن أحمد العثماني.

وفيها، كان قيام عسكر العبيد على السلطان سيدي محمد بن عبد الله سلطان المغرب، وأعقبه الغلاء والفتن.

نسأل الله تعالى (3x) أن يكفينا شر هذه المائة الثالثة عشرة.

(سقوط المطر ورخص الأسعار)

وفي عام سبعة وتسعين ومائة وألف، مطر المغرب، وحرث الناس، وبلغ الزرع، ورخصت الأسعار.

(إيقاع السلطان سيدي محمد بأولاد أبي السبع)

واشتغل أمير المومنين بتمهيد المغرب ثانية، فوجه العساكر لأولاد أبي السبع (65). لعيثهم

(1x) "سليمان" زيد في طرة (أ) بتصحيح.
(2x) د، ب على.
(3x) ك العافية.

في البلاد وظلمهم لأهل الحوز. فحاربوهم ونهبوهم، وأخرجوهم من الحوز إلى السوس، وقتلوا منهم عددا كثيرا، وقبض السلطان على كثير من أعيانهم، فسجنهم بمكناسة إلى أن ماتوا بسجنها (1x) وأمر قبائل السوس أن يطردوهم من بلادهم، ويخرجوهم إلى القبلة مسقط رأسهم، ففعلوا.

ثم انقل قبيلة زمران بعد نهبهم، من الحوز إلى بلاد أولاد أبي السبع، فعمروها. ثم انقل تكنة (66)، ومجاطا، وداويلال (67) من شوشاوة للغرب، فنزلوا بفاس الجديد وأحوازه، ثم انقل آيت يمور من الغرب إلى تادلة. ثم انقل گطاية وسمكت ومجاطا من تادلة إلى الغرب. ثم انقل گروان من أزغار إلى الجبل.

(ثورة محمد والحاج اليموري ومقتله)

وفي هذا العام، كانت فتنة الدعي محمد والحاج اليموري، كان يزعم أنه من الأولياء، ويتكلم في المغيبات، ويشيع أنه ينتظر صاحب الوقت، وسرى فساده في آيت يمور، (وقصده جهلة البربر من كل قبيلة. وكان يأمر آيت يمور) (2x) بالعيث فيمن يجاورهم من قبائل العرب، فقام له أمير سفيان، وجمع قبائل الغرب، وقصد آيت يمور وشيطانهم، وهم بجبل سلفات، ونزل على وادي سبو ووقع القتال.

فانهزم العرب، وقتل قائدهم الهاشمي السفياني، وعدد كثير من أعيانهم، وتركوا محلتهم بما فيها، وعظم أمر هذا الدعي، وشمخت أنوف آيت يمور، ولما قدم السلطان لمكناسة، وجه من قبضه، ولما وصله، قتله. (68)

(توجيه مولاي عبد السلام إلى الحج)

وفي هذا العام، وجه السلطان ولده عبد السلام / 116د / لأداء فريضة الحج، لأنه لم يكن مدركا أيام حجه مع أخيه علي.

(حركة السلطان سيدي محمد لزمور)

وفي عام ثمانية وتسعين ومائة وألف، توجه السلطان لحركة زمور، فدخلوا شعاب تافدايت وتحصنوا بها، فرجع عنهم، وكلف آيت ادراسن وگروان إذا خرجوا من الشعاب بنهبهم. فلما توجه السلطان لمراكش، وخرجوا من الشعاب، أحاطوا بهم، ونهبوا حللهم وأموالهم، إلى أن تركوهم يتكففون بالقبائل.

(توجيه مولاي اليزيد إلى الحج)

وفي هذا العام، وجه ولده اليزيد للحج بغير ركب مفردا مع شيخ ركب، وأمين يصرف

(1x) ج في سجنها.

(2x) زيد في طرة (ب) بتصحيح.

عليه دفعا لغوائله، وحذرا من مكره. وكان غرضه التوجه لسجلماسة، فلم يرد أن يتركه خلفه بالمغرب.

(توجه السلطان سيدي محمد لتافيلالت وتمهيده لها)

وتوجه السلطان لتافيلالت بقصد زيارة جده مولاي علي الشريف، وقطع عادية البربر من آيت [يف المان، وكان هؤلاء آيت] (1x) عطة كانوا شيعة لعمه مولاي لحسن بن اسماعيل، وكان يحارب بهم الأشراف ويقتلهم، فصعب عليه أمر عمه إلى أن تردد عليه الاشراف بالشكايات، فلم يسعه تركه، وأراد كفه وزجره، وقطع عادية البربر عن الأشراف، فتوجه لها.

(السلطان يكلف المؤلف بإخراج قبائل آيت عطة من قصورهم)

وكان وجهني قبله لأخرج البربر من قصورهم التي بها، وان كان عندهم ما يثقلهم من زرع أو ثمر، أعطيهم ثمنه لينقطع بذلك عددهم (2x)، وإن أقاموا بها حتى يقدم عليهم السلطان، فإثمهم على رؤوسهم. ففعلت ما أمر به، ولم يأت حتى وجدهم خرجوا.

(أمر السلطان بنقل مولاي علي إلى مكناسة وتكليف المؤلف بذلك)

وفي يوم قدومه، وجهني لعمه الحسن يأمره بالرحيل عن سجلماسة إلى مكناسة، وعين له ما يكفيه من البهائم لثقله وحمل عياله وأولاده ومتعلقاته.

فتوجهت له، وباشرته إلى أن أجاب. ومن الغد، توجهت به لمكناسة، وأمرني أن أعطيه دورا لسكناه، وأرتب له ثلاثمائة مثقال في الشهر مؤونة، وواعده بكل خير.

وقال لي: " إذا فرغت من شأنه، اصحب معك أولادي الثلاثة مولاي سليمان سلطاننا اليوم، وأخاه (3x) الحسن وأخاهما (4x) الحسين، ومالا ومدافع ومهارز وبمبا وكمانية (69)، وألفا من عسكر المراسي رجلية، لجر المدافع والمهارز وآلتهم.

فقضيت الغرض، ورجعت بما أمرني به لسجلماسة .

(وفاة مولاي علي ابن السلطان)

(فبلغنا بأثناء الطريق، موت ولده، مولاي علي الخليفة بفاس، رحمه الله تعالى، ورضي عنه. فقد كان من سادات العلويين، ونجبائهم، ومن أهل المروءة والأوصاف المحمودة، عقلا وحلما، وكرما وأدبا، وهمة عالية. وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر بل لا يمسك شيئا، رضي الله عنه، وغفر له.

(1x) سقط من (د)
(2x) ج، ك عذرهم.
(3x) " أخيه" في جميع النسخ المعتمدة.
(4x) " أخيهما " في جميع النسخ المعتمدة.

ولما بلغنا أطراف سجلماسة، أسندنا أمير المومنين) (1x) ، فخرج نصره الله لملاقاة أولاده، وأمر الأشراف وأهل البلدان ليخرجوا للسلام عليهم، ويشاهدوا آلة الحرب التي ليست ببلادهم، فخرجوا وركبت العساكر مع السلطان. وكان ذلك اليوم من أيام الزينة. ولما قضى غرضه بسجلماسة، ومهد قبائلها من العرب والبربر، آيت عطة وآيت يف المان وثقف أطرافها، ولى عليها القائد علال بن حميدة الزراري، من أكابر قواده وأعيان دولته. وتوجه لمراكش على طريق الفائجة، (ولما بلغ ثنية الكلاوي، واتلف (2x) المبا ني والأثقال. وبات السلطان منفردا عن قبته ومضاربه، وأصبح يوم عيد الأضحى، فخطب السلطان ودعا للعثماني.

(خروج السلطان سيدي محمد إلى الصويرة بقصد النزهة والراحة)

ولما بلغ مراكش) (1x)، واستراح (3x) بها، ودخل فصل الربيع، اعتزم على الحركة لثغر الصويرة، وزيارة رجال ركراكة بالساحل (على عادته، إذ كان له ولوع بهذه الصويرة التي شيدها سنة ثمان وسبعين. ولما توجه له في العام المذكور) (4x)، وكانت حركته لها حركة راحة ونزهة، أقام بها شهرين كاملين، يتقلب في تلك البسائط.

(محبة السلطان سيدي محمد في العلم واعتناؤه بأهله)

وكان معه جماعة من علماء الوقت، كان يملي عليهم الحديث النبوي، ويؤلفون على مقتضى إشارته، منهم الفقيه المشارك السيد محمد بن الامام سيدي عبد الله الغربي (70) والفقيه العلامة السيد محمد بن المير السلوي، والفقيه الدراكة السيد محمد الكامل الرشيدي، والفقيه السيد عبد الرحمان بوخريص.

هؤلاء أهل مجلسه الذين يؤلفون له، ويسردون ويخوضون معه فيما يستخرجه ويجمعه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق كمسند الإمام أحمد / 117د/ رضي الله عنه، ومسند أبي حنيفة النعمان، والصحيحين، والشفا وغيرها (5x) من كتب الحديث وشروحها فكان رحمه الله مستغرق الأوقات في الحديث حضرا وسفرا، ويوم الجمعة بعد صلاتها، يجلس في مقصورة الجامع مع فقهاء مراكش، ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه للمذاكرة في الحديث الشريف وتفهمه.

وفي كل مجالسة، يقول على سبيل التأسف والتوجع: " والله، إننا ضيعنا أعمارنا في البطالة واللهو أيام الشباب"، ويتأسف على ما فاته من قراءة العلم في صغره.

وكان رحمه الله يتخلق بأخلاق المنصور حسبما قدمنا ذلك في ذكر خلافته أيام والده .

(1x) زيد في طرة (د) وسقط من باقي النسخ المعتمدة.
(2x) الضمير يعود على "الثلج" .
(3x) " ولما استراح" في باقي النسخ المعتمدة
(4x) زيد في طرة (ز) بتصحيح.
(5x) " وغيرهم " في جميع النسخ المعتمدة.

وحيث لم تكن له ملكة ولا آلة لتحصيل العلوم اعتكف وولع بسرد كتب التاريخ، وأخبار العرب وأيامهم ووقائعهم، إلى أن بلغ الغاية القصوى، وتملأ من ذلك، وكاد أن يحفظ ما في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني (71) من كلام العرب والمولدين، وشعراء الاسلام.

ولما ولاه الله أمر المسلمين بعد موت والده، زهد في التاريخ والأدب بعد التملي منهما، واشتغل بسرد كتب الحديث والبحث عن غريبها، وجلبها من أماكنها بالمشرق، ومجالسة العلماء والمذاكرة معهم، ورتب لذلك أوقاتا مخصوصة مضبوطة لا تنخرم على عادة المنصور في أوقاتها حسبما هي مرسومة عند الفشتالي في المناهل، حتى إنه رحمه الله، لما كان يخرج للنزهة، أو الزيارة في فصل الربيع، أو للصيد، ويقيم عليه الستة أيام إلى أن يأتي لصلاة الجمعة، فلا ينزل إلا في منازل المنصور التي كان ينزل بها وقت خروجه للزيارة بأغمات (72)، أو للصيد بوادي نفيس (73)، ويقول: " هذه منازل المنصور رحمه الله، وهو أستاذنا ومقتدانا".

وسأذكر من نوازره ما تستدل (1x) به على ما قلته.

(ضرب قبب السلطان ونصب أفراك بضاحية الصويرة)

وذلك أنه لما خرج رحمه الله لهذه الحركة المذكورة، عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، في فصل الربيع، وضربت قببه، وضرب عليها السياج المحيط بها المسمى بأفراك (74)، وفي وسط القبب، القبة العظمى التي أهدى له طاغية الفرنج المبطنة بالديباج، ومحاربها بالموبر المختلف الألوان، وسفائفها من الگالون الذهبي، وأطنابها كلهم من الحرير السادج، زعموا أن مبلغ ما صرف عليها الكافر خمسة وعشرون (2x) ألف دينار، ومصداق ذلك، أن جامورها الذي يوضع على رأس العمود من الذهب، زنته أربعة آلاف مثقال ذهبا بناها في هذه النوبة.

وخرج معه الخاصة والقواد والكتاب بمضاربهم، وكان معه جملة وافرة من الكتاب المعتبرين في الإنشاء والترسيل كالمهدي الكحاك المراكشي (75)، وعبد الرحمان بن الكامل المراكشي (76)، وأحمد بن عثمان المكناسي (77)، وأحمد الغزال الفاسي، ومحمد سكيرج الفاسي(78) ، والطاهر بناني الرباطي، والطاهر بن عبد السلام (3x) السلاوي، وسعيد الشليح الجزولي(79)، وابراهيم اكبيل السوسي (80)، وغيرهم، ممن لا عبرة له مثلنا، رحمهم الله.

وتوجه لهذه النزهة، واصطاد، وبلغ إلى الصويرة. ثم عاد على محل المسجد الشاكري، فأمر بتجديده وحفر أساسه. وفي رجوعه، طلع مع وادي نفيس إلى أن بلغ مدينة أغمات، وزار ضريح أبي عبد الله الهزميري (81) وغيره من صلحائها، ونزل بمحلته تحتها.

(1x) ك. استدل.

(2x) د،ب،ز،ج،ك وعشرين.

(3x) " السلام" زيد في طرة (ب).

(اقتداء السلطان سيدي محمد بالمنصور السعدي: قضية الكبش والعسل).

وعند نزوله، أتى جماعة من أهل قريتها مع قاضيهم بأواني فيها شهد عسل وكبش، ولما استوذن على القاضي ووقف أمامه، أنسه (1x) بالكلام، وسأله عن أشياخه، فأجابه بمالا محصل تحته، فقال للحاجب:

/ 118د / " توجه بالقاضي إلى خزانة القاضي عبد الرحمان بن الكامل، وهو الذي يتوجه قاضيا مع المحلة للسوس، فأنزله عنده، وادفع له هذا الكبش وهذا العسل". فتوجه به، وبالكبش والعسل إلى خيمة قاضي العسكر، وأمره أن يبيت القاضي عنده ويكرمه.

وارتحل السلطان من الغد راجعا، ولما نزل على وادي نفيس، وضرب له سيوان الراضة على النهر، وجه للقاضي عبد الرحمان وللطلبة - أعني الكتاب - . ولما جلسنا (2x) بين يديه. سأل القاضي عبد الرحمان بن الكامل على وجه المداعبة، وقال له: "بم أجزت القاضي على كبشه وعسله؟

فتلعثم في الجواب، وعلم أنه وقع في المحذور. ولما رأى رحمه الله (3x) خجله، قال: "لعلك لم تجزه، فلو مدحته بأبيات على كبشه وعسله، لصادفت الصواب، وخرجت من العهدة، وما وجهت لكم إلا بسبب هذا الكبش والعسل، فإني سهرت ليلتي، ولم أنم حيث تذكرت ما وقع من المنصور رحمه الله، ومن كتابه في مثل هذه القضية، وعلمت أنه لم يبق في وقتنا هذا كتاب ولا أمراء ولا ملوك، فإني هجوتكم وهجوت نفسي، وسأسمعكم ما وقع في زيارة المنصور لهذه القرية الغماتية (4x).

وأمر الكاتب ابن المبارك (82) أن يقرأ هذه الترجمة علينا من " مناهل الصفا في أخبار الشرفا" للفشتالي مؤرخ دولتهم، وأمرنا بكتبها ونصها:

(نزول المنصور السعدي بأغمات وما راج في مجلسه من الأشعار)

" وأما حركة مولانا أمير المومنين أحمد المنصور لزيارة صلحاء(5x) أغمات: فخرج يوم الاثنين عاشر شعبان من عام اثنين وتسعين وتسعمائة، وكانت حركة زيارة وراحة، واحتفل لذلك بأفخم زي وأكمل بهجة وأرغد عيش. وكنت تأخرت بعده هنيئة، فخرجت أقتفي آثاره، فبينما أنا في أثناء الطريق، وقد اصفر الأصيل، ومد على الأرض طرازه المذهب، وتراءت لي قبب الخلافة العلية تلوح من بين شرافات السياج المضروب عليها، وهو قصر اتخذه أمير المومنين من الخشب المؤلف من اللوح بعمل عجيب مموه، فيرتحل به في الأسفار القريبة، إذ أدركني

(1x) " أنسه" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(2x) ج جلس.

(3x) "رضي الله عنه" في باقي النسخ المعتمدة.

(4x) " الغماتية " سقط من (ب).

(5x) "صلحاء: زيد في طرة (أ) بتصحيح.

شيخنا العالم العلامة، الفاضل السري، مفتي الحضرة، الشيخ أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني (83)، فارتجل نصف بيت عندما وقف علي في معنى التشوق وشكوى البين ومفارقة الأحباب، وهو:

أبا فارس بان الخليط وودعــوا

وقال : أجزيا فلان، فقلت :

وولوا وحسن الصبر مني شيعوا

ثم قال :

وغــرد حــادي البين وانشــقت العـصــا وكــــاد فــؤادي لـلنوى يتــــقطع

فقلت :

إلى الله أشكو فـــرقـــة منهم وقـــد تجـرعت من كـأس النوى مـا تجـرعــوا

ثم زدت فتخلصت للمدح، فقلت:

لـئـن (1x) شــرد السلوان عني بعــدهم فــفي صـحــبـة المنصــور أنسي أجـمع

ثم قال:

تدور عـليـــــه هالة لقــــبـــــابه ومــركــزها قــصــر الخــلافــة يلمع

فقلت:

/119 د/ سـيــاج به بحـر الندى مـتـمــوج ومن أفـــقـــه (2x)شــمس الامــامــة تطلع

فانتهينا إلى المحلة السعيدة عن سبعة أبيات أو ثمانية، وتهيأ لنا الدخول إلى مقامه الكريم، فعرفته خبر الأبيات، وسردتها عليه، فارتاح لسماعها، واستحسنها، وبتنا. (84)

ومن الغد ارتحلنا، ولما نزلنا بساحة أغمات، صدرت من جلاله العالي أبيات (3x) من نظمه البارع الذي يسلب الوقار، ويفعل فعل العقار، في الاعتذار، عن ترك الوداع، وهي:

تبــدى وزند الشــوق يقــدحــه النوى فــتــوقـــــــد أنفـــاسي لظاه وتضرم
وهش لتــوديعي فــأعــرضت مـشــفـقـا عــلى كــبــد حــراً وقــلـب يــقــسم
ولــولا ثواه بالحـــشــا لأهنتـــهـــا ولكـــنهــا تــعُــزى إلـيــه فــتــكرم
فــاعــجب لآســاد الشــرى كـيـف تحـجم على أنه ظبي الكنــــاس ويقـــدم (85)

(1x) " ابن" بدل "لئن" في (ج).
(2x) د " ومن فوقه" والصواب ما أثبتناه من باقي النسخ المعتمدة.
(3x) د ابياتا.

فانثال عليه من بالمحلة السعيدة من كتاب حضرته، وشعراء دولته، انثيال الهيم على الورد، والنحل على الشهد، وتباروا في تذييلها، ونظم حصياتهم في إكليلها، ونضوا إلى ذلك وأعنقوا، وأراهم غبارا ثم قال، الحقوا.

وكان أول الحلبة في ذلك الميدان، وأحرزهم لراية السبق يوم الرهان، شيخنا العلامة مفتي الاسلام، وعلم الأعلام، أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف أبقاه الله، فقال:

وأعجب من ذا طور صبري عندما ... تجلى فؤادك والجنان متيم
تحمل مني القلبُ في شرك الهوى ... وحُلّ اصطباري وهْو من قبل مبرم
وغادرني مضنى حليف صبابة ... وقدما بتعذيبي خليق ومغرم
فلله عينا من رآنا وبيننا ... رسائل شوق لا تُبين وتكتم (86)

ثم تلاه شاعر الدولة، أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي (87)، فقال:

أخوض عباب الموت في حومة الوغى ... وسُمر القنا بين الضلوع تختم (1x)
واصدع قلب الفيلق المجْر عنوة ... ويصدع قلبي أحور العين أفحم
وأحمي دمار الملك شرقا ومغربا ... ويحمي فؤادي وهو فيه محكم
وأكتم ما أنويه حتى عنٍّ الحشا ... وأودع من بلواه ما ليس يكتم (88)

(ثم تلاه صاحبنا، الكاتب أبو علي الحسن بن أحمد المسفيوي (89)، فقال:

ثواي به ما بي أسى وصبابة ... طواها فبات الدين (2x) عنها يترجمُ
فهاجرني أودي بحسن تصبر ... وذا جلدي نهب لديه ومغنم
ليهنهم مثوى الضلوع فإنه ... سليم على حكم الصبابة مسلمُ
فإن يكُ تعذيب المتيم في الهوى ... فإن فؤادي في هواهم منعمُ) (3x) (90)

ثم تلاه مؤلفه عبد العزيز الفشتالي، فقال:

ألم يك هذا الخشف يألف وجرة ... فما بَاله بالمنحنى يتلوّمُ
صحبت أخاه البدر في الليل ساهراً ... يمثله لي الهوى والتوهم(91)
وقالوا : نظيرُ الخيزرانَ قَوامُه ... فقلت : غلطتم إنه منه أقوم
لقد وسعَ الأرضين صدري فُسحةً ... فضاق احتمالا بالذي منه يكتم(92)

(1x) " تحطم" في المنتقى المقصور وروضة الاس.

(2x) " البين" في مناهل الصفا (ص 221) والمنتقى المقصور (2 :630)

(3x) ما بين قوسين سقط من (ك).

/ 120د / قلت: أردت بالمنحنى منحنى الضلوع، فوريت بالمكان المعروف، ثم رشحت ذلك بذكر وجرة.

وتلاني صاحبنا وبلدينا، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي (93)، فقال:

خضوعي حاكم الغرام قضى به
وشأن القضاة بالشهادة تحكم.

فلو لم ير العدلين دمعي وزفرتي
لما كان [في] (1x) رسم القضية يعلم.

غزال يميس خوط بان وإنني لأنجد دأبا في هواه واتهم

فهبني أروم كتم نار صبابتي فإن لسان الحال عنها يترجم (94).

ثم تلاه الفقيه الأصيل، [الفاضل] (1x)، نادرة العصر، ونخبة الدهر، القائد أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي (95)، فقال وقد تخلص من الغزل إلى المدح، وتخطى القطعة إلى القصيدة على عادته في الاكثار، أبقاه الله:

فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة يمد بها أملود بان مقوم
غزال على الأقدام جرأه الشوى بقلب جريء للهوى فيه معلم
يصول فيردي الضد وهو مصمم وتثني ألمها منه العنان (2x) فيحجم
إمام على كل الكمال قد احتوى فلا فضل إلا وهو فيه متمم
لئن شغف الأنام (3x) حبا فقد سبا فؤاد المعالي وهو في الغيب مكتم
وساق (4x) كذا بكر الخلافة فارتمت عليه جهارا والمفاطس رغم
فعلقتها (5x) بين الصوارم والقنا وكانت شهودا والصداق التقدم
وحلالها جيدا وساقا ومعصما بنصر عزيز يزدهيها ويعصم
تخطت إليها الخاطبين ولم تكن لتعدل بالمنصور والله يعلم
ولو لم يطلبها (6x) لاستمرت مشيحة عن الغير أو تفنى الدنا وهي أيم
فلم لا تجر الذيل فخرا وقد سمت به حيث لم تسم شموس وأنجم
أليس هو المنصور من وطد العلا وذب عن الاسلام والخطب مظلم

(1x) سقط من (د)
(2x) ؛ العنان" زيد في طرة (ب).
(3x) " الارام" في المناهل وروضة الاس.
(4x) وشاق في المصدرين السابقين
(5x) " فعلتها" في الناهل. " فعانقتها" في روضة الاس.
(6x) " يصلها" في المصدرين السابقين.

ومهّده بالهند واني والقنا ... وما أسس (1x) الرأي السديد المحكم
أليس الذي حاط البرية واغتدى ... به الدين مرصوص المباني مفخم
وتلل عرش الكفر عند اعتدائه ... وغادره بالبيض وهو مصرم
فدانت له صيد الملوك وأصبحت ... مماليك تمضي كل ما هو يلزم
وطاع له الدهر الكؤود وأجمعت ... عليه السعود تنتحيه (2x) وتخدم
فشيد ما شاء العلاء ولم يدع ... من المجد طراً ما يفوت ويبهم
وأحيى رسوما للقلوب قد احتوى ... عليها العفا فهي به اليوم تنعم
وقام بها يجلي حلاها مطبقا ... مفاصلها والفهم في ذاك صيلم
يبيت عليها ساهر العين كالئا ... لسلطانه في الرأي يسدي ويلحم
خبير بما تحوي الدفاتر مخبر ... ولكنه مُغرى بذلك مغرم
عليم بأسرار الديانة (3x) عامل ... وَقوف على حد الشريعة قيم
إمام له إرث النبوءة والهدى ... دوين الملوك إن ذاك مسلم
/ 121 د/ سليل رسول الله والمحتدي الذي ... تقر له بالفضل عرب وأعجم
فمذ ظفر الاسلام منه بصارم ... تيقن أن الشرك لا شك مقصم
كما أنني منذ اتصلت به سمت ... بي الحال وانثال الغنى حيث تعلم
وأصبحت أكنى ثم لولاه لا غتدى ... سمي كذا عند النحاة (4x) يرخم
ولو لم أفز بالسبق منه لما اعترت ... عيون المعالي (5x) فكرتي حين أنظم
ولا صاغ لي صوغ القوافي أرومها ... فتأتي سريعا وفق ما أتحكم
ولا طاع لي حر الكلام يزينه (6x) ... مديح الإمام حيثما أتكلم
ولا انقاد لي جيش لهام أقوده ... فيتبعني من خلف وهو عرمرم
ولكنها (7x) صنع له الشكر فيه لا ... إلي فإني عن نهاه معلم
وما الشعر إلا جوهر لا تناله ... من أبحره ذات الأعارض عوم
ولو نيل بالأيدي لهان ولاستوى ... بليغ يجيد القول فيه ومفحم
ولكن بغوص الفكر بعد ارتياضه ... زمانا بآداب تعين وتفهم
لقد رضته إلى أن انقاد واغتدى ... يسلم لي فيه حبيب ومسلم

(1x) ك وما أحسن.

(2x) " تنتجيه" في المناهل (ص 222). " تعتريه" في روضة الاس (ص 53).

(3x) " الديانات" في باقي النسخ المعتمدة.

(4x) " النداء" في المناهل (ص 223) وروضة الاس (ص53).

(5x) " المعاني" في المصدرين السابقين.

(6x) زيد هذا الشطر في طرة (ب) بتصحيح.

(7x) " ولا تنف" في المناهل (ص 223)، "لكنه" في روضة الآس (ص 54)

وان صادفت قصد الامام فإنه ... مرامي والأمر الذي كنت أرام
فخذها أمير المومنين عقيلة ... تروم رضاكم فهو للفوز سلم
محبرة تروي أحاديث مدحكم ... فتطرب عنها النفس إذ تترنم
محلاة بالمدح مدحك قد ضفا ... عليها يمان من ثنائك معلم
ندبت لها من بعد أن زنت صدرها ... بأربعة تعلو على من يتمم
فجاءت بوجه المدح غرة أدهم ... وتلك تجر الذيل زهوا وتفخم
تهنيك بالزور(1x) الذي نلت أجره ... ويعقبه بالله فتح معمم
ويمن وإقبال وجد مجدد ... ونصر وتمكين مبين ومغنم
بقيتم بقاء النيرين وملككم ... مدى الدهر بالنصر العزيز مخدم
ولا عدمت منك الخلافة ناصرا ... فأنت لها دون الأنام مُقَدَّم (96)

ثم ذيل القطعة الامامية [ثانيا](2x) بأربعة أبيات أخرى، إظهارا للقدرة وكمال التصرف وجريا على سنن الجماعة، فقال:

ويعجبه منه الجمال فيغتدي ... عليها وتمضي حكمه وتسلم
ويشرع رقما من قوام وتنتضي ... ضبى من جفون في النهى تتحكم
ويقدم تيها وهو بالحسن صائل ... فيبهر من ذاك الأسود فتحجم
وتشفق مع ذا أن ترى ومكانه ... من القلب مستول عليه التألم (97)

انتهى. (98)

ثم أقمنا مع المنصور إلى أن قضى وطر الزيارات (3x)، وتصدق بمال على ذوي الحاجات والطلبة على يد قاضي الجماعة، أبي القاسم بن علي الشاطبي (99)، والفقيه أبي(4x) الحسن علي بن سليمان (100)، وقفل إلى المحلة السعيدة مملو الحقائب بالبركة والثواب.

(عبد الرحمان العنابي يهدي كبشا وعسلا للقاضي عبد الواحد الحميدي)

وكان ممن صحبه في هذه / 122د / الحركة، شيخنا العلامة، قاضي القضاة بفاس، الشيخ أبو مالك عبد الواحد الحميدي (101)، كان السلطان استقدمه عامئذ من فاس برسم القراءة معه، وكان لوذعيا، حسن الشمائل.

فاتفق أن أهدى إليه الفاضل الكاتب، أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله العنابي (102) من أصحابنا بكبش وعسل أتحفه به. فكتب إليه القاضي يداعبه ويمدحه بأبيات من نظمه، ورفعها

(1x) ك بالدوز.
(2x) سقط من (د)
(3x) " الزيارة بأغمات" في باقي النسخ.
(4x) " أبو" في جميع النسخ المعتمدة.

الكاتب أبو زيد إلى (1x) شيخنا العلامة، أبي محمد عبد الواحد الشريف، وسأل منه أن يجيب عنه القاضي، ويهز من لسانه عليه العذب الماضي، فاستجاب أبقاه الله وانتدب، وقدم لذلك مقدمة رفعت لأهل الأدب، ومن اشتملت عليه المحلة المنصورية (2x) السعيدة، من الشعراء والأدباء والكتاب رايته خافقة، وأقامت للبسط والدعابة سوقا نافقة، وسأل جميعهم أن ينسجوا على منواله، ويحذوا حذو نعاله، وصاغ للكل من أشجاعه الرائقة، ودرره المتناسقة، قلادة حلا بها جيده، وجلا من فقرها أبكار القول وغيده، فتباروا في ذلك الميدان، تباري الجياد يوم الرهان، وأنا أصف الحال، وأذكر منظوماتهم على نسقها، لما اشتملت عليه من غرر الأدباء، وحسن الفكاهة التي تصقل النفوس والأرواح، وتهدي إليها البسط والارتياح، ونصها:

قال شيخنا العلامة، أبو محمد عبد الواحد الشريف، أبقاه الله تعالى:

الحمد لله فائدة لما تقرر في الفطر السليمة والسنة القويمة، ما يجب للعلماء (3x) من التعظيم، وعرف اطراد ذلك بين الناس في الحديث والقديم، أهدى الفقيه الأجل سلالة الصالحين، ونجل العلماء العاملين، أحد كتاب ديوان الخلافة، ومن له في السكون والوقار المزية والأنافة، أبو زيد عبد الرحمان بن الامام، علم الأعلام، سيدي أبي محمد عبد الله العنابي رضي الله عنه، ونحن بمحلة مولانا الامام المنصور بالله، أيده الله، لزيارة أغمات عسلا وكبشا لسيدنا قاضي الحضرة الفاسية، العالم الامام العلامة، واحد الفئة، وصدر هذه المائة، ذي الاخلاق الحميدة، والمذاهب السديدة، أبي محمد عبد الواحد الحميدي استجلابا لمودته، وصالح أدعيته، فكتب سيدنا القاضي المذكور، إلى الفقيه أبي زيد المذكور، أبياتا فتح بها إلى المباسطة والمداعبة [بابا] (4x)، على عادة الأفاضل أمثاله فقال:

أيا كاتب السر يا من بدت ... محاسنه في الورى باهره
هديت إلي الشفا وصلة ... فأكرم بها منحة ظاهره
وكبشا سمينا له كلوة ... تفوق الكلى نعمة زاهره
فلا زلت تثبت كتب الأنا ... م سيوفا لأعدائه قاهره (103)

ولما دارت هذه الأبيات بين من بالمحلة المنصورة (5x) من الكتاب، وتلقوها بالبر والترحاب، فلهج بها الشاذي والبادي، وغرد بها في أثر الركائب الحادي، فوقوا إلى مداعبة الامام

(1x) " إلى" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(2x) د المنصورة.

(3x) على العلماء.

(4x) سقط من (د)

(5x) ز المنصورية.

ناظمها سهائر القوافي، وطاروا لمباسطته بالقوادم والخوافي، فأوجفوا على أبياته بخيل البديهة والارتجال، وقاموا لذلك على قدم الاستعجال، فقال أقصرهم في ذلك باعا، وأقلهم بهذا الفن اطلاعا، عبد الواحد الحسني.

أشـيخ الجـمـاعـة يا قطبـهـا ومن في العلى مـركـز الدائره
شننت بأبيـاتكم غـارة فـأحـيـيت لي همـة غـابره
وذكـرتني مـربعـا لم تزل قـديما به (1x)مـقلتي ساهره
/123د/ وحـركت فكري بعلم غـدت بصـدري مـراسـمـه داثره
فـهـذا جـواب لأبيـاتكم إلى ابن البـدور (2x) العلى السافره
سليل الأفـاضل حـقـا ومن مـحـاسنه في الورى ظاهره (104)

ثم قال: وقال صاحب القريحة الوقادة، والمحاسن المألوفة منه والمعتادة، صاحب القلم الذي تزرى شباته بشبا السنان، وتوقظ فقره من السنان الوسنان، المثقف بثقاف الآداب المنصورية. أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، يعني مؤلف الكتاب سمح الله له:

أبـحـر علوم طمت زاخـره وشـمس مـعـارفـهـا البـاهره
لك الفـضل عـفـوا فـقـد أصبحت كـتـائب نظمكم ثائره
وهزت صـوارم ابداعـهـا فـصلت بهـا صـولة قـاهره
بقـيت تشن بـهـا غـارة لتنشـر أمـشـالك السـائره (105)

وأردفتها بفقرات من النثر، فقلت:

فخذها أعزك الله على عجل، تسعى لجلالك العلي على قدم الحياء والخجل، وتقف في مجال الاجادة دون طرف (3x) بلاغتك الأغر المحجل، والسلام.

ثم قال:

وقال الفقيه الكاتب المجيد، والأديب الذي يبدي في المحاسن ويعيد، صاحب القلم الذي يصيب من الأغراض كلاها ومفاصلها، وتعترف له بقوة المضاء من الصوارم مناصلها، والفقر التي رفعت للبلاغة لواء، وارتدت من المحاسن رداء، وضرب بها المثل في العذوبة، ولقلوب الأدباء خلوبة، أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمان الفشتالي:

(1x) د،أ،ك بها.

(2x) " بدور" في المناهل (ص 217) وروضة الآس (ص 177) والنزهة (ص 122).

(3x) " طرف" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

نســــــجت أبـا مـــــــالك حـلـة بصنعـــاء (1x) أفكارك الحــــاضـــره
وأجـــــريت مــــــاء البـــــديع إلى ريـــاض فـــكــاهــتـــك (2x) الســاحــره
وأخـــفـــقت فـــيـــه المعـــاني على مــــواكب أغـــــراضك الظافـــــره
عـــــيـــونُ البـــيــــان ولكنهـــا لغـــــيـــــر النهى لم تـكـن نـاظره
فـــخُذْها بديهــــة مـن قـــد غـــدت وجــوه فـهـاهـتـه سـافـــره. (3x) (106)

ووصلها بنثر يقول فيه:

فدونكم أعزكم الله هذه القطعة وقد ظاهرت بين [ثوبي] (4x) عي وقصور، وسترت وجه عوارها ببرقع العجلة التي هي محل اغضاء فحول المنظوم والمنثور، ولا غرو وأنتم أرباب النظام، وأمراء الكلام، إن استنتجتم عقيما، واستقرضتم في هذا الفن مزجى البضاعة عديما، بقيتم تقيمون للعلم رسوما، وتثبتون للمعالي حدودا ورسوما، والسلام.

[ثم] (5x) قال شيخنا:

وقال الفقيه المتفنن ذو الفهم القويم، والادراك المستقيم، قائد المسائل العويصة بنواصيها، ومستنزل عصم القوافي من صياصيها، شعلة الذكاء، والنير الذي يزرى سناه بذكاء، أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي (6x)، حفظ الله مكانته، وحرس مجادته.

أيـا تحـــــفــــــة الدهـر يـا نـاظره وطـرفــــــــة أيـــامــــــــه النـادره
وبـدر الـعـلـوم الـتـي قـــــــد نـضـت دجى الجـــــــهـل أنواره البــــــاهره
ومن كـرعت في حـيــاض المعــاني له بديهـــــتـــــه بالذكـــــا ســـاحــــره
انـظـمـك أم قــــــــرقـف بـأبـلـى ولفظك أم نـفـــثـــة الســـاحــــره
/ 124 د / تعلل أرواحنا مـذ عـشـانا (7x) بـأرواح روضــــــــــــــتـك الـزاهـره
أمـن دارن قـــــــد ســــــرى مـوهـنـا أم ارتـاح أخـــــلاقك العـــــاطره
فـككـتـم بـه عـن أســــــارى القــــوا فـي قـــــيــــودا بـأرجلهـــا دائره
فـــلا زلت يا شـــيـــخنا يـهــتـــدى (8x) بـنـورك فـي الـلـيـلـة الســـــاهره (107)

(1x) بصهباء.

(2x) د فكاهتها.

(3x) د سائرة.

(4x) سقط من (د).

(5x) سقط من (د).

(6x) " الوزالي " في باقي النسخ المعتمدة.

(7x) د عشت.

(8x) ك تهتدي.

ووصلها من نثره بقوله:

لا غرو أعزك الله إن جاءت لحضرة جلالك تمشي على استحياء، فقد راعها ما راقها بمحلك السامي من سنا وسناء، يا له من على لو (1x) سابقت بديهة في العلا في ميدانه، وكبى في أثناء الثناء عليه جواد بيانه، ونبى عن المضاء [في] (2x) وصفه كاشح لسانه، وشباة سنانه، لا زلت في أفق الجلالة بدرا يلوح للهداة التياحا، وبحرا للفضل ترده الآمال فتتمايل انشراحا، وتثمل ارتياحا، والسلام.

وقال شيخنا:

قال الفقيه المتفنن، المشارك الأديب، متلقي راية الأدب باليمين، والمتآلي أن لا يشارك في نيلها باليمين، من قصرت عن مجاراته من أرباب البيان الخطا، وتسنم غارب الاجادة دونهم وامتطى، قيد اللواحظ ببيانه وبنانه، ومستوقف الطرف بلسانه وسنانه، مجري أنفاس المحابر على صفحات المهارق، ومجيع الكماة على صفاح الصوارم في المآزق، أبو الحسن علي بن منصور بن سليمان الشياظمي أبقاه الله طول المدى، محفوظا مما يتقى كلما راح واغتدى:

أيا عـالم العلم يا ناشـره … وحـامل راياته الظافـره
وقـاضي القضـاة الذي فـاخـرت … به الشـرق مـغـربنا الظاهره
وناظم عـقـد المعـاني التي … جـرت دونهـا المثل (3x) السـائره
وازرت بفـعـل الطلا بالنهى … كـذا بشـذا (4x) الروضـة الزاهره
وظلت تردد حـسن الثنا … ترويه عن نفـسك الطاهره
وأخـلاقك الغـر لما(5x) تصـدت … عن النزر بالدرر الفـاخـره
وأيقظت عـمـدا عـيـون البيـا … ن من كل فـتـانة سـاحـره
تشـيـر بمعنى لطيف إلى … مـحـاسن أخـلاقك البـاهره
وتنبت سـحـر البـلاغـة في … مـهـارق ظلت لكم شـاكـره
رويدك نبـهت سـرب المعـا … ني بُعَيْد الكرى فـاهتـدت حـاضره
ونبـهت كم من بليغ بهـا … حـديد الذكـا نافـذ (6x) البـاصره
يطبق منهـا المفـاصل غـيـر … هيـابة ذي قـوى ظاهره
تصـرفت أقـلامـه بالكلا … م كـالريح بالمزنة الماطره
ولولا المضـاء بلا نبـوة … لشـبـهـتـهـا بالظبا الباتره
فلله درك مـن مـاجـد … مـحـاسنه جـمـة وافـره
ومن سـيـد جـامع للذكـا … ء حلو الشـمـائل والنادره (108)

(1x) د ان، أ أو.
(2x) سقط في (د).
(3x) ب المثال.
(4x) د بشر.
(5x) د ما.
(6x) ك تفيد

ووصلها أيضا من نثره بقوله:

إليك أيها السيد الذي أهتدي بمصباحه، وأعشق إلى غرره (1x) وأوضاحه، بنية أفكار، تمد إلى كفالتكم يد الافتقار، ملتمسة منكم نيل القبول والأغضا، والنظر إليها بحسن التجاوز(2x) والرضى. فمثلكم من كفل، وصفح عن العي والخلل، واستقرض/ 125د/ فأرضى (3x)، وسامح في الاقتضا، أبقاك الله للأدب تحوك حلله، وتجمع تفاصيله وجمله، وللقريض تقطف زهره، وتجتلي غرره، ما ذرشارق، ولاح سنى وبارق، والسلام.

قال شيخنا:

وقال الفقيه الأديب الكاتب (4x) الذي ارتفع صيته في دمات الأخلاق وسما، وغدا بين النظراء في عذوبة (5x) الشمائل علما، وحصل من الأدب على حظ وافر ونصيب، ورمى إلى غرض الاجادة في منازعه بالسهم المصيب، وتدرع من حسن الخلق جنة لا تقلها (6x) سهام الانزعاج والقضب، ونسلت القلوب إلى محبته من كل حدب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي القاسم الشاوي (109)، أبقاه الله تضرب به في لين العريكة الأمثال، وتتهاداه لفضائله وفواضله أندية الملوك والأقيال.

أمحيي رسوم القضا الداثره وانسان مقلته الساهره
ومطلع شمس المعارف من مغاربنا حكمة ظاهره
وبحر العلوم الذي أوجبت له الفخر والعز في الآخره
وقاضي عساكر ملك غدت لأخمصة السبع كالساهره
ودانت له الأرض طولا وعـ ضا فارسال أملاكها سائره
إلى بابه تبتغي وطأة وأمنا لسطوته القاهره
كفاك افتخارا أبا مالك حضورك أيامه الزاهره. (110)

ووصلها بقوله:

أتتك أيها السيد الذي يقتدى بعلومه، ويهتدى إلى معرفة الصناعة الأدبية بمنثوره ومنظومه، باسطة إليك أكف الاحتقار، ومسفرة (7x) لجلالك وجه القصور والاعتذار، وأنتم أعزكم الله محل التجاوز والأغضا، والنظر إليه بعين القبول والرضى، أصلح الله بطول بقائكم عامة المسلمين، ونفع بعلومكم مولانا أمير المومنين، أيد الله سلطانه، ومهد أوطانه.

(1x) د وأعشى إلى غدوه.
(2x) " التجاوز" زيد في طرة (ب)بتصحيح
(3x) ج فرضى.
(4x) " الكاتب " سقط من (ج)
(5x) " عذوبة" زيد في طرة (ب) بتصحيح
(6x) ك لا تلقاها
(7x) ك ومفسرة

[ثم] (1x) قال شيخنا:

وقال الفقيه الجليل المقدار، والكاتب الذي طار صيته في حسن التوقيع وسلامة الصدر كل مطار، الفاضل الذي لا ينسج إلا على منواله في السكون والوقار، والأخلاق التي (2x) لا يستفزها العقار، صاحب التوقيعات المنصورية الكفيلة برد المظالم، والأخذ بشبا قلمه بثأر المظلوم من الظالم، مقيد الأوابد الأدبية بعقال، والمعمل في نيلها الوخذ والارقال، حتى لاح بدرا في سمائها وائتلق، وحاز عمن سابقه في مضمارها خصل السبق، ذوالمناقب الفاضلة والمزايا، ومحط رحال الشكايا، أبو محمد الحسن بن عبد الكريم بن عبد العزيز بن علي، أبقاه الله وأزمة الملهوفين لا تنكشف إلا من يراع بنانه، ولا يهتدى في كشف كربهم إلا ببيانه:

أشـيخ العلوم التي قـد سـرت ... بـدائع أبيـاتـه السـائـره
طلعت وكنت كنجم الصـبـا ... ح وسـدت بأخـلاقك العـاطره
إذا مـا نـويتم طلاب العـلا ... فـكل المعـالي لكم سـافـره
أتـتـني بـالأمـس أبيـاتـكـم ... رياض المعـاني بهـا زاهره
مـحـا شـعـركم ذكـر عـبـد الحـمـيـد ... وأضـحـت فـصـاحـتـه داثره
فلو مـد في عـمـر البـحـتـري ... لأعـجـب من فـطـنـة بـاهـره
/126د/ علوت وفـقـت قـضـاة الورى ... فـدم هكذا مـركـز الدائره (١١١)

ووصلها بقوله:

أطال الله بقاء سيدي، وأجل ذخائري وعددي، إنني علقت هذه الأبيات والأشغال تكتنفني، وكذا الخاطر بأسباب شتى تقتسمني، ووراء ذلك كلال الذهن وجمود الطباع، ونقصان الخواطر عنوان الابداع، واستمرار البلادة، التي هي من لوازمنا عادة، من لي بمساجلة من لا يدرك مضماره، ولا يشق في ميدان البلاغة غباره.

ولا عـار إن قـصـرت دون مـبـرز ... سعى الناس قبلي سـعـيـه وشـئان.

انتهى. (112)

(نماذج من شعر السلطان أحمد المنصور السعدي)

ومن شعر المنصور رحمه الله، قال: من أوليات شعري ما قلت في وردة مقلوبة في يد محبوبة:

ووردة شـفـعـت لي عند مـرتهني ... راقت وقـد سـجـدت لفـاتر الحـدقِ
كـأن خُضـرتهـا من فـوق حُمـرتهـا ... خـال على خـده من عنبـر عـبقِ. (113)

(1x) سقط من (د)

(2x) ك الذي

ومن يعلم ذلك الخال العنبري الذي يوضع على الخدود ، يعلم عقم هذا التشبيه.

وقال في رقيب ملازم:

رقـيـبي كـأن الأرض مـرآة شـخـصـه فـأيـن تـولـى الـطـرف مـنـي يـراه
مـقـيم بوجـه الوصل حـتى كـأنما وصالي (1x) هلال والسواد صداه. (114)

وقال في غير هذا المعنى:

أيـا روضـة ضنت عـلـي بزهرها ولـم يـتـلـق (2x) نـاظـراي سـنـاك
أبيـحي لنفـسي من شـذاك بقـاءها إذا فـت طرفي عـلى أنفي يراك. (115)

وقال وهو من التجنيس المركب:

لما نأى المحـبـوب رق لي الدجـا وأتى يعللني بزهر كـواكـبـه
أول غـراب الليل ودك ياحـشـا البين بردى الصـبـاح كـواك به. (116)

وقال:

طرقت حـمـاه والأسـود خـوادر به فـتـولى في الظبـا وهو يبـعـد
فـعلمت آسـاد الشـرى كـيف تقـدم وعلم غـزلان النقـا كـيف تشـرد. (117)

وقال في التورية:

بـسـتـان حـسنك أبدعت زهراته ولكم نهيت الحسن فيه فـما انتـهى
وقـوام غـصنك بـالمسـرة ينثني يا حـسنه رمـانة للمـشـتـهى(118).

وقال من الأبيات المثلثة، وقد قطف وردة من روض المسرة في زمن النرجس:

وافى بهـا البـسـتـان صنوك [وردة] (3x) يقـضي بهـا لما مطلت وعـودا
أهدى البـهـار مـحـاجـرا وأتى بهـا في وقـتـه كـيـمـا تكون خـدودا
فـبـعـثـتـهـا مـرتـادة بنسـيـمـهـا تثني من الروض النظير قـدودا. (119)

وقال منها أيضا رحمه الله:

لي حـبـيـب يأتي بكل غـريب هو عـندي منكـر ومـعـرف
لست أشكو لصـيـرفي ونحـوي إنـه لـي نحـى وفـيّ تـصـرُف
فـعـله فيّ لازم مـتـعـد ومـزيد مـجـرد ومـضـعف. (120)

(1x) ج وصال.

(2x) ج يلتق.

(3x) د بسرة. أ،ز،ج،ك مسرة.

وقال من الأبيات المربعة:

/ 127د / تبدى وزند الشوق يقدحه النوى ... فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم
فهش لتوديعي فأعرضت مشفقا ... على كبد حرا وقلب يقسم
ولولا ثواه بالحشا لأهنتها ... ولكنها تعزى إليه فتكرم
فاعجب لآساد الشرى كيف تحجم ... على أنه ظبي الكناس ويقدم.

وقال منها أيضا:

تحالفت منه عيناي إلى سبب ... كأن اتفاقهما به على عطب
محدقة العين تقصيني وتؤيسني ... واللحظ يطعمني فيه ويسخر بي
أشكو نهاي وشوقي وافتراقهما ... في أمره وكلا ذا زاد في تعبي
إن طعت ذاك فمن لي فاتني أربي(1x) ... أو طعت هذا فمن لي فاتني حسبي. (121)

وقال منها أيضا:

لا وطرف علم السيف فقد ... وقوام كقنا الخط نهد
وومبيض لاح لما بسمت ... فأرتنا منه درا أو برد
ما هلال الأفق إلا حاسد ... منه حسنا وعلاء وغيد
ولذا عاش قليلا ناحلا ... كيف لا يفنى نحولا من حسد. (122)

وقال من المقطوع:

من عنبر المسك أم من مسك دارين ... بَلى ومنهُ نسيمات الرياحين
مهفهف إن تثنى قلت مُقْتَضب ... من قضب نعمان أو من كُثب يَبْرِين
ذنبي إليه ولا ذنب محبتُه ... لأجلها بسِهَام اللحظ يرمين
أما اميلحه ظلما رضيت به ... لو أنه دام منه كَان يكفين
معذبي قد حرمت النوم بعدكم ... فانعم بنوم هني غير مفتون
واخلص على ورد ذاك الخد برق فم (2x) ... يعوض الخد من ورد (3x) بنسرين (123)

(نماذج من توقيعات السلطان المنصور السعدي)

ومن أحسن توقيعاته [البديعة] (4x)، أن أديبا ورد عليه من المشرق، مستجديا ومسترفدا، يسمى إمام الدين الخليلي (124)، مدحه بقصائد عالية، فأكرمه وأحسن إليه. ولما عزم على الرجوع لبلاده مملو الحقائب، موفى الرغائب، أنشده عند الوداع من نظمه، قوله:

(1x) " أرب" في باقي النسخ المعتمدة.
(2x) د سنا.
(3x) " من ورد" زيد في طرة (أ) بتصحيح
(4x) سقط من (د).

أســـيــــر عنك ولي في كل جــارحـــة   فم يحـــدث عن إحـــســانكم عـــجــبــا
لا نلت قـصـدي إذا مـا (1x) كـان في أملي   أكـون في خدمـة المنصـور إن رغـبـا (2x)
فـإن رضـي بي فـيـا فـخـري ويا شـرفي   وان أبى الملك المنصــــور وأحــــريـا.

فـوقع له رحـمـه الله على لفظة " رغب": " رغـبنا فـيك"، وعلى " إن رضي": «رضـينا بك»، وعلى " إن أبى": أردناك. (125)

ومن توقيعاته، لما رفع له الفشتالي رقعة يشكو له ما أهمله من أمر دنياه، فوقع له على الرقعة بيتين (3x) من نظمه البارع، وهما:

يــــا كــاتبـــــا إذا كـــتـــــب   غـــرس روضـــــا ذا فَــنــــــن
إن جـــــوابــــي للـــــــــــذي   يــشـكـــو دنــــاه، أردد حـــــزن. (126)

(وقعتا تينزرت وأساطيس بين أحمد المنصور ومحمد المتوكل)

قال الفقيه الأديب، أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي: لما اشتد الزلزال والتقى/ 128د/ الجمعان في وقعة "تينزرت"(127) بينه وبين المتوكل، فقصده المنصور فيمن معه إلى أن خالطه في القلب، فانهزم المتوكل، وبانهزامه انهزمت عساكره، وقتل منهم (في ذلك اليوم) (4x) زيادة فوق (5x) الأربعة آلاف.

ثم كانت الوقعة الثانية " بأساطيس"، والمنصور في أقل ما يكون من الجند،ولم يبلغ عدد من معه ثلاثة آلاف، والمتوكل جمع المدونة وخوارج السوس ما يزيد على الستين ألفا. ولما تقابلا والمنصور في حومة الميدان كالصقر، ثابت الجأش، راسخ القدم، ينظر إلى ناحية العدو، فأنشدته (6x) بيتي عيسى الكاتب من قصيدة مدحه بها، وهما:

هــو الغيث ثم البحـر في الجـــود والــنــدا   ولـيــت إذا جــــد الـطـعــــان هــصــــور
يفوق السهـــام عـزمـــــه وانـبـعــاثـــــه   ويقـصـر عنــه في الــثـبــــات تـبيــــــر

قال: فأجابني رحمه الله (7x) ببيتي أبي فراس الحمداني (128) على البديهة، وهما:

ونــحـن أنــاس لا تــوســط عــنـــدنـــــا   لنــــا الـصـدر دون الـعــالمين أو الـقــبــر
تهـون علـيـنا في المـعـالـي نفوسـنـــــا   ومن يخطب (8x) الحسناء لم يقله المهر (129)

(1x) "ما" سقط من (د) (ب).
(2x) " ان رغبا" زيد في طرة (أ) بتصحيح.
(3x) ك ببيتين.
(4x) زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(5x) " على" بدل "فوق" في (ك)
(6x) أ فأنشده.
(7x) " أيده الله" في باقي النسخ المعتمدة في التحقيق.
(8x) ب يطلب.

وزاد فاقتحم ذلك المحشر العظيم بقلة من معه من الجند في ذلك المقام الضنك. والمجال الضيق، إلى أن هزمهم وقتل منهم آلافا، وآياته في الشجاعة تتلى. أخبر الثقاة من أهل السوس، إنه مات منهم في حرب المنصور مع المتوكل في مدة من عامين ستة عشر ألفا وكذا. (130)

ومن قصيد للفقيه الأديب، أبي الحسن علي الشياظمي في مدح المنصور، يصف الحال(1x):

أثخنتهم يوم وجل ألما فلم يجدوا ... من بأسه نفقا ينجي ولا سببا
لله إقدامه المشهور حين سطا بهم ... وقد رجموا من ساطس شعبا
وهال هول بغاة في الكد أصعدت ... إذ أرسل الجو من أحجارهم سحبا
والجيش قد جاش وارتجت جوانبه ... وهاله الخطب وسط الشعب فاضطربا
ثم تقدم كالليث الهزبر وقد ... هاجت حفيظته وارتدعت(2x) غضبا
فرد فردا صروف الدهر مرغمة ... لحين ما صرفت أنيابها نوبا. (131)

وهي طويلة.

(نماذج من رسائل أحمد المنصور السعدي:

رسالة إلى علماء مصر في موضوع ثورة الناصر)

ومن توقيعاته وإملاته، ما كتب به في جواب قاضي القضاة بمصر، الشيخ بدر الدين القرافي (132)، وكبير(3x) مشائخ الأولياء والعلماء، علم الطريقة، الشيخ زين العابدين (133) ابن القدوة الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي، وكلاهما من أهل وده، يوجهان رسائلهما وهداياهما من كتب العلم التي هي أنفس الدخائر عنده.

فكتب إليهما مع أمير الركب عامئذ في التعريف(4x) بالفتح، والتماس الأدعية الصالحة منهما، ومن أهل الخير على أيديهما في الحرمين الشريفين، ونص الخطاب:

" من عبد الله، المجاهد في سبيله، أحمد المنصور بالله، أمير المومنين، بن أمير المومنين، بن أمير المومنين، الشريف الحسني.

إلى الفاضل الذي اعتجر بالتقوى(5x) وهو زين العابدين، وتحلى بحلي المعارف الربانية وتلك حلية العارفين، والسابق الذي برز في الطريقة، وسلك على المجاز الواضح الى الحقيقة، ففات شأوالسابقين، والعارف الذي تجرد عن رعونة الأهواء النفسانية فكان سلوكه على

(1x) " يصف التحام الحرب في وقيعة أساطس" في مناهل الصفا (ص 37)

(2x) ك وارتعدت.

(3x) " ثم لكبير " في باقي النسخ المعتمدة في التحقيق.

(4x) ج بالتعريف.

(5x) " بلباس التقوى" في باقي النسخ المعتمدة.

التجديد إلى حضرة الواصلين، الشيخ العالم الحجة الوافي، السيد بدر الدين القرافي، والشيخ العارف الواصل، السري الكامل، سلالة العلماء، سبط / 129د / الفضلاء، أبي عبد الله زين العابدين، بن الشيخ السامي المقام، قطب المشائخ الأعلام، فخر علماء الإسلام، الشهير البركة في الأنام، أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي.

أبقاكما (134) الله وأرواحكما تتعطر برياحين الأنس، في حضرة القدس، وتتنسم النفحات الهابة من رياض المشاهدة إلى مدارج الأنس، ومعارج النفس، وسلام عليكما ورحمة الله وبركاته. وبعد حمد الله مفيض أنوار عناية أحمد (1x) على صاحبه الصديق، مظهر كنوز المعارف الربانية جيلا بعد جيل من بيت عتيق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذ ي اختار لمرافقته صاحبه في الغار والعريش والطريق، والرضى عن آله أئمة الخلق، وسيوف الحق، وأصحابه الذين فاضت أنوار هدايتهم على الغرب والشرق، وببركتهم تتسق لنا الفتوح اتساق الأسلاك، وبفضلهم يعلو سعدنا على الكفر علو القطب على دائرة الأفلاك.

فكتابنا [هذا] (2x) إليكم من حضرة (3x) مراكش حاطها الله وصنع لها مفعم السجال، واسع المجال (4x)، وعزماتها الماضية، تبعث إلى العدى رسل الأوجال، وتسري إليهم سرى الآجال،والأيام بعز صولتها، ويمن دولتها، بهذه المغارب باسمة الثغور، موذنة بانتصال أمرها العزيز بحول الله إلى أن تطوى ملاءة الدهور.

هذا، وإنه اتصل بعلي مقامنا كتابكما الذي صدحت على أفنان البلاغة سواجعه، وعذبت في موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه، ولطفت في كل معنى من المعاني أساميه ومنازعه، وتألفت على الإجادة في كل مقصد من المقاصد مواصله العذبة ومقاطعه، وأينعت بأزهار العناية الربانية أباطحه الفيحاء وأجارعه، ومعه المنظومات التي سحت بالحكم ديمها، ورسى في البلاغة قدمها، وربى في منبت المواهب الربانية يراعها الفصيح وقلمها، وحل من نفوسنا موقعها العجيب محلا من دونه الثريا في مطلعها، والبدر ليلة تمامها، إعجابا بها وتنويها بمهديها، وابتهاجا بالخوارق التي أطلق الله على لسان مبديها. وإلى هذا فليحط (5x) بعلمكما (6x) أن مقامنا تنفق فيه على الدوام إن شاء الله بضائعكم، وتنمو فيه مع الأيام سعود مطالعكم، وتسمو فيه على كل مقام مقاماتكم، وتستوضح فيه على المحبة الصميمة إماراتكم الواضحة وعلاماتكم، فعلى هذا تعقد منكم الخناصر، وتشتد الأواخي والأواصر، بعز الله ومنه.

(1x) " أحمد" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(2x) سقط من (د).
(3x) " حضرتنا" في باقي النسخ المعتمدة.
(4x) أ الحال.
(5x) " فليحيط" في جميع النسخ المعتمدة.
(6x) " بعلمكما" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

ثم مما (1x) نستطرد لكم ذكره على جهة البشرى، وإهداء المسرة الكبرى، اعلامكم أن عدو الدين طاغية قشتالة (135) الذي هو اليوم العدو الكبير للاسلام، وعميد ملل التثليث وعبدة الأصنام، لما أنس من تلقاء جنابنا نار العزم تلتهب التهابا، وبحر الاحتفال تضطرب أمواجه الزاخرة بكل عدد وعدة اضطرابا، وهممنا قد همت بتجديد الأسطول، والاستكثار من المراكب المتكلفة للجهاد إن شاء الله بقضاء كل دين ممطول، وعلم أن الحديث إليه يساق، وإلى أرضه بالخسف والتدمير بحول الله يهفو كل لواء خفاق، رام خذله الله مكافاتنا على ذلك بما أمل أن يفت به في عضدنا الأقوى، وعزمنا الذي بعناية الله يزداد ويقوى، فرمى بمخذول من أبناء أخينا عبد الله كان ربي لديه، وطوحت به الطوائح منذ ثمانية عشر عاما إليه، إلى مليلية أحد ثغوره المصاقبة، لغرب ممالكنا الشريفة، التي إلى كفالة ولدنا، وولي عهدنا كافل الأمة إن شاء الله من بعدنا، الأمير الأجل الأرضى / 130د/، صارم الحزم المنتضى، وحسام الدين الأمضى، أبى عبد الله، محمد الشيخ المامون بالله، وصل الله لراياته الظافرة التأييد والظهور، والعز الذي يستخدم الأيام والدهور، فالتف عليه من اغتر بأباطيله الواهية البناء، من أوباش العامة والغوغاء، ومن قضى له من أجناد تلك الناحية بالشقاء، جموع تكاثر الرمل، وتفوت الحصا والنمل، لاح بها للشقي خلب بارق أكذبه أمنيته، إذ صدقه منيته، فصمم نحوه ولدنا أعزه الله بجنود الله التي إليه، وبعساكر تلك الممالك التي ألقينا زمام تدبيرها في يديـــه، فـــما راع الشقي إلا انقضاضه عليه من جوه (2x) انقضاض الأجدل، وتصميمه إليه بعزائم تدك الطود وتفلق الصخر والجندل، فاستولى عليه بحمد الله للحين وعلى جموعه الأشقياء في يوم أغر محجل، وساعة أنزل الله فيها على الخوارج المارقين العذاب المعجل، فاستأصلتهم الشفار، وحصدت هشيمهم المصدح ألسنة النار، وقبض على الشقي في يوم كان شفاء للصدور، ومنتزها لحملة السيوف وربات الخدور، وأحرز الله تعالى فخر هذا الفخر العظيم، والمن الجسيم، لولدنا أعزه الله في خاصة أجناده، ونهض وحده بأعبائه، ونحن على سرير ملكنا وادعون مطمئنون، وأجنادنا في أوطاننا لاهون ومعتنون، فلم يحتج إلى إنجاده، من قبلنا ولا إمداده، والعاقبة للمتقين، والحمد لله حمد الشاكرين.

وعرفناكم لتأخذوا بحظكم من السرور بهذه البشرى التي أسرت الاسلام، وأساءت بحمد الله عبدة الأوثان والأصنام،وتعلموا مع ذلك (3x) ما عليه الأحوال اليوم بحول الله لدينا من خفق رايات العزم، وشحد آراء الحزم، واعمال عوامل الجزم، إلى مجازاة عدو الدين إن شاء الله على فعلته التي عادت عليه أسفا ولهفا، وإعادة ما كان أسلف من ذلك إن شاء الله بالمكيال الأوفى.

(1x) د ومما

(2x) د من الجو.

(3x) ك بذلك.

وقدمنا إليكم التعريف لتمدونا إن شاء الله بأدعيتكم الصالحة أوقات الاجابة، وتحرصوا على التماسها هناك، وبالحرمين (1x) الشريفين من كل ذي خشوع وأنابة، أن يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله، وينجز لنا وعده الصادق في إظهار دين الحق على الدين كله، ويسهل علينا بفضله ومعونته أسباب فتح الأندلس، وتجديد رسوم الايمان بها وإحياء أطلاله الدرس، حتى ينطلق لسان الآذان في أرضها بكلمة الله التي طال ما سكت عنها بدائه وخرس، وشرق بريقه فغص واحتبس، فبيده الحول والقوة، وعنايته العناية المرجوة.

ثم نوصيكم بحسن الوقوف لأصحابنا فيما يشترى من الكتب العلمية، برسم خزانتنا الكريمة الإمامية العلية، ثم الاتحاف بديوان الشيخ والذكم التماسا لجميل بركاته، وتمسكا بما سبق من الاجازة العامة في سائر منظوماته وموضوعاته ومروياته.

وهذا موجبه إليكم، والسلام الأتم معاد عليكم، ورحمة الله وبركاته.

في ربيع النبوي عام خمسة وألف"(136).

(رسالة من السلطان أحمد المنصور إلى سلطان مكة في شأن شيخ الركب المغربي)

ومن توقيعاته بخط يده، رسالة إلى سلطان (2x) مكة والمدينة والحجاز، السلطان حسن بن أبي نمي (137)، ونصه:

" من عبد الله المجاهد في سبيله، الامام المنصور بالله، أحمد أمير المومنين بن أمير المومنين، بن أمير المومنين، الشريف الحسني.

إلى الأصالة التي تبحبحت من دؤابة هاشم في صميمها، وتوقلت (3x) من غرفات حرم (4x) الله [ما] (5x) بين زمزمها وحطيمها، وتمتعت من عراة نجد بانتشاق نفحاتها الأريجة وشميمها، أصالة / 131د / السلطان الأثيل المثيل، الأثير الأسنى الأسمى الأزكى، السلطان حسن بن أبي نمي، أبقاكم الله والبيت ذو الأستار تتفيؤون ظلاله، وتلثمون من الحجر الأسعد خاله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي أعز هذه المثابة العلية، الإمامية النبوية، العزيزة الأنصار، السامية المحتد والنجار، ساحب أذيال عزها الوريف الظلال على أهل البيت السامي المنار، سكان الحمى والذين تبوؤوا الدار. والصلاة والسلام على مولانا محمد الذي أطلع شموس الهداية الساطعة الأنوار، والرضى عن آله الذين تضاءل لمجدهم السامي المقدار، الشموس

(1x) ج وبالحرم.

(2x) "سلطان زيد في طرة (ب) بتصحيح

(3x) ك وتوقت.

(4x) " حرم " سقط من (ك)

(5x) سقط من (د).

والأقـمـار، وعــن أصحابه الذين استأصلوا شافة الكفر بمواضي الشفار، وصلة الدعاء لهذا المقام العلي، الامامي المنصوري الحسني، بنصر تجنى الفتوح من قضب رماحه، وتجري الأقدار على وفق اقتراحه.

فكتـابنا هذا إليكم من حـضـرة مـراكش حـاطهـا الله ووسع لهـا المجـال، في مـيـادين السجال،والأيام بعز صولتها، ويمن دولتها، بهذه المغارب باسمة الثغور، موذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله إلى أن تطوى ملاءة الدهور، بعز الله وعنايته.

هذا وإن شيخ الركب المغربي، وهو المرابط الخير، الحاج محمد بن عبد القادر، لما أزمع إلى (1x) المعاهد الشريفة الرحيل، وهب له من حرم الله نسيم يميل، وآن للمطايا أن تعمل الوخد والدميل، مد إلى علا مقامنا أكف الرغبة في كتاب (2x) كريم يتشرف بحمله، ويتعرف منه السعادة بحول الله في مقامه ومرتحله، يتضمن الإيصاء به إليكم في المورد والمصدر، ومدة مقامه من جواركم بحرم الله تجاه البيت والمشعر، فحملناه هذه العجالة لترعوا له إن شاء الله عنها المعتبر، وتوالوه من جانبكم بما يصدق به الخبر (3x)، ويدني له من آماله قطوف كل فنن مهتصر، ومما نكلفكم به النهوض لأجل حقوق الأخوة بأعبائه، ونطالبكم لوشائج الرحم الاعتناء بأدائه، والتماس الدعاء مع الأحيان تجاه البيت الحرام، وعند الملتزم والمقام، أن يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله، وينجز لنا وعده الصادق في إظهار دينه على الدين كله، ويسهل علينا بفضله ومعونته أسباب فتح الأندلس، وتجديد رسوم الإيمان بها وإحياء أطلاله الدرس، حتى ينطلق (4x) لسان الدين فيها بكلمة الله التي طال ما سكت عنها بدائه وخرس، وشرق بريقه فغص واحتبس، فذاك دعاء لا يرد لأنه جرى من أهله، في محله.

ومعاد السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته. (138) انتهى.

(سيرة المنصور السعدي في ترتيب جيوشه وحالته في أسفاره)

وأما موكبه إذا ركب أيده الله في العيدين للمصلى، أو خروج إلى حركة، أو دخول منها، أو لملاقاة ولي عهده، وهي الأيام التي يقع فيها الاحتفال، وتتظاهر بها جنوده في زيها الذي هو شعار الإسلام، وزينة الأيام.

وجندت الجنود، وكتبت الكتائب، وامتدت عساكر النار أمام موكبه العظيم حبلين، يتقدم الحبلين لواءان مركز كل واحد منهما عند منتهى الحبل، وكل قائد من قواد عساكر النار يقف عند مبدإ انبعاث حبل جيشه تحت ألوية، محفوفا بجيش من رؤساء جنده أهل الخيل، وهم الذين يدعون " باكباشيات"، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه من خلفه. وهكذا

(1x) ك على.

(2x) " كتاب" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(3x) ك خير الخبر.

(4x) "ينطلق" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

يمتد (1x) إلى انبعاث الجيش من تلقاء أمير المومنين، وكل يعرف مركزه ورتبته، ولا يتعداه إلى غيره بتقديم أو تأخير، ولا يجد السبيل إلى ذلك لو أراده، والترتيب الذي جرى عليه العمل / 132د/ في محلة جيش (2x) النار بالحضرة، أن يتقدم أولا جيش السوس، ثم يردفه جيش الشراگة، وكل واحد من هذين العسكرين ينقسم حبلين، ثم يردفهما العسكران العظيمان، عسكر [الموالي] (3x) المعلوجي ومن انضاف إليهم، وعسكر الأندلس ومن لبس جلدتهم، ودخل في زمرتهم.

وهذان العسكران المجران يسيران صفين متساويين لتعادلهما، واتحاد رتبتهما، واستواء منزلتهما في كل شيء، حتى في التقديم على سائر الأجناد عند العطاء، فتارة يتقدم هؤلاء، وتارة هؤلاء مناوبة.

غير أن جيش الموالي الأعجم يحظى بالمسير في الميمنة لمزية الولاء، وكلاهما يحظى بموالاة أمير المومنين، يتقدم عليهما قائداهما الفتيان الخاصان الجليلان، محمود باشا وهو قائد الموالي، وجودر باشا وهو قائد الأندلس، ما لم يغب أحدهما أو كلاهما في زحف لتمهيد أو فتح بلاد، أو اقتضاء خراج، فيخلفهما الأعلى من الطبقة المرادفة لهما من خواص الموالي والمماليك، وترفع على رأس كل واحد منهما الألوية والرايات، ويحفه عسكر مجر من "بلكباشات".

ثم تتصل بهذين العسكرين الدخلة (4x) العظيمة الفخمة الهائلة، وهي المؤلفة من "البياك"، و"السلاف"، و"البربروش" أهل اللقاقيف، يسير (5x) هؤلاء الفرق الثلاث أمام أمير المومنين أيده الله صفوفا متساوية، على ما وصفنا آنفا من زيهم وترتيبهم.

فأما " البياك"، وهم أهل القلانس الصفرية ذوات الأعراف الريشية، فهم الذين يلون ركاب أمير المومنين، يحف به بعضهم (6x) يمينا وشمالا، ويرفع البعض رماحه اليزنية المنصورية (7x) أمامه، ومنهم صاحب مظله العظيم المرفوع على رأسه كالغمامة، يحمله حالة ركوب أمير المومنين القريب منهم درجة لقائدهم "برويز" مولى أمير المومنين والموالي له رتبة، وإذا كان أمير المومنين ماشيا على قدميه الشريفتين حالة مروره من المسجد الجامع على مقبرة سلفهم الكريم للباب النافذ إلى جهة قصوره، أو متقلب برسم الراحة في المشتهى، وهو الروض المتصل بقصر البديع الذي من آثاره الشريفة، تولى قائدهم " برويز"رفعها (8x) بنفسه، ويسير عن

(1x) " متقهقرا " بدل " يمتد" في (أ) (ب) (ز). ومحلها بياض في (ك).
(2x) ب،ز،ج،ك في عساكر.
(3x) سقط من (د)
(4x) " الدخلة" زيد في طرة (أ) بتصحيح.
(5x) د يصير.
(6x) ك يحف بعضه بعضا.
(7x) ج المنصوبة.
(8x) ج، ك معها.

يمينهم وشمالهم " السلاف"وهم أهل القلانس الطويلة البيض المرسلة على المناكب، ذوات الجعاب المذهبة المنوطة بها من أعلى الجباه، ويزيد هؤلاء عند الحزام على ما كنا وصفنا من زيهم قبل، بأجنحة طوال يؤلفونها أيضا من ريش النعام الباقي على أصل خلقته، ويركزونها في الجعاب المنوطة بالقلانس من أعلى الجباه، ويرسلونها إلى وراء.

ويسير عن يمين (1x) هؤلاء وشمالهم، " البربروش" أهل اللقاقيف، وتتكيف من الجميع صورة هائلة تبعث للمهابة في الأعين، والرعب في الصدور. وتسير الجنائب فيما بين سماطي هذه الدخلة مجنوبة صفا صفا إلى ألوية عساكر النار، ومنبعث حبالها الممدودة، [صنف يدعون السراجة ركبانا، وكانت جنائب الخلفاء من قبل] (2x) يقودها الرجل من الوزعة، فكان هؤلاء أحسن زيا، وأكثر نفعا عند الحاجة إليهم في الحروب ونحوها. وجيش " الاصبايحية" (3x) العرمرم الذي لنظر "بيلارباي" (139).، يقسم كتيبتين عظيمتين، تسير إحداهما (4x) ذات اليمين، والأخرى ذات الشمال أمام الموكب. ويرفع اللواء العظيم الابيض الذي هو علامة على شعار الدولة، المدعو باللواء المنصوري على رأس أمير المومنين أيده الله، يسامته من خلفه، ثم من سائر الألوية عدد كثير أكثرها حمر.وأمامه الطبل العظيم الذي يسمع دوي صوته على البعد، ومن خلفه الطبول الأخرى التي تقرع مع المزامير المعروفة / 133د / بالغيطات، واحدتها غيطة، يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيذ يتعلمونها، فتنبعث منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطبع ولا تبعثه على شيء سوى الحرب، حكمة فلسفية، ومزامير أخرى، وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى " الطرنبطات" (140) مما أحدثه أيضا في دولته، ازدانت بها تلك الآلة حسنا ومزيد فخامة.

ويردف هذه الألوية والآلة من خلف أمير المومنين موكبه العظيم [يمد] (5x) على الأرض جناحا من خيل الأسنة بالجمال (6x) والتتميمات.

وكم رأينا كافرا ترك دينه، والتزم دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله، وكم قد سمعنا (7x) من مسلم في أرض الشرك ارتد افتتانا بعرض يسير من عرض الدنيا، وأخلق بخصلة يترك الانسان لها دينه الذي يبذل دونه نفسه أن تكون جليلة القدر، عظيمة الخطر، وأحوج الناس إليها أفقرهم إلى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك [والولاة] (8x). انتهى.

(1x) " يمين" زيد في طرة (أ) بتصحيح.
(2x) سقط من (د).
(3x) " الاصباحية" في باقي النسخ المعتمدة.
(4x) أ،ب،ز إحديهما.
(5x) سقط من (د).
(6x) ك بالحبال.
(7x) " قد سمعنا" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(8x) د والأولياء

ومولانا أمير المومنين أيده الله المثل المضروب في هذه السجية الكريمة، والخصلة الشريفة. انتهى. (141)

(قدوم سفارة ملك برنو على السلطان أحمد المنصور السعدي)

وفي عام تسعين (1x) وتسعمائة (2x)، ورد عليه الخبر من مدينة فاس بقدوم رسول صاحب مملكة " برنو" (142) من ملوك السودان، وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من فتيان العبيد والإماء، وكسوة السودان وطرفه، وكان من ذلك عدد كثير ناهز المائين، ووافى المنصور بعسكره على رأس الماء من ساحة فاس. (143)

وكان يوم ملاقاته يوما مشهودا حسنا وأبهة وجلالة، جلس نصره الله بالقبتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج المحيط بقببه وهو " أفراك"، واستوقف الموالي والمماليك سماطين، من التوأمتين إلى القبة العربية، ثم منها إلى فسطاط الجلوس المعلوم بالديوان، ثم منه إلى باب المعسكر القبلي. وأتى بالرسول يخترق السماطين حتى نزل بالديوان. وكان الملأ من أكابر الدولة وصدور المملكة جلوسا (3x)، وكرسي الإمامة وسرير الخلافة منصوبا به، والمهابة قد أخرست الألسن، وخشعت القلوب والأبصار.

فجلس الرسول هنالك مليا، ثم توجه به علي سبيل الترقي إلى القبة العربية، فجلس بها ريثما جاءه الإذن الكريم بإيصاله الى مقر (4x) أمير المومنين بالتوأمتين. فوقف بين يديه، وتشرف بالنظر لطلعته السعيدة، فأدى الرسالة، وقضى فرض التهنية وسنة الهدية، وأعرب عن مقاصد مرسله، واعترف للمملكة العظيمة بحقها، وأظهر من الخضوع والتملق والاستكانة والخدمة والطواعية ما أوصاه به مرسله.

ثم توجه به إلى معسكر ولي العهد، وتاج الإسلام، وكافل الأمة بعد والده، المولى الأمير أبو عبد الله محمد الشيخ المامون، وكان لصق معسكر أمير المومنين برأس الماء، فأشرف الرسول على دنيا أخرى، وأبهة مدهشة، ومحلة هائلة، فوقف موقف الحيرة، واستدرج إلى أن وصل لقبب ولي العهد ومضاربه. وكان قعد له بفسطاط جلوسه أفخم قعود، ولما استوذن عليه، ووقف بين يديه، حيى وهنى وفدى، وانصرف عنه إلى محل نزوله بالقصبة من فاس، وأذر عليه من الإنعام والإكرام ما لم يكن له في حساب.

وكان من اغراض الرسالة التي أنفذه لها سلطانه، طلب المدد من أمير المومنين بالعساكر والأجناد، وعدة البندق، ومدافع النار، لمجاهدة من يليهم بقاصية السودان من الكفار. وكان

(1x) ب،ز،ج ثلاثة وتسعين.

(2x) "وتسعمائة" زيد في طرة (ب) بتصحيح وسقط من (ك).

(3x) ك جلوس به.

(4x) "مقر" سقط من (ب).

هذا الرسول قد وفد قبل هذا على سلطان الترك بالاسطنبول السلطان مراد يطلب منه / 134د / المدد لجهاد كفار السودان، فخفق سعيه، ولم يحصل منه (1x) على طائل، فوجهه في هذه النوبة لملك المغرب يطلب المدد.

ولما قرئ كتابه على أمير المومنين، اتفق ان وقع بينه وبين كلام الرسول اختلاف بين، وتباين واضح، فكان الذي دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول، جر إليهم ذلك توغلهم في الجهل والغباوة، وعدم من يحسن الإعراب عن مقاصدهم من فرسان الانشاء والكتابة، لطموس معالم العلوم عندهم على الجملة، وقارن ذلك ما كان (2x) من توجيه أمير المومنين عساكره إلى تدويخ قطري " تيكورارين" و"توات"، وأمل أن يجعلها ركابا لبلاد السودان، والاستيلاء على ممالكها التي وجه لها (3x) بعد ذلك عساكره، وبلغت مملكة "مالي"(144) عظيم السودان، إلى أن وردت من نيلها على مائة مرحلة من ثغور المغرب. فاغتنم لذلك اختلاف الرسول والرسالة، وبنى عليه، فاعتل به على صاحب "برنو".

ورجع الرسول الى مرسله بعد مكافاته، وتوجيه هدية من عتاق الخيل، وشرفه بكسوة من ملابس الخلافة، وأسبابا أخرى.

(عودة سفارة ملك برنو ثانية الى المغرب)

ولما بلغ الرسول، وألقى المعذرة الى سلطانه، استأنف الهدية، وأعرب إذ ذاك عن قصده ومراده. [ورد الرسول ثانية إلى باب أمير المومنين، فوافاه بحضرته، ودار خلافته] (4x) بمراكش، فأزال اللبس، وبين الغرض، وصرح بالمقصود.

فلما تحقق السلطان أحمد بقصده، صدع له بالحق والدعاء إلى التي هي أقوم، وطالبهم بالبيعة له (4x)، والدخول في دعوته النبوية التي أوجب الله عليهم وعلى جميع العباد، وأقطار البلاد، الانقياد لها، وقرر لهم بلسان السنة الناطق، من الكتاب المنزل على جده الصادق، أن الجهاد الذي ينتحلونه، ويظهرون الميل إليه والرغبة فيه، لا يتم لهم فرضه، ولايكتب لهم عمله، ما لم يستندوا في أمرهم إلى إذن من امام الجماعة الذي اختص الله [اليوم] (4x) أمير المومنين بوصفه، إذ هو الكافل لهذه الأمة، ووارث تارات النبوءة، وقلده الله حماية بيضة الاسلام، وخصه بالشرف القرشي الذي هو شرط في الخلافة باجماع من علماء الاسلام، وأيمة السنة الأعلام، وألزمهم القيام في أقطارهم بدعوته، ومجاهدة أعدائهم الكفار بكلمته، وعلق لهم أيده الله الإمداد على البيعة والوفاء بهذا الشرط. فالتزمه الرسول، وزعم أيضا عن سلطانه بالقبول والاجابة.

(1x) "منه" سقط من باقي النسخ المعتمدة.
(2x) "ما كان" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(3x) ك له.
(4x) سقط من (د).
(5x) " له" سقط من (ج).

(نص بيعة أمير برنو للسلطان أحمد المنصور)

وطلب من السلطان نسخة يتوجه بها من صورة البيعة، اذ ليس ببلادهم من يحسن الإنشاء، ويوفي الغرض، ليلا يخلوا (1x) بشيء من الشروط التي شارطهم عليها أمير المومنين، فأنشأها كاتب الدولة، الفقيه البليغ، أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، ونصها:
" الحمد لله الذي رفع لكلمة الحق منارا يسامت في مطالعها النجوم، وأزاح بها عن شمس الهداية المنيرة غياهب الغباوة المدلهمة وسحاب الغواية المركوم، وحي على الفلاح بها داعي التوفيق الذي نشر (2x) للنجاح كتابه الموقوت واستنجز للسعادة أجلها المعلوم، وشرف هذا الوجود، والعالم الموجود، بالخلافة النبوية، والإمامة الحسنية العلوية، التي صرفت الوجوه الى قبلتها المشروعة، واستبان الحق بتبلج الصباح في مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة، وكلمتها المتبوعة، ونسخ بدولتها الغراء دول الحيف التي هي بسيف النبوءة المصلوة مقطوعة، وبلسان السنة مدفوعة (3x)، وقوض بها مباني [الادعاء] (4x) التي هي على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعة، / 135د / وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التي هي على مشاقة الله ورسوله متابعة ومجموعة، وخلع بظهورها على أعطاف الحنفية السمحا رداء العز الفضفاض، واستل بتأييدها للدين المحمدي سيف الأنفة والحمية والامتعاض، وأشار للأعادي من بأسها المروع الحية النضناض، وفجر للمومنين ينبوع رحمتها الجاري على حصى عدلها الرضراض، ومهد بسيوفها المنتضات الآفاق والأقطار تمهيدا أزال عن حكمه الاعتراض، وجلا بأنوارها النبوية المتألقة سدف الجهالة التي ادلهم جوها وغيم، وأسعد الوجود بيمنها الذي لبث في أكناف مجدها وخيم، وقضى لها بتزاحم الأرض ومن عليها إن شاء الله إلى عيسى بن مريم. والصلاة والسلام على مولانا محمد الذي تعاضدت البراهين القاطعة، على صدق رسالته البارعة، ونهج للدين القويم طريق الحق المثلى ومادته الشارعة، وسوغ لمن آمن به مناهل الهدى النميرة الزلال وموارده (5x) العذبة ومشارعه، نبي الرحمة، وشفيع الأمة، وعلى آله وأصحابه الكرام، أئمة الهدى ومصابيح الظلام (6x)، والدعاء لمولانا الامام، العلوي الهمام، أمير المومنين، بن أمير المومنين، بن أمير المومنين، نجل سيد المرسلين وخاتم النبيئين، وسليل الوصي والسبطين.

وبعد: فإنه لما أذن الله في ليل الجهالة أن ينجاب، وفي شمس الحق الوهاجة أن يرتفع عنها الحجاب، وفي العزالخلق الجلباب، أن يعود إلى شباب، وفي النجاح والاستقامة ان يفتح

(1x) "يخلون" في جميع النسخ المعتمدة
(2x) "نشر" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(3x) ج مرفوعة. ك مردوعة.
(4x) د الأدعياء.
(5x) ج وموارد.
(6x) "الظلام" سقط من (ك)

لهما باب، وفي الإمارة أن تستند إلى السنة والكتاب، وتتعلق من الشرع بأسباب، تدارك سبحانه الوجود، وأعز العالم الموجود، واستطارت الأنوار المضيئة للاغوار والنجود، بطلوع شمس الخلافة النبوية (1x)، والامامة الهاشمية العلوية، ففاضت على أديم البسيطة أنوارها، وارتفع الى حيث السهاوالفرقد حصنها (2x) ومنارها، وتبلج بالاصباح نهارها، ولاحت في سماء المجد بدورها وأقمارها، وكابرت شهب السماء أتباعها وأنصارها، وانتشرت في الآفاق والأقطار على البعد والقرب آثارها، وهزت عطف الزمان مناقبها الشريفة وأخبارها، وفاض لبركتها على أكناف المعمور يمها الزاخر وتيارها، خلافة ينتمي الى النبوءة عنصرها، وتستنبط من رسالة الوحي أسطرها، ويناط بعروتها الوثقى [دسترها] (3x)، وإمامة علي وليها، والله ناصرها (4x)، والسبط بدرها، الذي حياه منبرها وسريرها.

والحمد لله الذي اصطفى من هذه الروضة النبوية الشماء، والشجرة الطيبة الهاشمية العلوية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، إماما ألقي له في القلوب حبا جميلا، [وولاء] (5x) جعله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا، وخليفة استرعاه فكان يحسن الرعي لخلقه وعباده كفيلا، وانتضى من بأسه ومسلته لحماية حمى الشريعة حساما صقيلا، مولانا أمير المومنين، وخليفة الله في الأرضين، وسليل خاتم النبيئين، ووارث الأنبياء والمرسلين، المفترض طاعته على الخلق أجمعين، والممنون بإمامته المقدسة على العالمين، بحر الندى والبأس، وعصمة الله للناس، أمير المومنين المنصور بالله مولانا أبا العباس/ 136د /، صلوات الله عليه وعلى آبائه الخلفاء الراشدين، والأئمة الطيبين الطاهرين، وطيب بأنفاس المغفرة لحودهم أجمعين، إمام تهتز لذكره أعطاف المنابر، وتتقلد من شريف دعواته (6x) أبهى من نفيس الجواهر، وتستضيء البلاد بإكليل شرفه الزاهر، وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الوافر، أبقى الله أيامه الغربقاء يستصحب النصر دوامه، وخلد له ولأعقابه هذا الأمر الكريم إلى يوم القيامة.

ولما طلعت أيده الله على هذه الأصقاع الزنجية طلائع إمامته النبوية وخلافته، ولاحت في سمائها [شهب] (7x) مناقبه المنيفة الدالة على فخامة شرفه وأنافته (8x) وتليت لمجده الآيات المبينات التي تشهد له بتراث الرسالة، وتقضى له على الإسلام وعلى الأنام بحكم الولاء والكفالة، وأوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته، والاعتقاد بإمامته، والانقياد لدعوته، وتقليد بيعته، ما جاء به كتابه الحكيم، ووردت به سنة نبيه الكريم، كما قال عليه السلام "لا تزال في قريش ما بقي منهم اثنان"، وكما ورد في صحيح الخبر: " إن الخلافة في

(1x) "النبوية" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(2x) "حصنها" سقط من باقي النسخ المعتمدة.
(3x) د دهرها.
(4x) ك نصيرها.
(5x) د، أ ومولى.
(6x) " دعوته" في باقي النسخ المعتمدة.
(7x) د سهوب.
(8x) "وأنافته" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

قريش، والقضاء في الأنصار، وفي الحبشة الأذان".

واذ على هذا تعاضد الخبر والعيان، فلا ناكر أن ليس في المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله من ثان، فنهض بدليل الشرع أنه إمام الجماعة حقا المستوفي شروطها، والوارث للخلافة النبوية الحريص على بيضة الإسلام أن يحوطها، وأن القائم بهذا الأمر على الإطلاق غيره دعي، ومحاوله دون إذنه المشروع بدعي، فتعين لذلك أن الرجوع إلى الحق فريضة، واستبان بما تقرر وعلم أن إمارة لا تلاقي في الشرع محلها المشروع منبوذة ومرفوضة(1x) وعروتها لذلك مفصومة ومنقوضة، فانتدب لهذه الآثار، وصحيح الأخبار، وصرف إلى رضى الله العناية، ووقف على الشرائع المشروعة حيث مركز الراية، ومنتهى الغاية، الرئيس، أبو العلاء ادريس (145)، أكرمه الله انتداب من وقفت به مطية التوفيق، على حضرة الإخلاص والتصديق، وأخذت بزمامه السعادة إلى حيث الفوز برضى الله ورسوله حقيق، والتأييد صاحب ورفيق، وروض الآمال أنيق، وراح الراحة والاطمئنان عتيق، إلى تقليد بيعة إمام الجماعة، وبيعة مولانا أمير المومنين المنصور بالله، زاده الله قدسا وتشريفا، التي تتأسس إن شاء الله على تقوى من الله ورضوان، وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان، وآثر أسعده الله أن يؤدي فرضها المعدود من فروض الأعيان، وحكمها الذي توجه به خطاب الشرع العام إلى القاصي والدان، وينشر سنتها المشروعة في صقعه وما يليه من [اليفاع] (2x) والأصقاع بالسودان، تقليدا يستضاء إن شاء الله بأنواره، ويستشرف للعز الممكن به على مناره، ويخمد به للجهل جذوة ناره، وينتظم به في اتباع الحق أنصاره، ويتجلي به صورة إنسانه، ويستوجب به من الله عوارف صنعه وإحسانه، ويرهف به للعدو على العزمات حد سيفه وسنانه، ويقرع به لرضى الله باب القبول، ويتضاعف له ببركته العمل المقبول، ويستنشق بمشهد عقده الكريم نواسم النبوءة، ويعود له به الزمان للشباب والفتوة، ويرفع به منار الإمارة على قواعد الشرع الوثيقة، ويعدل به في كل الأحوال على المجاز الى الحقيقة، وتتسنى له به / 137د/ [وهي](3x) المقصد الأسنى، والخاتمة الحسنى، والأسوة الحسنة بإمامي بني العباس السفاح (146)، والمنصور، ويحيي سنتها التي نقلها ثقاة الأعلام والصدور، في مبايعتها الإمام الخليفة المهدي الأكبر سليل زين الدين، وجد مولانا أمير المومنين، الذي رأى إمام دار الهجرة أنه بتراث الخلافة النبوية ساعتئذ أولى وأحق، وفي منصب الإمامة على شرطها أعرق، وبسريرها ومنبرها أليق.

فتأكد للمنتدب أكرمه الله بهذه الآثار الشريفة، والمناقب المنيفة، العزم والقصد، وأنجز له فيما أراده الوعد، وساعد نيته الصالحة فيه السعد، فبايعه أعلى الله يده على الأمن والأمانة، والعفاف والديانة، والعدل الذي يشيد للمجد أركانه، مبايعة شائعة على عقدها الكريم، أكرم

(1x) ب، ز، ج، ك، ومفروضة.

(2x) د الأفاع. أ الآفاق.

(3x) د وهو.

الله أتباعه، وجموعه وأشياعه، بحكم الوفاق والاتفاق، والمواثيق الشديدة الوثاق، وبجميع الأيمان، الصادقة الايمان، أعطوا بها صفقة أيديهم، ورفع بها العقيرة مناديهم، عارفين أن يد الله [فيها] (1x) فوق أيديهم، وأمضوها على السمع والطاعة، والانتظام في سلك الجماعة، إمضاء يدينون [به] (2x) في السر والجهر، واليسر والعسر، والرخاء والشدة، والأزمات المشتدة، والتزموا شروطها طوعا، واستوعبوها أصلا وفرعا، واستوفوها [جنسا] (3x) ونوعا، بنيات منهم خالصة صادقة، وعدة من الله بالخير لهم سابقة، وسعادة بالحسنى لاحقة، أبرموا عقدها وأحكموا عهدها على حكم السنة والكتاب، والجماعة والأخذ بسنتها أعقابا عن أعقاب، وأحقابا إثر أحقاب، إلى يوم القيامة، واقتراب الساعة لا يلحق عقدها الكريم فسخ، ولا يعقبه بحول الله تعالى نسخ، ولا يتطرق إليه نقض ولا نكث، ولا يشوبه بشوائب الشبهات بحث.

وجمع على هذا (4x) أسعده الله بالمواثيق المستفيضة، والأيمان اللازمة المغلظة، هو وأتباعه إجماعا شرعيا، وحتموه على أنفسهم حتما مقضيا، واعتقدوه اعتقادا أبديا، وعرضوا على التزامه بمشهد عقده المبارك أفرادا وأزواجا، وزمرا وأفواجا، وأشهدوا على الوفاء به بأيمانهم اللازمة (5x) الصادقة البرور، ومواثيقهم المثلجة الصدور، بالله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس العليم بالخفيات، والخبير بآجال الوفيات (6x)، وبجميع الرسل الكرام والأنبياء، وملائكة [الرحمان في] (7x) الأرض والسماء، وعلى أنهم إن حادوا عن هذا السبيل، وانقادوا لداعي التغيير والتبديل، وانحرفوا عن هذا المنهاج وسنته، فهم برءاء من حول الله وقوته، ومن دينه وعصمته، ومستوجبون لعذابه وغضبه، وسخطه ونقمته، وبعداء من رحمته، ومن شفاعة نبيه الكريم يوم القيامة لأمته، وأنهم خالعون لربقة الإسلام، وخارجون عن سنة الرسول عليه السلام.

أعلنوا بهذا إعلانا يعضده النجوى، وأدوه بشروطه الجارية على مذاهب الفتوى، وأحكامه اللازمة لكلمة التقوى، استرضاء لله وللخلافة النبوية، والإمامة العلوية، ورياضة للنفوس على بيعتها المباركة الميمونة النقيبة، واستيفاء لشروطها وأقسامها الواجبة والمستحبة والمندوبة، مستسلمين الى الله بالقلوب الخاشعة، ومتضرعين الى بابه الكريم بالأدعية النافعة [في أن] (8x) يعرفهم خير هذا العقد الكريم، والعهد الصميم، بدءا وختاما، وأن يمنحهم بركته

(1x) سقط من (د) (ب)

(2x) د بها.

(3x) د حسنا.

(4x) أ هذه.

(5x) " اللازمة" سقط من باقي النسخ المعتمدة.

(6x) أ،ك الوافيات.

(7x) سقط من (د).

(8x) د بان

التي تصحبهم حالا ودواما، لا رب غيره، ولا خير إلا خيره. أشهد على نفسه بما فيه وعلى(147) الرئيس، أبو العلاء ادريس (148)، أسعده الله وأكرمه.

وبتاريخ المحرم الحرام، من عام تسعين وتسعمائة (1x) من الهجرة النبوية". (149)

ولما كتبت هذه البيعة، دفعت للرسول، وأكرم، وكافاه على هدية سلطانه، وتوجه لبلاده بجواب مرسله.

(قدوم سفارة ثالثة من برنو على السلطان أحمد المنصور)

ولم يلبث أن رجعه سلطانه ثالثة، ووجه [معه] (2x) هدية ورسالة، وخاض القفر لدار الخلافة، فوصل الى بلاد تيكورارين، ثم اعترضته هنالك منيته، فاعتل وهلك. فأشخص أولو الأمر الذين بتيكورارين (3x) الهدية مع رفقائه من عند سلطانه، فوصلوا [بها] (4x) إلى حضرة أمير المومنين بمراكش، ودفعوا هديتهم ورسالتهم.

(سفارة السلطان أحمد المنصور الى ملك بورنو)

ولما وجههم أمير المومنين انتخب رسولا عارفا مجربا، ممن يعرف أحوال السودان، ووجهه عينا يأتيه بأخبار(5x) البلاد حتى كأنه يشاهدها.

ووجه معه رسالة إلى " سكية" (150) ملك "جاغو" من ملوك السودان، يأمره أن يرتب على معدن الملح الذي "بتغازى" (151) بين المغرب والسودان، (ومنه يحمل الملح إلى أقطار السودان)(6x)، أن يجعل على كل من يحمل منه مثقالا للحمل من الواردين عليه، يستعان بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد الكفرة اللئام، لأن ذلك بحر لا ساحل له، وكتب له فتاوي الأئمة أن النظر في المعادن للإمام (152).

فلما بلغه الرسول، واطلع على ذلك، شق عليه ذلك، وما طل الرسول في الجواب وحيث أبطأ الجواب، فطن المنصور لما انطوى عليه " سكية" (153) من عدم إجابته لما طلب من الوظيف على الملاحة، فاشتد غضبه (154)، وعزم على توجيه العساكر للسودان. هذا الحامل [له] (2x) على قصده.

ولما فتح تكرارين وتوات (155) قوي عزمه على قصد السودان، وتوجيه العساكر توجيها عاما.

(1x) "وتسعمائة" زيد في طرة (ز) بتصحيح.
(2x) سقط من (د)
(3x) ج،ك بتقارير.
(4x) د به
(5x) ك بخبر.
(6x) زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(بعث السلطان أحمد المنصور بجيوشه لفتح السودان)

وفي عام سبعة وتسعين، اشتغل المنصور بتجهيز آلة الحرب، وما يحتاجه من آلة السفر وما لا بد منه من اللوازم والضروريات (1x)، وأمر قواده أن يقوموا حصص القبائل، وما يحتاجونه من خيل وبغال وابل وقرب، ومن أتى بجمل ضعيف يعاقب عليه.

واشتغل هو بتقويم آلات الحرب من المدافع والمهاريز والكراريط لهم، والبارود والكور والبمب، وتقويم الخشب واللوح والحديد للفلائك والغلائط، والمقاذيف والأقلاع والبراميل لحمل الماء، وألف ذلك النجارون في البر إلى أن تألف،وشدوه أحمالا.

وفي هذا العام، ولد مولاي الشريف بن علي، ومحمد الحاج الدلائي، على ما ذكره ابن الصباغ.

واستمر الحال إلى أن استوفى أمر الحركة في ثلاثة أعوام، وأمر بخروج المضارب والمباني لوادي تانسيفت (156)، وخرجت الأحمال والأثقال، ونزلت العساكر [من الخيل والرجال بعدة البارود، وعين قواد العساكر] (2x)، كل قائد على قبيلة عنده ألف بين الخيل والرجال، وكل أمير من أمراء العسكر عنده ألف بين الخيل والرجال جملتهم عشرون ألفا، ومن المعلمين والبحرية والطبجية ألفان، الجميع اثنان وعشرون ألفا.

وجعل أمير الأمراء مولاه الباشا " جودر" وشد أزره بجماعة من أعيان دولته ممن حنكتهم التجاريب، وسالمتهم الخطوب، يعتد بهم في المشورة.

وأقلعوا عن الحضرة في محرم تسعة وتسعين وتسعمائة (157)، وكان طريقهم على ثنية الگلاوي على درعة، ودخلوا القفر والفيافي (158)، وقطعوها في مائة مرحلة، ولم يضع لهم عقال بعير، ولا نقص منهم أحد. ونزلوا على مدينة "تنبكت" (159) ثغر السودان وأراحوا بها أياما، ثم توجهوا لبلاد سلطانهم " سكية".

فلما سمعوا (3x) بقدوم العساكر، احتشد امم السودان [وأقيالهم] (2x)، (وقبائل الملثمين المهادنين لهم، وخرج من مدينة "جاغو" يجر الشوك والمدر / 139د / إلى أن التقى الجمعان، فعبى " جودر" عساكره، وتصدى للحرب، فدارت به عساكر السودان من) (4x) كل وجه (160)، وعقلوا أرجلهم مثل الإبل، وصبروا من الضحى إلى العصر، والعساكر الامامية تدوسهم بالرصاص والنبل والسيوف، إلى أن هب ريح النصر، فانهزم السودان، وتبعهم العساكر يقتلون ويسلبون في كل وجه، وفر " سكية" في قومه، ولم يدخل قاعدة ملكه، واستولى عليها "جودرباشا"، ودخلها، واحتوى على ما فيها من الأموال والمتاع.

(1x) ج والضرويات.
(2x) سقط من (د).
(3x) "سمع" في باقي النسخ المعتمدة.
(4x) زيد في طرة (ب) بتصحيح.

وكان ذلك في جمادى الأولى من عام تسعة وتسعين وتسعمائة. (161)

وكتب بالفتح إلى السلطان أحمد المنصور، وامتدت العساكر تعيث وتفسد في بلاد "سكية". وتسبي وتغنم.

(وفد أسكيا إسحاق يعرض الصلح على الباشا جودر)

إلى أن وجه " سكية" لجودر باشا في تقرير الصلح، على مال معين يعطيه في كل سنة (162)، فأجابه لذلك على مشورة أمير المومنين وإمضائه.

فكتب إلى المنصور بذلك، وأصاب العسكر في تلك الأرض حمى ووخم، فاتفق رأي الأمراء على الرجوع، والإقامة " بتنبكت" إلى أن يأتي جواب المنصور، فرجعوا (163)

واشتغل " جودر باشا" بإنشاء الفلائك والغلائط وخدمتها (164)، ولما أكملها، دفعها إلى النيل.

ولما بلغ المنصور خبر الصلح (165)، قام له وقعد، وأبرق وأرعد، وقوم عسكرا خفيفا وجهه مع مملوكه الآخر "محمود باشا"، وقلده أمر العساكر كلها، وعزل "جودر باشا"، وأمره أن يبقيه معه. وكتب أمره لأمراء العساكر يؤنبهم ويعاتبهم على ما فعلوا من الصلح مع الشقي "سكية"، ويؤكد عليهم في الرجوع لبلاده واتباعه حيثما توجه، ولو قطع النيل إلى العدوة الأخرى.

(بعث السلطان أحمد المنصور بحملة أخرى الى السودان تحت قيادة محمود باشا)

وخرج محمود باشا فيمن عين له من العسكر في زمن الحر في وقت لا يقدر فيه على الحركة إلا القطا، وقطع القفر في خمسين مرحلة، أمر لم يسمع بمثله.

ونزل على العساكر بظاهر " تنبكت" عام الألف. (166)

وفيه ماتت أم السلطان " عودة الوزگيتية" (167)، وكانت من أهل الخير والدين.

فأراح محمود باشا بتنبكت ثلاثا، وعمر الفلائك والغلائط بالبحرية والعساكر، وساروا في النيل والسواد الأعظم متوجه في البر إلى أن نزلوا "جاغو" قاعدة " إسحاق سكية" سلطان "مالي" من أجناس السودان.

وكان "سكية" لما رجعت عنه العساكر لمدينة " تنبكت"، احتشد أمم السودان المجاورين له، وتدامروا وأصفقوا معه على الموت، فلما بلغه رجوع العساكر " لجاغو"، قصدهم.

ولما التقى الجمعان (168)، لم يكن إلا فواق بكية، وانهزم السودان من سماع رعد المدافع والمهاريز، وارتفاع القنابر (169) في الجو، وهدير الطبول، وتبعتهم العساكر يقتلون ويأسرون إلى أن غشيهم ظلام الليل، ورجعوا بالغنائم والسبي، فاستراحوا ثلاثة أيام. وأمر " محمود باشا"

أخاه" جودرباشا" أن يعمر مدينة "جاغو"، ويقيم بها، وترك معه عددا من العساكر يبقى ردءا لهم.

وتوجه في اتباع "سكية" إلى أن لحقه وأوقع به وقعة شنيعة، وهرب في فل (1x) من قومه،و قطع النيل إلى العدوة الأخرى، وتبعه "محمود باشا"، فقطع النيل في الفلائك والغلائط بالعساكر، إلى أن أوقع به وقعة ثالثة، احتوى فيها على ما معه من المال والحريم، ودخل القفر فهلك فيه. (170)

ثم كانت له وقعة أخرى مع أخيه الذي كان ينازعه في الملك، كان قدم على "محمود باشا"وقتله فيمن معه من جنده وأتباعه، وتمهدت له البلاد، واستولى عليها استيلاء كليا، ووجه بخبر الفتح للمنصور.

(وأما حركته الأولى، وتوجيه عساكره لأحياء العرب المجاورين للسودان، وجلب الابل من زكايهم، وبلغت عساكره لمصب النيل والسودان، فقد أثبتتها في تأليف " الترجمان" في دولته) (2x) (171).

/ 140د / ولما بلغه خبر هذا الفتح وصورته، كان عنده يوم (3x) عيد من الأعياد أخرج فيه الصدقات، وعتق الرقاب، وأقام مهرجانا عظيما بظاهر البلاد، خرج له عامة الناس للنزهة والفرجة، وزينت الأسواق، وأخرج المدافع، ولعبت الخيول، وأطعم (4x) الناس عدة أيام، ونظم الشعراء قصائدهم (172) ورفعوا أمداحهم، وأجازهم بما تحدث الناس به دهرا، وكتب بخبر الفتح وصورته نسخا (5x) وجهها لجميع الآفاق ". (173)

وهذا طرف من خبر فتح السودان، ومن أراد استيفاءه فليطالع " مناهل الصفا في أخبار الشرفا" " للفشتالي" مؤرخ دولتهم، فقد أبدى فيه وأعاد. (174)

(وفاة مولاي علي ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله)

رجوعا لخبر دولتنا: وفي أثناء مقامه بسجلماسة، ورد عليه الخبر بموت ولده مولاي علي بفاس، رحمه الله، وهو أكبر أولاده. وكان من أهل المروءة والأوصاف المحمودة، عقلا وحلما وكرما وهمة عالية وأدبا. وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، بل لا يمسك شيئا رحمه الله ورضي عنه.

(1x) ك جمل.

(2x) ما بين قوسين زيد في طرة(د)، وسقط من باقي النسخ المعتمدة. كما سقط أيضا من الروضة السليمانية (مخ خع و 142).

(3x) " يوم" سقط من (ك).

(4x) ك وأطعمهم.

(5x) "نسخا" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

وكان مجلسه مجمع الفضلاء والنبلاء والأدباء، يتشبه بأخلاق مولاي محد العالم بن إسماعيل في كرمه. وكان له اعتناء كثير بنسخ كتب العلم الغريبة وكتب الأدب. وكان كثيرا ما ينشد أشعاره ومخاطباته لأهل عصره، وأدباء وقته من الفاسيين والبكريين والقادريين كما كان مولاي محمد رحمه الله لشغفه بالأدب. وكان ينشد أشعار أولاد الملك الناصر يوسف بن أيوب صاحب مصر والشام، ويقول:" لم يكن في وقتهم أشعر منهم ولا أكرم".

(استطراد: طرة لمولاي علي على نسخة مقامات الحريري)

وقد رأيت بخطه على نسخة مقامات الحريري: "أنه لما مات الملك الناصر (1x) يوسف بن أيوب الكردي ملك مصر والشام، وتوجه أولاده بلامة حربه وفرسه لبغداد للخليفة أحمد الناصر لدين الله العباسي (175)، أخبروه أنه لم يخلف إلا ثلاثة دنانير وثلاثون درهما، فأعطى فرسه ولامة حربه لولده الملك الأفضل "علي" صاحب دمشق. ولما استقر بدمشق. جاءه عمه أبو بكر بن أيوب وأخوه عثمان بن يوسف بالعساكر، وقالا: لا يستحق الملك "علي" مع وجود من هو أكبر منه. وحاربوه إلى أن غلبوه على دمشق، وتوجه «لصرخد»، ثم وجهوه «لشميساط»، ووجهوا أخاه (2x) " داوود" " للكرك، وكانا نبيلين أديبين فاضلين كما كان والدهما الملك " الناصر يوسف بن أيوب".

ثم إن هذا الملك الأفضل "علي"، لما بلغ "شميساط" كتب للخليفة أحمد الناصر لدين الله ببغداد يعلمه بما جرى عليه، وبهذين البيتين:

مولاي ان ابا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقا ... من الأواخر مالاقى من الأول. (176)

فأجابه الخليفة أحمد بقوله:

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا ... بالصدق يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غدا عليه حسابهم ... وأبشر فناصرك الإمام الناصر

فبقي ينتظر وعده إلى أن مات فجأة " بشميساط" رحمه الله. ومن شعره قوله:

أما آن للسعد الذي أنا طالب ... لإدراكه يوما يرى وهو طالب
ترى هل يريني الدهر أيدي شيعتي ... تمكن يوما من نواصي النواصب

(1x) " العادل" بدل "الناصر" في باقي النسخ المعتمدة.

(2x) ك أخوه.

/ 141د / ومن شعره، قوله:

يــا مـــن يسـود شعــره بخـضـابــه	لعـسـاه مـن أهـل الشبيبة يـحـصـل
ها فاختضـب بســواد سعـدي مـرة	ولـك الأمـان بـأنـه لا يـنـصـل

وأما الملك الناصر " داوود" الذي "بالكرك" لم يزل منكد الحال، مشتتا (1x) في البلاد، فتوجه لبغداد (2x) ملتجيا إلى الخليفة "أحمد الناصر لدين الله" بهدايا وتحف وجواهر، وطلب الحضور بين يديه في الملإ ليشاهده، فلم يوافقه على ذلك الخليفة، وما قدر له (3x)، إلى أن امتدحه بقصيدته التي منها:

أيحسـن في شـرع المـعـالـي ودينهـا	وأنت الـذي تعـزى إليـه مـذاهـبـه
بأني أخـوض الـدو والـدو مـقـفـر	سبـاريتـه مـغـبـرة وسـبـاسـبـه
ويأتيك غـيـري من بـلاد قـريبـة	له الأمن فـيـهـا صاحـب لا يجـانـبـه
فـيلقي دنوا منك لم ألـق مـثلـه	ويحظى ولا أحظى بما أنا طـالـبـه
وينظر مـن لألاء قـدسـك عـزة	فـيرجـع والنـور الأمـامي صاحـبـه
ولو كـان يعلوني (4x) بنفـس ورتـبـة	وصـدق ولاء لسـت فـيـه أصـاقـبـه
لكنت أسلي النفس عـمـا تـرومـه	وكـنـت أذوذ العـين عـمـا تراقـبـه
ولكـنـه مـثلي ولـو قـلـت إننـي	أزيد عليـه لـم يعب ذاك عـائـبـه

فلما سمع الخليفة هذه القصيدة، أذن له في الدخول عليه والاجتماع به، جبرا لخاطره لكنه [بعد ذلك] (5x) لم يحصل على طائل، وبقي إلى أن مات رحمه اله.

(رجوع السلطان سيدي محمد من الصويرة إلى مراكش)

رجوعا: وأقام السلطان بها شهرا، وتوجه لمراكش على طريق الفائجة، ووردني للغرب لآتيه بجيش من عبيد المراسي ألقاه به لمراكش، زاده في الجيش من أولادهم ليقبضوا الكسوة والسلاح.

ثم إن السلطان، لما بلغ ثنية " الكلاوي"، نزل عليه الثلج وسد المسالك، وتفرقت العساكر، وأتلفهم عن (6x) أثقالهم ومبانيهم، وبات السلطان في ناحية منفردا عن مضاربه وقببه وزاده،

(1x) د، أ،ج،ك مشتت.
(2x) " لبغداد" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(3x) "له" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(4x) ك يعلوا.
(5x) سقط من (د)
(6x) ب على.

وكل طائفة في ناحية إلى أن أصبح، فرفع الله عنهم الثلج وكان يوم العيد، فخطب السلطان، ودعا في خطبته للسلطان عبد الحميد العثماني، وسلمهم الله من ذلك الثلج، فلم يمت منهم (1x) أحد.

(رجوع مولاي عبد السلام ابن السلطان من الحج وتوليته على سوس)

وفي عام تسعة وتسعين ومائة وألف، ورد ولده (2x) عبد السلام من الحج، وفيه خلفه "بردانة"، وولاه أمر السوس وما بعده.

(سفارة عبد المالك بن إدريس وابن عثمان المكناسي لتركيا والحرمين)

وفي هذا العام، وجه ابن عمه وصهره عبد الملك بن إدريس وكاتبيه (3x) محمد بن عثمان(177)، وعمر لوزيرق، وشيخ الركب عبد الكريم بن يحيي، ووجه معهم مالا لأشراف مكة، والمدينة، والحجاز، واليمن، وقدره ثلاثمائة ألف وخمسون (4x) ألف ريال دورو، وصلة لمعينين في أحقاق، كل واحد مكتوب عليه اسم صاحبه.

وأمرهم أن يتوجهوا للاسطنبول حتى يتوجهوا مع أمين الصرة الذي يتوجه بهدية السلطان العثماني للحرمين الشريفين، وهذا كله حذرا من اليزيد ليلا يلقاهم في البر وينهب لهم المال، فوجههم في البحر في مركب من قراصين الاصبنيول، وكتب للسلطان عبدالحميد أن يوجههم مع أمين صرته.

فلما بلغوا للإسطنبول، وجدوا الصرة والحجاج سافروا قبلهم، فأقاموا بالاسطنبول إلى العام القابل. وتوجهوا، ولما بلغوا المدينة، فرقوا بها، وفرقوا بالحجاز (178). ولما بلغوا / 142د/ مكة، وجدوا اليزيد بها في انتظارهم، ففرقوا على أهل مكة، وبقي عندهم واجب أهل اليمن، والأحقاق التي فيها الذهب، فرصدهم اليزيد في وقت القيلولة، ودخل في أصحابه دار ابن يحيى الذي عنده المال، ونهب ما قدر عليه وأخذ الأحقاق وخرج.

فتوجه عبد الملك وشيخ الركب والكاتبان إلى والي مكة الشريف سرور، وخبروه الخبر، فوجه أعوانه، فأتوا باليزيد. فهدده وألزمه الرد، فأتى بالبعض وأنكر البعض وغاب عليه.

فبسبب هذه الفعلة سخطه السلطان وتبرأ منه، وكتب بالبراءة منه دفاترو (5x) وجهها علق واحد ببيت مكة، والثاني بالحجرة النبوية، والثالث ببيت المقدس، والرابع بالحسنين بمصر، والخامس بضريح مولاي علي الشريف، والسادس بضريح مولانا إدريس بفاس، والسابع

(1x) ج فيهم.

(2x) "مولاي" في (ك).

(3x) " وكاتباه" في جميع النسخ المعتمدة في التحقيق.

(4x) وخمسين" في جميع النسخ المعتمدة.

(5x) سقط حرف الواو من باقي النسخ المعتمدة في التحقيق.

بضريح مولانا إدريس بزرهون.

(كتاب السلطان سيدي محمد لسلطان مكة في شأن ابنه اليزيد)

(وكتب للشريف سرور سلطان مكة، يعاتبه على عدم قبضه وزجره، وإقامة الحد عليه: "وكأنه أعجبك فعله، واستحسنت ضلاله وجهله، ووسعك ما اجترأ عليه في حرم الله من نهب أموال الله، للمعينين من أهل بيت رسول الله، فما عذرك بين يدي الله؟ ولو وقع ذلك من ولدك، ما وسعك إهماله والإعراض عنه، ولولا ما بيننا وبينكم من ثمرة القرابة النبوية، والعشرة المصطفوية، لكنت تؤدي ذلك من مالك شرعا وعرفا، وإلا فما ثمرة ولا يتك حتى يقع مثل هذا في حرم الله الذي من دخله كان آمنا؟ فكيف يأمن الضعيف والعاجز، وهذا يقع للقوي والقادر؟ فلا حول ولا قوة الا بالله. والسلام عليكم ورحمة الله. والسلام".

(استطراد: كتاب السلطان سليمان العثماني لوالي مكة حسن بن أبي نمي)

قال مؤلفه: ولقد ذكرت بهذه الرسالة ما وقع في أيام السلطان "حسن بن أبي نمي" والي مكة، فإنه أوقع حربابالحرم الشريف، ولما بلغ خبره للسلطان سليمان العثماني، كتب له يقول: " أما بعد، فإن الحسنة في نفسها حسنة، وهي من أهل بيت النبوءة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة، وهي من أهل بيت النبوءة أشين، ومن العجب كيف تفعلون القبيح وجدكم الحسن، وواعجبا كيف ابدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وأتيت بما تحمر به الوجوه وتسود به الصحيفة، فأقسم بالله العظيم، ونبيه الكريم، وزمزم والحطيم، والبيت والمقام، ومن دخله من الأعلام، لئن لم تقفن عند حدك، لأغمدن فيك سيف جدك. والسلام ".

فلما بلغه الكتاب، بهذا الخطاب، كتب في الجواب:

"بعد السلام، وتعظيم ذلك المقام، فإن العبد معترف بذنبه، تائب إلى ربه، فإن أخذته فبذنبه الأقوى، و"ان تعفوا فهو أقرب للتقوى". والسلام".

فلما وصل كتاب السلطان " حسن" للسلطان " سليمان"، سكن غضبه، ورضي عنه، انتهى.

(كتاب السلطان سيدي محمد لعبد الحميد العثماني في شأن ابنه اليزيد)

رجوعا لخبرنا) (1x): وكتب للسلطان عبد الحميد بأمره، وأوصاه ألا يقبله (2x) إذا قدم لبلاده.

(1x) الفقرة المحصورة بين قوسين سقطت من باقي النسخ المعتمدة في التحقيق.

(2x) ك أن لا يقتله.

وأقام اليزيد بالمشرق، لم يقدر على مواجهة والده (1x)، لسوء صنعه.

(أهل الجزائر يأسرون أميرة نصرانية والسلطان سيدي محمد يتوسط في فكاكها)

وفي هذا العام، أسر أهل الجزائر نصرانية من قرابة طاغية الاسبنيول، كانت متوجهة في مركب من إسبانية لنابل، لزيارة ابن عمها الذي هو سلطان " نابل"، فلما عرف محلها من قومها أهل الجزائر، امتنعوا من فدائها بكل وجه.

فكتب طاغية الاسبنيول للسلطان يشفع له في فدائها بكل ما يطلبون منه، فماوسعه إلا إجابتهم لما طلبوا، وكتب لدولاتني الجزائر في شأنها، فاعتذر إليه بأن النصرانية في سهم العسكر، ولا يمكن إكراههم على فدائها .

/ 143د /. فلما رد شفاعته، كتب للسلطان عبد الحميد بالاسطنبول، فكتب لهم نصره الله يؤنبهم على عدم فدائها، بل قال لهم: " إن الواجب عليكم توجيهها دون مال، وما عسى أن يبلغ ثمن هذه النصرانية ؟ ولو طلب مني سلطان الغرب ألف نصرانية، لوجهتها له، وحتى الآن نأمركم أن تبعثوا له النصرانية، ولو كانت هي الملكة، ولا تقبضوا فيها فداء، وأنا أعوضكم منها أضعاف فدائها. ألم تروا ما فكه ملك المغرب من أسارى الترك من كل جنس حتى لم يبق ببلاد الكفار مسلم واحد ؟ وأنتم تردون شفاعته في نصرانية لا بال لها، فلا تعودوا لمثل هذا، فيكون سببا لتكدير خاطرنا عليكم، والسلام".

ولما ورد عليهم " الفرمان" (179)، لم يسعهم إلا توجيه الجارية، بل النصرانية، لحضرة السلطان، وكتبوا له بالعذر، وقالوا: " إنما كان (2x) منعنا لفدائها حين بلغ خبرها للسلطان عبد الحميد خوفا من مثل هذه القضية، فكان الأمر كما ظننا، وذلك هو الواجب علينا من طريق الطاعة والخدمة، فنحب من سيدنا أن يقبل عذرنا، ولا يظن بنا خلاف هذا".

(نهوض السلطان سيدي محمد لتادلا وأمره بهدم زاوية بجعد)

وفي عام تسعة وتسعين ومائة (3x) وألف، لما (4x) عاد السلطان من رباط الفتح جعل طريقه على تادلة، ونزل على زاوية أبي الجعد (180)، وأمر بهدمها وأخرج (5x) العربي بن الشيخ الصالح البركة سيدي المعطي بن الصالح وأولاده وبني عمه من شرقاوة الذين بها، المعتكفين على الفساد، وإيواء الظلمة الواردين عليها من كل بلاد. وقد أعذر إليهم (6x) رحمه الله المرة

(1x) ك أبيه.

(2x) " كان" زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من (ز)

(3x) " ومائة" زيد في طرة (ز) بتصحيح وسقط من (أ).

(4x) " لما " سقط من (ك).

(5x) " واخراج" في باقي النسخ المعتمدة.

(6x) " لهم" في باقي النسخ المعتمدة.

بعد المرة، واشتغال فقيرهم العربي بالفضول، والدخول بين العامة بالزبون للمعين منهم والمجهول، واهمال طريقة سلفه الصلحاء الفحول. وانقلهم لمراكش فسكنوها، (واستقروا بها إلى أن مات أمير المومنين (1x) رحمه الله، وبويع ولده هشام بمراكش، فردهم) (2x) لتلك القرية، وعادوا لفعلهم الذميم، وسعيهم القديم، وعثا كبيرهم و استكبر، وتطور على غير المنهاج المعتبر، ويتزيى بزي الأمراء، وينبذ عنه طريق سلفه الفقراء، وأملى له هذا السلطان الجليل الماجد الأصيل، وتحمل من بهتانه وخسائسه ما لم يتحمله لأهل البيت معاوية بن أبي سفيان، ولا الرشيد مع يحيى بن عبد الله الثائر عليه وليس الخبر كالعيان، ولا زال يخب في الفساد ويضع، وتارة يرفع عنده وتارة له يردع. وبعد أن انقله من تلك الهاوية لفاس، وانقطعت عنه الهدايا وأموال الناس، وجعل يدفع الثمن في الأكل واللباس، ضاق حاله حتى كان قريبا من الإفلاس، ثم خدعه ببهتانه وجعل يتشفع ويتملق، (وبرجال أهل الدولة يتعلق)(3x)، فعفا عنه هذا السلطان الجليل (4x) ورده (5x) لبلاده، (وكلفه بقراءة أولاده، فاقصرعما كان عليه من العيث) (6x)، ولم يبق له صيت، فحين بلغها دخل في غمده، وخاف إن عاد من عوده.

(السلطان سيدي محمد يبعث المؤلف سفيرا لتركيا)

وفي عام ألف ومائتين، وجهني مولانا بهدية للإسطنبول للسلطان عبد الحميد العثماني فأقمت بالاسطنبول ثلاثة أشهر (7x) وعشرة أيام وهي مائة يوم، ووجدت عبد الملك ورفقاءه لا زالوا بها، فقضيت الغرض، ورجعت للسلطان.

ووجه معي السلطان عبد الحميد أحد خدامه بهدية للسلطان، وقال لي نصره الله: "إنما وجهت معك هذا الخديم صورة فقط، والاعتماد في مقصودنا عليك". وكتب للسلطان كتابا في شأني بالمدح والثناء الجميل، وكذلك الوزير يوسف باشا، كتب كتابا في شأني. من جملة فصول كتاب السلطان: " إنه وصلنا من مقامك الشريف عشرون سفيرا، وأحسنهم سرا وعلانية، وعقلا وأدبا، فلان (8x) - يعنيني- فإنه أدى لنارسالتك بأدب، وانفصل عنا بـأدب، / 144د/ فمثله من يكون سفيرا بين الملوك، فإن اقتضى نظرك توجيه أحد من أطرافك، فليكن فلانا (9x) ".

(1x) " السلطان" بدل " أمير المومنين" في باقي النسخ المعتمدة.
(2x) ما بين قوسين زيد في طرة (د) بتصحيح.
(3x) سقط من (ك).
(4x) " الجليل" سقط من (د)
(5x) ب،ز،ح،ك برده.
(6x) ما بين قوسين زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة.
(7x) " أشهر" زيد في طرة (ب) بتصحيح
(8x) د، ك فلانا.
(9x) د، أ، ب،ز،ح فلان.

وفي كتاب الوزير مثله، بزيادة: " ولقد سررتنا بتوجيه فلان، فإنه من الكمل، لمحبته في الدولتين، فمثله عزيز الوجود".

فلما سمع مولانا نصره الله بذلك، نشط وسره ما سمع، ودعا لنا بخير وأثنى، ولما خرج للمشور، قال للقادوس: "أين تلك المكاتب؟". فقرأ الأول والثاني، فقال نصره الله: " هكذا أحب أصحابي، فجازاك الله خيرا"، ونوه بقدري وأثنى، وقال: " لا أوجه الهدايا (1x) للعثماني إلا معك - وكان الطاهر فنيش حاضرا، فقال: - ولا أوجه المراكب إلا مع الطاهر". جبر قلبه بذلك.

فرحم الله السلطانين الجليلين، وقدس أرواحهما في جنة النعيم. وصورة ملاقاتنا مع السلطان العثماني، تأتي آخر الكتاب.

(استطراد: السلطان عبد الحميد يوجه العمارة لمصر)

وفي هذا العام، وجه السلطان عبد الحميد العمارة لمصر بقصد المخالفين (2x) بها ابراهيم باي ومراد باي، ومن معهما من الغز الذين شقوا العصا، وكفروا بنعم الدولة العثمانية.

فأرست العمارة بمرسى الإسكندرية، وطلع قبطان (3x) باشا بالعساكر في بحر النيل، إلى أن نزل (4x) على مصر بالجيزة (5x) الغربية، وحاربهم أياما إلى أن هزمهم وشردهم عن مصر للصعيد، واستولى على قصورهم وأموالهم وأولادهم، وباع نساءهم وأولادهم في السوق جزاء لعصيانهم، ومهد البلاد، وترك بها الباشا والعسكر، ورجع بالعمارة للاسطنبول مؤيدا.

(1x) ج الهدية.

(2x) ج، ك المخالف.

(3x) ك قطبان.

(4x) ب نزلوا.

(5x) ز،ج،ك بالجزيرة.

الخبر عن هذه القسطنطينية

التي كانت دار ملك الروم، ولما فتحها المسلمون، وسكنوها، زادوا فيها خارج السور إلى أن بلغوا لساحل البحر، فجعلوا الدور من الخشب فوق الماء، غرزوا الصواري في أرض البحر وركبوا فوقها القناطر، وجلدوها باللوح كظهر المركب، وأقاموا عليها الدور من الخشب إلى أن منعهم الغمق، وكيفيتها ووضعها تراه مرسوما بإثر (1x) هذا.

وذلك إذا طلع المركب من البوغاز، ودخل المرسى (2x)، يجد الاسطنبول عن يساره، ومدينة الاسكدار عن يمينه، وامتدت الاسطنبول مع ساحل (3x) البحر الغربي إلى القنطرة التي على الواد الذي يصب في المرسى من ناحية المشرق، ومدينة الاسكدار ممتدة مع ساحل البحر الجنوبي(4x) إلى طرف البوغاز [الآتي] (5x) من " قاردنيز".

ويجاورها من ناحية المشرق مدينة " قاسم باشا" ممتدة مع ساحل المرسى، ويجاورها مدينة "الطبخانة"، وتجاورها مدينة " الغلطة"، وتجاورها مدينة " الطرسانة". وتجاورها مدينة " كاغط خانة"، (وتجاورها مدينة " نيشان خانة ") (6x)، بينها وبين الاسطنبول القنطرة المذكورة، والمرسى في وسط هذه المدن الثمانية، كالصهريج في وسط الدار العظمى.

ومساحة هذه الاسطنبول من الباب إلى الباب سير ساعتين ونصف (7x) للراكب على الرهوان أو على البغلة السريعة، عبرناها بأنفسنا، ومقدار هذه المسافة ببلادنا من [باب] (5x) فاس الجديد إلى وادي النجاة.

وأما المدن الثمانية التي في الناحية الجنوبية والشرقية المقابلة الإسطنبول (8x) (كمسافة (9x) الاسطنبول لأنها (10x) النصف، وهي النصف بحسب ما ظهر لنا لأنا لم نختبرها (11x). هذه عبارة الاسطنبول) (12x).

(1x) " بعد هذا بإثره" في باقي النسخ المعتمدة.
(2x) " المرسى: زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(3x) " ساحل" زيد في طرة (ب) بتصحيح
(4x) " الجنوبي" زيد في طرة (أ) بتصحيح.
(5x) سقط من (د)
(6x) زيد في طرة (أ) بتصحيح وسقط من باقي النسخ المعتمدة.
(7x) "ونصف" سقط من (ك)
(8x) ب،ز،ج،ك في مقابلة اسطنبول.
(9x) أ،ب،ز كمساحة
(10x) د،ز،ب،ز،ك لانهم.
(11x) د،أ،ب،ز،ك نختبرهم.
(12x) ما بين قوسين سقط من (ج).

(مرافق مدينة القسطنطينية)

وأما القنطرة فهي المعبر من الاسطنبول لهذه المدن في البر، ومن أراد العبور في الزوارق، فليركب من كل ناحية أراد، لأن المرسى في وسط المدن، والمراكب مرسية بها، كل مركب في مقابلة المدينة التي أتى لها وتاجره بها. والزوارق [تحمل الناس من هذا الشط إلى الآخر، ومن حومة لحومة، ومن سوق لسوق حتى لا يظهر ماء البحر من كثرة الزوارق] (1x) التي تسير فيها كأنها أفراك الزرزور الذي يحجب السماء وقت مروره، ويقال إن بها خمسة وثمانين /145د / ألف زورق التي في الدفتر، وفي بعض الأحيان تبلغ مائة ألف بين كبار وصغار، منها من فيه رجل واحد، ومنها من فيه اثنان، ومنها من فيه ثلاثة وأربعة، فانظر إلى كثرة مخلوقات الله.

وأما ما في أسواق المدينة، فلا يحصيهم قلم كاتب، ولا يعبر عنهم لسان، على سعة أسواقها وسككها وشوارعها، لا يمكن للمار أن يرى الأرض، ولا يرى أين يضع قدمه من كثرة بني آدم. ومع هذا الازدحام، فلا تسمع للناس لغطا، ولا هرجا، ولا صياحا للترتيب الذي وضعوه وربوا عليه.

كل سكة وكل شارع، جعلوا عشرة أشبار عن اليمين وعشرة عن الشمال مرتفعة عن الوسط بشبرين يمر عليها الرجال والنساء، والوسط لا يمر به إلا الركبان والحمالون، والأكداش والعربات والكراريط التي تجرها (2x) الثيران، هذا في الشوارع النافذة، وأما الشوارع التي لا تنفذ والأسواق، فكلها بالمعاريض على ابوابها، لا يدخلها راكب ولا حامل، وكل سوق يختص بسلعة وحرفة، ولا يختلط فيه أهل حرفة مع أخرى، وكل ناحية بها أسواق من كل حرفة من البزازين، والعطارين، والحرارين، وغيرهم، يقال إن بها نيفا وثمانين ألف مسجد، ومثلها حمامات، ومثلها قهاوي. وبها من جنس الحمالين مائة ألف، ومن جنس السقائين بالقرب لحمل الماء مثل ذلك على كثرة مائها. وبها من الحرف التي ليست بمغربنا كل نوع غريب.

(زيارة المؤلف لبعض أسواق القسطنطينية)

ولقد وقفت بها على أربعة أسواق، كل سوق بناحية يخدمون الرماح من شجر البلنز، وكل حانوت كأنها دار سعة ورفعة، ووقفت على سوق من أسواق العطر، فيه سبع بلاطات مصطفة كبلاطات المسجد، وكل بلاط له باب شرقي وغربي، وكل بلاط بينه وبين الآخر باب في وسطه، وفي كل بلاط مائة حانوت، وعلى أبوابه المعاريض، عمره السلطان "أبا يزيد"، وأوقفه على مسجده ومدرسته وتربته.

(1x) سقط من(د) (أ).

(2x) ك تجر.

ومررت بسوق يباع فيه السلاح من كل رهط، المجوهر، والمذهب، والمفضض، والسادج، قيل لي إن به ألف دكان، وله أربعة أبواب، عمره السلطان " سليمان الغازي" رحمه الله، وأوقفه على مسجده ومدرسته وتربته.

وذكر لي أن سوق الأحجار والجواهر يقال له " البادستان"، يعمر ساعتين في النهار من الضحى إلى الزوال ويغلق. فتوجهت له في الوقت، وهو بلاط واحد فيه نحو الستين دكانا، وله بابان شرقي وغربي، لا يباع فيه إلا أنواع الأحجار والجواهر، تدلل بين الحوانيت ولا يسمع للدلال صوت، ولا يبيع الدلال إلا لأرباب الحوانيت (1x)، فمن أراد شراء شيء لنفسه يقف عند واحد من أهل الدكاكين، فيشتري له، وما اشترى له مضى، فإذا بلغ الزوال، رد الموكل بالسوق أحد (2x) مصراعي البابين، فيعلم (3x) أهل الدكاكين أن الوقت بلغ، فينزلون من الدكاكين، ويخرج الناس.

(عدد مرافق القسطنطينية)

قال مقيده: والذي قيدته من دفتر كاتب الدولة " سليمان أفندي" وطالعني عليه لما ذكرت له العدد المذكور، ان بالاسطنبول من حومات المسلمين ثلاثا وسبعين وتسعمائة وثلاثة آلاف، ومن مساجد الخطب خمسة وثمانين ومائتين، ومن مساجد الأوقات اثنين وتسعين وثلاثمائة وسبعة آلاف، ومن مكاتب الصبيان ثلاثة وخمسين وثلاثمائة، ومن المدارس للطلبة ثلاثمائة(4x)، ومن المطابخ للفقراء مائة، ومن الخانقات للفقراء مائة، ومن الزوايا للذكر اثنين وسبعين وثمانمائة، ومن الحمامات للمسلمين سبعة عشر وأربعمائة وأربعة آلاف، ومن أفران الخبز عشرين وثلاثمائة وثلاثة آلاف، ومن الطواحين / 146د / بالحركة خمسا وثمانين وخمسمائة وأربعة آلاف، ومن أرحية الماء اثني عشر وسبعمائة وألف، ومن أرحية الريح عشرين وسبعمائة، ومن الميضات أربعا وتسعين وتسعمائة وأربعة آلاف، ومن محلات اليهود خمسا وثمانين وخمسمائة وأربعة آلاف، ومن محلات النصارى ستا وسبعين وخمسمائة وأربعة آلاف، ومن كنائس النصارى ثلاثا وأربعين وسبعمائة، ومن [أبواب] (5x) الشوارع أربعة وتسعين وتسعمائة وألف، ومن القهاوي داخلا ثلاث عشرة وستمائة وأربعة آلاف (6x) ومن القهاوي خارجا ثلاث عشرة، ومن " النوزخانات" خمسا وثمانين وخمسمائة وألف، و" ميخانات" ثمانين وأربعمائة، وفيها " كربان سراية" سبعة عشر وأربعمائة، ومن الفنانير ثلاثة عشر وألف، ومن السبايل ستة وسبعين وثلاثمائة. هذا ما قيدته من دفتر الدولة الذي لاشك فيه.

(1x) " لغير رب الحانوت" في باقي النسخ المعتمدة.
(2x) " إحدى" في جميع النسخ المعتمدة.
(3x) ب فيعلمون.
(4x) ز،ج،ك 515.
(5x) سقط من (د).
(6x) ك 6613.

وأما الزوارق فإنهم يزيدون وينقصون، وليس لهم(1x) ضابط، وفي كل يوم يغرق منهم عدد، وقد وقع ريح يوما ونحن بالإسطنبول، فغرق بسببه من الزوارق ألف ومائتان (2x) وكذا.

(زيارة المؤلف لسوق الرخام بالقسطنطينة)

ولما توجهت لزيارة أبي أيوب الأنصاري (181) (رضي الله عنه) (3x)، وخرجت على باب "أدرنة"، مررت بسوق الرخامين الذين يصنعون المشاهد للقبور وآلتها، وينقشونها، ويكتبون أسماء أصحابها (4x)، وتواريخهم، ويصنعون عمائمهم وأنواع القاووق (5x) من الرخام، وأشكالا(6x) غيرها (7x) يلبسها (8x) الأعيان والقواد وأهل المناصب للتمييز، أيام حياتهم يصورونها على هيئتها التي كانت على رأس صاحبها في حياته من أصفر، وأحمر، وأخضر، وأبيض، وأسود من الرخام، وتصبغ وتذهب، وترفع على قوائم من رخام على رأسه في القبر كأنه هو في حياته، ولا تكاد تجد قبرا بلا رخام لغني أو فقير،رجل أو امرأة. وهذا السوق الخارج عن المدينة هو لمرافق المقابر فقط، وأما ما هو لبناء الدور والقصور فأسواقه (9x) داخل المدينة.

وقس على هذا في كل صنعة وحرفة، ولا يتحقق صدق هذا إلا من يشاهده ويعاينه، ويظهر له التقصير في الوصف. وهذا القدر كاف وفي وصف الاسطنبول، وهو عنوانها.

(بعض قوانين الأتراك: زواج الأمراء)

ولا بد من ذكر بعض قوانينهم، وأقتصر على مسألتين لما فيهما من حسن السياسة والنظر السديد، شاهدناهما وقت إقامتنا بالاسطنبول:

وذلك أن هؤلاء الأتراك كانت سيرة ملوكهم مطلقة كغيرهم، يتصرفون في كل شيء، وليس عليهم حجر من سلطان ولا وزير، يتناكحون وينشأ أولادهم كذلك لا حجر عليهم يتزوجون متى شاؤوا. فلما كثر نسلهم وتعدد أولاد ملوكهم، كثر قيامهم وخروجهم على من يملك منهم ويقع الحرب بينهم مراراً إلى أن فتح السلطان محمد الاسطنبول، وانتقل كرسي ملكهم (10x) من أدرنة إليها، وصيرها دار ملكه، ونزل قصر ملك الروم بوسطها،

(1x) " لهم" زيد في طرة (ب) بتصيح.
(2x) "ألفا ومائتين" في جميع النسخ المعتمدة.
(3x) سقط من (ب).
(4x) ج صاحبها
(5x) ج القداوي.
(6x) " وأشكال" في جميع النسخ المعتمدة
(7x) ج،ك غيرهما.
(8x) "يلبسها" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(9x) " فأسواقه" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(10x) " مملكتهم " في باقي النسخ المعتمدة

وعمرها المسلمون، واستمر حالـهم على ذلك، إلى أن ولي الملك السلطان" محمد الثالث بن مراد"، وكان له عدة إخوة، قيل إنهم عشرون نشأوا في نخوة الملك وعزة سلطان والدهم وجاهه، وكلهم يطلب الملك لنفسه.

فلما تولى السلطان محمد، وبايعه أهل الدولة على عادتهم وأجلسوه على تخت المملكة، وقادوا له إخوته، فبايعوه كرها. وفهم السلطان محمد (1x) منهم الحقد والحسد، فأوجس منهم الخيفة وأنس غدرهم، فصار يعالج أمرهم بالتحبب إليهم، والأنس معهم، والاختلاط بهم إلى أن دبر أمرهم.

فبعث لهم يوما، فاجتمعوا عنده ببستان قصره، وتأنس معهم، وخرج كأنه يريد قضاء حاجة، ووجه لهم طعاما مسموما / 147د / وشرابا مسموما وقهوة مسمومة، فأكلوا وشربوا، وتحدثوا في شأنه، واتفقوا على الفتك به، فإذا هم صرعى يموج بعضهم في بعض فدخل عليهم في مماليكه، وأكمل عليهم، ودفنهم في تلك المقصورة التي كانوا بها، ولم يخرج منهم أحد، ففر مماليكهم وخدامهم الذين كانوا بالباب في انتظارهم. وعرف أهل الدولة أن القوم ماتوا، وشاع خبر موتهم في الدولة وغيرها، ففزع أهل الدولة لشيخ الاسلام وأخبروه الخبر، فجمع القضاة والعلماء، وأمرهم بغلق المساجد والمدارس وترك الصلاة فيها.

فلما سمع السلطان ذلك، اختفى خوفا على نفسه، وسرب الأموال في العساكر كلها، فتعصبوا له، وتعصب العلماء للقتلى من أولاد السلطان، وقالوا: "لا بد من قتل قاتلهم" ومرج أمر الناس بالاسطنبول، فاجتمع أهل الدولة والعلماء، ووجهوا لأمراء العساكر في الحضور فحضروا، فراودوهم على تسليم السلطان لإمضاء حكم الله فيه، فقالوا:

"- والله لا يقتل سلطاننا.

- فقال لهم شيخ الاسلام: نحن نجمع بين المصلحة والمفسدة، لا يقتل السلطان، ولا يتصرف على الناس، نجعل (2x) له وكيلا يحول بينه وبين المسلمين، وهو الذي يباشر أمور الرعية والجند".

فاتفق رأيهم على ذلك،وكتبوه في دفتر، وبقي السلطان صورة، والوزير وكيله (3x) ووكيل المسلمين، ثم قالوا: " لا يتم هذا إلا بافراد السلطان عن الرعية، واستقراره بعيدا عنهم"، فأمروا بتأسيس القلعة الجديدة بجوار مدينة الإسطنبول، وفتحوا أبوابها للمدينة كهيأة قصبة مكناسة مع المدينة، وبابها الأعظم مواجه للمدينة كباب منصور العلج، ولها أبواب غيره للمدينة وللفضاء.

(1x) " محمد" سقط من (ك).

(2x) " نجعل" زيد في طرة (أ) بتصحيح.

(3x) "وكيله" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

وانتقل السلطان إليها (1x) في خاصته وعسكره وحاشيته (2x)، ولم يبق في القلعة القديمة التي بوسط المدينة إلا بنات السلطان محمد وأمهاتهن وعبيد الدار، وحجبوا السلطان وحجروه، واستبدوا عليه، وقام بتدبير الدولة رجالها، ورتبوا قوانينها، ومنعوا أولاد الملوك من النكاح ليقل نسلهم، ومنعوهم من الخروج والتصرف وملاقاة الناس، جعلوهم في قفص وهو عبارة عن محل مفرد في قصر السلطان، ولا يخدمهم إلا النساء العجائز اللواتي لا مطمع لأحد فيهن، وكل من بلغ من أولاد الملوك سبعا، يدخل القفص ولا خروج له منه إلا إذا بلغه نصاب الملك أو الموت، وكل واحد من أهل القفص في حجرة واحدة (3x)، لا يجتمع منهم اثنان في محل، فاذا مات السلطان أخرجوا اكبرهم وهو الأقدم، وأجلسوه على تخت المملكة، وقدموا له سبعا من الجواري في هدية، فهن عياله، ويباح له النكاح حينئذ، ويقدمون له ما يحتاج من كل شيء.

وأما ما يخلفه السلطان الهالك فلبناته وأمهاتهن، يخرجن به من دار المملكة إلى القلعة القديمة التي فيها البنات، ويجري (4x) عليهن النفقة، فإذا بلغت واحدة من بنات السلطان، يأتي عبد الدار إلى الوزير فيخبره، ويخبر الوزير السلطان، فيأمره أن يختار لنكاحها، ويجهزها من كل ماتحتاج له من بيت المال،فيجمع الوزير أهل الدولة، ويتكلمون فيمن ينكحها من التجار المتمولين، وغيرهم من أهل الأصول والأموال الذين ليسوا في العسكر، فيعينون أعظمهم مالا، وأكثرهم أصولا، فيبعثون له، فإذا حضر، قال له الوزير: " إن الدولة أقبلت عليك، وإن السلطان اختارك للصهر لمروءتك وعقلك، وزوجك ابنة اخيه السلطان فلان، جعلها الله عليك مباركة سعيدة ميمونة، فقم لشأنك وهيء أمرك لثلاثة أشهر". فما يتكلم ولا يتنصل، ولا يقبل منه عذر، ولا تقله أرض ولا سماء، فيتوجه أيضا لشراء الدار التي تناسب ابنة السلطان / 148د / أو تجديدها إن كان له دار حسنة.

وأما الوزير فإنه يخرج من بيت المال مائة ألف محبوب سلفا، ويجهزها بها من كل ما يحتاج إليه ويكتب في الدفتر إلى أن يستوفي المائة ألف، فإذا بلغ الأجل، حضر الوزير وشيخ الاسلام وقضاة العساكر وقاضي الاسطنبول وأعيان الدولة في يوم معلوم لذلك، ويأتي الزوج بالمهر، وهو مائة ألف محبوب نقدا، وخمسون ألف محبوب حليا وجواهر ويواقيت، فيضع ذلك بين أيديهم، فيوجه الوزير (5x) مائة (6x) ألف محبوب لبيت المال، وهي التي اسلف لجهازها، ويحسب الحلي والجواهر واليواقيت، ويقيد وزنه وثمنه ويجعل في صندوق، فيحمله الزوج إلى

(1x) " إليها " سقط من (ب).

(2x) " وحاشيته " سقط من (ج).

(3x) " وحده" بدل " واحدة " في باقي النسخ المعتمدة

(4x) " وتجري " في باقي النسخ المعتمدة

(5x) " الأمير" بدل " الوزير " في (ج)

(6x) ج المائة.

أن يدفعه لابنة السلطان صبيحة ليلة الزفاف، ويكتب ذلك في رسم النكاح عددا ووزنا وثمنا، وبعد ثلاث يكون الزفاف، وينادي المنادي في الأسواق بالحضور لوليمة ابنة السلطان يوم الخميس، فيتأهب الناس لمشاهدة شورتها في الأسواق التي تمر عليها، من باب القلعة القديمة إلى دار الزوج أينما كانت، ويجلسون في الدكاكين والمقاعد والرحاب والبيوت المطلة على الطريق من حلول النافلة إلى العصر.

وتخرج هذه الشورة وقت الضحى محمولة على الابل واحدا بعد واحد، عليها أحمال الفرش والبسط والستور والوسائد والسرر المختلفة الأشكال (1x)، والشوالي المبطنة بالديباج والموبر، ومعها الفراشون، ثم يتبعهم البرادون الحاملون (2x) صناديق (3x) الكسوة، كل صندوق على بردون، وكلها جديدة مذهبة ومفضضة.

ثم تتبعها العربات، وهي كراريط عليها أحواض من خشب تجرها الثيران، كل عربة تحمل عشرين حملا وأكثر، مملوءة بالنحاس من آلة الطبخ وغيرها من طناجر، وقماقم، ومقالي، وطشوت، وأباريق، وجفان، وقصاع، وصينيات (4x)، وخوابي نحاسية وأشياء لا نعرفها. فإذا فرغت العربات، جاءت المحفات والتخوت والأكداش مغشاة بأنواع التفاصيل المذهبة والمزركشة والسادجة، فيها الجواري التي لابنة السلطان يقدمها كدش (182) عظيم تجره ثمانية من الخيل هو المعد لركوب ابنة السلطان، ومعه جماعة من الخصيان السود والبيض الذين كانوا لوالدها أيام ملكه.وغلب على ظني أن تلك التخوت والمحفات والأكداش، هي عندهم معدة لزفاف بنات الملوك وليست لواحدة منهن.

ثم يتبع هذا، برادين محلاة، على كل واحد صينية من الصفر عظيمة، تفتح ثمانية أشبار بعجلات من نحاس تجريها إذا كانت بالأرض، ومجامير عظام من الصفر بعجلات من نحاس تجريهاإذا كانت بالأرض، على كل بردون واحد، وجفان من صفر على كل بردون واحدة. ثم يتبع ذلك الرجال من العسكر اثنين اثنين، كل واحد حامل حسكة (183) ذهب وحسكة فضة، وبعدهم طائفة حاملين مباخر الذهب والفضة، ثم بعدهم طائفة حاملين أباريق الذهب والفضة وطشوتها، ثم بعدهم طائفة حاملين صواني الذهب والفضة، عليها (5x) بقارش الذهب والفضة، وكؤوس بزروفها منبتة.

ثم بعدهم طائفة حاملين أنواع المرآة من القامة فأسفل كبار وصغار ومتوسطون. ثم بعدهم طائفة حاملين قطائع البلورمغشاة بالحرير فيها أنواع الطيب والعطر، ثم بعدهم طائفة حاملين أحقاقا ملولبة فيها أنواع العود والند (184) والبخور المستعمل. ثم بعدهم طائفة حاملين مرشات

(1x) ك الألكان.
(2x) " البرادين الحاملين" في جميع النسخ المعتمدة.
(3x) ب،ز،ج،ك لصناديق
(4x) " وصينيات" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(5x) " عليها" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

الذهب والفضة.

ثم يتبعهم طائفة حاملين أقفاصا كبارا وصغارا مذهبة ومفضضة، كل قفص على رأس رجل، فيهم أنواع الطير المختلفة الأشكال والألوان الغريبة كالطاووس / 149د / والببغاء، والكنار، والمقنين،وأم الحسن، وغيرهم مما لا نعرفه.

ثم يتبعهم طائفة يقودون الوحوش والغزلان والوعول وحمر الوحش وبقره والأروى، وأشياء لم نعرفها. وغلب على ظني أن ذلك يأتون به من عند السلطان للزينة، وليس هو من قبيل ابنة السلطان.

ثم يتبعهم طائفة من ذوي أسنان الترك ووجوههم كلهم شيوخ، على رأس كل واحد منهم ربيعة فيها ختمة من القرآن، وهم يذكرون الله سرا وعليهم السكينة والوقار، قالوا: " إنهم أعيان عساكر الترك الذين عجزوا عن الخدمة، ووظيفهم الخروج أمام السلطان حاملين الختمات لصلاة العيدين ولزفاف بنات الملوك. هذه خدمتهم،وهم آخر من يأتي في هذه الشورة.

ويوم الجمعة بعد الخميس، يأتي (1x) أعيان الدولة والقضاة والعلماء، وأمراء الأجناد، وأعيان الناس لدار الزوج، فيطعمهم الحلاوات والمرقدات والفوانيد، ويسقيهم الأشربة والقهوة والدخان، ويخرجون.

وفي الليل، تزف ابنة السلطان لدار زوجها (2x)، تركب في ذلك الكدش الكبير ومعها أمها أو حاضنتها، وخلفها خصيان والدها، ويأتون بها لدار زوجها. فإذا أكمل الزوج سنة ولوه عملا من الأعمال أحب أم كره، فيتوجه لخدمة الدولة في البلدان فإذا تشوقت له زوجته بعد السنة، تشفع فيه، فيوجهون له، فيأتيها ويقيم معها ثلاثة أشهر، ويرجع لمحله.

وقد حضرت هذه الشورة لما كنت بالاسطنبول أيام السلطان عبد الحميد رحمه الله في نكاح ابنة أخيه السلطان مصطفى أخت السلطان سليم الذي كان بالقفص، وشاهدنا هذا كما وصفنا، وكان معنا الكاتب السيد محمد بن عثمان والسيد عمر لوزيرق رحمهما الله. هذه إحدى المسألتين.

(مراتب رجال الدولة الترك ومسؤولياتهم)

والثانية، اعلم حفظك الله أن الوزير هو وكيل السلطان ووكيل المسلمين، وهو صاحب الحل والعقد، والدفع والقبض مع أعيان الدولة، وهم ثلاثة، خليفته الذي يقال له ("الكاهي باي"، وكبير الكتاب الذي يقال له " ريص أفندي"، وصاحب الدفاتر والدخل والخرج) (3x) الذي يقال له " دفتر دار" (185)، هؤلاء هم الدولة.

(1x) "يدخل" بدل " يأتي" في باقي النسخ المعتمدة.

(2x) " لدار زوجها" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(3x) ما بين قوسين زيد في طرة (ز) بتصحيح.

وصاحب الأحكام بالمدينة هو " آغة الكشايرية"، وصاحب أحكام السوق وأهل الباعة هو « المحتسب» يقتل ويعلق على أدنى غش، وصاحب الأحكام الشرعية " قاضي الاسطنبول"، وأعلى منه قضاة العساكر، على أيديهما قضاة المملكة كلها، كل واحد منهما يولي ويعزل فيما هو إليه، وفوقهما شيخ الاسلام وهو " المفتي"، هو في مرتبة (1x) الوزير مع أهل الدولة، وكل واحد من هؤلاء القضاة الثلاثة وشيخ الإسلام، إذا مررت ببابه تقول هذه " دار الخلافة" لكثرة غاشيها.

وأما الوزير فشأنه القيام بأمر الدولة، وتولية عمالها وقوادها، وتقويم العساكر لثغورها، وجلب المنافع لها، ودفع المضار عنها، والكلام مع طواغيت أجناس الكفار في السلم والحرب، وتنفيذ دعاوي المسلمين لمن يقوم بفصلها.

وقد جعلوا للقيام بحقوق المسلمين قانونا عجيبا، جعلوا لكل حرفة بالاسطنبول أمينا عليهم،وهو بمنزلة القائد وأعظم، حتى للحمالين والسقائين، وجعل على هؤلاء الأمناء أمينا بمنزلة الباشا [فوقهم] (2x) وأعظم.

فإذا جلس الوزير لعرض المظالم يوما بيوم وقت حلول النافلة يقف الشكاة أمامه صفوفا سكوتا، وكل واحد رسم دعوته في بطاقة مختصرة يسمونها " عرض حال"، يكتبها لهم طلبة بباب الوزير كالعدول ببارة (186)، فيقدم الشواس (187) الأول فالأول، ويدفع الورقة للكاتب فيقرأها على الوزير سرا، ويكتب على ظهرها لأمين الأمناء / 150د / وجه حاملها لأمينه لا غير، وعليها ختم الوزير، ويقدم الثاني، وهكذا.

وان كانت الدعوى في غير الاسطنبول، يكتب على ظهر البطاقة للعامل أو للقاضي، فإذا بلغته البطاقة، إن كانت الدعوى شرعية وجهها للقاضي، وإن كانت غير شرعية فاصلها هو، وإن وجد الشاكي كاذبا، ضربه مائة سوط وسجنه شهرا، فلا تكاد تجد عندهم من يشتكي بالفجور.

وأما أمين الأمناء، إذا أتاه الشاكي بالبطاقة وقرأها، يسأله عن حرفة خصمه ومحله، فإذا عرف حرفته، كتب له على ظهر تلك البطاقة تحت ختم الوزير لأمين حرفته يقول له: " ابحث عن خصم هذا، وفاصله معه " لا غير، ويختم بختمه، ويوجه معه أحد أعوانه إلى أن يدفعه للأمين المكتوب له، فإذا قرأ البطاقة، سأله عن خصمه، فإن عرفه وجه له، وإن لم يعرفه وجه مع الشاكي من يبحث عليه، فإذا حضر وتكلم إن كانت الدعوى شرعية وجهها للقاضي، وإن كانت غير شرعية فاصلها هو (3x)، وإن كان الشاكي كاذبا فيما ادعاه، ضرب مائة، وسجن شهرا. هذا عملهم فيمن هو بالاسطنبول. وإن اشتكى أحد بقائد بلد أو عاملها، كتب الوزير

(1x) "مرتبة" زيد في طرة (ب) بتصحيح.
(2x) سقط من (د)
(3x) " هو" سقط من (ب).

للقاضي يبحث في الدعوة ويفصلها، وإن كان (1x) الشاكي بالقاضي، كتب الوزير للحاكم بالفصل والبحث ولا تقع في أحكامهم شفاعة، ولا تجد فيهم فجورا ولا بهتانا، ولا يطول نزاعهم عند القضاة ولا يجلس الشاكي عند القاضي مرتين.

(كيفية معرفة عدل أو جور الوزير عند الأتراك)

وأما اذا كان الوزير ظالما وجائرا، فلمن يشتكي الناس به؟

فانظر إلى هذه النكتة ما ألطفها وأرقها ! فإنهم جعلوا لذلك مسألة يظهر بها جور الوزير للسلطان دون شكوى، فيعزله وينفيه، أو يقتله إن كان في أمر عظيم.

فإذا كان يوم العيد قبل حلول النافلة، يخرج السلطان من قصره، ويجلس على تخت السلطان الغوري الذي أتوا به من مصر لما ملكوها، بقرب باب القصبة، فيدخل الوزير على الباب ويقبل ديل السلطان ويقف بجنبه، ثم يدخل شيخ الاسلام، فيقبل ديل السلطان، ويقف مع الوزير، ثم يدخل نقيب الأشراف فيقبل ديل السلطان ويقف في الناحية الأخرى، ثم قضاة العساكر، ثم قاضي الاسطنبول، ثم أعيان الدولة، ثم أعيان العلماء.

ويفتح الباب، ويخرج السلطان والعلماء خلفه، فيجد أمناء الاسطنبول واقفين خارج الباب مع أمين الأمناء، فينادي مناديهم بالدعاء للسلطان، ودوام دولته المباركة السعيدة، والسلطان واقف. ثم يدعو بعده للوزير الأعظم الميمون النقيبة، ويتوجه السلطان وأمامه أهل الختمات المتقدم ذكرهم، يذكرون الله إلى باب المسجد، هذا إذا كان الوزير عادلا محببا إلى الرعية ولأهل الدولة.

فإن كان ظالما جائرا، غاشا للمسلمين، وكرهه أهل الدولة، أوصوا المنادي إذا دعا يوم العيد للسلطان لا يدعو بعده للوزير، فإذا خرج السلطان يوم العيد، ودعا المنادي للسلطان ولم يدع للوزير، علم السلطان أن الوزير غير مقبول وأنه ظالم، وعرف الوزير أنه معزول. فإذا خرج من المسجد، توجه لداره، ورتب أموره وكتب وصيته، لأن عزل الوزير لا يتبعه إلا القتل أو النفي.

واذا بلغ السلطان لقصره، وجه للوزير بطاقة يقول له فيها: " لازم بيتك". ومن الغد، يبعث السلطان من يبلغ الوزير للبستان، فيجلس في قبة الموت، ويتكلم السلطان في شأنه مع شيخ الاسلام وأهل الدولة، فإن أرادوا قتله، نسبوا له ما هو من شأنه (2x) الموت، وإن أرادوا طرده والاستراحة منه، خففوا ذنبه، وقالوا: " يستحق النفي". فإن أوجبوا عليه الموت، قتل، وأخذوا خيله / 151د/ وسلاحه ومماليكه وماله الذي في بيته. وأما ما في بيت الحريم،

(1x) " كان" زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(2x) " شان" بدل " شانه" في باقي النسخ المعتمدة.

لا يقربونه، وكذلك أصوله تبقى لأولاده ما كانت. وإن أرادوا نفيه، يوجه له فلوكة يتوجه فيها إلى البلد الذي عينوا لنفيه مفردا، فإذا بلغه، وجه من يأتيه بجواريه وحوائجه، ويبقى بها إلى أن تعطف عليه الدولة، ويولونه عملا من الأعمال يتوجه له ولا يبقى عاطلا.

وهذه صورة مرسى الإسطنبول، وكيفية وضعها بحوله، وهذا البوغاز الذي يدخل لها من بحر الشام وبحر المغرب، ويشق مرساها ويخرج للبحر الاسود. ومن يأتي للاسطنبول من بر الترك وبلاد الروم، يأتي معه (188).

(استطراد: ضخامة مدينة بغداد)

[وجد في نسخة أخرى من هذا "البستان" بعد هذا الكلام، ما نصه (189): وحيث ذكرنا ضخامة دولة الأتراك بالاسطنبول، فلا بد من ذكر ضخامة دولة العرب ببغداد، وما انتهى إليه حالها من المباني العظيمة، والهياكل الفخيمة، والآثار التي علت على ما بناه ملوك الفرس بمدائن العراق، وفاقت ما شيده الروم بالقسطنطينية، وما أسسه ملوك الفراعنة بمصر، وما نمقه ملوك اليونان بالإسكندرية والسلام، وعلى ما تركه الأفارقة بإفريقية.

فقد اشتملت بغداد على ثمان مدن، وكلها مسورة متصلة بعضها ببعض، أبواب كل مدينة تقابل الأخرى، والعمارة متصلة، لا يقطع دورها الراكب في مرحلتين، وكلها تسمى بغداد، يشقها نهر دجلة، وعليه الجسر معمور بالسفن، أولها مدينة "العباسية"، التي شيدها أبو العباس السفاح في خلافته بالأنبار،ثم مدينة " الهاشمية"، التي شيدها أبو جعفر المنصور بالجانب الشرقي قبل بناء بغداد، ثم مدينة " السلام" التي أحدثها أبو جعفر المنصور بالجانب الغربي، وجعلها دار ملكه، وبنى فيها " المدينة الخضراء" التي يضرب بها المثل في الجيادة والعظمة، وهي التي يطلق عليها اسم " بغداد"، ثم مدينة " الرصافة" التي أحدثها ولده المهدي بالجانب الشرقي في أيام خلافته، ثم "المدينة الرشيدية" التي بناها الرشيد بالجانب الغربي أيام خلافته، ثم يجاورها " قصر رشيدة" للرشيد أيضا، ثم يجاوره " قصر الخلد" الذي بناه الأمين أيام خلافته، ثم " المدينة المامونية" التي شيدها المامون لما قدم لبغداد أيام خلافته بالجانب الشرقي، ثم مدينة " سر من رأى" التي بناها المعتصم لما ضاقت عليه بغداد بالجند، وانتقل لها بجنده في الجانب الغربي، ثم مدينة " الصناع" التي تسمى " دار الغز" بجوار " دار السلام"، ثم " المدينة الهارونية" التي شيدها هارون الواثق بن المعتصم أيام خلافته بالجانب الغربي، ثم " المدينة المتوكلية" التي بناها جعفر المتوكل أيام خلافته بالجانب الشرقي، ثم مشهد " الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت" رضي الله عنه.

هذه المدن كلها كانت مصراً واحدا وتسمى " بغداد" كما كانت مدائن الفرس السبع مصرا واحدا، وتسمى " مدائن كسرى" وهي التي خربها المسلمون في الفتح الأول في خلافة أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمنها " القصر الأبيض" المذكور، و"ايوان كسرى" المشهور، ومدينة " الاسكندر"، ومدينة " أبرويز"، ومدينة " سابور ذي الأكتاف"، والقصر

الأعظم الذي لم يبن مثله في الدنيا، وكان به البساط العظيم الذي صور له فيه الحكماء جميع الأرض، وأقاليمها السبعة، وما فيها من البحور والأنهار والمدن، بحيث إذا كان على سرير ملكه، يذكر له الترجمان أماكن كل أمة، وكل ملك، وكل وال كل ناحية حتى لا يغيب عنه من أمور رعيته شيء، ويتذكر بالنظر في ذلك البساط جميع ولايته، ويكون عماله نصب عينيه، فيولي ويعزل، ويزيد وينقص. وهذا الإيوان الأعظم الذي به هذا البساط هو الذي وصفه أبو عبيدة البحتري في "سينيته المشهورة" (190) التي قال عنها " سليمان الكلاعي،" إنه لم يكن لشعراء العرب سينية مثلها، رسمناها بتمامها مع قصائد أخر مثلها مع ذيلها للعلامة الشريف سيدي عبد السلام القادري رحمه الله، وستأتي بعد هذا إن شاء الله.

(نبذة عن تاريخ مدينة اسطنبول)

رجوعا لخبر الاسطنبول] (1x)

/ 152د / وأول من عمر هذه الاسطنبول من الكفار الطاغي " بانقو" بن "ماديان" بن "عملاق" بن "سام" بن " نوح" عليه السلام قبل ظهور " الاسكندر" بتسعمائة عام، وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بألف سنة وستمائة سنة وستين سنة، فهو أول من أسسها إلى أن وقعت بها زلزلة عظيمة جعلت عاليها سافلها، ومات فيها عدو الله "بانقوبن ماديان"، ولم يخرج ممن كان بها أحد، وكان " لبانقو" ولد ببلاد " الأنكروس" يتأدب لم يحضر للزلزلة، سلم.

وبقيت خرابا أربعين سنة إلى أن أمر بعمارتها " بوزنطين بن بانقو" لما تولى مملكة أبيه، وجمع الأيدي عليها وكل مايحتاج إليه من رخام وخشب كان بها، فعمرها في أقرب مدة، وأمر أن تجعل تحت دورها قنانيط مقبوة من الحجر ينزلون إليها بالمدارج يأوون إليها خوفا من الزلزلة، فلا تكاد تجد دارا إلا وتحتها هري مقبو كالقنوط بالحجر، والدور بالخشب، واستمر "بوزنطين" على ضلاله وكفره وعبادة الصنم إلى أن سلط الله عليه الطاعون فهلك هو وقومه، وكان ولده " ميخايل" ببلاد " الأنكروس" يتأدب، فتولى ملك أبيه ونزلها إلا أنها (2x) لم تكمل عمارتها لفناء قومه.

وفي زمنه ظهر «الاسكندراليوناني»، فتركها وبقيت خرابا نحو التسعمائة سنة. ويحكى أن أول من عمرها بعد الطاعون هو " قسطنطين بن علانية" من نسل "بوزنطين"، وصاهر "هرقل" ملك الروم على ابنته " صوفيا"، وبنى لها قصرا عظيما، وزخرفه بأنواع العجائب والغرائب، والاختراعات المدهشة، لم يكن له شبيه في الدنيا. ولما قرب موتها، أمرت ببناء كنيسة عظيمة من مالها، وأوقفت عليها جميع متخلفها وما ملكت من الأموال والرباع، فبنوا

(1x) الاستطراد المحصور بين معقوفتين استدرك في متن.(د) وأتم بالطرة السفلية بخط مغاير وسقط من باقي النسخ المعتمدة في التحقيق.

(2x) " انه " في باقي النسخ المعتمدة.

لها "آية صوفيا"، سميت باسمها. وكانت هي وزوجها على دين عيسى عليه السلام، ولما كمل بناؤها، أمرت ببناء ثلاثمائة حجرة مستديرة، بها في كل حجرة رهبانين يقرآن أنا جيلهما، ويهدون ثوابها لـ"صوفيا".

وقيل إن ابواب الكنيسة المقابلين لمحرابهـا، جلـبـهـم الطـاغـي " قسطنطين" من بيت المقدس، ومحرابها كان لناحية بيت المقدس. ثم بعد حين ارتد عدو اللـه " قسطنطين" وعبد الصنم، وترك دين عيسى عليه السلام. ولما هلك، ملك بعده ولده " إليان".

وفي أيامه ولد سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وفي ليلة ميلاده تزعزع إيوان كسرى وخمدت نار فارس، وسقط الجانب القبلي من "آية صوفيا"، وقيل خسف به إلى الأرض.

وملك بعده ولده " قسطنطين"، وملك بعده " هرقيل"، وبنى الجانب القبلي من "آية صوفيا"، وإليه وجه النبي صلى الله عليه وسلم كتابه مع " دحية بن خليفة الكلبي" رضي الله عنه، ويقال إنه أسلم وكتم إسلامه خوفا على نفسه (1x) من الروم.

هذا ما في تاريخ كمال باشا أفاندي (191)، وعنـد صاحب كتاب البشـائر خـلاف هذا (192).

(الحصارات التي ضربت على القسطنطينية في العصر الاسلامي)

وقال إن أول من غزاها في الاسلام معاوية رضي الله عنه، وحاصرها جيشه ولم يقدر فتحها عام أربعة وأربعين، ثم عاود غزوها وأمير العساكر ولده " اليزيد" ومعه "أبو أيوب الأنصاري" رضي الله عنه، وقاتلوا الكفار، فاستشهد أبو أيوب، ودفن قريبا منها عام واحد (2x) وخمسين.

ولما هلك " هرقل"، ملك ولده " قسطنطين الثالث".

وفي أيام عبد الملك، خرجت عساكر الكفار لبلاد المسلمين، وكان عبد الملك في فتنة " ابن الزبير"، فخاف على المسلمين، فصالح ملك الروم على ألف دينار في كل جمعة يؤديه له، ولما قـتل / 153د / ابن الزبير، واجتمعت الكلمة وجه عساكره لبلاد الروم، لكنها لم تبلغ القسطنطينية.

وفي أيام سليمان بن عبد الملك، غزا أرض الروم إلى " ذابق"، وأقام به، ووجه أخاه مسلمة في العساكر إلى القسطنطينية، فحاصرها وضيق عليها، وطلبه ملك الروم في الصلح على الجزية، دينار لكل رأس فلم يقبل مسلمة.

(1x) " على نفسه" زيد في طرة (ب) بتصحيح

(2x) "إحدى" في جميع النسخ المعتمدة.

ومات سليمان بن عبد الملك " بذابق"، فوجه عمر بن عبد العزيز (1x) لمسلمة بالقدوم، ووجه لهم الدواب لأنهم أكلوا دوابهم من الجوع.

وفي عام خمسة وستين ومائة، وجه المهدي ولده الرشيد في العساكر للقسطنطينية، فصالحه " اليون" على الفدية، وإقامة السوق، ولم يكن حرب.

وفي عام اثنين وثمانين ومائة، وجه الرشيد للغزو عبد الرحمان بن عبد الملك بن صالح، فبلغ مدينة " دقيوس"، وبلغهم أن الروم سملوا ملكهم " قسطنطين بن اليون"، وملكوا أمه "ريني" وتلقب " أغطشه"، فأتخنوا في البلاد ورجعوا.

وفي عام ثلاثة وثمانين ومائة، حملت " ابنة خاقان" ملك " الخزر" إلى " الفضل بن يحي" فماتت " ببردعة"، ورجع من كان معها. فأخبروا أباها أنها قتلت غيلة، فتجهز إلى بلاد الإسلام، وخرج من باب الأبواب وأوقع بالمسلمين، وسبى أكثر من مائة ألف رأس، وفعلوا ما لم يسمع بمثله، فولى الرشيد " يزيد بن مزيد" أمر" أرمينية" مضافة " لأذربيجان"، وأمره بالنهوض إليهم، وأنزل " خزيمة بن حازم" " بنصيبين". وفي عام واحد وثمانين ومائة، غزا أرض الروم " القاسم بن الرشيد".

(السلطان رشيد العباسي يقوم بفتح بلاد الروم)

وفيه خلع الروم " ريني"، وملكوا " نقفور"، فكتب للرشيد بما استفزه، ونهض لغزو الروم، ونازل " هرقلة"، وأثخن في بلادهم إلى أن طلب " نقفور" الصلح، فصالحه على حمل الجزية والخراج، فلما بلغ الرشيد إلى " الرقة"، خبروه أن "نقفور" غدر، فرجع له وعاث في بلاده، وغنم وسبى.

وفي عام تسعين ومائة، دخل الرشيد أرض الروم بسبب غدر " نقفور" في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا من العسكر دون المتطوعة، فنزل على "هرقلة"، وفتحها عنوة، وقتل وسبى، واحتوى على ما فيها، ووجه عساكره لكل ناحية، ففتحوا الحصون، وغنموا الأموال، وسبوا وعاثوا في أقطار الروم ورجعوا سالمين. وكذلك أساطيل البحر غنموا غنائم عظيمة، وسبوا سبعة عشر ألفا من الكفار، وحينئذ بعث " نقفور" الخراج والجزية، على رأسه أربعة دنانير، وعن ابنه دينارين، وعن بطارقته كذلك، وبعث للرشيد في جارية من سبي " هرقلة" كان خطبها لابنه، فبعثها له.

وفي عام ثلاثة ومائتين، قتل " نقفور" ملك الروم في حرب " برجان"، وملك ابنه " استبراق" وكان جريحا، فمات لشهرين. وملك بعده صهره " ميخاييل بن جرجيش"، وبعد عامين وثبوا عليه، فهرب وترهب، فملكوا " اليون القائد".

(1x) ك رضي الله عنه.

وفي عام ثمانية ومائتين، قتلوه وأعادوا " ميخاييل بن جرجيش". ومات عام خمسة عشر ومائتين. وملك ولده " نوفيل" أيام المعتصم إلى أن مات في أيام الواثق عام تسعة وعشرين ومائتين. وملك بعده " ميخاييل" صغيرا، فكفلته أمه " نذورة" إلى عام ثلاثة وثلاثين ومائتين، فقبضها وألزمها بيتها، واستبد بملكه إلى أن قتله قريبه " كسيل الصقلي" عام سبعة وخمسين ومائتين. وتولى الملك، واستمر في ملكه إلى أن قتله (1x) أولاده عام ثلاثة وسبعين ومائتين، وملك أحدهم وهو " لاوي" إلى أن مات [عام خمسة وثمانين ومائتين. وملك بعده ولده " إسكندروس"، وأقام في ملكه إلى أن مات في] (2x) أيام المقتدر عام ثلاثمائة، وملك بعده ولده، واستمر ملكهم عليها واحدا واحدا.

وضعفت دولة بني العباس بعد المعتصم، ولم يبق من يعيث في بلادهم أو يبلغها إلى أن خرج " إرمانيوس" أيام " عبد الله القائم العباسي" والسلطان " البارسلان السلجوقي" في ستمائة ألف من أجناس / 154د / الكفار، ولقيهم السلطان " البارسلان" في اثني عشر ألفا من الترك، وهزمهم، وأسر "ارمانيوس"، وقتل معظمهم عام أربعة وستين وأربعمائة، وفدى "ارمانيوس" نفسه بألف ألف (وخمسمائة ألف) (3x) دينار، ووجهه للقسطنطينية فكحلوه.

وفي عام سبعة وخمسين وثمانمائة، فتحها السلطان محمد من يد " اليان بن قيفور بن يوركي بن ماديان بن هرقيل بن إليان بن ميخاييل بن قيفورين نقفورين اليان بن استيفان ابن قسطنطين بن يوركي بن هرقيل، الذي كتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابه، ابن قسطنطين المعمر لها بن علانية المرتد بن ميخاييل بن بوزنطين بن بانقو المؤسس لها ابن ماديان بن عملاق بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام".

(استطراد: راتب الترك في كل ثلاثة أشهر)

رجوعا إلى الأصل: ولما قدمت من الاسطنبول، سألني السلطان عن مقدار راتب الترك الذي يفرقونه في كل ثلاثة أشهر، فقلت له: " ستين أوقية للواحد". فاستقل ذلك، فقلت له: " إنه لا يكلفهم في الحركة بمؤونة ولا علف خيل، كل أمور السفر عليه".

(السلطان سيدي محمد يوجه الراتب إلى جند الثغور)

وفي عام مائتين وألف، وجه السلطان سيدي محمد للمراسي كلها راتب الجيش الذي بها عن خمس عشرة سنة بحسب (4x) مثقال للواحد في الشهر إعانة لهم، وجعل بكل مرسى بيت مالها، وعند تمام ثلاثة أشهر، يفتح بيت المال ويدفع لعسكرها ثلاثين أوقية للواحد مشاهرتهم حضروا أو غابوا. وأما راتب الحركة وعاشوراء والصدقات فإنه يوجهه لهم من عنده، وهـــذه

(1X) قتلوه في جميع النسخ المعتمدة

(2X) سقط من (د)

(3X) سقط من (ك)

(4x) ك بحساب.

المشاهرة جعلها إعانة لأولادهم.

(عدد جيوش السلطان سيدي محمد بالثغور)

وكان عدد جيش " السويرة" والطبجية والبحرية خمسا وعشرين مائة، و"بآسفي" مائتين بحرية ومائتين طبجية.، و"بطيط" عبيد خمسمائة، و"بأزمور" عبيد خمسمائة، و "بأنفا" عبيد خمسا وعشرين مائة، و"بالرباط" بحرية وطبجية ألفين، و" بالمهدية" عبيد خمسا وعشرين مائة، و"بالعرائش" جيش وبحرية وطبجية خمسة عشر مائة، و«بأصيلا» والساحل " بحرية وطبجية مائتين، و"بطنجة" أهل الريف ستة وثلاثون مائة، و"بتطوان" عسكر وبحرية وطبجية ثمانمائة.

فكان جملة عسكر المراسي ستة عشر ألفا وخمسمائة يقبضون ثلاثين أوقية للواحد في كل ثلاثة أشهر، واستمر ذلك إلى أن مات السلطان عام أربعة ومائتين وألف، فقسم العبيد المال الذي ببيوت الأموال بالمراسي بأمر اليزيد، وتوجهوا لمكناسة.

(حركة السلطان سيدي محمد لشراگة والحياينة)

وفي عام واحد ومائتين وألف، حرك السلطان لشراگة فنهبهم، واستحرموا بضريح أبي الشتاء (193)، فعفا عنهم.

وتوجه للحياينة فنزل على زرعهم، وأطلق أيدي العساكر على حصده ودرسه إلى أن استصفاه، وأمر العساكر بقصدهم، فتبعوهم إلى أن استأصلوا حللهم وأموالهم.

(السلطان سيد محمد يقلد المؤلف ولاية تازة)

وكنت حينئذ توجهت بمحلة أبلغتها لعامل وجدة، فلما عدت، وجدته ببلاد الحياينة، فقلدني ولاية تازة وأعمالها، فتوجهت لها وأقمت بها سنة.

وفي هذه السنة ورد ولده مسلمة من الشرق، وترك أخاه اليزيد به.

(تكليف المؤلف بالإشراف على تدريب عبيد تافيلالت على ركوب البحر)

وفي عام اثنين ومائتين وألف، أمر السلطان آيت عطة أن يوجهوا له ستمائة رجل وأربعمائة من عبيد تافيلالت ليدفع لهم السلاح والكسوة، فقدموا عليه لمكناسة. فبعث لي، فقدمت من تازة. فأمرني أن نتوجه بهذا الألف لتطوان حتى يقبضوا السلاح والكسوة، وأتوجه بهم لطنجة يتدربون على ركوب البحر في الغلائط العشرين التي بها (1x)، يركبون كل يـــوم،

(1x) بها زيد في طرة (ب) بتصحيح.

ويخرجون للبوغاز وسواحل " اسبانية"،فتوجهت بهم لتطوان إلى أن قبضوا سلاحهم وكسوتهم، وتوجهنا لطنجة، فأقمنا بها شهرين وهم يركبون الغلائط في كل يوم، ويخرجون للبوغاز ويطرقون سواحل " اسبانية"، ويتطاردون مع بعضهم بعضا إلى أن تدربوا / 155د / على ركوب البحر وألفوه، وزالت عنهم دوخته.

(السلطان سيدي محمد يقلد المؤلف ولاية سجلماسة)

وأقبل فصل الشتاء، فكتب لي بالقدوم [لحضرته] (1x)، فقدمت معهم. ولما اجتمعنا به في مشور أعده لنا، وقدم إلينا إلى أن كان في وسطنا، وتكلم مع البربر بلسانهم، وسألهم عن سفرهم، وسره ما سمع منهم ونشط.

فقال لهم: " هذا صاحبي وكاتبي، وإني وليته عليكم وعلى اولادي وبني عمي وعلى عامة أهل الصحراء، فاسمعوا له وأطيعوا".

فلما سمعت ذلك، انقلب مزاجي وخرس لساني عن الكلام، ولم أنطق ببنت شفة ففهم مني كراهية ذلك، ودخل لبستانه، وبعث لي. فلما دخلت عليه، قال لي: "طيب نفسك، فلولا أني أحبك، ما وليتك على أولادي وأهل بيتي، وإني لا أستغني عنك، وذلك "ابن احمد" الذي وليته سجلماسة لم تظهر لولايته ثمرة، كل يوم تأتيني شكاية بولدي "الحسين"، وانه يظلم الناس ويأخذ أموالهم، ولا يمنعه من الظلم. فما وجهتك إلا بسبب أولادي وبني عمهم، فإنهم لا يقدرون على امتداد أيديهم لأموال الناس، ويخافونك لمحلك عندي".

وأمر بكتب المكاتب لجميعهم ولأهل سجلماسة، (وعين لي مالا للصائر والبناء، وودعته وانصرفت. ومن الغد، خرجنا لفاس، ومنها لسجلماسة) (2x)، فدخلناها وأقمنا بها، وتوجه العامل الذي كان بها لحضرة السلطان، فقبضه ونكبه وسجنه.

(رجوع مولاي اليزيد من الحج ونزوله بسجلماسة)

وفي عام ثلاثة ومائتين وألف، قدم اليزيد من المشرق مع ركب الحاج الفيلالي إلى أن بلغ " أبو صمغون"، واجتمع برفقة من أهل سجلماسة، فسألهم عن الوالي بها، فذكروني له. فتكلم مع شيخ الركب ومن معه من الأشراف، وقال لهم: " إني كنت متوجها لبلادكم واستحرم بضريح جدنا مولاي علي الشريف، وتتوجه جماعة من بني عمنا وذوي أسنانهم للشفاعة فينا عند والدنا، وحيث الوالي فلان -يعنيني- لا يستقيم لنا معه عمل، ولا يخيط بيننا وبين والدنا بخيط أبيض، وحتى الآن، هذا عيالي يتوجه به أصحابي معكم لسجلماسة ينزل بدار أخينا سليمان، وأنا أتوجه للشيخ عبد السلام".

(1x) سقط من (د).

(2x) ما بين قوسين زيد في طرة (ب) بتصحيح.

فقدم أصحابه مع عياله من جملة الركب، وكتب لأخيه سليمان على عياله، ولأخته حبيبة بالرتب، ولبني عمه. ولما بلغوا للقنادسة، تقدم صاحبه بالمكاتب ورد بها لمولانا سليمان، فلما قرأها تغير وتحير، وقدم علي بها، وقال:

" - هذه مكاتب اليزيد، وجه عياله لداري، وأنا لا أقدر أن أنزلهم عندي مع دعاء والدي، وما هو عليه من العقوق معه.وان بلغه أني أدخلتهم داري، ألحقني به. فما العمل؟ وكيف الخلاص من هذه الورطة؟

- وقلت له: هون عليك، فلا يصل عياله لهذه البلدة، وإن دخلها لحقني ما يلحقك، فأرح نفسك".

وكتبت كتابا لشيخ الركب الشريف عبد الله بن علي أقول له: كيف بك، وأين غاب عقلك حتى تأتي بعيال اليزيد معك، مع ما علمت من سخط السلطان عليه وعلى من يأويه أو يطعمه ويسقيه؟! ولمن أردت أن تدفعه؟ ومن يقبله منك؟.

فخبرني هل عولت أن تنزله بدارك أو تدفعه لغيرك ؟ فليس هنا من يقبله منك، وأقسم لك بالبيت الحرام، وزمزم والمقام، إن (1x) صحبته معك، لا دخلت لهذه البلاد إلا مكبلا، وعلى هذا كن معولا، فادفع عنك عياله وأصحابه إلى طريق الرتب يتوجهون به لأخته حبيبة، وقد حذرك من أنذرك، والسلام".

فلما قرأ مولانا سليمان الكتاب، زال قنطه، ورجع له نشطه، واستراح مما أصابه، ووجهت الكتاب مع أربعة من الخيل وأوصيتهم. فلما اجتمعوا بشيخ الركب وقرأ الكتاب، بدا له ما لم يحتسبه، وكان شريفا مغفلا، فأوقف الركب إلى أن بلغ أصحاب اليزيد بعياله، فوجه معهم من يدل بهم الطريق على وادي "گير" إلى الرتب. وكتبت للسلطان أعلمه بالخبر، فلما ورد الجواب قال :" أحسنت رضي الله عنك، ولا تتكرهم / 156د / بالرتب، وجه لهم ثلاثين من العبيد والبهائم والزاد، ويتوجهون بهم لأمه بدار دبيبغ". ففعلت، وكان السلطان أخرجها من داره وأسكنها بدار دبيبغ. وهذه المسألة اعتدها علي اليزيد ثانية الأولى السابقة.

(مولاي اليزيد يستحرم بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش)

ولما بلغ ضريح الشيخ عبد السلام، وجه الأشراف للشفاعة فيه، فأمرهم السلطان أن يأتوا به، فامتنع. فوجه (2x) له ثانيا، فأبى. فكتب له مرارا بالعفو، فلم يقبل، وتصدى لعصيانه ومخالفته، وصار يكتب لوالده في أجوبته مقالات لا تصدر عن عاقل ولاجاهل إلى أن أعياه أمره.

(1x) ك أو

(2x) " ثم وجه" في باقي النسخ المعتمدة.

فوجه له أخاه مسلمة في عسكر ينزلون بقربه، ويمنعونه النزول من الحرم. ثم وجه له عسكرا ثانيا مع قائدهم العباس، فنزل بقرب الحرم من الناحية الأخرى يمنعونه النزول والتصرف، وضيق عليه من كل وجه.

(وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله)

وخرج السلطان من مراكشة بقصده وهو مريض بغصته، وتحمل مشقة المرض والسفر، (فتزايد به المرض) (1x) في الطريق ستة أيام، ومات رحمه الله يوم دخوله للرباط بقربه، وهو في محفته، فأسرعوا به إلى داره، وجهزوه ودفنوه بقبة من قبب داره رحمه الله ورضي عنه، وكان ذلك في رجب من عام أربعة ومائتين وألف (194).

(ما خلف السلطان سيدي محمد من الأبناء)

وكان له عدة أولاد أكبرهم أبو الحسن علي والمامون وهشام وعبد السلام، لربة الدار لالا فاطمة بنت عمه سليمان.

وعبد الرحمان، أمه حرة هوارية.

ثم اليزيد ومسلمة، أمهما مملوكة رومية.

ثم الحسين وعمر، أمهما حرة من الاحلاف.

ثم عبد الواحد، أمه حرة من أهل الرباط.

ثم سليمان والطيب وموسى، أمهم حرة من الاحلاف.

ثم الحسن وقدور، أمهما حرة من الاحلاف.

ثم عبد الله أمه حرة من بني حسن.

ثم إبراهيم لمملوكة رومية.

(مرتبة مولاي سليمان عند والده سيدي محمد بن عبد الله)

وكان سليمان أعلق بقلبه من جميعهم، لسعيه فيما يرضي الله ورسوله ووالده، واشتغاله بالعلم والعكوف عليه بسجلماسة، ولم يلتفت إلى غيره مما يتعاطاه إخوته الكبار والصغار من أمور اللهو كالصيد والسماع ومعاقرة الندمان، ومعاطاة ما يستر العقل (2x)، ويشين المروءة، وما ينشأ عن ذلك من الظلم والجور، ولم يرتكب فاحشة قط من صغره إلى كبره.

(1x) سقط من (ك)

(2x) ك البال والعقل.

وكان والده رحمه الله يرى له ذلك، ويثيبه عليه بالعطايا العظيمة، والدخائر الثمينة، والأصول المعتبرة التي تغل الألوف، وينوه بذكره في المحافل، ويوجه له أعيان الفقهاء والأدباء لسجلماسة للقراءة عليهم، ويدعو له في كل موقف على رؤوس الخواص والعوام، ويقول: " إن ولدي سليمان رضي الله عنه، ما بلغني عنه قط ما يكدرخاطري عليه، فأشهدكم أني عنه راض، ونشأ نشأة حسنة،وكنت أرجو وأعتقد أن يرفعه الله بذلك، ثم قد فعل، فلله الحمد".

(رؤيا المؤلف عن التوصية بولاية العهد لمولانا سليمان)

وكنت وأنا معه بسجلماسة، رأيت في عالم النوم أن والده أمير المومنين، أمرني بالقدوم عليه لمراكش، فلما وصلت لبابه وخرج الإذن بدخولي عليه وجلست بين يديه، قال لي رحمه الله: إنما وجهت لك لأمر أقلقني وأسهرني، وما عرفت وجه المخرج منه، ولعل يكون الفرج والمخرج (1x) برأيك، هؤلاء أولادي أتعبوني، وكنت أرجو أن يكون لي معينا منهم على أمور الخلق، فما حصلت منهم على طائل، فما عندك ؟

فقلت له: " يطيل الله عمر سيدنا ويبقيه للمسليمن. فأين سيدنا عن ولده سليمان؟ ففيه الكفاية والغناء في كل ما تسنده إليه، وتكله إلى نظره. فإنه والله الترياق المجرب، وقد تأدب وتهذب، وعانى أمور الخلق، ومن يوم قدمت لسجلماسة، وهو ملازم لي بمجلس الحكم. ففراسته صادقة، ونبالته فائقة، يوفي كل ذي حق حقه مع عدل وزهد فيما (2x) في أيدي الناس".

فقال لي بهذه العبارة: " عافاك، ما قلت إلا الحق، اكتب بيعته، وسر في حفظ الله / 157د/، ونادي بخلافته في كل قبيلة مررت بها".

وانتبهت. فلما أصبح، قصصت عليه الرؤيا، فضحك وقال:

- هذا شيء لا يكون.

- فقلت: والله يكون ذلك، وهذه الرؤيا كفلق الصبح، فلا تهمل أمرها".

(1x) " والمخرج" سقط من (ج).

(2x) "عما" في باقي النسخ المعتمدة.

ذكر جملة من فضائل هذا السلطان ومآثره وما وفقه الله اليه من البر والاعتناء بأمرالجهاد وماشيد من المساجد والمدارس والزوايا والرباطات والقناطر

(مآثر السلطان سيدي محمد بمراكش)

فمن ذلك بمراكش ضريح الشيخ ابي العباس السبتي، ومسجده ومدرسته . وضريح الشيخ التباع (195) ومسجده، وضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (196) ومسجده وضريح الشيخ الغزواني (197) ومسجده، وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده، وضريح مولاي علي الشريف ومسجده الأعظم، وضريح الشيخ ميمون الصحراوي، ثم المسجد الاعظم ببريمة ومدرستاه، واصلاحه للمسجد الاعظم المنصوري، والمسجد الأعظم بباب دكالة، والمسجد الأعظم بباب إيلان، والمسجد الأعظم بالرحبة، ومسجد القصبة ومدارسها الستة، ومسجد زاوية الشرادي (198)، ومسجد السيد شاكر (199) .

(مآثره بالصويرة وآسفي)

ومدينة السويرة، ومساجدها، ومدارسها، وصقائلها وأبراجها، وكل ما فيها من رباع ومسجد آسفي ومدرسته.

(بناء طيط وأنفا وفضالة)

ومدينة طيط (200) ومسجدها .

ومدينة أنفا (201) ومساجدها ومدارسها، وحمامها، وصقائلها وأبراجها .

ومدينة فضالة (202) ومسجدها ومدرستها) (1×).

(مآثره بمدينة الرباط)

ومسجد المنصورية، ومسجد السنة (203) الأعظم بالرباط ، ومساجد اگدال الستة به ومدارسهم، والصقائل والابراج به .

(1 X) ما بين قوسين زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(مآثره بالعرائش وطنجة)

ومسجد العرائش، ومدرسته، وصقائلها، وأبراجها، واسواقها. وصقائل طنجة، وابراجها .

(مآثره بمكناس وفاس)

ومسجد الازهر ومدرسته بالاسطبل ، ومسجد البرادعيين بمكناسة، وضريح الشيخ ابن عيسى (204) بها، وضريح سيدي سعيد (205) ومسجده بها، ومدرسة الشاوية بالقصبة، ومدرسة الصهريج، ومدرسة الدار البيضاء، ومسجد بريمة ومدرسته، ومسجد هدراش و مسجد باب مراح .

وثلاثة اقواس (1X) بقنطرة وادي سبو بفاس، وضريح الشيخ علي بن حرزهم، وضريح دراس بن اسماعيل (206)، وضريح أبي عبد الله التاودي (207)، ومدرسة باب الجيسة، ومسجد تازة ومدرسته .

(مآثره بسجلماسة)

وضريح مولاي علي الشريف بسجلماسة، وقصبة الدار البيضاء، ومسجدها ومدرستها، ومسجد الريصاني (208) ومدرسته، والمسجد الاعظم ومدرسته وميضاته بسجلماسة (2x). وأوقافه على المارستان بفاس ومراكشة .

(مارتب السلطان سيدي محمد من الأموال والصلات على شرفاء المغرب والمشرق)

ورتب للأشراف بتافيلالت في كل سنة مائة الف مثقال من غير ما يعطيهم في أيام السنة متفرقا .

ولأهل الحرمين الشريفين، وشرفاء أهل (3X) الحجاز واليمن مائة الف مثقال في السنة .

وأشراف المغرب مائة الف مثقال في كل سنة .

وللطلبة والمؤذنين والقراء بالمكاتب وأيمة المساجد، تأتيهم صلته في كل عيد.

(ما أنفقه السلطان سيدي محمد من الأموال في الجهاد)

وما ينفقه في الجهاد على الرؤساء والبحرية والطبجية، وما ينفق على المراكب الجهادية، والآلات الحربية التي ملأ بها المغرب بعد فقدها منه، فشيء لايحصيه قلم كاتب .

(1 X) " أقواس " زيد في طرة (ب) بتصحيح.

(2 X) " بسجلماسة " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(3 X) " أهل " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

وأما ما أنفقه من الأموال في فكاك أسرى المسلمين من بلاد الكفار حتى لم يبق بها أسير من المغرب ولا من المشرق ولا من الترك . ولقد بلغ عددهم في عام مائتين وألف، اربعين الف أسيرونيف .

وأما اعتناؤه بالمراكب القرصانية، فد بلغ عددها عشرين كبارا من المربع، وثلاثين بين البراگطني (1x) والفراگط والغلائط.

وبلغ رؤساء مراكبه ستين رئيسا كلها بمراكبها، وبلغ عسكر البحرية الفا من المشارقة وثلاثة آلاف من المغاربة، ومن الطبجية ألفين، وبلغ عسكره من العبيد خمسة عشر الفا، ومن الاحرار سبعة آلاف .(وأما عسكر القبائل الذي يحرك مع الجيش، فمن الحوز ثمانية آلاف، ومن الغرب سبعة آلاف .(2X)

(سياسة السلطان مع دول الافرنج وغيرهم)

وكانت له هيبة عظيمة في مشوره وموكبه يتحدث الناس بها . وهابه (3x) ملوك الترك وطواغيت الروم ، ووفدت عليه رسلهم /158 د/ بالهدايا والتحف يطلبون مسالمته ومهادنته في البحر لا عن قوة، وما بلغ ذلك الا بسياسته وعلو همته، حتى عمت مسالمته اجناس النصارى كلهم غير جنس "الموسكو"، فانه لم يساله لمحاربته مع السلطان العثماني، فقد وجه رسوله بهدية لطنجة، وطرده السلطان ولم يرد مسالمته، ووظف عليهم الوظائف يعطونها في كل سنة، ويستجلبون خاطره بالهدايا والالطاف، وكلما وجه لطاغية في أمر، أسرع اليه ولو كان محرما في دينه، ويحتال لقضاء أغراضه منهم بكل وجه أحبوا أم كرهوا .

وكان أقبح طواغيتهم، طاغية الانجليز والفرنسيس، لايؤدون ضريبة مثل غيرهم من الاجناس، ويأنفون من أدائها ظاهرة، فكان يستخرجها منهم خفية، وأكثر منها باستعمال الحيلة .

وكان رحمه الله عالي الهمة، يحب الفخر ويركب سنامه، ويخاطب ملوك الاتراك مخاطبة الاكفاء، ويخاطبونه مخاطبة السيادة، ويمدهم بالاموال والهدايا .حتى علا صيته عندهم، وحسبوه أعظم منهم مالا ورجالا.

(بعض أوصاف السلطان سيدي محمد)

وكان يعطي عطاء من لايخاف الفقر، ويضع المسائل (4x) في محلها، ويعرف مناصب

(1 X) " البراكنطي " في باقي النسخ المعتمدة.
(2 X) زيد في طر .(ب) (ز) (ج) بتصحيح.
(3 X) أ وهابوه
(4x) ك ويطعم السائل

الرجال، ويؤدي حقوقهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعي لأهل السبقة سوابقهم، ويتفقد احوال خدامه في الصحة والمرض، ولا يغفل عمن عرفه قبل الملك. [وكان متواضعا، شاكرا لنعم الله، كلما ورد عليه فتح أو خبر يسر العالمين يسجد في وسط المشور شكرا لله] (×1) .

وكان من الشجعان المذكورين في وقته، يباشر الحروب بنفسه، ويهزم الجيوش بهيبته، وكان يقتني الرجال، ويعدهم ليوم ما، وينادي كل واحد باسمه وقت اللقاء، ويوجه كل بطل منهم مع قبيلة ومع كتيبة من كتائب العسكر، ويعمل بعمل أهل السياسة في الحروب . وكان رحمه الله يقول اذا وجه احدا ممن يعرف نجدته وشجاعته، هذا البيت: رجز (×2)

والناس ألـــف منـهـم كـــواحــــد ووواحــد كـالألــف إن أمــر عــنــا

بل قد جرب ذلك، فوجد الواحد خير من العشرة آلاف .فان الشجعان وان قلوا، فهم في العساكر كالانفحة في الطعام . وسأحكي لك (× 3) ما تستدل به على ما قلت:

(استطراد: أخذ النصارى مدينة وشقة)

فقد ذكر الطرطوشي: أنه لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية " ابن تدمير" على مدينة وشقة (209) بالاندلس، وكان العسكران متكافئين (4x)، كل عسكر نحو العشرين ألف مقاتل بين الخيل والرجال، فقال الطاغية لوزيره:

" - عد لي شجعان المسلمين الذين تعرفهم باسمائهم .

فعد له سبعة . فقال له (× 5):

- عد لي شجعاننا .

فعد له ثمانية . فطرب الكافر، وفرح واستبشر، وقال: " غلبناهم والله ".

فلما وقع اللقاء، كان الامر كما قال . وأخذ النصارى مدينة وشقة وملكوها . والامر بيد الله .

(بيتان لسليمان الحوات في رثاء السلطان سيدي محمد)

وقد وقفت على بيتين للفقيه الاديب، سيدي سليمان الحوات (210) في تاريخ وفاة سيدي محمد رحمه الله، وهما:

(1x) سقط من (د) وزيد في طرة) (ز) بتصحيح

(2x) " رجز" سقط من باقي النسخ المعتمدة .

(3x) ج من ذلك .

(4x) "متكافئان " في جميع النسخ المعتمدة .

(5x) " له " سقط من باقي النسخ المعتمدة .

مـــات أمـــيـــر عـــصـــرنـــا محمـــد وقـــد كـــفـــى الله الـــيـــزيـــد شــــره

وإن تـــرد تاريـــخـــه فـــإنـــه قـــد قـــدس الله الـــعـــزيـــز ســــره

وما كان من حقه أن يصف السلطان الجليل، بهذا الوصف السقيم العليل، ولو أجمل وقال:

مـــات أمـــيـــر عـــصـــرنـــا محـــمـــد وحـــرم الله الـــيـــزيـــد أجـــره

وإن تـــرد تـــاريـــخـــه فـــرشـــد وقـــدس الله الـــعـــزيـــز ســـره

لكان أولى وأحسن من وصفه بالشر، وأقرب من تلك الجملة وأخصر .

التعاليق والهوامش:

(1) حكيم معمر، عرف في الجاهلية قبل ان يعرف في الاسلام، قيل إنه كان نجارا أو راعيا او عبدا . اتاه الله الحكمة، وانزل فيه سورة في الذكر الحكيم، وهي سورة " لقمان " . الترجمانه الكبرى ص 409.

(2) وهو عبد الله روزبه المعروف بابن المقفع، من اشراف فارس، كان على جانب كبير من الحكمة. قضى جل حياته في خدمة خلفاء بني امية، كما حظي بمكانة مرموقة في ظل العباسيين، توفي قتيلا سنة 142 هـ / 759 م على وجه التقريب . له " الادب الكبير" و " الادب الصغير" ، و" كليلة ودمنة" وغيرها .

بروكلمان ، تاريخ الادب العربي 3:92 والا حالات .ج زيدان، تاريخ اداب اللغة العربية 2 : 131 - 134 . الفاخوري، تاريخ الادب العربي434 - 471.

(3) وهي البيعة العامة، وقد كانت بجامع الكتبيين بمراكش وذلك في 4 ربيع الاول 1171 هـ/ 16 نونبر 1757م. ويستخلص من مختلف المصادر التاريخية أن بيعة أهل فاس سبقت هذه البيعة، وقد كانت غيابية وذلك غداة دفن والده مولاي عبد الله في 28 صفر 1171 هـ/ 11 نونبر 1757م.

نشر 4 : 128 . حوليات النشر ص 82 . الضعيف 1:298 . تقييد القادري ص 279. الشجرة الزكية ص 366 . الجيش 1 :134. الاستقصا 8 : 3 - 4 . إتحاف 3 :153.

(4) كان وصول سيدي محمد لفاس في أواخر ربيع الثاني 1171 هـ/ أوائل يناير 1785م عقب الزيارة التي قام بها الوفد الفاسي لمكناسة بعد حلول السلطان بها .

(5) لفظة عامية مغربية، تطلق على " الخرج" ، وهو وعاء معروف يوضع على ظهر الدابة .

(6) وحدة قياسية للدرهم، تساوي ربع أو قية.

العز والصولة 1 :399 . التقاط ص 157 هامش 2 . الاكسيرص 119 هامش 1.

(7) انظر كذلك حوليات النشر ص 83 . الجيش 1 :135 - 137. الاستقصا 8 : 5 - 6، إتحاف 3 :155.

(8) راجع عنه تاريخ تطوان 2 : 256 ومابعدها .

(9) كان ذلك في ذي القعدة 1171 هـ/ شتنبر 1758 م . وعن تفاصيل هذا الحدث. انظر: الضعيف 1 : 303 . الجيش 1 : 137 . الاستقصا 8 : 10، اتحاف 3 :157.

(10) وهو محمد بن قاسم جسوس، شيخ الجماعة بفاس، والمتوفى بها في رجب 1182 هـ .
نشر 4 : 188 - 192.

(11) انظر مقدمة التحقيق ص 92 .

(12) " عبد الرحمان المنجرة" ،، أحد كبار مشاهير مدينة فاس، أصله من تلمسان . حظي بشهرة واسعة في علوم الدين والادب . توفي بفاس في 5 ذي الحجة 1179 هـ/ 15 ماي 1766م .

يراجع عنه محمد الاخضر، الحياة الادبية ص 286 وهامش 34.

(13) انظر مقدمة التحقيق ص 92 .

(14) " محمد بن عبد الصادق الدكالي الفرجي، علامة وفقيه مفتي نوازلي . ولي الخطابة بمسجد الشرفاء بفاس، كما كان له كرسي لتدريس مختصر خليل وشرحه بجامع القرويين. ترددت اليه الفتوى لمدة تناهز 30 سنة . وقد كانت وفاته في شعبان 1175 هـ/ فبراير 1762م .

نشر 4 : 143 . التقاط ص 443 . سلوة 1 : 273 . الفكر السامي 4 : 123.

(15) انظر مقدمة التحقيق ص 94 .

(16) يشير الى الزاوية التي اختطها الشيخ عبد الرحمان الفاسي المشهور بالعارف، وموقعها بحي القلقليين من فاس القرويين، وبهذه الزاوية عدة مقابر للسادات الفاسيين .

وقد زاد فيها السلطان مولاي اسماعيل ووسعها على الهيئة التي كانت عليها زمن المؤلف.

نشر 2 : 294. 3: 152 - 154. 4 : 166 - 167 . لوتورنو، فاس (النص المعرب) 1: 198.

(17) وهو البرج الواقع عن يسار مصب نهر مارتيل على شاطئ البحر المتوسط، والمقصود هنا تجديده فقط، اذا يعود تاريخ بنائه الى عهد مولاي اسماعيل وذلك عام 1132 هـ/ 1720م .

تاريخ تطوان 2 : 49.

(18) " أنجرة" قبيلة جبلية تمتد شرقي الفحص على شاطئ البحر بين طنجة وتطوان، تتركب من عدة عشائر كالبحراويين والبرقوقيين والغرباويين والفخامة وبني مزالة وغيرها .

انظر تاريخ تطوان 4 : 57 وما بعدها .

(19) ابو الحسن علي مرسيل، أحد رجال الهندسة والتنجيم بمدينة الرباط، وهو الذي كلف بعقد الصلح من طرف مولاي محمد مع فرنسا عام 1179 هـ/ 1767م.

توفي عام 1188 هـ/ 1775.

الاستقصا 8 : 25 . إتحاف 3 : 266.

(20) برج كبير للمراقبة، توضع به المدافع للدفاع عن المرافئ.

(21) تطلق لفظة " إقامة" على مواد أو نحوها تستخدم في تهييئ شيء أو صنعه أو تجهيزه.

(22) مفرده " صار"، والصاري عمود ضخم يوضع على سطح السفينة لتشد اليه الحبال.

لسان العرب 14 : 460.

(23) حبال غليظة من قنب تستعمل في السفن.

العز والصولة 1: 245 هامش 4 .

(24) جمع " مخاطف "، وهي في اصطلاح المغاربة " المرساة " التي تستعمل لرسو السفن .

الاكسير ص 20 هامش 3.

(25) شراع السفن .

(26) مفرد " بتية"، وهي لفظة عامية .قد يكون أصلها تركيا، ويقصد بها "برميل معدني" .

(27) " الرتب "، إحدى جهات اقليم عمالة قصر السوق في الجنوب الشرقي من المغرب على ضفتي وادي " زيز" عند انتهاء " مدغرة" الى منطقة " ايردي" الرملية الجرداء.

التقاط ص 137 هامش 5.

(28) أحد أبناء مولاي اسماعيل، قام على أخيه مولاي عبد الله في أواخرحكمه، وعلى ابنه سيدي محمد داعيا لنفسه بالملك بتافيلالت حيث كان يحظى بوجاهة كبيرة، وبقي بها الى أن ابعد عنها الى مكناس عام 1197 هـ/ 1783م وكان المؤلف هو الذي كلف بهذه المهمة بأمر السلطان سيدي محمد .

الاستقصا 8 : 51 . إتحاف 3 :177.

(29) عن هذه الاحداث، انظر كذلك: نشر 4 : 135 . حوليات النشر ص 86. الضعيف 1: 308 . الجيش 1 : 139 . الاستقصا 8 : 13 . الاتحاف 3 :158.

وضمن حوادث عام 1173 هـ/ 1760 م، ذكر المؤلف في ترجمانه احداث عزل السلطان للقاضي عبد العزيز أبي عبد لي، وعبد القادر بوخريص .

الترجمان المعرب (النص المطبوع) ص 72 - 74.

(30) أصله من عرب الشاوية و انقطع لخدمة شيخه " سيدي أحمد بن يحيى " دفين حي النواعريين بفاس. توفي سنة 1014 هـ/ 1606 م، ودفن بزاويته الكائنة بحومة " الجرف " المطل على " العيون "بفاس القرويين، ثم أطلق اسمه على الحي نفسه، وبه يعرف إلى اليوم.

نشر 1 : 132 - 133 . سلوة 1 : 274 - 280 .

(31) " قدور بن الاخضر"، أحد قواد مولاي محمد على جيش الوداية، صاحب السلطان في كثير من حركاته، وظل وفيا له الى آخر حياته .

(32) عن هذه الاحداث، انظر كذلك الجيش 1 : 160 . الاستقصا 8: 15. اتحاف 3 :160. ومابعدها .

(33) الحاج محمد الصفار، عامل مدينة فاس منذ عهد مولاي عبد الله . كانت وفاته في جمادى الاولى 1181هـ/ 1768م .

(34) فقيه علامة ، ومفتي نوازلي . توفي بفاس عام 1178 هـ/ 1765 م .

نشر 4 : 249 . الضعيف 1 : 316 . اتحاف 2 :79 .

(35) للمزيد من التفاصيل عن هذا الحدث، انظر الجيش 1 : 142 - 143 . استقصا 8 :17 .

(36) " أبو العباس عبد الله المامون "، سابع خلفاء بني العباس، حكم فيما بين 198 هـ و 218 هـ/ 813 - 833 . شهد عصره نهضة علمية وفكرية كان لها كبير الاثر على تطور الحضارة الاسلامية .

يراجع عنه: الطبري 10 : 226 . ابن الاثير 5 :151 . ابن خلدون 3 : 294 . تاريخ الخلفـــاء ص 306. تاريخ الاســلام 2 :66 . دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 86، ومابعد هذه الصفحات

(37) هذا الاستطراد واردببعض الاختلاف في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 327.

(38) منقول بتصرف من تاريخ الخلفاء . ص 328.

(39) عن هذه السفارة الى بلاد الترك عام 1175 هـ / 1762 م، انظر:

نشر 4 : 209 . الاستقصا 8 : 17 . إتحاف 3 : 162 .298 .

(40) للمزيد من التفاصيل عن هذا الحدث، انظر: نشر 4 : 158 . الجيش 1 :144. الاستقصا 8 : 19 . إتحاف 3 : 164.

(41) تمت هذه السفارة الى بلاد السويد عام 1176 هـ / 1763م . وللمزيد من التفاصيل، انظر الاتحاف 3 :277 - 283.

(42) كانت هذه السفارة إلى بلاد الانجليز عام 1179 هـ/غشت 1766م . وللمزيد من التفاصيل، انظر ب . ج . روجرز، تاريخ العلاقات الانجلزية المغربية ص 150.

(43) كان ذلك عام 1178 هـ/ 1765م، وللمزيد من التفاصيل، انظر نشر 4 :160 . الضعيف 1 : 315 . الاستقصا 8 : 20، اتحاف 3 : 330 . الرجراجي ، الشمس المنيرة . الصديقي، ايقاظ السريرة .

L.Chénier.Journal du consulat géneral de France au Maroc

(1767 - 1785) Casa 1943.

(44) انظر تاريخ الخلفاء ص 420.

(45) عن هذا الحصار وماتلاه، انظر نشر 4 :162 . الضعيف 1 : 316 . الاستقصا 8 : 21.
إتحاف 3 :164 .

L.Chénier. Ibid V.3 P .526

(46) أعقب هذا الاعتداء، صلح تم توقيعه بين المغرب وفرنسا عام 1180 هـ/ 28 ماي 1767م وللمزيد من التفاصيل انظر المصادر السابقة (هامش 45) ما بعد الصفحات .

(47) تم بعث هذه السفارة في نهاية 1179 هـ/ يونيه 1766 م . وللمزيد من التفاصيل . انظر: الجيش 1: 145 . الاستقصا 8 : 23 . إتحاف 3 : 305.

(48) يراجع عنه محمد الأخضر، الحياة الادبية ص 312 وهامش 1 و مابه من الا حالات.

وقد ألف الغزال بهذه المناسبة، رحلة سماها " نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد ". تم طبعها عام 1941 م بعناية " الفريد البستاني ".

(49) تم بعث هذه السفارة إلى تركيا عام 1179 هـ/ 1766م . وللمزيد من التفاصيل، انظر: إتحاف 3 : 298 - 299.

(50) عن هذا التمرد انظر: الترجمان ص 78 . الجيش 1 :147 . الاستقصا 8 : 33 منهج الارتحال ص 58 . إتحاف 3: 166 . وقد جعله الضعيف (1 :323) ضمن احداث 1185 هـ.

(51) الخليفة العباسي الثاني، حكم فيما بين 136 و 158 هـ / 754 - 775م.

الطبري 9: 154 - 322 . ابن الاثير 4 :347 . ابن خلدون 3 : 227 . تاريخ الخلفاء ص 259 . تاريخ الاسلام السياسي 2 :27، د راسات في تاريخ الخلافة العباسية ص 13فوات الوفيات: 216 - 217.

(52) وارد باختلاف يسير في ديوان العبر لابن خلدون 3 : 233 - 234 .

(53) انظر كذلك الجيش 1 :148. الاستقصا 8 :34 . إتحاف 3 :167.

(54) كان ذلك في جمادى الاولى 1183 هـ / 18 شتنبر 1769م . وللمزيد من التفاصيل، أنظر: تاريخ الدولة العلية ص 152 ومابعدها .

(55) " أگدال "، تطلق هذه اللفظة على بسيط متصل بالقصر السلطاني يحتوي على حدائق وبساتين، وأرض عراء للفلاحة والرعي تتخللها جداول وسواقي.

العز والصولة 1 : 395.

(56) تم فتح البريجة في رمضان 1182 هـ / مارس 1768م، وللمزيد من التفاصيل، أنظر:

الحلل البهيجة . مخ خح رقم 6997 . الضعيف 1 : 321 . الاستقصا 8 :35. اتحاف 3 :330.

(57) ربما يقصد "الدولاتلي" وهي لفظة تركية تعني صاحب القوة والنفوذ، كما تطلق على رؤساء الاتراك وذوي الرتب العالية منهم .

(58) مدينة مغربية قديمة على شاطئ البحر المتوسط . كانت تعرف بـ"روسادير": تعرضت للاحتلال الاسباني منذ سنة 902 هـ/1497م . راجع عنها: البكري ص 88 . الاستبصار ص 135. الوزان 1 : 265 .

في عهد سيدي محمد، بدأت محاولة استرجاعها منذ بداية سنة 1185هـ/1771م، ثم اعيد عليها الحصار، ودام اكثر من 3 اشهر (9 دجنبر 1774 م الى 16 مارس 1775م) . رافق السلطان اثناءه ولداه مولاي علي ومولاي عبد السلام، بينما كان مولاي اليزيد مكلفا بقطع الامدادات البحرية التي قد تأتي من البوغاز . وهذا الحصار هو الذي انتهى بالصلح الذي يشير اليه المؤلف هنا

أنظر: تاريخ الضعيف 1 : 329 وهامش 156.

(59) مركز صغير على السفح الغربي للأطلس المتوسط بين أزرو وخنيفرة.

(60) هو محمد بن عبد الملك بن زهر الايادي الاشبيلي، الطبيب الوزير الشهير. توفي في 21 ذي الحجة 595هـ، ودفن بالموضع المعروف بمقابر الشيوخ بمراكش.

وفيات الأعيان 4 : 434 - 437 . الذهبي، العبر 4 : 39 . الوافي بالوفيات 4 :39 المراكشي، الإعلام 4 : 134 - 149 .

(61) عبد الحميد خان الاول بن احمد الثالث، السلطان العثماني السابع والعشرون، حكم فيما بين 1187 و 1203 هـ / 1774 - 1789م.

(62) عن هذا التمرد، انظر كذلك الجيش 1 : 152 - 153 . الاستقصا 8 :45 - 47 . إتحاف 3 :173 . وقد أخره الضعيف (1 :334) الى عام 1192 هـ

(63) انظر تاريخ الدولة العلية ص 171.

(64) منقول بتصرف عن تاريخ الخلفاء ص 526 - 527.

(65) يجتمعون في حوز مراكش ضمن قبيلة كبرى، وقد هاجروا من ناحية مراكش الى " تيريس" بالساقية الحمراء، و " الترارزة" و " أدرار" .

الضعيف 1 : 264 هامش 16 وما به من احالات .

(66) " تكنة" قبيلة عربية كبيرة ذات فروع كثيرة، تقيم غالبيتها باقليم طرفاية وما وراء جهات الصحراء، ومنها فرع كبير ببسيط " أزغار" يكون وحده إحدى قبائل الشراردة الاربع. العز والصولة 1 : 246 هامش 3.

(67) قبيلة مستقرة على ضفاف وادي درعة تشتمل على بطون منها عطارة وحيان واينوت ومكراز .

العز والصولة 1 : 246 هامش 4 .

(68) انظر كذلك: الضعيف 1 : 343 . الجيش 1 : 155 . الاستقصا 8 :50، إتحاف 3 : 177.

(69) " گمانية"، لفظة تركية قليلة الاستعمال تعني ما يدخر من المأكولات . وفي الاستعمال المغربي كانت مخصصة للمؤن والأقوات التي يصحبها معه السلطان وجيشه في الاسفار.

الاكسير ص 14 هامش 2 . العز والصولة 1 : 417 .

(70) " محمد بن عبد الله الغربي" ، أحد كبار علماء مدينة الرباط، اشتغل بالتدريس والفتوى، ثم زاول خطة القضاء بمدينة الرباط، وفي آخر عمره ولاه مولاي سليمان على دكالة عام 1204 هـ وكانت وفاته عام 1218 هـ

الاغتباط ص 134 - 139 . تعطير البساط ص 22 - 25.

(71) هو ابو الفرج علي بن الحسين القرشي الاموي الاصفهاني (284 - 356 هـ/ 897 - 967م) احد كبار زعماء الحياة الادبية ببغداد في عصره . خلف عدة تآليف تفوق الثلاثين، أشهرها "الاغاني" الذي يعتبره البعض " أجمع كتاب للأدب العربي وتاريخه " . وقد طبع عدة مرات، إحداها ببيروت سنة 1986 بعناية علي مهنا وسمير جابر في 25 جزءا. راجع مقدمة تحقيقها .

(72) كان اسم " أغمات" يطلق على مدينتين مواجهتين لبعضهما ، هما "أغمات إيلان" و"أغمات أوريكة" ، على بعد نحو 30 كلم جنوب مراكش . وقد تعرضت "أغمات أوريكة " للاندثار، وبقيت الاولى . وفي العهد الذي يتحدث عنه المؤلف، يبدو ان جل معالمها الحضارية كانت قد انطمست لتحل محلها حقول ومزارع وسط اطلال تشهد بماضي المدينة العريق.

الاعلام تح بنمنصور 1 :100 ومابعدها . الروض المعطار ص 46.

(73) اسم لواد يقع على مقربة من أغمات يصب في واد تانسيفت، ويطلق كذلك على مدينة مندثرة بأحواز مراكش .

الحميري، الروض المعطار ص 578 . الترجمانة ص 79 . كتاب المغرب ص 110.

(74) " أفراك" أصل الكلمة بربري، ينطق عند سكان الاطلس المتوسط "أفراج" وعند اهل سوس " افرك " بمعنى حجز وفصل، وربما كان الاصل عربيا من فعل "فرق" . وهو عبارة عن فسطاط متسع الدائرة يقوم بنصبه اشخاص يدعون "الفرايكية" .

العز والصولة ص 215 و ص242 . ابن خلدون . المقدمة ص 331 .

(75) من أولاد الكحاك من فاس الادريسية المستقرين بمكناسة . عمل في بلاط مولاي عبد الله ومولاي المستضيء، ثم اتصل بخدمة السلطان سيدي محمد . عرف بالرزانة والتعقل وعلو

الهمة . توفي بمكناس في العشرة الثامنة بعد 1100 هـ.

النشر 4 : 233 - 234 . المراكشي، الاعلام 1 :271، الاتحاف 4 : 357 - 358.

(76) احد قضاة مدينة مراكش في عهد سيدي محمد بن عبد الله .

يراجع عنه كذلك: المراكشي ، الاعلام 8 : 121 - 122 (الترجمة 1108)

(77) هو ابو العباس احمد بن الرضي بن عثمان المكناسي، احد العلماء المحدثين الذين نقلهم سيدي محمد الى مراكش للتدريس بها . كان يحظى بوجاهة كبيرة لدى السلطان ،حيث استكتبه في بساط ملكه، وأسبل عليه الاجلال والاكبار لرسوخ قدمه في مختلف العلوم والفنون .

الاتحاف 1 : 353 . المراكشي، الاعلام 2 : 394 (الترجمة 271) .

(78) محمد بن الطيب سكيرج الفاسي، أحد كتاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله المعتبرين في الانشاء والترسيل . توفي عام 1194 هـ..

الاعلام 6 :86 - 87 (الترجمة 760) .

(79) سعيد الشليح الجزولي الشياظمي، أحد رفقاء الزياني في الطلب. كان ماهرا في علم التاريخ والانساب، وقد استوزره السلطان سيدي محمد قبل المؤلف. لعب دورا مهما في تهدئة ثورة مولاي اليزيد عندما قام على والده سيدي محمد .

(80) يراجع عنه كذلك: الاعلام 1 : 190 (الترجمة 40) .

(81) يشير الى ضريح محمد بن عبد الكريم الهزميري الأغماتي، دفين أغمات، وهو أحد الزهاد المتصوفين، توفي في شوال 678 هـ / 1280م.

المراكشي، الاعلام 4 :253 - 281 (الترجمة 570) . أنس الفقير ص 66 - 70 . نيل الابتهاج ص: 231.

(82) طرة في (ز) شبيهة بخط المؤلف، ص132: " قال كاتبه: هذا الكاتب محمد بن المبارك، نشأ بفاس، وقرأ على الشيخ سيدي عمر الفاسي، ولازمه في صغره عدة أعوام، وكان شابا نبيلا حاذقا، فدعته نفسه الى خدمة السلطان . و .. يسعى على قدميه في حركته لغمارة إلى أن بلغ خبره لأمير المومنين، ولما جلس بين يديه وسرد عليه، أعجبه ذكاءه على حداثة سنه، وأخذ بمجامع قلبه، فكان لايفارقه سفرا وحضرا، إلى ان امر أمره، وشاع في الدولة ذكره، ووقف ببابه الاعيان والكرا، وقصده في حاجاتهم الاشراف والامرا، وبلغ مبلغا لم يبلغه احد من الكتاب والامراء والحجاب، فدعوه المكر والطمع الى داعي التبديل والتغيير، والزيادة في أوامر الأمير، فلما ظهرت عليه الخيانة، وعدمت منه الامانة، فر من خدمة امير المؤمنين خوفا على نفسه من سعاية ابناء جنسه، وبلغ الى باي المعسكر امير الترك،

ليجيزه في مركب لبلاد الشرك، فادركه الطلب قبل الركوب، وعرفوا الامير بما اقترفه من الذنوب، فمكنه لخدام امير المؤمنين . وكتب يشفع فيه فسرح في الحين، فعاد الى منصبه وتمكن وزاد، وابدى في السعاية بقريعة وأعاد، الى ان وقع خصمه في المهوات، وحلت به النكبات، ولما استقل من نكبته، ورد الى خدمته، أظهر للسلطان ما كان عنه مكتوما، وما كان عنده من مقالاته مختوما، مما يجب به القتل والصلب، من كلام الرب، فلم يقبل في ذلك عذر ولا توبة، ولا رجعة ولا أوبة، فسجن أياما بعد التقرير، وقطع من خلاف وحمل على السرير، فدفن بحفرته، وتمت ايام محنته، سنة الله في خلقه على مراده، وكان عفا الله عنه ساعيا في اذاية الناس، وينقل للسلطان اخبار فاس، وخصوصا العلماء والاشراف، وبلغ الغاية في الاسراف، ولولا جودة .. أمير المؤمنين، لأهلك الخلق اجمعين، وكان مقتله سنة 1190 بقلعة مكناسة، رحمه الله" .

(83) أحد جهابذة علم الحديث في عصره، ومفتي الحضرة المراكشية زمن أحمد المنصور السعدي. توفي بمراكش في 25 رجب 1003 هـ/ 5 ابريل 1595م، وبها دفن بقبة الأشراف اتجاه القاضي عياض.

مناهل الصفا ص 215 ومابعدها . المنتقى المقصور 1 : 248 وما بعدها . جذوة 2 : 453 - 454. درة الحجال 3 : 140 - 142. روضة الاس ص 3 ومابعدها . صفوة ص 41 - 42. نشر 1 : 30 - 31. الدرر البهية 1 - 103 - 104 . الأنوار الحسنية ص 58 . الحركة الفكرية 2 : 379 . مؤرخو الشرفاء ص 166.

(84) مانقله المؤلف عن الفشتالي الى هنا وارد في مناهل الصفا ص 215 .

أنظر كذلك نزهة ص 120 - 121 . الاستقصا 5 : 166 - 167 .

(85) وردت هذه الابيات في مناهل الصفا ص 221 ثم 298 . المنتقى 2 : 628. روضة الآس ص 52 . نفح 9 : 282 . نزهة ص 138 . الاعلام 2 : 58 - 59 .

(86) انظر هذه الأبيات في مناهل الصفا ص 221 . المنتقى 2 : 629 . رضة الآس ص 54 - 55.

(87) وهو المشهور بالنابغة، يعتبر شاعر الدولة الرسمي في عهد احمد المنصور السعدي، وقد ولي القضاء مدة بمدينة تارودانت . توفي بمراكش سنة 1012هـ/ 1603م. المنتقى 2 : 673- 676. درة الحجال 2 : 233 . الحركة الفكرية 2 : 408 . النبوغ المغربي 1 : 274.

(88) وردت هذه الابيات في مناهل الصفا ص 221 . المنتقى 2 : 629 . روضة الآس ص55.

(89) أحد كبار رجال الفكر في العصر السعدي، له معرفة عامة بمختلف العلوم، وقدم راسخ في علم الطب . وهو احد كتاب احمد المنصور السعدي، ومتولي قراءة كتاب "إقليدس" بين يديه .

المنتقى 1 : 322 . مناهل الصفا 221 . روضة الآس ص 163 - 173. درة الحجال 1: 240 - 241.

جذوة 1 : 115 . الحركة الفكرية 2 : 401.

(90) انظر هذه الابيات في مناهل الصفا ص 221.

(91) كذا ورد هذا الشطر عند الفشتالي في المناهل ص 222 . والذي في المنتـــــقـــى (629:2) وفي روضة الآس (ص55) : " تنافسني في لثم خديه أنجم" .

(92)انظر هذه الابيات في المصادر السابقة (هامش 91) نفس الصفحات .

(93) أحد وزراء المنصور السعدي، وواحد من أعلام الادب في عصره . توفي سنة 1021 هـ/ 1612م .

درة الحجال 2 :190 - 201 . لقط الفرائد ص 302 . نشر 1: 174 . التقاط ص 57 - 58 . مؤرخو الشرفاء ص 81 - 82 . الحركة الفكرية 2 :399. النبوغ المغربي 1: 275.

(94) وردت هذه الابيات في مناهل الصفا ص 222 . المنتقى 2 : 629 . روضة الآس ص 55.

(95) أحد اعلام الفكر والسياسة في العهد السعدي، وأحد وزراء أحمد المنصور المقربين لبلاطه . جمع بين الشجاعة والادب، وله في ذلك عدة أنظام .

انظر عنه مناهل الصفا ص 222 . روضة الآس ص 173 . المنتقى 1 :250 . درة الحـجـــــــال 3 : 258 - 259 . نزهة ص 111 . الحركة الفكرية 2 : 397.

(96) وردت هذه القصيدة في مناهل الصفا ص222 - 223 . روضة الآس ص52 - 54.

(97) انظر هذه الابيات في مناهل الصفا ص 224 .

(98) اي انتهى ما نقله المؤلف عن الفشتالي في هذا المقصد، وهو محصور في مناهل الصفا بين ص 215 و 224 .

(99) وهو قاضي القضاة بمراكش لمدة طويلة، وواحد من كبار رجال الدولة المقربين لبلاط احمد المنصور السعدي . توفي سنة 1002 هـ / 1594 م .

انظر عنه مناهل الصفا ص 198 . المنتقى ص 249 . درة الحجال 3 : 284. نزهة ص 170 . صفوة ص 99 . نشر 1 : 40 . التقاط ص 20 . الحركة الفكرية 2 : 378.

(100) ابو الحسن علي بن سليمان التاملي، أمين سر احمد المنصور، ومستشاره الخاص . كان يشغل منصب صاحب المظالم في بلاطه، وعرف بكثير من الزهد والورع .

درة الحجال 3 : 254 - 255 . الحركة الفكرية 2 : 572 - 573 . استقصا 5 :36.

(101) حامل لواء المذهب المالكي في عصره، وهو قاضي الجماعة بفاس لمدة تزيد عن 30 سنة . جمع بين حسن السياسة والأدب والتدريس . توفي بفاس سنة 1003 هـ.

انظر عنه المنتقى ص 249 . روضة الآس ص 176 . درة الحجال 3 : 142، نشر 1 : 44 . التقـاط

ص 22 . صفوة ص 96 . سلوة 2 : 60 . الحركة الفكرية 2 : 361. شجرة النور 1 : 294.

(102) أحد أعلام الادب بالمغرب في العصر السعدي، وواحد من كبار كتاب احمد المنصور المقربين لبلاطه . توفي سنة 989 هـ/ 1581م .

انظر عنه المنتقى 2 : 604 وهامش 76 . الحركة الفكرية 2 : 540 وهامش 7 .

(103) انظر هذه الابيات في مناهل الصفا 216 . روضة الآس ص 176 . نزهة ص 121.

(104) وردت هذه الأبيات في مناهل الصفا ص 217 . روضة الآس ص 177 . نزهة ص 122.

(105) انظر المصادر السابقة (104) نفس الصفحات .

(106) وردت هذه الابيات في مناهل الصفا ص 217 . روضة الآس ص 180 . نزهة ص 122 .

(107) انظر نفس المصادر السابقة (هامش 106) الصفحات ومابعدها .

(108) وردت هذه القصيدة في مناهل الصفا ص 218 - 219 . روضة الآس ص178. نزهة ص 124.

(109) أحد اعلام الادب في العصر السعدي، وهو الذي صاحب عبد الملك في غربته عند اتراك الجزائر .

يراجع عنه نزهة ص 125 . روضة الآس ص 179 . الاستقصا 5 : 146. النبوغ المغربي 1:276 . الحركة الفكرية 1 : 123.

(110) وردت هذه الابيات في مناهل الصفا ص 219. روضة الآس ص 179. نزهة ص 122 -123.

(111) انظر هذه الابيات في مناهل الصفا ص 220 . نزهة ص 123 .

(112) اي انتهى ما أراده المؤلف في هذا المقصد، وهو محصور في مناهل الصفا بين 215 و 220 .

(113) وردا في مناهل الصفا ص 295. نفح 9 : 283 . روضة الآس ص 36 . نزهة ص 136. الاعلام 2 : 59.

(114) انظر نفس المصادر السابقة (هامش 113) الصفحات ومابعدها .

(115) ورد هذان البيتان في المصادر السابقة (هامش 113) نفس الصفحات .

(116) ورد هذان البيتان ببعض الاختلاف في: المنتقى 2 : 644 مناهل الصفا ص 296. نفح 9 : 284 . روضة الآس ص 38 . نزهة ص 138 . الاعلام 2 : 60 .

(117) أنظر هذين البيتين في المصادر السابقة (هامش 116) نفس الصفحات دون المنتقى

(118) انظر هذين البيتين في مناهل الصفا ص 298 . نفح 9 : 289 . روضة الآس ص 45 - 46 نزهة ص 140 . الاعلام 2 : 64 .

(119) وردت هذه الابيات في مناهل الصفا ص 298 . نفح 9 : 287 . روضة الآس ص 42 . نزهة ص 140 . الاعلام 2 : 63.

(120) انظر هذه الابيات في المصادر السابقة (هامش 119) نفس الصفحات.

(121) انظر هذه الابيات في مناهل الصفا ص 298 . روضة الآس ص44 . نزهة ص 140 .

(122) وردت في مناهل الصفا ص 298 . نفح 9 : 287 - 288 . روضة الآس ص 43. نزهة ص 141 . الاعلام 2 : 63 - 64 .

(123) وردت في مناهل الصفا ص 298 - 299 . روضة الآس ص 44 . نزهة ص 136 - 137 الاعلام 2 : 65 . والابيات الثلاثة الأولى في النبوغ المغربي 3 : 86.

(124) أحد علماء الشام الذين استوطنوا مراكش . كانت له منزلة كبيرة عند السلطان احمد المنصور . توفي عام 999 هـ / 1591 م .

يراجع عنه المنتقى 1 : 252 وهامش 48 . الحركة الفكرية 2 : 382 وهامش 22 .

(125) انظر مناهل الصفا ص 299 - 300 . روضة الآس ص 17 .

(126) أنظر مناهل الصفا ص 300 . نفح 9 : 288 . روضة التعريف ص 45. نزهة ص 144. الإعلام 2 : 64 .

(127) تدخل هذه المعركة " تينزرت " والتي بعدها " أساطيس " في اطار الحملة التي وجهها عبد الملك السعدي لاخضاع المناطق الجنوبية التي التجأ اليها محمد المتوكل وحليفه " ابن ويسعدن" ، وقد كلف بها أخوه الخليفة احمد المنصور وذلك سنة 984 هـ / 1576م . وكان علي الشياظمي ممن حضر هذه المعركة .

انظر مناهل الصفا ص 32 - 33 . نزهة ص 64 . الاستقصا 5 :68 .

(128) وهو الحارث بن سعيد بن حمد ان ابو فراس الحمداني (320 هـ/ 932 م -357 هـ/968م) أحد كبار شعراء بني حمدان في الموصل، الى جانب نبوغه في الأدب والشعر ، اشتهر بالفروسية والشجاعة. كان معظم نظمه في المدح والافتخار .

محمد امين، ابو فراس الحمداني، الروائع 16، بيروت 1928 .

(129) أنظر ديوانه، نشر الحسين بن خالويه، وروايته " .. ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر ". ص 161 . أنظر كذلك ديوانه مخ خع د 1310 ظ و 32 وروايته " .. لم يغلبه مهر " .

(130) أنظر مناهل الصفا ص 33 - 34 . نزهة ص 118 . الاستقصا 5 : 68 .

(131) أنظر هذه الابيات في مناهل الصفا ص 37.

(132) " بدر الدين محمد بن يحيى القرافي "، أحد فقهاء المالكية بمصر، من مواليد سنة 939 هـ / 1533. توفي حوالي عام 1008 هـ/ 1600م.

التقاط ص 35 هامش 1 وما به من احالات.

(133) أحد الائمة المتصوفين بمصر على الطريقة الصديقية نسبة الى جده الصحابي ابي بكر.

توفي سنة 1090 هـ / 1679 م.

انظر عنه: نشر 2 : 253 - 254. التقاط ص 212 وهامش 4.

(134) هنا بمخاطبة المثنى، وفي مناهل الصفا بمخاطبة الجمع على طول الرسالة.

(135) المقصود هنا الملك" فيليب الثاني " الذي حكم اسبانيا فيما بين 1556م و 1598م.

(136) نونبر 1596 م. انظر نص هذه الرسالة مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ في مناهل الصفا 188 - 191. الاستقصا 5 : 147 - 150.

(137) احد شرفاء مكة. ولد في ربيع 1 من عام 932 هـ، استقل بسلطنة الحجاز، الى ان توفي في جمادى II 1010 2 هـ.

البستاني، دائرة المعارف، مادة الحسن بن ابي نمي ".

(138) انظر نص هذه الرسالة في مناهل الصفا ص 187 - 188. الاستقصا 5 :150 - 151.

(139) لقب تركي يعني " قائد القواد ".

(140) " الطرنبطات " تعريب حرفي للفظة " (Trompette) وهي آلة نفخ موسيقية تعتبر اساسية في الفرق الموسيقية العسكرية.

(141) مانقله المؤلف في هذا الغرض وارد في مناهل الصفا ص 202 - 204.

(142) " بورنو: ظهرت كامبراطورية متحدة مع " كانم " (برنو - كانم) منذ القرن 12 م، ثم تمزقت نتيجة فتن وحروب داخلية، لتعود مع حلول القرن 16م الى الاتحاد من جديد في ظل ملوك اقوياء امثال ادريس الثاني والثالث. وفي العهد الذي يتحدث عنه المؤلف،، كانت تحت حكم السلطان " ادريس الثالث" (1571 - 1603م)، وهو الذي بايع السلطان احمد المنصور عام 990 هـ / 1582 م.

مناهل الصفا ص 67. كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية ص 147. الغربي، الحكم المغربي في السودان ص 67 ومابعدها.

J.S Canale.Afrique Noire P.189

Dictionnaire des civilisations Africaines P.76 et P.231

(143) للمزيد من التفاصيل عن هذه السفارة، انظر مناهل الصفا ص 67، كريم ص 148. الاستقصا 5 : 104 الحكم المغربي في السودان ص 154، ومابعد هذه الصفحات .

(144) " مالي. مملكة عظيمة في الجهات الشرقية والغربية من نهر النيجر العلوي . بلغت اوج عظمتها في القرن 14م.

أنظر عنها: الوزان 2 : 164 . السعدي، تاريخ السودان ص 9 . زبادية، مملكة سنغاي ص 12 ومابعدها ، الغربي، الحكم المغربي في السودان ص 46، هذه الصفحات ومابعدها .

J.S Canale.Ibid P.175.

(145) الاشارة هنا الى ادريس الثالث ملك برنو الذي كتبت هذه البيعة باسمه.

(146) يشير الى ابي العباس عبد الله بن محمد مؤسس الدولة العباسية (132 - 136 هـ/750 - 754م) . وللاشارة فقط، فان هناك اختلافا في لقبه بـ " السفاح" إذ تنسبه بعض المصادر لابن عمه عبد الله بن علي .

الطبري 9 : 123 وما بعدها . ابن الاثير 4 : 322 - 346 . تاريخ الخلفاء ص 256 - 259 تاريخ الاسلام 2 : 21 - 27.

(147) « أتباعه من شهد بهذه البيعة المباركة والتزامها ، والوفاء بشروطها وأحكامها الندب » تكملة من مناهل الصفا ص 73 .

(148) يشير الى إدريس الوما (إدريس الثالث) ملك برنو، وقد حكم فيما بين 1571 و 1603م

(149) موافق سنة 1582 م، والملاحظ ان هذا التاريخ سقط من مناهل الصفا ص73 . ونص البيعة وارد فيه ص 67 - 73 .

(150) يشير الى " أسكيا داود بن أسيكا الحاج محمد " (956 - 990 هـ / 1549 - 1582م) انظر السعدي، تاريخ السودان ص 100 - 113 .

(151) بلدة بين المغرب والسودان الغربي، غنية بمناجم الملح الذي كان يحمل الى " تمبوكتو" في العهد الذي يتحدث عنه المؤلف .

الوزان، وصف افريقيا 2 : 108 - 109 . الموسوعة المغربية، معلمة الصحراء ص 67 .

(152) للمزيد من التفاصيل انظر: السعدي، تاريخ السودان ص 111، مناهل الصفا 120.

(153) يشير الى أسكيا اسحاق الذي تولى الملك عام 996 هـ /1588م، كانت له عدة حروب مع جيوش احمد المنصور . توفي عام 1000 هـ / 1592 م

السعدي، تاريخ السودان ص 125 - 149 .

(154) السبب في ذلك حسبما ذكر المؤرخ السوداني " عبد الرحمان السعدي " ،هو الرد السيء الذي بعث به " أسكيا إسحاق " الى احمد المنصور .

انظر تاريخ السودان ص 138.

(155) جاء ذلك بواسطة حملتين أرسلهما المنصور من فاس ومراكش عام 991هـ/ 1583م، الأولى بقيادة " ابي عبد الله محمد بن بركة " ، والثانية بقيادة "ابي العباس احمد ابن الحداد العمري المعقلي" .

للمزيد من التفاصيل انظر: مناهل الصفا ص 73، نزهة ص 87 . الاستقصا 5 :98. كريم، المغرب في ... ص 150 هذه الصفحات ومابعدها .

(156) اسم لنهر ينبع من مرتفعات الأطلس قرب " أمماي" فينحدر لتسقي مياهه اراضي الحوز وعبدة والشياظمة، يصب بالمحيط الاطلسي على بعد نحو 38 كلم جنوب مدينة آسفي. آسفي وماليه ص 174 . الروض المعطار ص 127 . الوزان 2 : 245 . المراكشي، الاعلام 1: 58 الترجمانة ص 476 .

(157) أوائل نونبر 1590 م.

(158) سلكت جنود احمد المنصور طريقا ، هو الذي عرف فيما بعد " طريق جودر " .للمزيد من التفاصيل، انظر الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان ص 221 ومابعدها .

(159) " تومبوكتو" ، إحدى عواصم مملكة مالي، يعود تاريخ تأسيسها الى أواخر القرن 5 هـ/ 11 م من طرف قبائل التوارك . لعبت ادوارا طلائعية في الميدان الاقتصادي والثقافي وبلغت اوجها في العهد الذي يتحدث عنه المؤلف .

الوزان 2 : 165 . السعدي، تاريخ السودان ص 20 . زبادية، مملكة سنغاي ص 100. الحركة الفكرية 2 :635 .

J.S Canale Afrique Noire P.181.

(160) جرت هذه المعركة الحاسمة في موضع يقال له: تَنكَنْدُبُعْ قرب " تُنْدبي" (على بعد ثلاث مراحل من كاغو) ، بلغ عدد عسكر الامير أسكيا فيها "اثني عشر الفاً وخمسمائة من الخيل، وثلاثين الفا من أرباب الرجل " .

تاريخ السودان ص 140 . مناهل الصفا ص 144.

(161) 12 مارس 1591 م

(162) انظر التفاصيل في مناهل الصفا ص 147.

(163) كانت عودة جودر الى " تومبوكتو" يوم الخميس 6 شعبان 999 هـ/ 30 ماي 1591 .

تاريخ السودان ص 142 .

(164) قام بهذه الاجراءات " مخافة أن يفجئهم الرأي الكريم بنقض ما أبرموه مع العبد سكية".

تكملة من مناهل الصفا ص 147 .

(165) الشخص الذي حمل كتاب " جود رباشا " الى السلطان احمد المنصور هو " بشوط علي العجمي " .

كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية ص 163 .

(166) ذكر المؤرخ السعدي، أن محمود باشا وصل تونبوكتو يوم الجمعة 26 شوال 999 هـ/ 17 غشت 1591م .

تاريخ السودان ص 145 .

(167) " عودة بنت احمد الوزگيتي " ، أم السلطان احمد المنصور، وقد توفيت في 27 محرم 1000 هـ / منتصف نونبر 1591م .

المنتقى 1 :256 . روضة الآس ص 63 . درة الحجال 3 : 182 ومابعدها .

(168) كان ذلك في سهل "بنب" شمالي النيجريين كاغو وتونبوكتو يوم 25 ذي الحجة 999 هـ/ 14 اكتوبر 1591.

تاريخ السودان ص 146 .

(169) جمع " قنبرة " وهو اسم لنوع من الطيور، وتطلق هذه اللفظة على قذائف المدفع لأنها تشبهها ، وترد في بعض المصادر باللام " قنابل؛ جمح " قنبل" وهو جماعة من الخيل .

ايليغ ص 42 هامش 145 .

(170) ذكر السعدي أن أسكيا اسحاق توفي قتيلا هوو " ابنه وجميع من معه " وذلك في جمادى الثانية 1000 هـ / ابريل 1592م.

تاريخ السودان ص 149 .

(171) خبر هذه الحركة اثبته المؤلف في الترجمان المعرب، انظر نص خع (د 658) ص357 .وكذلك مناهل الصفا ص 78 . كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية ص 152 .

(172) من ذلك قصيدة لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي مطلعها:

جيش الصباح على الدجا متدفق فبياض ذا لسواد ذلك ممحق .

نزهة الحادي ص 95 - 96 .

(173) يبدو ان هناك اختصارا كبيرا وتصرفا واضحا فيما نقله المؤلف من أخبار فتح السودان عن الفشتالي . للمزيد من التفاصيل، أنظر مناهل الصفا ص120 - 163.

(174) للمؤلف هنا استطراد عن ملوك السودان اثبته في الروضة السليمانية مخ خع و 142 .

(175) الخليفة العباسي الرابع والثلاثون، حكم زهـــاء 47 سنة من 575 هـ الـــى 622 هـ/ 1180 - 1226م .

تاريخ الخلفاء ص 448 . ابن خلدون 3 : 652 ، ومابعدها .

(176) " ما أبشع هذا وما ماأقبحه . وتحرم قراءة البيتين والجواب بعدهما ، ولو قال:

مـــولاي ان ابـــا بـــكـــر وصاحبـــه عثمـان قـد عظـمـا ليث الانـام علـي
أكـرم ابـــا الحســن وانـــظـــر لرفـعتـــه مـــن الاواخـر تـــسـعـدن مـــع الاول

وقال في البيت الثاني في الجواب:

راعـــوا عليـا في الـــورى اذ لـــم يكـــن لـــيـتـــمـــا ســـــواه نـــاصـــــــر

لسلم الجميع من اللفظ البشيع " . طرة في (ك) .

(177) محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي، أحد كتاب السلطان سيدي محمد، قام بأربع رحلات سفارية، الأولى الى اسبانيا ألف حولها كتابه " الإكسير" والثانية الى مالطة ونابلي ألف حولها " البدر السافر " ، والثالثة الى تركيا والحرمين، وكانت الرابعة الى اسبانيا توفي سنة 1213 هـ / 1799 م .

م . الفاسي، محمد بن عثمان المكناسي . الاخضر، الحياة الادبية ص 334 وهامش 1.

(178) دامت هذه الرحلة سنتين وعشرة اشهر، كتب ابن عثمان على إثرها تأليفا سماه: " إحراز المعلى والرقيب ، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب" .

(179) لفظة تركية تعني مرسوما سلطانيا موجها من طرف السلطة العليا لخدام الدولة في الايالات العثمانية .

(180) وهي المعروفة بالزاوية الشرقاوية التي نشأت في أعقاب القرن 10 هـ/ 16م على يد محمد الشرقي (ت 1010 هـ / 1601م) وقد بلغت أوجها في عهد سيدي محمد .

أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية.

(181) صحابي جليل، من السابقين الأولين الى الاسلام، شهد مع النبي عليه السلام عدة غزوات توفي في غزوة القسطنطينية سنة 51 هـ . وقبره مشهورهناك.

المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة الانصار ص 69 - 71 . الذهبي، العبر في خبر من غبر 1 : 56 .

(182) " كدش" تحريف للفظة " كوتشي" الاسبانية، وهي عربة تجرها الخيل ومايشبه ذلك. العز والصولة ص 417 .

(183) "حسكة" آلة صفرية يوقد فوقها الشمع .

العز والصولة ص 415 .

(184) " الند " كلمة فارسية تعني عود طيب الشذا، يتبخر به .

التحفة المرضية ص 127 هامش 2 .

(185) «دفتر دار» أو «تفتر دار » كلمتان تركيتان، معناهما رئيس ديوان الإنشاء، وكاتب عام للدولة. التحفة المرضية ص 127 هامش 1 .

(186) ينطق بها " البرا " وتطلق على الرسالة .

(187) " الشواش " مفرده " شاويش " أو شاوش"، وهي لفظة تركية اصلها فارسي، ومعناها رتبة في الجيش . ومازالت هذه الكلمة متداولة في الاقطار العربية بيد انها تدل غالبا على حجاب رؤساء المصالح الادارية .

التحفة المرضية ص 124 هامش 2 .

(188) " وللبحر الاسود منفذ آخر يقال له " واد التونة تسافر فيه المراكب، وتخرج من وادي "التونة" للبحر المحيط، ومنه خرجت مراكب الموسكو عام 1188، ودخلت من بوغاز طنجة للبحر الاخضر، وعاثت في جزرات بر الترك، وأحرقوا مراكب السلطان مصطفى العثماني لمنافسة الانجليز."

تكملة من الروضة السليمانية مخ خع و 151 .

(189) ورد هذا النص في متن الروضة السليمانية مخ. خع. و 152 - 153 .

(190) يشير الى قصيدة البحتري التي نظمها في وصف ايوان كسرى سنة 270 هـ، والتي مطلعها:

صنت نفسي عما يدنس نفسي   وترفعت عن جدا كل جبس

وتتكون هذه السينية من 56 بيتا، ويعتبرها النقاد من أروع منظومات الشعر العربي . أنظر نصها في ديوان البحتري، تح حسن الصيرفي 2 : 1152 - 1162.

(191) انظر مقدمة التحقيق ص 101 (مرقونة على الآلة الكاتبة، مرفوفة بخزانة كلية الآداب. فاس)

(192) ورد في الطرة السفلية من (د) مايلي: " بقي هنا كلام في نسخة أخرى من هذا البستان قال فيها بعد قوله " خلاف هذا " : وهذا هرقل هو الذي كان ملك الروم بالشام،

ومعه كان ملوك آل جفنة من غسان . ولما هرب من الشام، ولي على دمشق " جبلة ابن الايهم الغساني " قبل ان يسلم .

قال صاحب " ضرام القسط " عنه قول ابي العلاء المعري:

بنو املاك جفنة قربتهم من الروم اللجاجة والعناد

مانصه " جفنة من غسان، ومنهم ملوكها الحارث الاكبر، والحارث الاعرج، والحارث الاصغر .

قال النابغة لما رأى بعض اولادهم:

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير بديع التمام
للحارث الاكبر والحارث الاعرج والاصغر خير الانام

وكان من اولادهم " جبلة بن الايهم هذا وال على دمشق من قبل " هرقل " . ولما هرب هرقل من الشام الى أرض الروم، ونزل القسطنطينية، واستولى المسلمون على الشام، قدم جبلة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مائة وتسعين رجلا من قومه المتنصرين يردون الاسلام، حتى اذا قرب المدينة، أمر بني عمه من آل جفنة، فركبوا الخيل العتاق، وقلدوها قلائد الفضة، وعقدوا في نواصيها عقود الجواهر، وفي آذانها دواب الحرير، وتزيى جبلة زينته وتاجه على رأسه، وفي تاجه قرط " مارية " جدته أم أبيه التي سار المثل بقرطها في النفاسة، فقال " خذه ولو بقرط مارية". وكان في قرط مارية درتان كبيضة حمامة، لايدرى ما قيمتهما.

وساق حديث اسلامه، وردته، ورجوعه الى هرقل، وتنصره، وندمه على ذلك الى آخر قصته: " وهذا الاستطراد وارد بتمامه في الروضة السليمانية مخ خع و 153 و 154.

(193) يشير الى ضريح " محمد بن موسى الشاوي "" المشهور ب " أبي الشتاء" (ت سنة 997 هـ / 1589م) ، وموقعه بجبل " أمرگو " بقبيلة فشتالة، قريبا من نهر ورغة .

ابتهاج القلوب مخ خح ص 371. ممتع الاسماع ص 86 - 88 (الترجمة 48). السلوة 1: 145.

E.Levi .Moulay Bouchta El Khammar

(194) 25 رجب 1204 هـ / 11 ابريل 1790 م

تاريخ الضعيف 1: 371 . الجيش 1: 174 . الاستقصا 8 : 65 . اتحاف 3 : 363 . الاعلام 5 :131 . الدرر البهية 1: 168 . الاغتباط ص 124 .

(195) أبو محمد عبد العزيز الحرار المعروف ب " التباع" . من كبار علماء مراكش، وهو أحد أئمة الطريقة الشاذلية الجزولية بالمغرب . توفي في صفر 914 هـ/ 1508 . وقبره مزارة

عظيمة بمراكش، على مقربة من جامع ابن يوسف .

ابتهاج القلوب مخ خع(ج 363) ظ و 25 دوحة الناشر ص 136 - 137 . ممتنع الأسماع ص 35 - 36 . الاعلام 8 : 413 - 433 . السلوة 2 : 211 - 212.

(196) أبوعبد الله محمد بن عبد الرحمان بن ابي بكر بن سليما ن الجزولي، شيخ مشائخ الطريقة الشاذلية الجزولية بالمغرب . وهو صاحب " دلائل الخيرات " . توفي بأفوغال سنة 869 هـ / 1464 م، وقيل بعد هذا التاريخ .

ابتهاج القلوب ظ و25 ممتع الأسماع ص 1 - 10 . الجذوة 1: 319. الاعلام 5 : 40 - 103 (الترجمة 625).

(197) وارث التباع في مشيخة الطريقة الشاذلية بالمغرب . توفي بزاويته الكائنة بحومة القصور بمراكش عام 935هـ / 1528 م .

الدوحة ص 96 - 99 . ممتع الاسماع ص 38 - 48 . (الترجمة 8). الجذوة 2 : 440 . (الترجمة 469) . المراكشي، الاعلام 8 : 235 - 267 (الترجمة 1188).

(198) تقع هذه الزاوية على نصف مرحلة من مراكش، وتنتسب لمؤسسها "أحمد بن عبد الله بن مبارك الشرادي المتوفى عام 1160 هـ ويجانب هذه الزاوية بنى السلطان سيدي محمد بن عبد الله مسجدا جامعا للخطبة .

نشر المثاني 4 : 59 . الاعلام 2 :378 - 380 (الترجمة 262).

(199) يشير الى مسجد" شاكر بن عبد الله الأزدي " ، الواقع على بعد نحو 85 كلم من مدينة مراكش . وقد اندثر رسم هذا الرباط من حدود المائة الثالثة للهجرة، الى أن أحياه سيدي محمد بن عبد الله . ومازال رباطه يقصد للزيارة من الآفاق الى اليوم .

الاعلام 6 : 132 - 133.

(200) " طيط" أو "تيط" ، كانت تعرف ب " تيطنفطر" و " عين الفطر" ، تقع في اقليم دكالة قرب مدينة الجديدة . وهي في الاصل مدينة قديمة غير انها تعرضت للخراب فجدد بنائها السلطان سيدي محمد عام 1182 هـ .

J.Goulven.La place de MaZaganP.217

S.I.H.M.1eS.PortugalT.4 P.70

(201) "أنفا" مدينة قديمة على المحيط الاطلسي، تعرضت للتخريب من طرف البرتغال عام 872 هـ/ 1468م، ثم تعرضت لزلزال مدمر عام 1757م، وقد اهتم السلطان سيدي محمد بتجديدها وتعميرها بالقبائل التي شكلت النواة الاساسية للمدينة المعروفة اليوم بالدار البيضاء.

الوزان 1 :155 - 156 . مارمول 2 : 127 - 128 . الضعيف 1 :349.

(202) جدد بناءها السلطان سيدي محمد عام 1186 هـ/ 1772، وتعرف اليوم بالمحمدية. تاريخ الضعيف 1 : 324 .

(203) يقع في الجهة الغربية من " التوارگة" ، وقد انتهى السلطان سيدي محمد من بنائه في جمادى الثانية عام 1199 هـ/ 12 مارس 1785 م .

(204) يشير الى ضريح " ابي عبد الله محمد بن عيسى المكناسي" ، الولي الشهير ، شيخ الطائفة العيساوية بالمغرب . توفي في أول العشرة الرابعة من المائة العاشرة، وقبره مزارة مشهورة خارج مكناسة.

الدوحة ص 75 - 76 . ممتع الاسماع ص 62 - 64 (الترجمة 31) . الاعلام 5 :126 - 128 الاتحاف 4 : 11.

(205) أبو عثمان سعيد بن ابي بكر المشنزائي المكناسي، ولي صالح وزاهد متقشف(ت 17 محرم 964 هـ) .

ابتهاج القلوب مخ خع و 20 - 22 . الدوحة ص 77 - 78 . ممتع الاسماع ص 105 – 107(الترجمة 68) . الاعلام 10 : 141 - 145 (الترجمة 1537) .

(206) يوجد هذا الضريح خارج " باب الحمراء" من فاس، وينسب لدراس بن اسماعيل، أحد ناشري مذهب مالك بالمغرب . توفي سنة 357هـ .

الجذوة 1 : 194 - 196 . السلوة 2 : 175 - 179 . ابن فرحون ، الديباج المذهب ص 116. ابن تاويت، الادب المغربي ص 114.

(207) يشيرالى ضريح الولي الصالح" ابي عبد الله محمد بن يعلا التاودي" المتوفى سنة 580هـ / 1184م. ويوجد ضريحه خارج باب الجيسة من فاس القرويين.

أنس الفقير ص 30 - جذوة 1:219 . سلوة 1 :171 التشوف. ص 236 - 266.

(208) مركز إداري بتافلالت، على مقربة منه تقع زاوية مولاي علي الشريف جد الملوك العلويين، بها توجد اطلال المدينة المندرسة " سجلماسة " . والمسجد الذي ذكره الزياني هنا لم يعد له وجود حاليا .

(209) وشقة (HUESCA)، مدينة اندلسية حصينة، تقع على بعد نحو 50 ميلا شرق " سرقسطة" .

الروض المعطار، مادة و"شقة" .

(210) ابو الربيع سليمان بن محمد الشفشاوني الملقب بـ"الحوات " ، نقيب الشرفاء في عهد السلطان مولاي سليمان، وأحد كبار الادباء في عصره . توفي سنة 1231 هـ/ 1810م .

له ترجمة ذاتية في كتابه" ثمرة انسي في التعريف بنفسي " لا زال مخطوطا، وبالخزانة العامة بالرباط نسخة منه تحمل رقم 1264 ك . وأخرى بالخزانة الحسنية رقم 11861 . خلف عدة مؤلفات سبقت الاشارة الى بعضها في مقدمة هذا الكتاب .

البستان الظريف، مقدمة التحقيق ص 56 . مؤرخو الشرفاء ص 241 وهامش الاحالات.

الطبعة الأولى 1992

تصفيف وتصميم الشركة المغربية للطباعة والنشر. الرباط

الإيداع القانوني 572 / 1992

مطبعة المعارف الجديدة
زنقة الرخاء — الحي الصناعي
الهاتف : 7947 08/09/15
الرباط